

آية الله السيد محمد تقي المدرسي

# التشريع الإسلامي

## مناهجه ومقاصده

الجزء السابع

اسم الكتاب : التشريع الاسلامي مناهجه ومقاصده ( الجزء السابع )  
المؤلف : آية الله السيد محمد تقي المدرسي  
الناشر : دار نشر المدرسي للطباعة والنشر  
الطبعة الأولى : ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م  
عدد النسخ : ٣٠٠٠ نسخة  
السعر : ١٠٠٠ تومان

شابك ٧-٣-٩١٢٤٨-٩٦٤ ( الجزء السابع ) ISBN 964-91248-3-7 (VOL 7 )  
شابك X-٧-٩١٢٤٨-٩٦٤ ( دورة في ١٠ اجزاء ) ISBN 964-91248-7-X (10 VOL.SET)

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة على خاتم المرسلين محمد وآله الهداة الميامين .  
هل نحن بحاجة الى تجديد الفقه ؟

سؤال يثير كل عجب ، اولسنا نعيش كل ٢٤ ساعة يوماً جديداً تطلع فيه الشمس صباحاً ثم تزول عند الظهر ، وتميل عشياً نحو المغرب ليسترها الأفق ويأتي الشفق ، والليل وما وسق ؟

ويولد كل عام جيل ، ويشب جيل ، ويموت جيل ، وتستمر الحياة . وربنا سبحانه كل يوم هو في شأن ، فلماذا البحث عن ضرورة التجديد ، اوليس التجديد سنة الله التي تكسي حقائق الخلق اناقة وسناءً وجمالاً ؟

إنما السؤال الضروري هو كيف نجدد تجديداً يجتمع فيه قوة الماضي ، وحاجة الحاضر ، وتطلع المستقبل ؟

من أجل الاجابة عن هذا السؤال ، توكلنا على الله منذ عقد من الزمان ، وشرعنا بحوله وقوته في تأليف هذه السلسلة من الدراسات التي اسميتها بالتشريع الاسلامي

..

ولولا الثقة بالله وبكبير فضله لما بدأت ، ولما تابعت ولما وفقت .. انها نعمة من الله

لا بد ان احدث بها لكي لايقول أحد انى يكون لي ان اقوم بهذا المشروع او بذاك . انه الله الذي وسعت رحمته كل شيء ، فلماذا تمنعها عن نفسك باليأس .. انظر الى الشجرة التي في بيتك ، وتأمل كيف أتاحتها ربنا ما احتاجت اليه من املاح الأرض ، الى مياه الغيث ، الى لطائف الهواء ، الى ضياء الشمس .. حتى أصبحت دوحة ثابتة الجذور ، وارفة الظلال، ورائعة المنظر . فهل يمنعك الرب سبحانه فضله؟! وتابعتنا المسيرة بتوفيق الله ، واليوم نجد انفسنا في منتصف الطريق ، وها هو الجزء السابع يمتد فوق كفك انشاء الله . وهو يدخل في صميم مشروعنا ، لأنه محاولة جادة لاستنباط الاحكام الفقهية المتجددة من حكمها المنصوصة في الكتاب والسنة .

إذ القرآن كتاب احكمت آياته ثم فصلت ؛ فهي حكم وأمثال ، واصول محكمات ، وفروع متشابهات . فالأمثلة تتشعب من حكمها ، والفروع ثمرات الأصول . وبالتأمل في حكمة الكتاب ، تتوضح الأمثال التي ذكرت والتي لم تذكر ، وبالتدبير في الأصول التي هي الميزان والفرقان تعرف الفروع المتشابهة التي ترد اليها مما ذكرت في الكتاب اولم تذكر ، ومما احتاج اليها الناس سابقاً ومما سوف يحتاجون . ويقودنا هذا المنهج الى سلامة الذوق في فقه الاحكام ، وهي الشرط الاساسي لكل فقيه . إذ ليس الاستنباط مجرد النظر في الأدلة الفرعية الخاصة بمسألة شرعية . فعمل مسألة ما تفقد الأدلة او تتعارض فيها الأدلة ، فعلياً حينئذ ان نرجع الى الأصول المحكمة . وهذا الذوق السليم يفضل بعض الفقهاء عن غيرهم . ولاريب ان تلك الأصول المنصوصة خير من بعض القواعد الناشئة من الفلسفة اليونانية، التي هي بذاتها مادة اختلاف ، بل ان تصبح مرجعاً لحل الاختلافات .

وقد انتشرت هذه الثقافة بين المسلمين بسبب توقف التدبر في الكتاب والسنة ،  
والاعتماد على منهج الرأي والقياس . وقد حذر أئمة الهدى عليهم الصلاة والسلام  
عن ذلك بشدة .

ان القضايا المتجددة التي طرحت على الساحة في مختلف الحقول ، جعلت  
الحاجة الى التدبر في آيات الكتاب ، وفي احاديث السنة اكثر الحاحاً من أي يوم  
مضى . فمثلاً في موضوعات الحرب التي بحثناها في هذا الجزء تجد كل شيء  
تقريباً قد تغير ، ابتداءً من النظريات العسكرية في الدفاع والهجوم ، وانتهاءً بقضايا  
الأسرى والغنائم ، واستمراراً مع طريقة اعلان الحرب وانهاؤها .. واستخدام  
انواع الأسلحة ومنهج تعبئة الجنود وادارتها وما الى ذلك مما يدعو الى المزيد من  
التأمل في الكتاب والسنة .. بالاضافة الى دراسة واعية للقضايا نفسها لمعرفة  
طبيعتها ، حتى يتسنى استنباط احكامها من آيات الكتاب وأحاديث النبي وأهل بيته  
عليه وعليهم الصلاة والسلام .

ونحن نرجو ان نكون قد وفقنا في هذه الدراسة ، ان نخطو الخطوة الأولى على  
الطريق الذي نأمل ان يوفق الله لمتابعة سلوكه رجالاً آخرين . كما نرجو ان يدخر  
ربنا ثواب ذلك عنده ، ليوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، والحمد  
لله أولاً وأخراً ودائماً سرمداً .

محمد تقي المدرسي

٣/ جمادي الأول / ١٤١٩ هـ

طهران



# الفلاح

## دعائم الايمان

# التقوى

## الوفاء بعهد الله

التقوى من دعائم الايمان ، ومن التقوى الوفاء بعهد الله . فما هو العهد ، وما هو العهد عند الله، وما هو عهد الله الى الانسان وماهي مسؤولية العهد؟ ولماذا ينقض البشر عهده؟ وماهي عاقبة نقض العهد؟ ومع من يكون العهد؟ بيان ذلك فيما يلي :

### العهد وعهد الله :

كلمات الوعد والعهد والعقد تعبر عن معاني متقاربة . فالوعد التزام الفرد من طرف واحد بينما العهد تباني طرف مع طرف ثان على أمر ، بينما العقد اتفاق من طرفين كل يلتزم بأمر ويجعل التزامه شرطاً لإلتزام الطرف الآخر . فالعقد عهد مسدّد ، والعقد والعهد هما وعد مشدّد من طرفين . ولعل اصل معنى العهد، معرفة شيء والاعتراف به .

واعترف ان هذه المعاني هي استنتاج من اللغة ، ولم استطع حتى الآن ان استوضح كلمة العهد من آية كريمة، بالرغم من آيات الكتاب في العهد واضحة المعاني ، بالذات قوله سبحانه في قصة النبي موسى بن عمران عليه السلام : { أَفَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ } (الحديد/١٦) . فالأمد هو الوقت هنا ، والعهد ثمة هو الوقت الذي مضى على بني اسرائيل من غيبة نبيهم في الطور . ولعل ما اشتهر من قول الناس عهد فلان تعبيراً عن عصره وزمانه ، هو من هذا

المضمار ، حيث ان الوقت مقارن لحياته ، وهو يعهده ويعرفه . والله العالم . هذا والذي يستظهر من بعض الآيات ، أن العهد يتميز عن العقد ، بأن العهد يعكس الظلال التالية :

ألف : الاستمرار ؛ العقد صفقة قد تنتهي في ساعة ، بينما العهد هو ما يتعاهده الانسان في حياته .

باء : الانتماء ؛ فالعهد يكون في العلاقة التي تتم بين جهتين لتنظيم حياة مستقبلية

جيم : الولاية ؛ فالامامة عهد كما في آية الابتلاء حين عبر الله تعالى عن امامة ابراهيم عليه السلام بالعهد . ولعله معنى قوله : { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } (يس / ٦٠) ، حيث ان عبادة الشيطان توليه ، وعبادة الله توليه سبحانه .

^^^ العهد عند الله :

والله سبحانه قد عهد للانسان بعهد، وعهد اليه بعهد. فمثلاً عهد الرسل عند ربهم كشف العذاب عن امن بهم ، بينما عهد الله الى بني آدم ألا يعبدوا الشيطان ..  
١/ فمن عهد الله لبعض اوليائه ، انه وعدهم الشفاعة لمن اذن لهم . قال الله سبحانه : {لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} (مريم/٨٧) .

نستفيد من الآية ، ان الشفاعة عهد من عند الله لبعض عبادہ .

٢/ ومن العهد الذي تفضل الله به على بعض اوليائه ، كشف الرجز عن امن برسله . قال الله سبحانه : { وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ } (الاعراف / ١٣٤) .

٣/ وقال سبحانه : { وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ } (الزخرف/٤٩) .

ونستوحي من الآيتين أن الله قد عهد لموسى ان يكشف الرجز لمن آمن به .

٤/ وقال سبحانه : { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا

بِعَهْدِي

أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ } (البقرة/٤٠) .

ونستفيد من الآية ان هناك عهداً عند الله لبني اسرائيل، لعله هو العهد بنصر

بني

اسرائيل على اعداءهم ان هم استقاموا . وهذا المحتوى نستوحيه من آيات كثيرة في القرآن ، مثل قوله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } (محمد / ٧) .

^^^ عهد الله الى الانسان :

١/ لعل اول عهد لله سبحانه الى البشر ، عبادته وحده والّا يعبدوا الشيطان . وذلك هو الميثاق في عالم الذر، حيث ان الله سبحانه قال لبني آدم : { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ } (الاعراف/١٧٢) .

وقال الله سبحانه عند بيانه هذه الى الانسان : { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ \* وَأَن اٰعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ \*

وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ \* هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ { (يس/٦٠-٦٣) .

هكذا كان عهده واحداً في بندين ؛ التمرد على الشيطان والنهي عن عبادته، ثم الاستقامة على التوحيد وعبادة الله وحده .

٢/ ومن عهد الله الى المؤمنين، الاستقامة حتى الشهادة . قال الله سبحانه : { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (التوبة/١١١) .  
لقد عهدوا الله ببذل انفسهم له سبحانه، وعهد اليهم بالجنة. ومن اوفى بعهده من الله؟

٣/ وطهارة المساجد من الأوثان ومن كل دنس ، هو العهد الآخر الذي ( أمر به الانبياء عليهم السلام، وبالذات ابراهيم واسماعيل ) . قال الله سبحانه : { وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } (البقرة / ١٢٥) .

اما عهد الله لآدم عليه السلام ، فلعله كان اجتناب الشجرة ، فنسيه فلم يجد الرب له عزماً حسبما يأتي في آية كريمة .

^^^ مسؤولية العهد :

ومسؤولية العهد الوفاء به . وعهد الله يعني - فيما يعني - العهد ( والبيعة ) مع الرسول . ومن العهد الاستقامة في الصراع . والوفاء بالعهد من علائم التقوى .  
١/ كل عهد بين الانسان والانسان يجعل الله سبحانه شاهداً عليه ، ووكيلاً فيه .  
فانه عهد مع الله تعالى، ولا يجوز نقضه. ومثله اليمين؛ فمن حلف بالله العظيم كان عليه الوفاء، ولا يجوز له الحنث. قال الله سبحانه : { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ

وَلَا تَنْفُضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } (النحل/ ٩١).

٢/ وقد امتدح الله المؤمنين ووصفهم بأنهم الذين يوفون بعهدهم ، فقال سبحانه : { وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ } (المؤمنون/ ٨) .

٣/ وقال تعالى في صفة المصلين حقاً ( والصلاة حقاً رمز الإيمان ) : { وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ } (المعارج / ٣٢) .

٤/ وهكذا امتدح الكتاب العزيز رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فقال سبحانه : { مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا \* لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا } (الاحزاب/ ٢٣-٢٤)

وصدقهم في عهدهم، استقامتهم في الحرب والسلام حتى انقضاء اجلهم، حيث فازوا بأعلى الدرجات .

٥/ ومن هنا فان الله سبحانه قد ذم رجالاً نقضوا عهدهم مع الله في ساعة اليأس فولوا الأدبار ، فقال سبحانه : { وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الأدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا } (الأحزاب/ ١٥) .

٦/ ومن ابرز تجليات العهد بيعة الرسول . وقد وعد الله الذين يوفون بعهد الله (وبالذات في التسليم للولاية الإلهية) بأجر عظيم ، فقال سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } (الفتح/ ١٠) .

٧/ وكذلك كان الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين ، حيث قال الله تعالى : { أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ \* الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ المِيثَاقَ } (الرعد/ ١٩-٢٠) .

٨/ والوفاء بالعهد من علامات التقوى ، حيث يقول ربنا سبحانه : { بَلَى مَنْ  
أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } (آل عمران / ٧٦) .

### ^^^ نقض العهد :

أول ما يصيب المرء من نقض العهد ، فقدان احترامه عند من عاهده ، ثم النفاق  
والفسق في الدنيا ، والهوان واللعنة والعذاب في الآخرة .

١/ لقد أكرم الله آدم أبي البشر حتى أسجد له ملائكته، ولكنه لما نسي العهد لم يجد  
له عزماً . ( فلم يكن النبي آدم عليه السلام من أولي العزم في الرسل عليهم جميعاً  
سلام الله). قال الله سبحانه : { وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَسَيِّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ  
عِزْماً } (طه/ ١١٥) .

٢/ والخسران جزاء نقض العهد ، كما هو جزاء قطع ما أمر الله به ان يوصل  
من ولاية وقرابة ، والافساد في الأرض . قال الله سبحانه : { الَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ  
اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ  
هُمُ الْخَاسِرُونَ } (البقرة/ ٢٧) .

وأي خسارة أكبر من تفكك المجتمع ، وانهيار المدنية ، وضياح قيم الوحي،  
وشياح الفوضى ؟

٣/ ونقض العهد من علامات الفسق ( كما هو من علائم النفاق والكفر ، وربما  
الفسق من اثاره ايضاً ) . قال الله سبحانه : { وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن  
وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ  
لَفَاسِقِينَ } (الاعراف/ ١٠٢) .

٤/ وقد عاهد الله فريق من الناس بالتصدق لو أن الله أغناهم بفضله. ولكنهم  
نقضوا العهد فلم يتصدقوا، بل بخلوا. فاعقبهم الله نفاقاً في قلوبهم الى يوم القيامة،  
بسبب خلف وعدهم مع الله سبحانه. قال ربنا تعالى : { وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ  
عِزًّا مِّنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ \* فَلَمَّا عَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا

بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ \* فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَنْفَقُونَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ { (التوبة/٧٥-٧٧) .

٥/ ونقض العهد من علائم الكفر وعدم الايمان ، حيث يقول ربنا سبحانه عن فريق من بني اسرائيل : { أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } (البقرة/١٠٠) .

٦/ اما يوم القيامة حيث الموازين القسط ، فان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلاً وينقضون عهدهم وينكثون ايمانهم بما يحصلون عليه من حطام الدنيا ، فانهم لا نصيب لهم هناك عند الله، حيث لا يكلمهم الله ( هواناً ) ولا ينظر اليهم ولا يزكّيهم، إذ قال عز وجل : { إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَأَخْلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (آل عمران/٧٧) .

٧/ وقال سبحانه : { وَالَّذِينَ يَتَفَضُّونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ { (الرعد / ٢٥) .

ويبدو ان ذلك يشمل الدنيا حيث اللعنة؛ أي البعد عن رحمة الرب المادية والمعنوية، وسوء الدار حيث الحياة النكرة والعيش الضنك . كما يشمل الآخرة، حيث الهوان والعذاب الأليم .

٨/ وجزاء كل خلف للعهد بحسبه . فاذا نقض طرف عسكري عهده، كان للطرف الآخر الهجوم عليه ، حيث قال سبحانه : { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفَضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ \* فَاِمَا

تَتَفَقَّهُهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ { (الأنفال/ ٥٥-٥٧) .

^^^ عوامل النقض :

وللنقض عوامله التي منها النسيان ، حيث وجدناه عند آدم عليه السلام فلم يجد الرب له عزماً. مما يهدينا الى أن من العزم الوفاء بالعهد، ومن عوامل النقض المصالح الدنيوية ، حيث يبيع البعض عهده بحطام الدنيا وطول الأمد وعدم الصبر. وعدم وفاء الطرف الآخر .

١/ لقد نهى ربنا تعالى ان يشتري الانسان بعهد الله ثمناً قليلاً. ( وكل ثمن يحصل عليه المرء لقاء نقض العهد فهو قليل ) ، لأن ما عند الله خير للانسان ان كان يعلم ( ما أعدّه الله لمن وفى بعهده من الفضل العظيم ). قال الله تعالى : { وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (النحل/ ٩٥) .

٢/ لقد غاب النبي موسى عليه السلام عن قومه اربعين يوماً، وهي مدة قصيرة نسبياً ، فاخلفوا مواعده. قال الله تعالى : { فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي } (طه / ٨٦) .

ونستوحي من ذلك؛ ان طول الأمد قد يتسبب في نقض العهد ومخالفة الوعد . والله العالم .

٣/ ومن عوامل النقض ( المشروعة ) عدم وفاء الطرف الآخر به ، حيث اشترط الرب تعالى للوفاء بعهده ان يفى الناس بعهودهم ، فقال تعالى : { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ } (البقرة/ ٤٠) .

ومن خاتمة الآية نستوحي؛ ان من عومل نقض العهد ان يرهب الانسان غير الله . فالرهبة من العباد سبب لترك الوفاء ، وعلاجه الرهبة من الرب وحده .

^^^ طرف العهد :

الظالم لنفسه والمشارك بربه كيف يؤمنان على العهد ؟  
وهكذا يبدو من القرآن الحكيم التوصية بعدم التعاهد معهما .

١/ عندما انبأ الرب تعالى ابراهيم الخليل عليه السلام بأنه جاعله للناس إماماً ، سأل الخليل ربه هل يجعلها لذريته ايضاً في استفهام مشحون بالرغبة. فذكره الجليل سبحانه، بأن عهده لا ينال الظالمين. ( فاذا كان ابراهيم نفسه قد ابتلي بكلمات فأتهم حتى جعله الله للناس اماماً ، فكيف ينال الظالمين بمجرد انهم من ذرية ابراهيم ؟ ) قال الله سبحانه : { وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } (البقرة / ١٢٤)

ونستوحي من الآية؛ عدم صلاحية الظالم ليكون طرفاً للعهد .

٢ / وكذلك نجد الكتاب العزيز يأمر النبي صلى الله عليه وآله بفسخ العلاقات مع المشركين، وامهالهم مدة اربعة اشهر ، حيث يقول ربنا سبحانه : { بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ مُحْزِي الكَافِرِينَ } (التوبة/١-٢) .

٣/ ولكن هناك اطرافاً من المشركين يمكن ان يتم العهد معهم الى مدينتهم ، لأنهم احترموا عهدهم. قال الله سبحانه : { إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } (التوبة/٤).

٤/ إلا ان الأصل عدم ابرام العهد مع المشركين، لأنهم لا يصدقون في قولهم. قال الله سبحانه: { كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ \* كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ } (التوبة/٧-٨) .

ونستفيد من ذلك؛ ان المشرك لا يصلح طرفاً للعهد، أو ليس المشرك نقض أكبر عهد عنده من الله بالتوحيد ورفض الشرك ، فكيف يؤمن على عهد جديد ؟

^^^الله لن يخلف :

من أوفى بعهده من الله؟ ولكن البعض يفترون على الله الكذب، فيزعمون ان الله سبحانه

لايعذبهم بذنوبهم ، ولم يعهد لهم الله بذلك قط .

١/ وهكذا يتساءل الكتاب العزيز هل اطلع ( الكافر بآيات الله ) الغيب حتى عرف انه يؤتى مالاً وولداً ، ام انه اتخذ عند الرحمن عهداً بذلك، وان الله سبحانه لن يخلف عهده مع احد . قال ربنا سبحانه : { أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا \* أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا } (مريم/٧٧-٧٨) .

٢/ وهكذا زعم اليهود انهم مبرءون من العذاب من دون عهد اتخذه عند الله

حتى

لايخلفه ، بل تمنياً من انفسهم . قال الله سبحانه : { وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (البقرة/٨٠) .

٣/ وقد قرأنا في آية قرآنية انه { وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ } (التوبة/١١١) .  
وقرأنا ان الله قال لبني اسرائيل: { أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ } (البقرة/٤٠) . مما يدل على ان الوفاء يجب ان يكون متبادلاً .

## ^^بصائر الآيات

١/ يبدو ان العهد هو ما يعهده الانسان ويعترف به ، وهو وعد على الانسان الذي يعطيه .

٢/ وعهد الله الذي عهده للمؤمنين ان ينصرهم إن هم نصره . ومن عهده الشفاعة لبعض اولياءه (لعل الرسل جميعاً ، ورسولنا الأعظم وأهل بيته خصوصاً) . ومن عهده ان يكشف العذاب عن آمن من الناس بالرسل قبل ان يحق عليهم .

٣/ وعهد الله الى البشر ؛ اولاً : عبادته وحده ، والأ يعبدوا الشيطان . ثانياً : الاستقامة حتى الموت او القتل ، وذلك هو البيع الذي بايعه المؤمنون . ثالثاً : طهارة المساجد ( من الوثن وكل دنس ) . (١)

٤/ وعهد الله مسؤول عنه . ( وكل عهد بين طرفين جعلاً ربهما شاهداً عليه ، هو عهد مسؤول ) . وهكذا كان الوفاء بالعهد من علامات المؤمن ، ومن صفات المصلين . وقد امتدح الله رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، بينما نذم آخرين تولوا عن الحرب ، حيث كانوا قد عاهدوا الله على الصبر ، وكان عهد الله مسؤولاً . والوفاء بالعهد كان من علائم التقوى .

٥/ الفسق والنفاق والهوان والخسران واللعنة والعذاب ، كل ذلك من عواقب نقض العهد . ومن عواقبه عدم احترام الطرف الآخر للعهد .

٦/ من أسباب خلف العهد؛ النسيان كما في أبينا آدم حين عهد ربه فنسى . (والطمع بثروة الأغنياء المتمثل في) شراء ثمن قليل بالعهد ، او رهبة الاقوياء ، او خلف الطرف الآخر . وعلى الانسان ان يعرف ان ما عند الله خير له مما في ايدي الناس ، وان الله احق بان يخشاه ، وان عليه ان يفي بوعدده مع الله حتى يفي الله له . ولعل من أسباب نسيان العهد طول الأمد .

٧/ والمشرك والظالم لا عهد لهما ، ( وهكذا ينبغي للانسان ان يختار لعهد المؤمن ) .

٨/ والله سبحانه لا يخلف عهده ، ( وعلى الانسان ان يطمئن الى عهد ربه ) .

## فقہ الآيات

---

(١) هناك جملة بنود في الميثاق الالهي على البشر، نتحدث عنها في حقل الميثاق انشاء الله.

١/ (الاعراف/١٣٤) و (الزخرف/٤٩) ؛ ليس الايمان هو الايمان الموسمي الذي يدعيه الفرد عند اشتداد الازمة ثم لا يلبث ان يتركه عند الفرج ، وانما على الانسان ان يسعى لبلوغ درجة من اليقين يجعله مؤمناً في السراء والضراء .

٢/ (آل عمران/١٨٣) ؛ لايجوز الافتراء على الله ، والتهرب عن واجب الانقياد للولاية الشرعية بادعاء شرط إضافي لا دليل عليه فيها ؛ كما زعم اليهود ان شرط الرسالة قربان يأتي به الرسول فتأكله النار ، وكانوا في ذلك كاذبين .

٣/ (البقرة/١٢٥) ؛ على سدنة بيوت الله ( وهم الانبياء والاولياء ) ان يعملوا من اجل

تطهيرها للعابدين . ونستوحي من ذلك أموراً :

أولاً : ان شرط ولاية أحد على البيت خدمة البيت بتطهيره .

ثانياً : ان حكمة التطهير استقبال العابدين، وجعله يستهويهم .

ثالثاً : الطهارة قيمة الهية، ولذلك ينبغي العمل لتطهير بيوت الله من كل دنس ووسخ، كما انه ينبغي تجنيب المسجد من كل نجس ورجس . فمن كان جنباً او حائضاً او حاملاً نجاسة مسرية او مشركاً لايدخل المساجد .

٤/ (النحل/٩١) ، (الانعام/١٥٢) و (الرعد/٢٠) ؛ الصلة بين الناس أساس الحضارة ، وقاعدة المجتمع . واذا كانت هذه الصلة تحت مظلة الولاية الالهية، فهي - اذاً - شرعية؛ وفي شرعيتها الفوائد التالية :

أولاً : انها ذات حماية ايمانية ، حيث ان الذي يخالف عهده او يمينه الذي جعل الله كفيلاً عليه فيهما ، فإنه يستخف بأمر ربه . وهذا من علامات الكفر والفسق والنفاق .

ثانياً : انها مؤطرة باطار التقوى ، حيث انها لا تصح مع مخالفة حدود الله . ومن حدود الله حقوق عباده . فالعهد الذي يضر بالانسان أيًا كان ضرراً بالغاً ، يكون عهداً ملغياً . وكذلك الذي ينتهي الى ظلم احد من البشر ، فإنه يكون من التعاون على

الإثم والعدوان . وهكذا العهد الذي يؤدي الى الإثم وارتكاب الفواحش . ومن هنا فان العهد الشرعي لا بد ان يكون عهداً ظاهراً بعيداً عن الضرر والظلم والإثم .  
٥/ وأساس العهد كلمة التقوى التي يصل الفرد بها بين التزامه بما عاهد عليه وبين شرفه وقيمه وإيمانه . وهكذا العهد هو الجامع المشترك لطائفة من الإلتزامات التي هي - بدورها - حجر الزاوية في العلاقات الاجتماعية؛ وهي العقد ، والميثاق ، والمعاهدات (السياسية - العسكرية او الاقتصادية) بين الدول او الجماعات . وفيما يلي نستعرض طائفة من احكام العهد وأبعاده المختلفة :

#### ٨٨٨ ألف : العهد الفردي

الارادة ( المشيئة ) هي التي تنشأ الإلتزام عند الانسان، وقد يكون للإلتزام شخص او اشخاص، وقد لا يكون له أي طرف. وهو بدوره يتفرع الى شعبتين :  
أولاً : ان يلتزم الشخص بشيء ويجعل الله عليه كفيلاً . وهذا هو العهد الشرعي الذي يبحثه الفقهاء عند البحث عن النذر واليمين .

ثانياً : ألا يجعل الله عليه كفيلاً . وهذا النوع لا ينشأ إلزاماً ، لأن من عهد على نفسه عهداً بمشيئته يمكنه ان ينقضه بذات المشيئة . وفي هذا المجال يقول الفقه الاسلامي :

" متعلق العهد كمتعلق النذر، واحكامه وارده فيه. وصورته؛ ان يقول: عاهدت الله او عليَّ عهد الله ان افعل كذا معلقاً او مجرداً . (١)

وجاء في الحديث المأثور عن أبي جعفر الثاني ( الامام الجواد عليه السلام ) في رجل عاهد الله عند الحجر ان لا يقرب محرماً أبداً ، فلما رجع عاد الى المحرم ؟ فقال ابو جعفر عليه السلام : "يعتق او يتصدق على ستين مسكيناً ، وما ترك من الأمر اعظم، ويستغفر الله ويتوب اليه". (٢)

(١) موسوعة الفقه للشيرازي / ج ٧٥ / ص ١٨٦ - عن كتاب الدروس .

(٢) المصدر / ص ١٨٩ / نقلاً عن الوسائل / ج ١٦ / ص ٢٠٦ .

ويبدو ان الفقه الاسلامي لم يعتبر مجرد نية الشخص على ترك فعل او القيام بأمر من دون ان يكون له مظهر ؛ لم يعتبره عهداً ، ولذلك لم يوجب الوفاء به . وإلا فإنه لو صدق العهد عليه ، فإن أدلة وجوب الوفاء بالعهد تشملته، كقوله سبحانه : { وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ } (المعارج/٣٢) ، وقوله سبحانه : { وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً } (الاحزاب/ ١٥) . ومن هنا قال في الجواهر وهو يناقش الفقهاء انعقاد العهد بالضمير دون اظهاره باللفظ ، قال : نعم لو قيل بصدق العهد لغة وشرعاً و عرفاً على الانشاء الضميري، قوي القول بالانعقاد للعمومات (للأدلة العامة). ولعله لذا قواه في كشف اللثام فارقاً بينه وبين النذر باعتبار، كون النذر في الأصل الوعد، وهو لفظي بخلاف العهد . (١)

اما في الانظمة الحديثة فان الالتزام من طرف واحد ، كان محور جدل كبير، بالذات بين بعض فقهاء القانون في المانيا وفرنسا . (٢) وقد استقرت الانظمة في بلادنا على ألا يأبها بالارادة المنفردة إلا في موردين : أولاً : اذا كان الوعد مكتوباً وكان لمدة معينة، ووصل الى من وعد ولم يرفضه . ثانياً : عندما يكون الوعد موجهاً الى الجمهور . ولكن عند التأمل فان الالتزام في هذه الموارد، هو التزام امام طرف آخر. وهذا هو الذي يجعله عهداً، وشبيهاً بالعقد . فان نظارة الطرف الآخر على هذا الالتزام، تجعله في مستوى العقد ذي الطرف الآخر .

وهكذا تكون الارادة المنفردة ذات صيغة ملزمة في كل مورد تقع امام طرف؛ مثل ابراء الذمة ، واسقاط حق الخيار ، واجازة العقد، وما أشبه .. وفي الفقه الاسلامي عشرات الموارد التي اعتبرت الارادة المنفردة ( الالتزام من طرف واحد ) ذات اثر شرعي ؛ مثل الطلاق ( بشرط الشاهد ) والوصية والعتق وما أشبه

(١) المصدر / ١٩٤ .

(٢) راجع الوسيط للسهنوري / ج ١ / ص ١٢٨٢-١٢٩٤ .

.. مما يسمى في الفقه بالايقاعات . وفي القوانين الحديثة ايضاً اعتبروا الوصية ، وحيازة المباحات، والاعراض عن الملكية ، والتوكيل والفسخ وما أشبه من الالتزامات المنفردة . ومن ابرز هذه الالتزامات اليوم ؛ السندات ، حيث ان أحد الافراد ( دولة او شركة او شخص ) يتعهد بأن يدفع في مقابل ورقة معينة قيمة محددة .

ومن كل هذه الموارد نستنبط صدق العهد على الالتزام من طرف واحد ، شريطة ان يسمو الى درجة معينة من الشدة . فليس كل تمنّ او رضا او مشيئة يسموا الى درجة العهد ، انما العهد التزام مشدد (١)، ونعرف شدة الالتزام من وجوه مختلفة :

الأول : أن يكون العهد أمام الله سبحانه . فاذا جعل المؤمن ربه كفيلاً عليه، كان التزامه شديداً . ولذلك فان الاسلام اعتبر اشهاد الله ملزماً .

الثاني : ان يكون الالتزام من قبيل اسقاط حق او اسقاط ملكية او نقلها مما لا لغو فيها ؛ مثل الابرء والهبة والعنق والسكوت الدال على الرضا مثل عدم الأخذ بالخيار وما أشبه .

ولعل الوعد للناس بشيء ايضاً ملزم ، والقاعدة الفقهية التي نستفيدها من التأمل في هذه الموارد هي التالية :

ان كل ارادة منفردة شديدة تعتبر ملزمة . ونستفيد هذه القاعدة من كون هذه الارادة تسمى عرفاً بالعهد . ولعل الآية الكريمة التالية تهدينا ايضاً الى ذلك ، حيث يقول ربنا سبحانه : { لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَوْ هَلِيكُمُ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ } (المائدة / ٨٩) .

---

(١) بعض فقهاء القانون اشترط في تنفيذ الارادة شدتها مثلاً "ويند شايد" راجع حقوق تعهدات ( د . عبد المجيد أميري قائم مقامى ) باللغة الفارسية / ج ٢ / ص ٧ .

فالعقد هو تعقيد القلب على شيء، وليس مجرد ارادة . والله العالم .  
وإذا ثبت هذا الاستنتاج، فإن العهد من طرف واحد ، وحتى من دون اشهاد الله  
يكون ملزماً ، شريطة ان يصبح عهد يعقد القلب .

^^^ باء : العقد ( الالتزام المشترك )

أما الالتزام المشترك الذي يعقد مشيئته بأخرى ، فإن الحديث عنه نرجئه الى  
موضعه من بحث العقود والتجارة ذات التراضي . إلا أن ما نود الإشارة اليه : ان  
العقد نوع من العهد، حيث انه جعل الشخص شيئاً في عهده شريطة ان يجعل  
الآخر أمراً بعهدته. فانا أتعهد لك بدفع البضاعة، وانت بدورك تتعهد لي بدفع الثمن  
. وحيث يستخدم العرف كلمة التعهد في العقود، نعرف ان الكلمة تعني عندهم ذلك  
. وجاء في حديث شريف عن ابن سنان عن الامام الصادق عليه السلام في معنى

قوله سبحانه : { اوفوا بالعقود } ، قال عليه السلام : العهود . (١)

^^^ جيم : الميثاق

والميثاق اجتماع ارادات مختلفة على أمر واحد، وهو أحد معاني الاجماع الذي  
يقول عنه سبحانه : { فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ  
أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ } (يونس / ٧١) .

وفي الميثاق يكون اظهار ارادة الجمع بصيغة معينة تعبيراً عن التعهد من قبل  
الفرد، كأن

يصوت اعضاء شركة اقتصادية او هيئة خيرية او حزب سياسي او ما أشبهه ، على  
انتخاب رئيس او قيادة مشتركة او اقرار دستور او قانون او لائحة وما أشبهه . ومن  
اجل تمييز العهد في هذه الحالات عن الوعد والكلام العام، يُوصي التشريع في  
الانظمة الحديثة ببعض الأمور ؛ كأن يسجل التصويت او يكون بمحضر ممثل من  
هيئة القضاء او ما أشبهه .

---

(١) موسوعة الفقه للشيرازي / ج ٧٥ / الباب ٢٥ من ابواب النذر والعهد / ح ٣ .

يقول في ذلك " د . قائم مقامي " موافقة الأكثرية ( في شركة او هيئة خيرية او حزب سياسي او شعب ) تسمى بالقرار. وهو يختلف عن العقد، إذ ان العقد هو مبادلة ارادات ، بينما القرار هو الاعلان عن ارادة . ويضاف الى ذلك ان آراء الحاضرين وحدهم تصبح ملاك وقاعدة القرار . كما لايجب توافق الارادات (كما في العقد ) حيث ان الاعلان عن القرار يتم عادة من قبل الرئيس . كما ان رأي الأكثرية يفرض على رأي الاقلية، بل وحتى الغائبين. وبعكس العقد حيث يتمتع الطرفان بحرية الارادة ( ضمن سلطان المشيئة ) فان القرار لا يكون معتبراً إلا في موارد قانونية ؛ مثلاً : قرارات هيئة ادارة الشركات التجارية ، او قرارات الجمعية العامة للشركات المساهمة، حيث صرّح القانون ( مادة/٦٢ من القانون التجاري الجديد ) بأن قرارات الجمعية العامة للشركة المساهمة لا تعتبر من دون وجود تقرير المفتشين وشهادتهم بسلامة السجلات وحسابات المدراء . (١)

ومن الناحية الشرعية يكفينا دليلاً على الميثاق، كلما يجعل العهد متميزاً عن الوعد والكلام؛ مثل اشهاد شهود او جعل الله سبحانه كفيلاً أو التسجيل او أي شيء يعتمده العرف .

#### ^^^دال : المعاهدات

ونعني بها الاتفاقيات العامة التي تجري على ابناء الشعب الواحد فيما بينهم ( كما الاتفاق على دستور بلادهم )، او تجري بين الشعوب المختلفة والتي نسميها بالمواثيق الدولية والاحلاف والمعاهدات. وهكذا يتشعب الحديث الى شعب مختلفة :

#### ^^^أولاً / العهود السياسية

وهي - بدورها - تنفرع الى ثلاث شعب : البيعة ، الاختيار ، والميثاق السياسي .

---

(١) حقوق تعهدات / ج ٢ / ص ١٠ .

## ~~~~~ الشعبة الأولى : البيعة

وأهم العهود اعلان الالتزام بنظام سياسي وقانون اساسي وقيادة تنفيذية، وقد عبر القرآن الكريم عن الامامة بالعهد في قوله سبحانه : { وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } ( البقرة/ ١٢٤ ) .

وفي الحديث الشريف عن الامام الصادق عليه السلام : " نحن شجرة النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة، ونحن عهد الله وذمته " . (١)

وكذلك القرآن ( كدستور ثابت للأمة، ومرجع قانوني لكل قضاياهم ) انه عهد الله، كما جاء في حديث مأثور عن الصديقة فاطمة الزهراء سلام الله عليها، حين قالت في خطبتها الفدكية المعروفة ، وهي تخاطب اصحاب النبي صلى الله عليه وآله : " الله فيكم عهد قدمه اليكم، وبقية استخلفها عليكم ، كتاب الله بينة بصائره، وآي منكشفة سرائره، وبرهان متجلية ظواهره " . (٢)

والبيعة للنبي وللإمام انما هي بمثابة التصديق ، وتقوم بدور الانتخاب في سائر الأنظمة . انها من ابرز مظاهر العهد القائم بين ابناء الأمة بعضهم والبعض الآخر ، ثم فيما بينهم وبين قائدهم . قال الله سبحانه : { إِنَّ الدِّينَ يُبَايِعُوكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَن يَكْفُرْ لِيَكْفُرْ عَلَىٰ عَهْدِهِ عَقَابًا لَّعِينًا } (الفتح / ١٠) .

وهكذا أسمى الله البيعة مع الرسول عهداً مع الله سبحانه .

## ~~~~~ الشعبة الثانية : الاختيار

وبعد عهد الامامة المنصوص عليها ، يأتي عهد الامامة المختارة، والتي هي نوع من العهد بين الأمة وامامها في حدود أحكام الدين. وفي ذلك يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام : " والواجب في حكم الله و حكم الاسلام على المسلمين بعدما

(١) موسوعة بحار الأنوار / ج ٢٤ / ص ٨٧ .

(٢) المصدر / ج ٦ / ص ١٠٧ / ح ١ .

يموت امامهم او يقتل ( ضالاً كان او مهتدياً ، مظلوماً كان او ظالماً ، حلال الدم او حرام الدم ) ان لا يعملوا عملاً ، ولا يحدثوا حدثاً ، ولا يقدموا يداً ولا رجلاً ، ولا يبدؤوا بشيء قبل ان يختاروا لانفسهم اماماً عفيفاً عالماً ، عارفاً بالقضاء والسنة ، يجمع امرهم ويحكم بينهم ، ويأخذ للمظلوم من الظالم حقه ، ويحفظ اطرافهم ، ويجبي فيئهم ، ويقيم حجتهم ، ويجبي صدقاتهم ، ثم يحتكمون اليه في امامهم المقتول ظلماً ليحكم بينهم بالحق" . ( ١ )

وقد حدّد الاسلام جملة حقوق متبادلة بين الراعي والرعية ، وهي بمثابة الميثاق الذي يتعهدهون عليه . فقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : " واعظم ما افترض الله من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية ، وحق الرعية على الوالي ، فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل ، وجعلها نظاماً لألفتهم ، وعزراً لدينهم ، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاية ، ولا يصلح الولاية إلا باستقامة الرعية . فاذا ادت الرعية الى الوالي حقه ، وادى الوالي اليها حقها ، عز الحق بينهم ، وقامت مناهج الدين ، واعتدلت ( ٢ ) معالم العدل ، وجرت على اذلالها السنن ، فصلح بذلك الزمان . وطمع في بقاع الدولة ، ويئست مطامع الاعداء . واذا غلبت الرعية واليهما ، او اجحف الوالي برعيته ، اختلفت هنالك الكلمة ، وظهرت معالم الجور ، وكثرت الاذلال في الدين ، وتركت محاج السنن تعمل بالهوى ، وعطلت الاحكام ، وكثرت علل النفوس ، ولا يستوحش لعظيم حق عطل ، ولا لعظيم باطل فعل . فهنالك تذلل الأبرار ، وتعز الأشرار ، وتعظم تبعات الله عند العباد" . ( ٣ )

وجاء في حديث آخر عنه عليه السلام انه قال للمسلمين بعد ان بايعوه : " ان لي عليكم حقاً ولكم عليّ حق ؛ فاما حقكم عليّ فالنصيحة لكم ، وتوفير فيئكم عليكم ، وتعليمكم كي لاتجهلوا ، وتأديبكم كي ما تعلموا . واما حقي عليكم ، فالوفاء بالبيعة ،

( ١ ) موسوعة الفقه للشيرازي / ج ١٠١ / ص ٢٨ / عن كتاب سليم بن قيس .

( ٢ ) في المصدر اعتمدت واظنها خطأ .

( ٣ ) المصدر / ص ٣١-٣٢ .

والنصيحة في المشهد والمغيب ، والاجابة حين ادعوكم ، والطاعة حين أمركم".  
(١)

وقد اختصر الامام الرضا عليه السلام اهداف الامامة في كلمات حين قال عليه السلام :

"ان الامامة زمام الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين" . (٢)  
وهكذا الامام هو الذي يحفظ حدود الدين ويرعى تعاليمه ، كما يقيم النظام الأمثل للمسلمين ويسعى نحو تحقيق مصالح الناس ( من الرفاه والتقدم ) ، كما أنه يردع الاعداء من الإضرار بالأمة .

وهذا العهد يتحقق في عصر المعصومين بالبيعة لهم وطاعتهم ، وفي عصر الغيبة بانتخاب الأئمة من الأئمة واتباعه في حدود الشريعة .

وفي البيعة يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، في خطبة شريفة مفصلة نقتطف منها ما يلي: "فبسطت لكم يدي فبايعتموني - يا معشر المسلمين - وفيكم المهاجرون والانصار والتابعون باحسان ، فاخذت عليكم عهد بيعتي وواجب صفقتي من عهد الله وميثاقه . واشد ما أخذ على النبيين من عهد وميثاق لتفن لي ولتسمعن لأمري ولتطيعوني وتناصرحوني وتقاتلون معي كل باغ او مارق إن مرق، فانعمتم لي بذلك جميعاً". (٣)

وما نستفيدة فقهياً من هذا العهد أنه ملزم لصاحبه إذا كان في حدود الشريعة، وغير مخالف لأمر الله . وهذا العهد هو أحد أبرز قواعد الحكم في العالم، وهو الذي يسميه البعض بالعقد الاجتماعي كأساس للعلاقة بين الحاكم والمحكوم. وهو دون البيعة التي تكون للإمام المفترض الطاعة، وفوق الحكم الوراثي المستبد .

~~~~~  
الشعبة الثالثة : الميثاق السياسي

---

(١) المصدر / ص ٢٢ .

(٢) موسوعة الفقه للشيرازي / ج ١٠١ / ص ٢٣ .

(٣) موسوعة بحار الأنوار / ج ٢٨ / ص ٢٣٩ / ح ٢٧ .

أما الميثاق السياسي الذي يهدف إقامة نوع من النظام للدولة ، أو اقرار دستور للبلاد ، ففيه التفصيل التالي :

أولاً : لان عهد الله قبل أي عهد آخر وفوقه ، وعهد الله يتمثل في الوحي كتاباً وسنة ، فانه لايجوز لأحد أن يخالف الكتاب والسنة. بلى؛ يجوز للأمة أن تعقد ميثاقاً للعمل بهما ويكون هذا الميثاق بمثابة البيعة للامام ..

ثانياً : لان صيغة تطبيق الكتاب والسنة ، واقامة النظام الالهي في الارض تتطور حسب

المتغيرات، والناس بحاجة الى كلمات واضحة فيها من حقائق الوحي كما فيها من واقعيات الحياة ، واحكام الحوادث الواقعة والقضايا المستجدة . فان على المتصدين للساحة ان يعرضوا على الجمهور صيغة عصرية لتطبيق الدين كقانون اساسي للبلاد وللناس، وان يصوتوا له كما يحق لهم ان يصوتوا ضده ، لان التصويت ضده ليس بالضرورة تصويتاً ضد الوحي بقيمه الثابتة ، بل قد يكون تصويتاً ضد تلك الصيغة العصرية لتلك القيم، إذ لايرى الناس انها مفيدة لهم ونافعة لظروفهم . وهكذا لو صوت الأغلبية على ذلك الدستور المقترح ( الذي قلنا انه في الواقع مزيج من الوحي والواقع ) فانه يكون ميثاقاً بينهم، وعليهم ان يكونوا اوفياء له. وهذا الميثاق ليس ابدياً ، ولا يلزم كل الأجيال الصاعدة ، بل يكون اما مؤقتاً بوقت محدد سلفاً ، او يكون ملزماً للأجيال المعاصرة. ويحق للناس بعد انتهاء مدته العرفية ان يعيدوا النظر فيه، ويصوتوا لدستور جديد للبلاد اذا تغيرت الظروف .

#### ^^^ثانياً / المعاهدات والأحلاف الدولية

وتنقسم العهود الدولية التي تكون بين الشعوب المختلفة الى ثلاثة اقسام : اتفاقات السلام (الهدنة) ، والاتفاقات السياسية ، والاحلاف .

^^^القسم الأول : الهدنة

وقد تناول الفقه الاسلامي أوجه الهدنة والفروع المختلفة حول من يهادن وكيف يهادن ، ومدى اتساع حرمة الهدنة .

وما نستفيدة من الأدلة المتوافرة ؛ ان الهدنة ليست من ثوابت الشريعة ، بل من المتغيرات التي يتصل حكمها بالمصالح العامة . وإمام المسلمين هو الذي يملك حق المهادنة، كما يملك حق اعلان الحرب عندما تتهدد مصالح الأمة او قيم الشريعة . وعلى المسلمين جميعاً الالتزام بكل اتفاق صلح او سلام يبرمه امامهم . وعلى الامام ان يحافظ على عهده مع الآخرين، كما حافظ الرسول صلى الله عليه وآله انطلاقاً من الآيات الكريمة التي تلونها في الوفاء بالعهد .

اما هل يجب على الامام الجنوح للسلم إذا دعي اليه ، ام يجوز له الاستمرار في الحرب ؟ فاننا نستوحي من آية كريمة : { وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا } (الانفال/ ٦١) ضرورة الاهتمام بالسلام كأصل حياتي، إلا ان قيمة السلام ليست الوحيدة ، وانما هناك قيم أخرى مثل قيمة الدفاع عن حقوق المظلومين وعن مصالح الأمة العليا . وعلى الامام ان يجتهد حتى يعرف ماهو الأهم من هذه القيم، عند اتخاذ قرار السلم او الحرب .

#### ^^^القسم الثاني : الاتفاقات

والاتفاقات السياسية او العسكرية التي تتم بين المسلمين وغيرهم محترمة، شريطة ان يعمل بها الطرف الآخر كما قرأنا ذلك في (التوبة/ ٤) و (التوبة/ ١٢) و (النساء/ ٩٠) و (الانفال/ ٧٢) ؛ والاحكام التالية نستفيدها من هذه الآيات :  
ألف : يجب اتمام عهد المشركين الى المدة التي ضربت لهم، شريطة ألا ينقضوا من العهد شيئاً، وألا ينصروا اعداء المسلمين عليهم .  
باء : اذا نكثوا ايمانهم وعهدهم وطعنوا في الدين، فانه يجب قتالهم، لأنهم لا يمين لهم حتى ينتهوا .

جيم : اذا كانت فئة تنتمي الى قوم بينهم وبين المسلمين ميثاق ، فإنه لايجوز قتالهم .

دال : يجب دفع الدية (والغرامة) الى اولياء الدم الكفار في صورة وجود معاهدة بينهم وبين المسلمين ، بينما لا يجب ذلك اذا لم تكن هناك معاهدة بينهم .  
ومن شروط الاتفاق ان يتم بين السلطات المخولة من الطرفين، بينما من لايملك حق الاتفاق فلا نمام له. ومن هنا قال الفقه الاسلامي : ويجوز ان يذم الواحد من المسلمين لاحاد من أهل الحرب، ولا يذم عاماً ولا لأهل اقليم . (١)  
وقال: والامام يذم لأهل الحرب عموماً وخصوصاً، وكذا من نصبه الامام عليه السلام في جهة يذم لأهلها . (٢)  
وعلل ذلك صاحب الجواهر : لأن ولايته عامة، والأمر موكول اليه في ذلك ونحوه . ونقل في المنتهى الاجماع على ذلك .  
وجاء في حديث مأثور عن الرسول صلى الله عليه وآله: "إن سالم أحد من المؤمنين فلا يسالم مؤمن دون مؤمن".  
قال صاحب الجواهر وهو يفسر كلام الرسول صلى الله عليه وآله ؛ أي لا يصلح واحد دون اصحابه ، وانما يقع الصلح بينهم وبين عدوهم باجتماع ملامهم على ذلك . (٣)  
بلى؛ يجوز اجارة شخص من المسلمين لشخص او اشخاص من المشركين ، ولو فعل ذلك كان على المسلمين جميعاً الالتزام باجاراته حتى يسمع كلام الله ، وفي ذلك جاءت الرواية التالية :  
روي عن الامام الصادق عليه السلام : "ايما رجل من ادنى المسلمين نظر الى رجل من المشركين هو جار حتى يسمع كلام الله ، فان تبعكم فأخوكم في الدين ، وان أبي فأبلغوه مأمنه واستعينوا بالله عليه". (٤)

(١) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٩٦ / طبعة النجف الأشرف - عن شرائع الاسلام للمحقق الخلي .

(٢) المصدر / ص ٩٧ .

(٣) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٩٣ / طبعة النجف الأشرف - عن شرائع الاسلام للمحقق الخلي .

(٤) المصدر / ص ٩٣ / نقلاً عن وسائل الشيعة / الباب ١٥ من ابواب جهاد العدو / ح ١ .

وهذا معنى كلام الرسول صلى الله عليه وآله "يسعى بذمتهم أدناهم" حسبما جاء في حديث رواه السكوني عن الامام الصادق عليه السلام . (١)  
إلا ان هذا نوع من العهد الفردي ولا يدخل ضمن الاتفاقات الدولية .

#### القسم الثالث : الأحلاف

اما التحالف مع أطراف أخرى ، فان عمومات آيات العهد والميثاق تشمل كل اتفاق بين طرفين ، سواءً كان الطرف الآخر مسلماً او مشركاً . كل ذلك اذا كانت المصلحة العليا للأمة تقتضي ذلك .

ويبدو ان هناك شروطاً ثلاثة للتحالف، وهي :

أولاً : ان يكون في مصلحة الأمة .

ثانياً : ألا يكون ضد طرف اسلامي .

ثالثاً : ألا يتنافى والقيم الاسلامية .

وإذا توافرت هذه الشروط، دخل الحلف ضمن اطلاق الوفاء بالعهد .

وهكذا يجوز ان توقع الدولة الاسلامية على الموائيق العالمية التي انبثقت من منظمة الأمم المتحدة ، وفروعها المختلفة مادامت لا تتنافى وقيم الوحي ، وهي فعلاً ليست منافية في الأغلب . ومادامت قد وقعت عليها، فلا بد من الوفاء بها . والله العالم .

### في رحاب الأحاديث

١/ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " لا ايمان لمن لا امانة له ، ولا دين لمن لا عهد له " . (٢)

(١) المصدر / ص ٩٢ / نقلاً عن وسائل الشيعة / الباب ٢٠ / ح ١ .

(٢) موسوعة بحار الأنوار / ج ٤٤ / ص ١٥٥ / ح ٢٥ .

٢/ وفي وصيته للاشتر قال الامام علي عليه السلام: وإياك والمن على رعيتك باحسانك، او التزيد فيما كان من فعلك ، او ان تعدهم فنتبع موعذك بخلفك. فان المن يبطل الاحسان ، والتزيد يذهب بنور الحق ، والخلف يوجب المقت عند الله وعند الناس. قال الله سبحانه : " كبر مقتاً عند الله ان تقولوا مالا تفعلون " . وقال عليه السلام : "الوفاء لاهل الغدر غدر عند الله ، والغدر باهل الغدر وفاء عند الله". ومن خطبة له عليه السلام : "ان الوفاء توأم الصدق، ولا اعلم جنة اوقى منه". (١)

٣/ وقال عليه السلام : "ان لاهل الدين علامات يعرفون بها؛ صدق الحديث ، واداء الامانة ، ووفاء بالعهد ، وصلة للارحام ، ورحمة للضعفاء ، وقلة مؤاتاه للنساء ، وبذل المعروف ، وحسن الخلق ، وسعة الحلم ، واتباع العلم ، وما يقرب من الله زلفى ، وطوبى لهم وحسن ماب . (٢)

٤/ وروي عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: "خمس هن كما اقول ؛ ليست لبخيل راحة ، ولا لحسود لذة ، ولا لملوك وفاء ، ولا لكذاب مروة ، ولا يسود سفيه". (٣)

٥/ عن أبي عبد الله عليه السلام قال : "ثلاث لم يجعل الله لاحد من الناس فيهن رخصة ؛ برّ الوالدين برّين كانا او فاجرين ، ووفاء بالعهد بالبر والفاجر ، واداء الامانة الى البر والفاجر ". (٤)

---

(١) المصدر / ج ٧٢ / ص ٩٦ / ح ٢١ .

(٢) موسوعة بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٤٩ / ح ٧٢ .

(٣) المصدر / ج ٦٩ / ص ١٩٣ / ح ١٣ .

(٤) المصدر / ج ٧١ / ص ٧٠ / ح ٤٧ .

٦/ عن أبي عبد الله عليه السلام قال : "اربعة يذهبن ضياعاً ؛ مودة تمنحها من لا وفاء له ، ومعروف عند من لا يشكر له ، وعلم عند من لا استماع له ، وسر تودعه عند من لا حصافة له". (١)

---

(١) المصدر / ج ٢ / ص ٦٧ / ح ١٠ .

## ^^ الوفاء بالكيل والميزان

الوفاء بالكيل والميزان يتصل بقيمة الوفاء بحق الناس ، فلا يجوز بخس الناس اشياءهم او الحاق الخسارة بهم عن طريق الطغيان في الميزان او التطفيف . والحديث في هذه القيمة الايمانية يتفرع الى شعب معرفة حقيقة الوفاء ، وانه قيمة شرعية، وما يترتب على الالتزام به من كمال الايمان والثواب . وما يترتب على تركه من العقاب .

### ^^^ ماهو الوفاء ؟

١/ الوفاء هو الاداء التام دون نقص، حيث ان ربنا سبحانه نهى عن البخس ( وعن الحاق الخسارة ) بعدما أمر بالوفاء ، مما يهدينا الى معنى الوفاء من اداء الحق بالكامل. قال الله سبحانه : { وَإِلَىٰ مَدِينٍٰ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } ( الاعراف / ٨٥ ) .

وقوله سبحانه : { وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ } يعتبر حكمة الأمر بالوفاء ، أو بتعبير آخر؛ أصله الشرعي والعقلي، كما أنه يزيد معنى الوفاء جلاءً وظهوراً .

٢/ ونهى ربنا سبحانه عن انقاص المكيال والميزان ، وبذلك بين لنا معنى الوفاء . فمن انقص المكيال والميزان، فقد خالف الوفاء. قال الله سبحانه : { وَإِلَىٰ مَدِينٍٰ

أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَتَّقُوا الْمَكِّيَالَ  
وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ { (هود / ٨٤) .

### ^^^الوفاء من القسط :

١/ والوفاء من القسط، والقسط ايتاء كل فرد نصيبه وحقه . وقد أمر الله بإيفاء  
الكيل ضمن جملة احكام ، هدفها اقامة القسط بين الناس ؛ منها الاحتياط في  
التعامل مع أموال اليتامى ، ومنها الشهادة بالحق . قال الله سبحانه : { وَلَا تَقْرَبُوا  
مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ  
لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ دَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ  
وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (الانعام/١٥٢) .

ولأن الوفاء بحق الناس قد يصبح صعباً ، ويتسبب الاحتياط فيه الحرج، فان ربنا  
سبحانه بيّن انه لا يكلف نفساً إلاّ وسعها. فلا يجب الايفاء إلاّ بقدر الوسع، والله العالم

٢/ ومن حقائق الوفاء، تجنب الحاق الخسارة بالناس، الذين نتعامل معهم. قال الله  
سبحانه : { أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ } (الشعراء/١٨١) .

فالحرام هو بخس الآخرين، او التسبب في خسارتهم. ومن أجل تجنب هذه  
الحرمة، علينا ان نفي بالكيل .

٣/ وهكذا وجب الاهتمام بالقسطاس ، حتى لا يكون فاسداً فلا يمكنه وزن  
الاشياء بما يجنب الانسان ظلم الناس . قال الله سبحانه : { وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ  
الْمُسْتَقِيمِ } (الشعراء/١٨٢) .

٤/ واقامة الوزن ( وتصحيح الوزن ) تهدف اقامة القسط ، وألا يكون هناك خلل  
في الميزان يسبب في خسران الناس. قال الله سبحانه : { وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ  
وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ } (الرحمن / ٩) .

٥/ ولعل هذا هو حقيقة النهي عن الطغيان في الميزان ، حيث قال سبحانه : { أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ } (الرحمن / ٨) .

ونستوحي من سياق سورة الرحمن؛ ان اقامة الميزان من حقائق القرآن ، ومن تجليات الرحمة الالهية، وهي - الى ذلك - تتناسب ونظام الخلقه . فانه سبحانه الذي رفع السماء بنظام وموازن ، لولاها لفسدت السماء والأرض ، يأمر باقامة الميزان ، لأن الخلل فيه طغيان ويسبب في الفساد .

٦/ بلى؛ كل شيء في الخلق قائم على الميزان. فالنظام في الطبيعة قائم على التقدير ، ومن خالف الميزان خالف القسط (وهو في طريق الفساد). قال الله سبحانه : { وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } (هود / ٨٥) .

٧/ وقد يكون ايفاء الكيل من التصدق، حينما يكون الجانب الآخر ضعيفاً ومحتاجاً ولم يوف بكل الثمن كما في قصة اخوة يوسف التي يقصها ربنا في قوله سبحانه : { فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلْنَا الصَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُرْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ } (يوسف / ٨٨) .

### ^^^ عاقبة المقسطين بالوفاء :

١/ في آية كريمة (الاعراف / ٨٥) قرأنا أن الوفاء بالكيل والميزان خير، وانه من الايمان . وكذلك نقرأ ان اخوة يوسف دخلوا عليه، فلما جهزهم بجهازهم طلب منهم ان يأتوا بأخيهم غير الشقيق ، ثم استدل على استقامته بأنه يوفي الكيل ، مما يهدينا الى ان الوفاء من صفات النبيل الانسانية . قال الله سبحانه : { وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ } (يوسف / ٥٩) .

فمن وفي بالكيل احترمه الناس ووثقوا به، واضحى عزيزاً .

٢/ وهكذا الوفاء بالكيل ، والوزن بالميزان المستقيم خير للانسان ، (لأنه قسط، ولأنه يبعث على السكينة في القلب، ويستتزل الرحمة). وانه أحسن عاقبة (لأنه يستقطب ثقة الخلق، ورحمة الخالق، وحسن ثوابه). قال الله سبحانه : { وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } (الاسراء / ٣٥).

^^عقبى التطفيف :

اما عاقبة التطفيف ، وانقاص المكيال، والطغيان في الميزان ، فهي التالية :  
١/ الخير والشر تقديران خاضعان لمشيئة الرب وسننه. وإذا كان المجتمع يعيش الرفاه، فعلى ابناءه ألا يغتروا وألا يطغوا وألا يغيروا عاداتهم الحسنة بالسيئة ، فان ذلك قد ينتهي بهم الى عذاب عظيم . وهكذا حذر النبي شعيب عليه السلام أهل مدين الذين انعم الله عليهم بخير عميم ، حذرهم من انقاص المكيال. عند ذلك قال الله سبحانه : { وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ } (هود / ٨٤) .

وعذاب اليوم المحيط، عذاب لايمكن لأحد الفرار منه ، لانه يحيط بهم جميعاً ومن كل جانب .

٢/ ولقد انذر الله الذين يطففون في المكيال بالويل، في يوم يقوم الناس لرب العالمين ، في يوم يكون كتاب الفجار في سجين . فقال سبحانه : { وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ \* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ \* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ \* أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ \* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ } (المطففين / ١-٥) .

الكيل بمكيالين ، والوزن بميزانين ، والتقييم بمعيارين؛ كل ذلك من مصاديق التطفيف ، والذي يهدف بخس حق الناس ، وسرقة مقدار من اموالهم بغير حق .

^^بصائر الآيات

١/ القسط قيمة شرعية، وإيفاء الكيل وإقامة الميزان من القسط . بينما بخس الناس أشياءهم وانقاصهم حقهم، والتطفيف يضر بالقسط (بل هو ظلم) .

٢/ وتجنب مال اليتيم إلا بالتتي هي احسن ، والشهادة لله بالحق، كما إيفاء المكيال والميزان ، وسائل لتحقيق القسط (والذي عبر عنه بالنهي عن بخس الناس أشياءهم ، والذي يبدو أنه حكمة الإيفاء) والله لا يكلف نفساً إلا وسعها .

٣/ والاهتمام بالميزان ان يكون مستقيماً، وألاً يطغى فيه ، وألاً يكون الأخذ والاعطاء بميزانين؛ كل ذلك من وسائل تحقيق الإيفاء .

٤/ والإيفاء خير (اليوم) وأحسن عاقبة (غداً) ، والناس يثقون بمن يوفي المكيال ، بينما يخشى على المجتمع المطف من ويل يتمثل في عذاب يوم محيط لا يستطيع أحد منه فراراً .

## فقّه الآيات

نستوحي من آيات الذكر؛ أن القسط غاية سامية من غايات التشريع الإلهي . ولتحقيق القسط، لابد من سد الثغرات التي تضيع عندها حقوق الناس؛ منها : الاهتمام بأموال اليتيم وإقامة الشهادة لله (ودفع الصداق بالكامل) وإيفاء المكيال والميزان ..

١/ (الأعراف / ٨٥) و (هود / ٨٤) ؛ ونستفيد من القرآن ان معنى إيفاء الكيل ألاً ينقص، فلا يجب إضافة شيء الى المكيال من عند من يكيل لغيره . كما نستفيد أن الهدف من الأمر بالإيفاء ألاً يبخرس الناس أشياءهم ، وألاً يتسبب في خسارة أحد شيئاً فيكون من المخسرين. وهذا هو الأصل في إقامة القسط وتحقيق العدالة المالية، والذي نستوحي منه الأحكام التالية :

ألف : يحرم كلما ينتهي الى بخس الناس أشياءهم ، وخسارتهم مثل التدليس والغش والكذب في المعاملة ونقص المكائيل والموازن، وربما تأجيل دفع الثمن بما يضر بالبائع ، وهكذا . وكلمة الشيء واسعة المعنى، حيث تشمل أي كمية من المال تتعلق به ملكية شخص . كما ان كلمة الناس تشمل كافة البشر، مؤمنين وغير مؤمنين . والحق ولو لم يكن مالاً عرفاً ، هو مال لا يجوز أن نطغى عليه ، وان نبخسه . كما ان كلمة البخس أبلغ من أكل المال ، لانه حتى إذا شك في أن يكون الموضوع من مصاديق قوله سبحانه : { وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (البقرة / ١٨٨) فان آية قرآنية اخرى تصدق على الموضوع وهي قوله سبحانه : { وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ } (الاعراف / ٨٥) ، لأن البخس قد يكون في جزء من المال او في جزء من الحق . والله العالم .

باء : من هذه القاعدة الفقهية العامة نستفيد انه يحرم الاضرار بالناس، فلا يجوز ان نسن قوانين في البلد تضر بحق احد المواطنين أنى كان. فلو كان مثلاً من مصلحة البلد فتح طريق، فلا يجوز ان يتم ذلك ببخس اصحاب البيوت . واذا كان من مصلحة البلد منع زراعة معينة ، او فتح ابواب الاستيراد لبضاعة معينة ، وكان في ذلك اضرار وبخس حق لصاحب ارض او صاحب مصنع، فعلياً ان نعوضه . وهكذا يجب اعادة النظر في كثير من الأنظمة المرعية في بلادنا، والتي تضر بمصالح خاصة ، وعلينا ان نصلحها بتعويضات أو ارضاءات بطريقة أو بأخرى .

٢/ يجب ضبط المكيال والميزان ، وان يكون مكيالاً وافياً وميزاناً مستقيماً .  
ونستفيد من ذلك الأحكام التالية :

ألف : ان الأولى بالناس وضع المقاييس الدقيقة لما يتعاملون عليه ، من مكيال او ميزان، او وسائل قياس المساحة، او قياس الطاقة، او ما أشبهه، فإن ذلك يضبط حقوق بعضهم على بعض .

باء : على الناس ان يراقبوا المقاييس التي يتعاملون بها؛ فلا يكون المكيال بحيث يزيد وينقص، او الميزان غير مستقيم، او ما أشبهه.

جيم : على الدولة ان تسعى لاقامة نظام للمقاييس، حتى يستطيع الجميع ان يطمئنوا اليها دون الحاق أحد ضرراً بأخر .

٣/ التطفيف والقياس بمعيارين عمل مذموم ، سواء كان في المقاييس الاقتصادية ، كما اذا اشترى استوفى حقه بينما عند البيع اخسر . او كان في القضايا الاجتماعية ، مثل ان يرى عملاً واحداً حسناً لو صدر منه وقيحاً اذا صدر من غيره ، وحقاً واجباً له على الآخرين وليس ذات الحق واجباً عليه لهم . وهكذا كان من أفضل وصايا الأئمة عليهم السلام : " احب لغيرك ما تحب لنفسك".

### ^^ في رحاب الأحاديث

١/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "إذا طفت أمتي مكيالها وميزانها ، واختانوا وخفروا الذمة ، وطلبوا بعمل الآخرة الدنيا ، فعند ذلك يزكون أنفسهم ويتورع منهم". (١)

٢/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "ان فيكم خصلتين هلك فيهما من قبلكم أمم من الأمم. قالوا: وماهما يا رسول الله؟ قال: المكيال والميزان". (٢)

٣/ روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: "كان علي عليه السلام كل بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً، ومعه الدرة على عاتقه، وكان لها طرفان، وكانت تسمى السبيطة. فيقف على سوق سوق فينادي: يا معشر التجار؛ قدموا الاستخارة، وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين ، وتزينوا بالحلم، وتناهوا عن الكذب واليمين، وتجافوا عن الظلم، وأنصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا،

(١) موسوعة بحار الأنوار / ج ١٠٠ / ص ١٠٨ .

(٢) المصدر / ص ١٠٧ .

وأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس اشياءهم، ولا تعثوا في الأرض  
مفسدين". (١)

٤/ روي عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدت في كتاب علي بن  
أبي طالب عليه السلام: "إذا ظهر الزنا من عبدي، ظهرت موتة الفجأة. وإذا  
طففت المكاييل، أخذهم الله بالسنين والنقص. وإذا منعوا الزكاة، منعت الأرض  
بركاتها من الزرع والثمار والمعادن كلها. وإذا جاروا في الحكم، تعاونوا على الاثم  
والعدوان. وإذا نقضوا العهد، سلط الله عليهم شرارهم ثم تدعو خيارهم فلا يستجاب  
لهم". (٢)

---

(١) المصدر / ص ٩٤ .

(٢) المصدر / ص ١٠٧ .

## ٨٨ ردّ الأمانة

من أجل الحفاظ على قيمة القسط واداء الحقوق ، اوصى الرب سبحانه ببرد الأمانة ، وجعلها قيمة ايمانية ، ومن صفات المصلين ، ومن علامات التقوى، ونهى عن الخيانة .

١/ الايمان وسيلة الفلاح، وقد أفلح المؤمنون الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون. قال الله سبحانه: { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ } (المؤمنون / ١-٨) .

وإداء الأمانة ورعاية العهد هما من اصل واحد ، حيث ان الانسان اذا كان ملتزماً ويحترم نفسه ويحترم كلمة الشرف التي يعطيها للآخرين ، ويرى بأن لها قيمة حقيقية يدافع عنها المؤمن وانها تمثل شخصيته التي لا يرضى لنفسه بتحطيمها .. اقول: لو كان الانسان بهذا المستوى من الوعي بنفسه وقيمتها - إذا - ادى امانته ، ووفى بعهده ، لأن العهد - بدوره - نوع من الامانة . أوليس الفرد يلزم نفسه بما عهد، ويرى ان ذمته قد انشغلت بذلك العهد ؟

ثم ان رعاية الأمانة التي جاءت في الكتاب اعظم من مجرد ردها، حيث الرعاية تشمل المحافظة عليها قبل الردّ ، حتى ترد كما كانت .

٢/ ورعاية الأمانة ( والاهتمام بها، لكي لا تتلف او تنقص او تنسى ) هي من صفات المصلين الذين لا يصيبهم الهلع . فلا يجزعون عند المصيبة ، ولا يمنعون عند النعمة ، بل يصبرون اذا أصابهم البلاء ، وينفقون إذا أصابهم فضل من الله . قال الله سبحانه : { وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ } (المعارج / ٣٢) . ونستفيد من الآية ؛ ان جذر هذه الصفة النبيلة هو مقاومة حب الدنيا ، وكبح جماح الشهوات .

٣/ وكل نعم الله أمانة في عنقه، لابد ان يؤدي حقها . وذلك لأن الانسان مختار ، فهو مسؤول عما استودع من النعم . وهذه الحرية التي بموجبها أصبح الانسان صاحب أمانة ، هي بذاتها اعظم أمانة . والحرية هذه لا تتم إلا بالأمر والنهي ، وهما - بدورهما - فرع الرسالة والولاية . وهكذا تتشكل الأمانة الالهية - فيما يبدو - بثلاثة شعب : العقل (حرية البشر) ، والنعم الالهية ، والرسالة (بما فيها من الكتاب وولاية من أرسل به) . قال الله سبحانه : { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } (الأحزاب / ٧٢) .

ولعل هذا المعنى الأشمل لكلمة الأمانة في هذه الآية التي اشتبهت على كثير من المفسرين ، يتناسب وقوله سبحانه في الآية التالية : { لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (الأحزاب / ٧٣) .

حيث ان اعداد الثواب للمؤمن ، والعقاب للمنافق ، يعني ان الامانة هي التي بأدائها يستحق المؤمن الثواب والمنافق العقاب . وهو الالتزام بالرسالة إنتماً واعياً . والله العالم .

وقد سئل ابو عبد الله ( الامام الصادق عليه السلام ) عن هذه الآية وما عرض عليهن وما الذي حمل الانسان؟ فقال: " عرض عليهن الامانة بين الناس، وذلك حين خلق الخلق". (١)

٤/ وردّ الأمانة من التقوى ، حيث ان الله سبحانه أمر بها بعد الأمر برّد الأمانة .  
فقال .

سبحانه : { وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ عَنِ اللَّهِ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } (البقرة / ٢٨٣) .

ونستفيد من الآية؛ ان الأولى بالمؤمن ألا يستأمن احداً إلا بعد معرفة رعايته للامانة، وفي غير هذه الحالة فالأفضل ان يأخذ منه رهاناً مقبوضة .

٥/ وعلى الأمين ان يؤدي الأمانة بالتمام والكمال الى أهلها ، فان يده مسؤولة حتى تصل الأمانة الى صاحبها ، ولا تبرء ذمته بمجرد دفع الامانة الى وسيط قد يخونها . فقال سبحانه : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً } (النساء / ٥٨) .

والله سبحانه هو السميع البصير ، وعلى المؤمن ان يعي هذا الاسم الالهي عند رعايته او اداءه للامانة .

٦/ وخيانة الأمانة منهي عنه، كما اداءها مأمور به، حيث قال سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (الأنفال / ٢٧) .

## بصائر الآيات

(١) موسوعة بحار الأنوار / ج ٧٢ / ص ١١٧ .

١/ ردّ الأمانة وأداءها ورعايتها، وعدم الخيانة فيها، تلك هي صفة ايمانية تورث الفلاح؛ وهي صفة المتقين المصلين الذين وقاهم الله من الهلع .  
٢/ وعلى الانسان ان يستأمن من يثق بأمانته أو يأخذ رهاناً مقبوضة، وعلى من يستلم الأمانة ان يراقب ربه السميع البصير .

## فقّه الآيات

١/ لتحقيق العدالة واقامة القسط، يجب رعاية الأمانة وحفظها، حتى يتم ردّها الى أهلها  
كاملة غير منقوصة .  
٢/ وعلى الناس ان يشهدوا - عند نكران المستأمن - للحق ، وان يحكموا بالعدل .  
كما ينبغي ان يضبط الناس أمورهم الحقوقية ، فاذا اقرضوا فليكتبوا ، واذا لم يجدوا كاتباً فليرهنوا، وان ارادوا اعطاء أمانة فليبحثوا عن يثقوا بأمانته .  
ونستوحي من آيات الأمانة واحكامها؛ ضرورة الاهتمام الجدّي بالثقة التي بين الناس في المعاملات ، وذلك بهدف تسهيل عملية الأخذ والعطاء . والانظمة التالية تساهم في ذلك :

الف : ان يسارع القضاء الى استماع شكاوى الخيانة بالأمانة ، حتى يعتبر الخونة .  
باء : ان يضاعف القضاء جزاء الخونة في الأمانة .  
جيم : ان يكون في المجتمع امكنة للأمانة كالبنوك ، وصناديق الاستيداع ، وما أشبهه .

٣/ ونستوحي من الآيات؛ أن الأمانة التي يجب رعايتها وتحرم خيانتها، تشمل - فيما تشمل - الامانات العلمية مثل السر الذي يودعه المرء عند أخيه المؤمن . والله العالم .

٤/ ومن الوفاء بالامانة احترام الكميالة والشيك، وسائر السندات الرسمية التي يتعهد صاحبها بآاء قيمتها. والتزوير في الاوراق الرسمية، يعتبر نوعاً من الخيانة بالامانة او الغدر.

يقول الدكتور مصطفى كمال طه عن الاوراق التجارية : (انها صكوك قابلة للتداول، تمثل حقاً نقدياً، وتستحق الدفع لدى الاطلاع او بعد أجل قصير. ويجري العرف على قبولها كأداة للوفاء، تقوم مقام النقود في المعاملات). (١)  
ويضيف شارحاً: (تمثل الورقة التجارية ديناً تستحق الدفع بمجرد الاطلاع او بعد أجل قصير). (٢)

ويعتبر الكميالة اءة للانتمان إذ يقول : (ولما كانت الكميالة لا تدفع قيمتها مباشرة، بل تكون مضافة لأجل ، فانها اءة للانتمان). (٣)

## في رحاب الأحاديث

١/ روى الحسين بن مصعب، قال: سمعت الامام الصادق عليه السلام يقول: "إدّ الأمانة ولو الى قاتل الحسين بن علي عليهما السلام". (٤)  
٢/ وعن الامام علي بن الحسين عليه السلام، انه كان يقول لشيعته: "عليكم بآاء الأمانة. فوالذي بعث محمداً بالحق نبياً، لو أنّ قاتل ابي الحسين بن علي عليهما السلام انتمني على السيف الذي قتله به لأديته اليه". (١)

(١) القانون التجاري / ص ٧ .

(٢) المصدر / ص ٩ .

(٣) المصدر / ص ١٨ .

(٤) موسوعة بحار الأنوار / ج ٧٢ / ص ١١٣ .

٣/ وروى الحسين بن أبي العلا قال : سمعت أبا عبد الله يقول: "أحب العباد الى الله عز وجل رجل صدوق في حديثه، محافظ على صلاته، وما افترض الله عليه مع اداء الأمانة".

ثم قال: "من أئتمن على امانة فادّاهها، فقد حل ألف عقدة من عنقه من عقد النار. فبادروا باداء الأمانة، فإنه من أؤتمن على أمانة وكل ابليس به مائة شيطان من مردة اعوانه ليضلوه، ويوسوسوا اليه ويهلكوه إلاّ من عصمه الله". (٢)

٤/ وقال أبوذر : اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: "على حافتي الصراط يوم القيامة، الرحم والامانة. فاذا مرّ عليه الوصول للرحم، المؤدي للأمانة، لم يتكفأ به في النار". (٣)

٥/ وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته بعد فرض الصلاة والزكاة :

"ثم اداء الأمانة، فقد خاب من ليس من أهلها. انها عرضت على السموات المبنية، والأرضين المدحوة، والجبال ذات الطول المنصوبة. فلا أطول ولا أعرض ولا أعظم منها، ولو امتنع شيء بطول او عرض او قوة او عز لأمتنع. ولكن اشفقن من العقوبة، وعقلن ما

جعل من هو اضعف منهن وهو الانسان انه كان ظلوماً جهولاً". (٤)

٦/ وقال الامام الرضا عليه السلام عن آيائه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "لا تزال امتي بخير ما تحابوا وتهادوا، وادّوا الأمانة، واجتنبوا الحرام، وقرأوا

(١) المصدر / ص ١١٤ .

(٢) المصدر / ص ١١٦ .

(٣) المصدر .

(٤) موسوعة بحار الأنوار / ج ٧٢ / ص ١١٦ .

الضيف، واقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة. فاذا لم يفعلوا ذلك، ابتلوا بالقحط والسنين".  
(١)

٧/ وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله (وهو يبين معياراً سليماً لمعرفة الرجال) قال: "لا تنظروا الى كثرة صلاتهم وصيامهم، وكثرة الحج والزكاة، وكثرة المعروف، وطننتهم بالليل. انظروا الى صدق الحديث، واداء الأمانة".  
(٢)

---

(١) المصدر / ص ١١٥ .

(٢) المصدر .

## ^^ الاخلاص

الاخلاص ؛ تطهير الدين من شوائب الشرك ، وهو جوهر الدين . وتتجلى حقيقته عند الانسان في الشدائد، حيث تتساقط الاصنام ، ويتجه قلبه لله وحده . ولان الله هو الحق، فعلينا الاخلاص له . وقدوات الاخلاص انبياء الله ، وهم الذين لا سلطان للشيطان عليهم .. وفيما يلي نتدبر في آيات الذكر، لنستبين بعض أبعاد الاخلاص .

### ^^^ ماهو الاخلاص :

١/ الحنيفة هي الاخلاص، والحنيفة هي الطهر . ومعنى الاخلاص - اذاً - تطهير العبادة من أية شائبة للشرك . قال الله سبحانه : { وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنْفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ } (البينة ٥ / .

فالكفار اشركوا بالله، وما أمروا إلا ليعبدوا الله وحده، طاهرين من شوائب الشرك والكفر، مثل التسليم للطاغوت او الرياء..

وقد روى عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله ( الامام الصادق عليه السلام ) في قول الله عز وجل { حنيفاً مسلماً } قال : " خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان . (١)

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١ / ص ٤٣ / ابواب مقدمة العبادات / الباب ٨ / ح ١ .

وروي عنه عليه السلام في قوله عز وجل: { إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } قال:  
"السليم الذي يلقي ربه وليس فيه احد سواه. وكل قلب فيه شك او شرك فهو ساقط ،  
وانما ارادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة". (١)

٢/ وتتجلى حقيقته عند ركوب البحر ، فهم (كلما احدث بهم الخطر) دعوا الله  
مخلصين له الدين ، وتركوا دعاء الشركاء من دون الله سبحانه. الى هذا أشار ربنا  
جل جلاله في قوله : { فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا  
نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ } (العنكبوت / ٦٥) .

### ^^^ الاخلاص جوهر الدين :

١/ وانما الدين الخالص لله . (اما الدين المشوب بالشرك ، فانه ليس من الله في  
شيء). ولذلك ترى حتى المشركين يبررون عبادتهم للأصنام، بانها تقربهم الى الله  
زلفى . ( وهكذا ترفض فطرتهم تلك العبادة ، إلا بمثل هذا التبرير الزائف ) . قال  
الله سبحانه : { أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ  
إِلَّا لِنُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا  
يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ } (الزمر / ٣) .

٢/ والله الذي انزل الكتاب بالحق، أمر ان نعبده وحده . فالدين الخالص وحده له  
سبحانه (لانه دين الحق ، بينما الشرك باطل). قال الله سبحانه : { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ  
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ } (الزمر / ٢) .

٣/ وهكذا أمر الله نبيه ( وبصداقة بالغة ) ان يعبد الله ، وان يخلص الدين له  
(واخلاص الدين هو العبودية له). قال الله سبحانه : { قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ  
مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ \* وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ } (الزمر / ١١-١٢) .

(١) وسائل الشيعة / ج ١ / ص ٤٤ / ابواب مقدمة العبادات / الباب ٨ / ح ٥ .

ولا تضر المخلص دينه الله عبادة غيره للشركاء من دون الله ، ولا هو يدهن في دينه ، بل هذا هو بالذات معنى الخلوص . فمن خاف طاغية ، أو رغب في ثروة غني ، أو تنازل عن دينه الخالص اتباعاً لهوى الناس ، فإنه ليس بمخلص ، لأنه خضع لغير الله . والدين هو الخضوع لله وحده . ومعنى الدين هو الحاكمية والهيمنة .

وهذا ما نستقيده من قوله سبحانه : { قُلْ } حيث أمر ربنا تعالى بأن نقول كلمة التوحيد ، وان نشهد له سبحانه بالوحدانية ، وان نرفض الشركاء بكل صراحة لان ذلك بالذات جزء من توحيد الله ، لأنه يعكس رفض الشركاء ، ورفض حاكميتهم او شركهم في حاكمية الله ، او بتعبير آخر في دين الله . وهكذا قوله سبحانه في سورة الأخلص { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } .

وهكذا قوله سبحانه : { قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ } (الزمر/ ١٥) فالشهادة ببطلان منهج الشرك ، وانه يؤدي الى الخسارة في الدنيا والآخرة ، هي بالذات تعبير عن الاخلص . فالخائف من المشركين لا يتحداهم ، وهو يقبل سلطتهم ولا يخلص دينه لله سبحانه .

٤/ وهكذا كان من حقائق الاخلص تحدي المشركين ، ودعاء الله وحده برغم انفس المشركين . قال الله سبحانه : { فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } (غافر / ١٤) .

ونستوحي من الآية؛ ان تحدي الكفار باخلص العبودية لله ، وعدم التسليم لارهابهم او ترغيبيهم هو بذاته ذلك الاخلص المطلوب . والله العالم .

٥/ ولأن الله هو الحي ، وانه لا إله إلا هو ، فعلياً ان ندعوه وحده . ( والله يستجيب لمن يدعوه وحده ، ولا يدعو الشركاء من دونه ، ولا يخضع في حياته لغير الله ) . قال الله سبحانه : { هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (غافر / ٦٥) .

٦/ وأمرنا الله بان نقيم الوجه لله وحده عند كل مسجد ( فلا نأبه بصبغة المسجد الخاصة ، وانما نعبد الله وحده عنده ) وندعو الله باخلاص الدين له ، وعدم التسليم لسلطة ند او صنم او طاغية او أي شيء آخر. قال الله سبحانه : { قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ } (الاعراف / ٢٩) .

وكيف نخضع لغير الله ونقبل بحاكمية ما سواه ، وهو دون غيره الذي يعيدنا كما بدأنا ، فإليه المصير .

### ^^^ حقائق الاخلاص :

١/ وللإخلاص حقائقه التي تتجلى في حياة البشر ، ويحتج بها الرب على عباده؛ منها : ان البشر يعرف - بفطرته - انه لا إله إلا الله. فهو الذي يسيرنا في البر والبحر، وهو الذي تحيط بنا قدرته البالغة عندما نكون في اعالي البحار، والامواج الطاغية تهدد حياتنا ، فندعوه مخلصين له الدين، ونترك الشركاء من دونه ، ونتعهد بأن نكون من الشاكرين (الذين يعملون بما أمرهم الله سبحانه) . قال الله تعالى : { هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَيْبَةً وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } (يونس / ٢٢) .

٢/ وقال سبحانه : { وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ } (لقمان / ٣٢)

ونستفيد من الآية؛ ان بعض الذين تدور بهم دوائر البلاء ، يدعون ربهم لينجيتهم. فينقذهم الله مما ألم بهم. وبذلك تجدهم ينتفعون من تجربتهم، ويتوبون الى الله مما اقترفوا من آثام ومعاصي.. ولكن بعضهم يجحد بآيات الله، وهو الختار الكفور .

٣/ وتتجلى حقيقة الاخلاص في حياة انبياء الله الذين أخلصهم الله ، فقال سبحانه : { إِنَّا أَخْلَصْنَاَهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ } (ص / ٤٦) .

٤/ وقد أمر الله رسوله بان يذكر موسى بن عمران في الكتاب لما يتمتع به من صفة مثلى، ألا وهي صفة الخلوص. فإن الله سبحانه قد أخلصه (فلم يكن للشيطان فيه شرك). قال الله سبحانه : { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا } (مريم / ٥١) .

٥/ ويوسف الصديق كان قدوة في الخلوص ( والنقاء التوحيدي ، فلا شائبة فيه من

شرك او ذنب ) . قال الله سبحانه : { وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَعَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } (يوسف / ٢٤) .

فلقد صرف عنه ربه السوء والفحشاء، فكان مخلصاً. ونستفيد من الآية؛ ان المخلص هو الذي صرف الله عنه السوء والفحشاء .

### ^^^ عقى الخلوص والاخلاص :

١/ وعقى الخلوص عصمة الله، حيث لا ولاية للشيطان عليهم. فان اللعين استثنى من غوايته التي يسعى اليها المخلصين من عباد الله. قال ربنا سبحانه : { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ } (الحجر / ٣٩-٤٠) .

٢/ وقال سبحانه : { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } (الحجر/ ٤٢) .

٣/ وقال سبحانه، وهو يحكي غواية ابليس : { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ } (ص / ٨٢-٨٣) .

٤/ والأجر العظيم في الآخرة، هو جزاء الاخلاص. قال الله سبحانه : { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا } (النساء / ١٤٦) .

٥/ والخلوص في الدنيا ، خلاص في الآخرة من العذاب الأليم ، وفوز بالرزق المعلوم ونعيم مقيم. قال ربنا سبحانه : { إِنَّكُمْ لَدَأْنَفُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ \* وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ \* أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ \* فَوَاقِهِ وَهُمْ مُكْرَمُونَ \* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ \* يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ \* بَيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ \* لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ \* وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ \* كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ } (الصفافات / ٣٨-٤٩) .

تلك هي جنات المخلصين عند ربهم ، فطوبى لهم . وقد قال الامام أمير المؤمنين عليه

السلام في حديث: "وبالاخلاص يكون الخلاص". (١)

٦/ وقد استثنى ربنا سبحانه عباده المخلصين من المحضرين، فقال تعالى : { فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ \* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ } (الصفافات / ١٢٧-١٢٨) .

٧/ وقال تعالى : { فَأَتُوا بِكُتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ \* سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ \* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ } (الصفافات / ١٥٧-١٦٠) .

والمراد من المحضرين في التفاسير ؛ انهم الذين يحضرون نار جهنم . والله العالم .

٨/ ولأن مقام المخلصين عند الله عظيم ، فان الكفار تمنوا ان يكونوا منهم. قال الله سبحانه : { وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ \* لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ \* لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ } (الصفافات / ١٦٧-١٦٩) .

(١) وسائل الشيعة / ج ١ / ص ٤٣ / الباب ٨ / ح ٢ .

٩/ والمؤمن الصادق ، هو المخلص دينه لله . اما المشرك في دينه غير الله تعالى ، فإنه ليس صادقاً في ايمانه بربه . وهكذا كان من حسن عاقبة الذين اخلصوا دينهم لربهم ، انهم المنصورون في الاحتجاج على اعدائهم . هذا ما نستوحيه من خاتمة قول الله سبحانه : { قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ } (البقرة / ١٣٩) .

فلأن المؤمن قد اخلص دينه لله، فهو الأقرب الى الله ديناً . وهذا معيار صحيح عند الاحتجاج .

١٠/ ولعل هذا المعيار هو الذي دعا اليه القرآن الحكيم، حينما أمر اليهود بتمني الموت ان كان دينهم خالصاً لله . وبالتالي كانت الدار الآخرة خالصة لهم عنده ، فقال سبحانه : { قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (البقرة / ٩٤) .

١١/ ولعل ذلك هو المراد من ذكرى الدار التي اخلص الله لها عباده الصالحين ؛ ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام، اولي الايدي والأبصار ( اصحاب القوة والعلم ) ، حيث ان ربنا تعالى جعل الدار الآخرة خالصة لهم ، فقال تعالى : { وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي والأَبْصَارِ \* إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ \* وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ } (ص / ٤٥-٤٧) .

ويمكن ان يكون المراد من {ذَكَرَى الدَّارِ}، الذكر الحسن الجميل في الدنيا ، حيث ان قوله سبحانه بعدد {وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا} هو المعادل له . فان الله قد جمع لهم الدنيا والآخرة؛ ففي الدنيا وفر الذكر الحسن لهم وحدهم ، وفي الآخرة الاصطفاء . والمخلص يأتيه فضل الله اسرع مما يأتي المرئي، هكذا انبأنا الامام الباقر عليه السلام في حديث، قال : " ما بين الحق والباطل إلا قلة العقل" . قيل: وكيف ذلك

يابن رسول الله ؟ قال: " ان العبد يعمل العمل الذي هو الله رضا، فيريد به غير الله.  
فلو انه اخلص لله، لجاهه الذي يريد في اسرع من ذلك". (١)

## بصائر الآيات

- ١/ الحنفية هي الاخلاص، وهي العبادة الطاهرة من الشرك .
- ٢/ وتتجلى حقيقة الاخلاص للبشر عند ركوب البحر، حين يحيط بهم الخطر فيخلصون دعاءهم لربهم .
- ٣/ وانما الدين الخالص لله ، ويعتذر الكفار بأنهم انما يعبدون الشركاء ليقربوهم الى ربهم. ولقد أمر الله ان نعبده وحده، كما أمر رسوله بذلك ( بلا لیس ) .
- ٤/ ومن حقائق الاخلاص تحدي الكفار ، ورفض ما يشركون بالله صراحة وبلا مدهنة .
- ٥/ وعلينا ان ندعو الله وحده (ونخلص له في الدعاء) . وتتجلى حقائق الاخلاص في انبياء الله الكرام عليهم السلام؛ فموسى كان مخلصاً ، وكذلك يوسف الصديق ، وقد صرف الله عنه السوء والفحشاء .
- ٦/ وعقبى الخلوص؛ ان الله يعصم عباده المخلصين . فلا سلطان للشيطان عليه، والأجر العظيم في الآخرة ، كما النجاة من العذاب الأليم ، ولهم جنات الخلد ونعيم مقيم ، والله ينصر عباده المخلصين ( فتفلح حجتهم ) ولهم حسن الذكر في الدنيا والاصطفاء في الآخرة .

## فقہ الآيات

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١ / ص ٤٥ / الباب ٨ / ح ١١ .

١/ استفاد الفقه الاسلامي من جملة نصوص الاخلاص، اشترط القربة في العبادات ، والتي تتنافى مع قصد الرياء . وهكذا قالوا بأن الرياء مبطل للعبادة . فقال المحقق الحلي ( ره ) في الشرائع : " وكذا ( تبطل الصلاة ) لو نوى بشيء من افعال الصلاة الرياء او غير الصلاة " . فعلق العلامة النجفي على كلامه " بلا خلاف أجده، بل قيل انه قطع به المتأخرون في موضوع الأول (وهو افساد الرياء) (١) .

ثم قال بعد ان استعرض النصوص : ومن تأمل النصوص الواردة في الرياء والتجنب عنه ، يمكن ان يقطع بعدم قبول العبادة التي دخل فيها ولو بأوصافها كما (في صفة) الجماعة او المسجدية (٢) ونحوهما فضلاً عن أجزائها. ولو كان الدخول على وجه التبعية دون الاستقلال ، فالمتجه - حينئذ - البطلان مطلقاً كما اطلقه المصنف ( المحقق الحلي ) وغيره . (٣)

ولكنه اضاف : وعلى كل حال فما يظهر من المرتضى رحمه الله في انتصاره أي (كتابه الانتصار) من عدم بطلان العبادة بالرياء، بل هي مجزية مسقطة للقضاء، لكن لا ثواب عليها (ان اطلاق السيد) في غاية الضعف . (٤)

ثم قال : وما أبعد ما بينه وبين القول ببطلان العبادة بالرياء المتأخر عن العمل كالعجب بالعمل ، ولعله لظهور بعض النصوص في ذلك . (٥)

وبعد ان ذكر بعض النصوص، قال : لكن الاعتماد على ذلك وامثاله في اثبات هذا الحكم المخالف لمقتضى الأدلة والاعتبار، كما ترى . (٦)

---

(١) جواهر الكلام / طبعة بيروت / ج ٣ / ص ٦٠٢ .

(٢) أي كما إذا صلى قرية الى الله ولكنه جعل صلاته مع الجماعة رياء او جعل صلاته في المسجد رياء .

(٣) جواهر الكلام / طبعة بيروت / ج ٣ / ص ٦٠٣ .

(٤) المصدر / ص ٦٠٣ .

(٥) جواهر الكلام / طبعة بيروت / ج ٣ / ص ٦٠٣ / راجع النصوص في الوسائل / الباب ٢٣ من أبواب مقدمة العبادات .

(٦) المصدر .

هكذا استدلل الفقهاء على افساد الرياء للعبادة بنصوص الاخلاص ، ولكن بعضهم كالسيد المرتضى رأى ان تلك النصوص انما تنفي الثواب عليها وليس أصل صحتها . ويؤيد كلام السيد المرتضى بأن هناك نصوصاً تدل على عدم الثواب على العمل الذي يتحدث عنه الشخص. فاذا كان عدم الثواب دليل البطلان ، ووجوب الاعادة ، فننقل بضرورة اعادة الصلاة التي اخلص فيها المكلف وحين أدائها ، ولكنه تحدث عنها معجباً بها، مما ضيّع على نفسه ثوابها . علماً بأن صاحب الجواهر لا يقول بذلك ، ويعتبر ذلك مخالفاً لمقتضى الأدلة، ولم يقل أية أدلة . فاذا كان قصده منها أدلة البراءة ، وان الأمر باعادة الصلاة بحاجة الى دليل واضح ، فان فقدان الدليل على الاعادة للرياء ايضاً ، اذ لم نقرأ في اية آية او رواية ضرورة اعادة الصلاة او أية عبادة أخرى بسبب الرياء فيها . على أن صاحب الجواهر تحدث عن الاخلاص في العبادة واعتبره امراً صعباً جداً . فكيف يصبح شرطاً للصحة في الشريعة الغراء . اقرء ما قاله في موضع آخر من كتابه، حيث يقول: نعم يعتبر الاخلاص في العبادة ، الذي هو عبارة عن وقوع الفعل بقصد الامتثال للسيد المنعم باعتبار ما قام في النفس ودعاها الى الفعل من اللطاف ورجاء الثواب ودفع العقاب ، وهو أمر آخر خارج عن النية ، بمعنى القصد للفعل الذي لو كلف الله بالفعل بدونه لكان كالتكليف بما لا يطاق ضرورة خروج الفعل مع الغفلة عن القدرة. ولذا قبح تكليف القائل ونحوه ، اما هو ففي غاية الصعوبة في بعض العبادات لاحتياجه الى الرياضة التامة القالعة للقوى النفسانية وآثارها من حيث الشهرة والرئاسة وغيرها من الآفات المهلكة والامراض القاتلة . نسأل الله العافية منها . (١)

---

(١) جواهر الكلام / طبعة بيروت / ج ٣ / ص ٥٨٤ - ٥٨٥ .

ومثل هذا الكلام اتذكره في كتاب مستمسك العروة للسيد الحكيم ( قدس سره ) في باب اخلاص العبادة ، ولا أعلم كيف ابطلوا العبادات بما يصعب التجنب منه . والله العالم .

٢/ ولأن اخلاص الدين قيمة الهية تتجلى في كل أبعاد الدين ، ولا تتم إلا بعد اقتلاع جذور الشرك ، وتطهير القلب من دنس كل الأوثان، لتتم السيادة المطلقة والحاكمة الشاملة على حركة البشر للدين وحده. لذلك فان على الانسان ان يصبغ حياته كلها بصبغة الجهاد من أجل ذلك، مستعداً لكل ما يتطلبه منه من العطاء والتضحيات. وفيما يلي بعض التفصيل:

ألف : اخلاص الدين يتطلب منا تحدي الطغاة الذين يريدون منا الاستسلام لهم ، والخنوع لحكمهم الظالم. اما خدم السلطات الجائرة ، وانصار الظلمة ، والبطانة الفاسدة التي تحيط بهم، فانهم لم يخلصوا دينهم لله.

حقا؛ ان التخلص من سلطة الظلمة ليس بالأمر الهين ، ولكنه ليس مستحيلاً لمن آمن بالله ودخل في ولاية التوحيد ، وتوكل عليه سبحانه. ومن يتوكل على الله فهو حسبه، والله نعم المولى ونعم النصير .

باء : ويتطلب اخلاص الدين لله مقاومة سلطة المجتمع الجاهلي ، وتقاليد الغابرين ممن اشرك بالله ، وعبد الأوثان أو اتبع الأهواء ، أو ما أشبه ..

جيم : ثم يتطلب اخلاص الدين التحرر من أسر الشهوات ، والركض وراء سراب الدنيا، وحب الرئاسة ، والعلو في الأرض .. وبالتالي : التحرر من الخضوع للهوى بكل أبعاده . أما من اتخذ الهه هواه، فلن يكون مخلصاً دينه الله .

دال : واخلاص الدين لله، يعني حذف الزيادات التي اضافتها اليه العصبية، حيث تفرقوا شيعاً وفرح كل حزب بما لديهم . فان القرآن الحكيم سمى ذلك شركاً ، لأنهم اتبعوا الحمية في الدين .

ونستوحي من قوله سبحانه : { **فَلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** } (الاعراف / ٢٩) .

نستوحي من هذه الآية؛ ان كل الوان التمايز الذي ابتدعه البشر ثم نسبوه الى الدين ، يتلاشى عندما نعود الى الله سبحانه ، كما انها لم تكن عند بدء خلقتنا من طين. فلا يجوز تقسيم الدين على اساس هذه الألوان ( القومية - العشائرية - الحزبية ) ، بل علينا ان نقيم وجوهنا ( لله سبحانه ) عند كل مسجد ، ونعبد الله وحده ، ولا نحارب المساجد لأنها لهذه الفرقة او تلك ، بل نعبد الله وحده دون تمييز بين مسجد ومسجد ، ومنهج ومنهج . والله المستعان .

## ^^^ في رحاب الأحاديث

- ١/ روى الامام موسى بن جعفر عليه السلام عن ابائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث قال: "انما الاعمال بالنيات ، ولكل امرء ما نوى ، فمن غزى ابتغاء ما عند الله، فقد وقع أجره على الله عز وجل. ومن غزى يريد عرض الدنيا ، او نوى عقلاً، لم يكن له إلا ما نوى". (١)
- ٢/ وروي عنه صلى الله عليه وآله في وصيته لأبي ذر عليه السلام أنه قال: "يا أباذر؛ ليكن لك في كل شيء نية، حتى في النوم والأكل". (٢)
- ٣/ وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "لا قول إلا بعمل ، ولا قول ولا عمل إلا بنية، ولا قول وعمل ونية إلا باصابة السنة". (٣)
- ٤/ وروي عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: "ان الله يحشر الناس على نياتهم يوم القيامة". (٤)

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١ / ص ٣٥ / ابواب مقدمة العبادات / الباب ٥ / ح ١٠ .

(٢) المصدر / ص ٣٤ / ح ٨ .

(٣) المصدر / ص ٣٣ / ح ٢ .

(٤) المصدر / ص ٣٤ / ح ٥ .

- ٥/ وروى ابو بصير قال : سألت أبا عبد الله (الامام الصادق عليه السلام) عن حد العبادة التي اذا فعلها فاعلها كان مؤدياً. فقال: "حسن النية بالطاعة". (١)
- ٦/ وروي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "نية المؤمن خير من عمله ، ونية الكافر شر من عمله ، وكل عامل يعمل على نيته". (٢)
- ٧/ وروي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: "والنية افضل من العمل ، ألا وان النية هي العمل، ثم تلا قوله تعالى : { قل كل يعمل على شاكلته } يعني على نيته". (٣)
- ٨/ وقال زيد الشحام، قلت لأبي عبد الله (الامام الصادق عليه السلام) اني سمعتك تقول : نية المؤمن خير من عمله. فكيف تكون النية خير من العمل ؟ قال: "لأن العمل ربما يكون رياءً للمخلوقين ، والنية خالصة لرب العالمين ، فيعطي عز وجل على النية ما لا يعطي على العمل". (٤)
- ٩/ وقال الامام الصادق عليه السلام: "ان العبد لينوي من نهاره ان يصلي بالليل فتغلبه عينه فينام، فيثبت الله له صلاته، ويكتب نفسه تسبيحاً، ويجعل نومه عليه (له) صدقة". (٥)
- ١٠/ وقال عليه السلام: "ما ضعف بدن عما قويت عليه النية". (٦)
- ١١/ وقال عليه السلام: "من صدق لسانه زكى عمله ، ومن حسنت نيته زاد الله في رزقه ، ومن حسن بره بأهله زاد الله في عمره". (٧)

(١) وسائل الشيعة / ج ١ / ص ٣٥ / الباب ٦ / ح ٢ .

(٢) المصدر / ح ٣ .

(٣) المصدر / ص ٣٦ / ح ٥ .

(٤) المصدر / ص ٣٨ / ح ١٥ .

(٥) المصدر / ح ١٦ .

(٦) المصدر / ح ١٤ .

(٧) المصدر / ص ٣٩ / ح ١٩ .

- ١٢ / وقال عليه السلام: "ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: "من أسرّ سريرة رداه الله رداها ، ان خيراً فخييراً وان شراً فشرّاً " . (١)
- ١٣ / وعنه عليه السلام انه قال: "ان المؤمن لينوي الذنب، فيحرم رزقه". (٢)
- ١٤ / وروى علي بن سالم قال : سمعت ابا عبد الله (الامام الصادق عليه السلام) يقول: "قال الله عز وجل : انا خير شريك ، ومن اشرك معي غيري في عمل لم اقبله، إلا ما كان لي خالصاً". (٣)
- ١٥ / وروى عن عبد الله بن سنان أنه قال: "كنا جلوساً عند ابي عبد الله (الامام الصادق عليه السلام) اذ قال له رجل: اتخوف ان اكون منافقاً. فقال له: اذا خلوت في بيتك نهراً او ليلاً أليس تصلي ؟ فقال: بلى . فقال: " فلمن تصلي؟ قال: لله عز وجل . قال: فكيف تكون منافقاً وأنت تصلي لله عز وجل، لا لغيره؟. (٤)
- ١٦ / وقال ابو عبد الله (الامام الصادق عليه السلام): "لو ان عبداً عمل عملاً يطلب به وجه الله والدار الآخرة، وادخل فيه رضا أحد من الناس، كان مشركاً". (٥)
- ١٧ / وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: "ما زاد خشوع الجسد على ما في القلب، فهو عندنا نفاق". (٦)

(١) المصدر / ص ٤١ / الباب ٧ / ح ١ .

(٢) وسائل الشيعة / ج ١ / ص ٤٢ / الباب ٧ / ح ٤ .

(٣) المصدر / ص ٤٤ / الباب ٨ / ح ٩ .

(٤) المصدر / ص ٤٤ / ح ٦ .

(٥) المصدر / ص ٤٩ / الباب ٩ / ح ١١ .

(٦) المصدر / ص ٤٨ / الباب ١١ / ح ٧ .

١٨ / وقال الامام الباقر عليه السلام : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن تفسير قول الله عز وجل { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً } فقال: "من صلى مرءات الناس فهو شرك. ( الى ان قال ) ومن عمل عملاً مما أمر الله به مرءات الناس فهو شرك، ولا يقبل الله عمل مرءاء". (١)

١٩ / وعن الامام الصادق عليه السلام في حديث : "ما من عبد اسرّ خيراً فذهبت الايام أبداً حتى يظهر الله له خيراً ، وما من عبد يسرّ شراً فذهبت الايام حتى يظهر الله له شراً". (٢)

٢٠ / وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: "كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ والجوع ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا العناء . حبذا صوم ونوم الأكياس وافتارهم". (٣)

٢١ / وقال عليه السلام : "ثلاث علامات للمرائي : ينشط اذا رأى الناس ، ويكسل اذا كان وحده ، ويحب ان يحمد في جميع أمورهِ". (٤)

٢٢ / وجاء عن الامام الصادق عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "اعظم العبادة اجراً أخفاها". (٥)

٢٣ / وروي عن الامام الباقر عليه السلام، أنه قال: "الابقاء على العمل أشد من العمل". فسئل : وما الابقاء على العمل ؟ قال : "يصل الرجل بصلة ، وينفق نفقةً لله

---

(١) المصدر / ص ٥٠ / ح ١٣ .

(٢) وسائل الشيعة / ج ١ / ص ٥٢ / الباب ١٢ / ح ٦ .

(٣) المصدر / ص ٥٣ / ح ٨ .

(٤) المصدر / ص ٥٤ / الباب ١٣ / ح ١ .

(٥) المصدر / ص ٥٨ / الباب ١٧ / ح ٨ .

وحده لاشريك له فكتبت له سرّاً ، ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ، ثم يذكرها  
فتمحى وتكتب له رياء". (١)

---

(١) المصدر / ص ٥٥ / الباب ١٤ / ح ٢ .

# ^^ الجهاد

## ^^ وعي المسؤولية

كيف ينعكس الايمان بالله العظيم وباسمائه الحسنى، وانه الحكم العدل، وانه الحكيم العليم، وانه ليس بظلام للعبيد ؛ كيف ينعكس هذا الايمان في ضمير المؤمنين وفي سلوكهم ؟

انما ينعكس بالمسؤولية ، وحمل امانة الحرية الممنوحة للانسان، ليختار طريق الهدى بكامل وعيه وارادته ، و( ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة . )

ومن ابعاد الرحمة الالهية انه سبحانه لا يحمّل أحداً مسؤولية اعمال الاخرين ، ولكن لا يعني ذلك الغاء مسؤولية الانسان عن هلاك او نجاته قومه .

وكما ان المجتمع ككل مسؤول عن تقدم او تخلف حضارته ، فان أحسنَ أحسنَ لنفسه ، وان أساءَ أساءَ لها .

والانسان مسؤول عن فكره ، كما هو مسؤول عن جوارحه التي هي نوافذ فكره . بل هو مسؤول عن هواجسه ونياته . وهكذا من دون السعي المناسب ، لا يمكنه نيل ثواب الله في الآخرة .

ولا مهرب عن المسؤولية . فلا الالهة تغني شيئاً عنه ، ولا الانبياء يتحملون عنه مسؤولياته . بل ولا يشفعون له إلا من بعد اذن الله ، ولا المتقون يتحملون عنهم شيئاً .

وحتى الانبياء مسؤولون عن افعالهم . فلو افترضنا -جدلاً- انهم افترضوا الرسالة ، فعليهم

- حاشا لله - اجرامهم . ولكن مع صدقهم ، فالناس مسؤولون عن عدم تصديقهم .

#### ^^^ المسؤولية الجماعية :

المسؤولية هي القيمة التي يحدثنا عنها السياق القرآني في سورة الاسراء بصورة مركزة، ولعل هذه السورة تدور حول هذا المحور في الآيات (٧ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٧ - ٣٦). والانسان مسؤول عن نفسه ومسؤول عن مجتمعه ، مما يصنف المسؤولية نوعين : الجماعية ، والفردية . وفي سورة الاسراء يذكرنا الله سبحانه عنهما جميعاً .

١ / فالآية (٧) هي التي تحدثنا عن المسؤولية الجماعية ، حيث يتحمل كل فرد مسؤوليته عن المجتمع وعن حضارته وتقدمه ، كما يتحمل المجتمع ككل المسؤولية عن نفسه . فيقول ربنا سبحانه وتعالى ضمن آيات اخرى : { وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا \* فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا \* ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا { (الاسراء / ٤-٦) .

ثم يؤكد المسؤولية الجماعية بقوله سبحانه : { **إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا** } (الاسراء / ٧) .

من هذا السياق نستوحي ؛ ان بصيرة القرآن عن التاريخ ، تبدأ من الانسان نفسه ، ومدى مسؤوليته عن افعاله . فإذا تقدمت امة او تخلفت ، فهي بسبب ما احسنت او اساءت . ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " ألا كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته . فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم" . (١)

٢ / وهكذا تتوسع دائرة المسؤولية عند الانسان ، حتى تبلغ الكرة الارضية . فالفساد الذي ينشأ من انحراف البشر ، ينتشر في الطبيعة من حوله . فاذا بالتلوث يصيب البر ، ومنه ينتقل الى البحر . واذا بالبيئة كلها تفسد بفعل الانسان . وقال الله سبحانه : { **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ** } (الروم / ٤١) . وقد جاء عن أمير المؤمنين علي بن ابيطالب عليه السلام : " اتقوا الله في عباده ، وبلاده ،

فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم" . (٢)

٣ / في قصص الغابرين عبر كثيرة ؛ كيف اصابتهم سيئات افعالهم ؟ وذلك هو عين مسؤوليتهم . وهكذا البشر اليوم لا يمكنهم ان يردوا عن انفسهم آثار افعالهم السيئة (ظلمهم) . قال الله تعالى : { **فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ** } (الزمر / ٥١) .

٤ / وما من مصيبة تصيب البشر ، إلا بسوء افعاله . فهو اصلها ، واليه مردها (من ذنب يقترف ، او حسنة تترك ، او غفلة تحيط به) . وان الله يعفو عن كثير من الذنوب التي تقتضي المصائب ، ( فلا يغر احداً انه يذنب فلا يصاب ، ولا يحمله

(١) ميزان الحكمة / ج ٤ / ص ٣٢٧ . عن صحيح مسلم / ج ٣ / ص ١٤٥٩ .

(٢) تفسير نور الثقلين / ج ٤ / ص ٤٠٢ - عن نهج البلاغة .

على العود). قال الله تعالى : { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ } (الشورى / ٣٠) .

وفي تفسير هذه الآية قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : " ليس من التواء عرق ، ولا نكبة حجر ، ولا عثرة قدم ، ولا خدش عود ، إلا بذنب ، ولما يعفو الله أكثر . فمن عجل الله عقوبة ذنبه في الدنيا ، فان الله أجل وأكرم وأعظم من ان يعود في عقوبته في الآخرة " . (١)

وقد احاط الله بالبشر حفظة يحرسونه من الاخطار ، فلا تصيبه صدفة أو خطأ . كلا ؛ بل تصيبه المصائب صغيرها وكبيرها حسب تقدير الهي . والتقدير الالهي بدوره حكيم ، ويرتبط بما يسعاه وما يكسبه . فلا يغير الله نعمة اسبغها على مجموعة بشرية (كنعمة الأمن والرفاه والتكامل) ، إلا إذا غيروا من فكرهم وسلوكهم ؛ فعموا بعد الاستبصار ، وافسدوا بعد الصلاح ، واضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات . قال الله سبحانه : { لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ } (الرعد / ١١) .

^^^المسؤولية الفردية :

١ / اوضح صور المسؤولية الفردية ، تتجلى عندما يوقف كل فرد امام ربه وقد حمل كتابه الذي كان من قبل معلقا على عنقه ، فإذا به يراه منشورا في ذلك اليوم ، ثم يؤمر بأن يقرأ ما فيه ليكون بنفسه عليها حسيبا . (يحاسب نفسه بعد ان يرى اعماله تتجسد عقاباً أو ثواباً) وكفى به على نفسه شاهداً . قال الله سبحانه : { وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا \* اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا \* مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا } (الاسراء / ١٣ - ١٥)

(١) المصدر / ص ٥٨١ .

وروي عن الامام الصادق عليه السلام في تفسير الآية : { وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ } قال : " قدره الذي قدر عليه " . (١)

وتبين الآية مسؤولية الانسان عن اهدائه . فمن اهتدى فانما اهتدى لنفسه ، وفي ذلك اليوم يجد نور هدايته ساطعاً . واما من ضل فانما يضل على نفسه ، ويجد ضلالته ظلاماً وعذاباً . ولا يمكن ان يتحمل احد حمل غيره ، فكل يحمل وزره ، وعقبي عمله بنفسه دون الاخرين .

٢ / وتتجلى مرة اخرى سنة المسؤولية في يوم الفصل ، عندما يأتي النداء صارخاً بان يوقف المجرمون ليسألوا . قال ربنا سبحانه : { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُورُونَ } (الصافات/٢٤) .

٣ / وكل انسان يملك ما اقترفه من الاثم . قال الله سبحانه : { لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ } (النور / ١١) .

٤ / وما كسبه الانسان من خير او شر يحيط به ، فهو رهينه . وقال الله سبحانه : { كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ } (الطور / ٢١) .

٥ / وقال الله سبحانه : { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } (المدثر / ٣٨) .

٦ / وسيبقى الانسان رهين اعماله حتى يجازى بها . فهناك يفك رهنه ، وذلك يوم القيامة ، حيث لا يظلم ربك احداً . قال الله تعالى : { الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا

ظُلْمَ الْيَوْمِ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } (غافر / ١٧) .

٧ / وقال الله تعالى : { وَلِنُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } (الجاثية/٢٢) .

٨ / تصدر من الانسان ظواهر شتى ؛ من طاقة تستهلك ، وهواء يتنفس ، وهواجس تعتريه .. ولكن الذي له ليس إلا سعيه . فهو يملك سعيه ، وجزاء سعيه لا اكثر حتى لو تمناه ، ولا اقل حتى ولو خشيه . وهكذا فلا احد يتحمل عن الانسان

(١) تفسير نور الثقلين / ج ٣ / ص ١٤٤ .

حملة . انه الوحيد الذي يملك سعيه ، ويتحمل وزره ، وغداً يرى جزاء فعله وافيا غير منقوص . وان هذه البصيرة هي خلاصة رسالات الله الاولى ، حيث يقول ربنا : { أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى \* وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى \* أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى \* وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى \* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى \* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى } ( النجم / ٣٦ - ٤١ ) .

واليوم الذي توفى كل نفس جزاءها كاملاً غير منقوص ، هو يوم القيامة ؛ حيث تأتي ساعة الجزاء ، والتي يكاد الرب يخفيها (كما يخفي الاستاذ أسئلة الامتحان) حتى يتبين الحق ليكون الجزاء عادلاً . (فلو عرف الناس وقت الساعة قريباً او بعيداً ، فقد يؤثر في طبيعة سعيهم ولا يكون الامتحان دقيقاً . فالذي يعرفها قريبة لو عرفها بعيدة لما سعى ، ومن عرفها بعيدة سوف التوبة وترك السعي - والله العالم - ) . قال الله سبحانه : { إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ } ( طه / ١٥ ) .

^^^ لا لتناوب المسؤولية :

١ / كما يترامى الصبية الكرة ، تجد اقواما يتناوبون المسؤولية ، فبعضهم يلقاها على الاخر . كلا ؛ ان كل نفس تتحمل عاقبة سعيها بنفسها . يقول ربنا سبحانه : { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } ( الانعام / ١٦٤ ) ( فاطر / ١٨ ) ( الزمر / ٧ ) . وهذا يعني ان الانسان الذي يحمل الاخرين مسؤولية افعاله لا يحرز نجاحاً ولا يهتدي سبيلاً .

٢ / ولن يجد الانسان بديلاً عنه في احتمال وزره ، وعاقبة سعيه . كذلك اخبرنا الرب بقوله تعالى: { وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلْ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا

شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ لِدُونِ لَإِيُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا } ( الانعام / ٧٠ ) .

^^^ لا واقى من الله :

١ / بكل ما اوتي الانسان من قوة الجدل ، وممارسة الخداع الذاتي ، يكابد حتى يتهرب من مواجهة رب العباد العادل الحكيم ، حتى لا يحتمل وزر افعاله . وقال الله تعالى : { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ } ( الرعد/٣٧) .

ولعل الولي الشخص الذي ينصرك ، بينما الواقى هو الشيء الذي يحفظك . ففكرة الرب فوق ولاية الاولياء ، وحفظ الاشياء .

٢ / وكل الاماني التي تتوالى في مخيلة الناس وبالذات اهل الكتاب الذين زعموا ان ادعاءهم الفارغ بالتدين يغني عن المسؤولية ، تلك الاماني لا تجدي نفعاً ، بل الانسان يجز بافعاله ، ولا ولي ينصره ولا حيلة تنفعه ، قال الله سبحانه : { لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً } ( النساء / ١٢٣) .

^^^ لا يغنيه ما كسبه :

١ / عندما تحين ساعة الجزاء ترى سعيك المتراكم يتلاشى ، فالاموال التي جمعتها ، والاصحاب الذين اكتسبتهم ، والشفاعات التي علقت الامل عليهم .. كلها تبخرت ، وبقيت وحدك تواجه مسؤوليتك .

أفرايت اذا كنت في طائرة تعبر محيطا ، وواجهت الطائرة حالة طارئة . فلا ثروتك تنفعك ، ولا اصدقائك يفيدونك شيئا .. كلا؛ انما انت هناك وربك الذي تخلص له الدعاء . وكذلك عند مواجهة جزاء افعالنا يوم القيامة ، لا شيء ينفع سوى العمل الصالح . قال الله تعالى : { فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلِ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ \* قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ

عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } ( الزمر / ٤٩ - ٥٠ ) .

٢ / ولعل احد اهداف البشر في جمع المال ، هو التخلص من جزاء افعاله ،  
والتهرب من قبضة العدالة . ولكن هيهات ، فان القرآن يؤكد ان المال لا يغني عنه  
ولا ما كسب . فهذا ابو لهب قد تبت يداه ، ولحقته لعنة جريمته ، وسيصلى نارا  
ذات لهب . وفي كل الاحوال ما اغنى عنه ماله ، وما كسبه من جاه او سلطان .  
قال ربنا سبحانه : { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ \* مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ \*  
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ } ( المسد / ١ - ٣ ) .

٣ / وشاهد صدق اخر على مواجهة الانسان مسؤوليته ، ما فعل الله بالغايرين ،  
حيث دمروا شر تدمير ، وهناك لم ينفعهم ما جمعوا لمقاومة سخط الرب . قال  
الله تعالى : { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ  
كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَأْتَاراً فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }  
( غافر / ٨٢ ) .

٤ / واما الأفاك الأثيم الذي يبشره الرب بعذاب أليم ، لأنه يسمع آيات الله ثم يصر  
على كفره استكباراً من ما سمعه ويستهزئ بآيات الله ، فإنه هو الآخر لا ينفعه ما  
اكتسبه من ثروة وجاه وسلطة لدرء جزاء جريمته . كلا ؛ بل هو مجزي بأعماله . قال  
الله سبحانه : { وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ \*  
وَرَأَيْهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ  
عَذَابٌ عَظِيمٌ } ( الجاثية/٩- ١٠ ) .

^^^ حقائق المسؤولية :

والمسؤولية تتجلى في حقائق ، وهي : مسؤولية الانسان عن أفكاره ، وهو اجسه  
، وسعيه .

^^^^ الف : مسؤولية الانسان عن افكاره

العين تبصر ، والاذن تسمع ، والقلب يقرر ؛ والانسان مسؤول عن عينه اين يوجهها لتبصر ، وعن اذنه كيف يصرفها لتسمع ، وعن قلبه كيف يفكر ثم كيف يقدر ويقرر .

١/ وهكذا يأمرنا الله سبحانه ( بان نتبع العلم ) ، وألاً نخطو خطوة غير علمية ، لأن الانسان مسؤول عن اتجاه حركته ، ووجهة مساعيه . وكل جارية فيه تساهم في تحديد مساره ، فهو مسؤول عنها . يقول ربنا سبحانه : { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً } ( الاسراء / ٣٦ )

هنا تستخدم كلمة المسؤولية ، مما يوحي بان مسؤولية الانسان عن افكاره ليست باقل من مسؤوليته عن افعاله .

٢ / وانها لجريمة كبرى ؛ ان يفترى المرء على ربه ، فيصوغ فكرة خاطئة ثم ينسبها الى الله سبحانه ، لكي يلبسها كساء الشرعية زوراً . (انها مناقضة تماماً لحالة التسليم للحق ، واتباع العلم لبلوغ الحقيقة ، وانها تستوجب عذاباً شديداً) . وهكذا يأمر الله رسوله بأن يتحمل وحده مسؤولية كلامه ، ويقول لأمته انه لو افترى على الله فلا احد يتحمل عنه مسؤولية افتراءه . قال الله تعالى : { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } ( الاحقاف / ٨ ) .

~~~~~  
باء : المسؤولية عن الهواجس

١ / قبل ان يقرر البشر شيئاً يفكر فيه، وتدور في خلده الهواجس المختلفة. وكل هاجسة، ناشئة نزعة نفسية شيطانية او رحمانية . واختيار هاجسة على اختها ، وفكرة على اخرى ، يتم بوعي وبارادة ، والانسان مسؤول عن تلك الارادة . قال الله تعالى : { رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً } ( الاسراء / ٢٥ ) .

هذه الآية تؤكد على مسؤولية الانسان عما في نفسه .

٢ / الجزاء على العمل ، ولكن المسؤولية تشمل النية . ولذلك فمن نوى شرا ثم انصرف عنه يعفو عنه الرب ، حيث يقول ربنا سبحانه : { **لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِيْ اَنْفُسِكُمْ اَوْ تَخْفَوْهُ يَحٰسِبِكُمْ بِهٖ اللّٰهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَآءُ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ** } ( البقرة / ٢٨٤ ) .

هكذا استفاد الفقهاء من الآية ؛ ان النية التي لا يعمل بها صاحبها تغتفر له ، بدليل قوله سبحانه : { **فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَآءُ** } وسواءً دلت هذه الآية ام لا ، فانها لا ريب صريحة في محاسبة الله الانسان عما يختلج في ضميره ، سواءً أباداه أم أخفاه .

جيم : مسؤولية الانسان عن سعيه

١ / من حقائق سنة المسؤولية ؛ ان الله جعل السعي للآخرة ثمن الجنة ، شريطة

الايمان

(والتقوى . اما التمني على الله من دون سعي واجتهاد ، فانه لا يثمر إلا خداعاً ذاتياً ، وضلالاً بعيداً) . قال الله تعالى : { **وَمَنْ اَرَادَ الْاٰخِرَةَ وَسَعٰى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَاُولٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُوْرًا** } ( الاسراء / ١٩ ) .

والآية تهدينا الى ثلاثة شروط لجزاء الآخرة ؛ اختيار الآخرة على الدنيا ، ( النية الصالحة ) والسعي لها ، والايمان ( ويشمل التقوى ) . وبين ان الله يشكر السعي بقدره ، فكلما كان اكبر كان الجزاء اعظم .

٢ / ويوم القيامة - عندما يرى المؤمنون جزاءهم الاوفى - هنالك يتم الله نعمته عليهم بالقول : ان هذا جزاء اعمالكم ، وان سعيكم كان مشكوراً . ( فعلمهم بأن جزاءهم كان نتيجة سعيهم يزيدهم سرورا ، لأن فطرة الانسان تقتضي الفرح بانجازه) . قال الله تعالى : { **وَإِذَا رَأَيْتَ تَمَّ رَأَيْتَ نَعِيْمًا وَمَلَكًا كَبِيْرًا \* عَلِيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوْا اَسْوَرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُوْرًا \* اِنَّ هٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُوْرًا** } ( الانسان / ٢٠ - ٢٢ ) .

٣ / وهم الاعذار ؛ وقد غرّ الشيطان ابناء آدم بطائفة الاعذار التي سؤل لهم ، انها ترفع عنهم أمر المسؤولية . وها قد بددها القرآن الكريم ، ومنها :

~~~~~أولاً : شفاعة الالهة

لا شفاعة ترتجى من الالهة أبداً . فقد اتخذ البشر آلهة لعلهم ينصرونهم على سنة المسؤولية ، وقد صرفوا طاقات هائلة في الدفاع عن هذه الالهة ، حتى اذا حانت ساعة المواجهة الحاسمة بين البشر وبين تلك السنة الالهية ، انهارت الالهة وانهارت معها فلسفة التبرير ، التي غرّ الشيطان البشر بها .

١ / وهكذا يضرب القرآن امثلة بالغة الوضوح في الآيات (٢٦-٩٩) من سورة هود ، من واقع الامم الغابرة ؛ قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط واصحاب مدين وفرعون ، ويقص علينا كيف كفرت برسالات الله ، وتحدث رسله ، واعتمدت على الالهة . فلما جاء اجلهم (وحانت ساعة الجزاء) دمرهم الله ، فما اغنت عنهم آلهتهم شيئاً . ويقول الله سبحانه : { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَانِمٌ وَحَصِيدٌ \* وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْسِيبِ } ( هود / ١٠٠ - ١٠١ ) .

هنا سقطت كل الانتماءات ، وكل العلاقات التي كان يزعم الكفار انها تنفعهم يوم القيامة، وبقي عملهم الذي قادهم الى النار . فاذا كانت الالهة تنفعهم في يوم الكريهة ، فلماذا دمروا ؟ واذا كانت هذه الالهة تقربهم الى ذي العرش ، فلماذا أخذهم الجبار بعزته أخذ مقتدر ؟

٢ / ومن هنا قال مؤمن - يس - لقومه بصراحة عن زيف الالهة ما يقصه علينا . قال الله تعالى : { إِنْ يُرِيدِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً } ( يس / ٢٣ ) .

٣ / الملائكة المكرمين عند الله ، لا يملكون من دون الله شيئاً . اذا عبدوا من دون الله ، فلا تغني عبادتهم شيئاً . قال الله تعالى : { وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى } ( النجم / ٢٦ ) .  
بلى ؛ اذا اذن الله بشفاعة الملائكة ، ورضي قولهم في الشخص ، فإن الشفاعة تنفع . وهكذا تكون الشفاعة خارجة عن دائرة السنن الالهية العليا .

٤ / وهكذا كان محور رسالة الانبياء ، النهي عن عبادة الاصنام (الاحجار او الاموات) ، لانها لا تسمع ولا تبصر ولا تغني شيئاً . قال الله تعالى : { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً } ( مريم / ٤١ - ٤٢ ) .

~~~~~ثانياً : الاولياء لا يغنون شيئاً

١ / وكما الالهة لا تنفع ، كذلك الاولياء - من دون الله - لا يغنون شيئاً يوم القيامة ، حيث الموازين الحق . والذين يتخذون اولياء لعلهم يشفعون لهم عند الله ، لا ينفعونهم الا اذا امر الله باتباعهم ، واذن لهم بالشفاعة ، ورضي لهم قولاً .. قال الله تعالى : { يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ } ( الدخان / ٤١ ) .

٢ / قال الله تعالى : { وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ

أَوْلِيَاءَ } ( الجاثية / ١٠ ) .

٣ / وفي يوم القيامة ، لا ينفع الذين اتبعوا تابعيهم شيئاً ، (إلا إذا كان الاتباع باذن الله سبحانه وامره) . يقول الله سبحانه عنهم : { إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ } ( غافر / ٤٧ ) .

~~~~~ثالثاً : لا تغني المكاسب المادية

١ / من دواعي الحرص البشري على الاموال والاولاد ، التحصن بها ضد القوى الاخرى . ولكن سنة الجزاء لا تتحسر عن احد ، اذ انها من سنن الله العدل الحكيم .

ومن هنا فإن القرآن بيّن قاطعاً ( وبصيغة النفي المطلق المعبر عنها بحرف لن ) انه لا ينفع المال والاولاد شيئاً (وبصورة مطلقة ، وبنفي الفكرة) . قال الله تعالى : { لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً } ( المجادلة / ١٧ ) .

٢ / ولذلك اذا احاطت بالمجرم ذنوبه يوم الجزاء يقول : ما اغنى عنه ماله ، ( ذلك المال الذي جمعه ليغني عنه من الله شيئاً ) . قال الله تعالى : { مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَةٌ } ( الحاقة / ٢٨ ) .

٣ / ان المال والولد نعمة الهية ، اسبغها الله عليهم ليستفيدوا منها ( بصورة مؤقتة ) في الدنيا ، ( وهي - بالتالي - ليست اداة لمواجهة سنة المسؤولية ) . قال الله سبحانه : { مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ } ( الشعراء / ٢٠٧ ) .

٤ / وشاهد هذه البصيرة ما يراه البشر في حياته ، ان المال لا يغنيه شيئاً في الدنيا اذا تردى . فهل يمنع المال عن صاحبه الموت إذا جاء اجله ؟ ( ولعل هذا مراد الله سبحانه بقوله ) : { وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى } ( الليل / ١١ ) .

~~~~~ رابعاً : وما انا عليكم بوكيل

١ / لان الانسان يتحمل مسؤولية فعله بذاته ، فان الانبياء ( وكل الدعاة الى الله ) لا يتحملون عن الامم مسؤولياتهم ، ولا ينبغي ان يبتئسوا بما يعملون . قال الله عز وجل مخاطباً نبيه نوحاً عليه السلام : { وَأَوْحِيْ اِلَى نُوْحٍ اِنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ اِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُوْنَ } ( هود / ٣٦ ) .

٢ / وقال الله تعالى : { اَمْ يَقُوْلُوْنَ افْتَرَاهُ قُلْ اِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ اِجْرَامِيْ وَاَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا

تُجْرِمُوْنَ } ( هود / ٣٥ ) .

٣ / وهكذا يتحمل الرسول مسؤولية الدعوة ، وهم يتحملون مسؤولية الاستجابة ، ( ولم يكلف الرسول باكراههم على قبول الدعوة ) . قال الله تعالى : { فَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ } ( النور / ٥٤ ) .

~~~~~ خامساً : الرسول لا يشفع إلا باذن ربه

والبعض ينتظر شفاعة الرسول ، لكي يتخلص من المسؤولية . كلا ؛ ان الرسول لا يشفع إلا باذن الله . وهكذا جاء الخطاب الالهي محذراً نوحاً عليه السلام ، ألا يخاطب الله في الظالمين ، ولا يسأل الشفاعة لهم ، لأن جزاء الظالم يحيط به لا ريب فيه . يقول الله تعالى : { وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ } ( هود/ ٣٧ ) .

^^ كل انسان يحمل وزره :

١ / ان الانسان هو المسؤول الاول عن افعاله ، اما الاخرون فانهم ليسوا مسؤولين بديلا عنه . يقول الله تعالى : { وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ( يوسف / ٦٩ ) .  
وهكذا نصح يوسف عليه السلام أخاه ، بان لا يبتئس بما كان اولئك القوم يعملونه من اعمال مخالفة . ذلك لانهم هم يتحملون وزر اعمالهم . وهو بريء عنها . فلماذا يبتئس بها ؟

٢ / وان ذلك من تجليات العدل الالهي ، ألا يحمل أحد وزر افعال غيره . ان الانسان هو بنفسه مسؤول عن افعاله . يقول ربنا سبحانه : { وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } ( الانعام / ٦٩ ) .  
حيث يبدو ان تفسير الآية - بالنظر الى سياقها - ان الذين يتقون الله لا تلحق بهم مسؤولية الظالمين وان جالسوهم لأن كل نفس بما كسبت رهينة .

٣ / وكان الكفار يزعمون ان الرسل الكرام والدعاة الى الله وكلاء بهم ، - وبالتالي - يتحملون عنهم مسؤولياتهم . ولعلمهم استنتجوا ذلك من اصرار اولئك في دعوتهم الى

الدين ، فنفي القرآن ذلك وامرهم بأن يقولوا لهم : ان كلاً مسؤول عما اقترفه . قال الله تعالى : { قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ } ( سبأ / ٢٥ ) .

والانبياء عليهم السلام قالوا للامم ، انهم لا يتحملون وزر كفرهم . كما انهم لو افتروا على الله الكذب ، فان الناس لا يتحملون وزر افتراءهم . قال الله سبحانه : { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ } ( هود / ٣٥ ) .

٤/ وفي الدنيا يرتبط الناس ببعضهم في حياة اجتماعية . فيزعم البعض ان ذلك يعني نفي المسؤولية الفردية ، بينما في الآخرة ينكشف الغطاء ، فإذا لكل شخص شأن يغنيه عن شؤون غيره . قال الله تعالى : { لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ } ( عيس / ٣٧ ) .

### ^^^ اختلاق المعادير :

١/ لقد اتخذ الكفار الاعتراض على الرسالات الالهية ، وسيلة ( للتملص من المسؤولية ) . فردهم الله بأن الله ملك السموات والارض ، وانه هو الحاكم المطلق ، ولا احد يقدر على انقاذهم من تبعه اعمالهم ، - وبالتالي - فان اعتراضهم لا يغنيهم شيئاً عن مسؤوليتهم . وهكذا نسف السياق القرآني قاعدة اعتراضهم ، والاساس النفسي لكلامهم ، وكأنه قال لهم ؛ ماذا ينفعكم الاعتراض مادامت المسؤولية لا تتحسر عنكم ، انى قلتم وانى فعلتم ؟ قال الله تعالى : { مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ \* أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } ( البقرة / ١٠٦ - ١٠٨ ) .

٢/ ومن المعادير ؛ انهم زعموا بان قريتهم النسبي الى الانبياء الصالحين ، يخفف عنهم العذاب . فحتى لو ادخلوا النار ، فانهم لا يمكنون فيها طويلا . فجاء الرد ؛ كلا .. لا عهد بينهم وبين ربهم على ذلك . قال الله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ

\* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي بَيْنِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } ( آل عمران / ٢٣ - ٢٤ ) .

كان من خطأ الكفار من اهل الكتاب، الاعراض عن كتاب الله وعدم التحاكم اليه، زعماً بأنهم فوق القانون ، وانهم لا يتحملون مسؤولية اعمالهم . وردهم القرآن بأنهم قد اغتروا بما افتروه ، - وبالتالي - خدعوا انفسهم ببعض الاماني الكاذبة التي لا تغني عنهم شيئاً .

٣ / ومثل ذلك قولهم نحن ابناء الله واحباؤه ، للتهرب من تبعة افعالهم . ولكن الله ردهم بانهم مسؤولون عن افعالهم في الدنيا . والدليل الواضح على ذلك ، ان الله يعذبهم بأفعالهم في الدنيا (والدنيا ليست دار جزاء) ، وهذا دليل على انهم ليسوا ابناء الله واحباؤه، بل بشر ممن خلق . قال الله تعالى : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } (المائدة / ١٨) .

٤ / والله سبحانه لم يعطهم عهداً بالأل يعذبهم بذنوبهم إلا أياماً قليلة ، وانما هم يقولون على الله مالا يعلمون ، (بل هو مجرد امانى يتهربون بها عن المسؤولية بزعمهم) . وهكذا يؤكد القرآن سنة الجزاء ، وان من احاطت به خطيئته فان مصيره الى النار خالداً فيها . قال الله سبحانه : { وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ فَلَنْ آتَخِذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } ( البقرة / ٨٠ - ٨٢ ) .

^^^التواكل :

١/ كانت بنو اسرائيل امة متواكلة ، لم تفجر طاقاتها ، بل ألقت المسؤولية على قيادتها . ويقص علينا قصتهم القرآن الحكيم ، وكيف ادت هذه الحالة بهم الى الضلالة في التيه أربعين عاماً . وبذلك يحذرنا من التواكل ، حيث يقول ربنا سبحانه : { قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } (المائدة/٢٤).

٢/ ثم يقول ربنا سبحانه عن عاقبة التواكل : { قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } ( المائدة / ٢٦) .  
^^^المسؤولية ؛ لا السحر :

قال الله تعالى : { وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } ( البقرة / ١٠٢) .

السحر (وما اليه من الشعوذة والكهانة) ؛ هذه الوسائل الشيطانية تأتي لتقوم مقام الوحي في زعم الاتصال بالغيب . والامة التي تقع على طريق الابتعاد عن الوحي (بالحيلة والتبرير) والالتفاف على الاحكام الالهية ، تنتهي - بالتالي - الى التشبث بالسحر كبديل عن الوحي ، ولملأ الفراغ الذي يحس به الناس .

والقرآن يبين وبيعض التفصيل " قصة تسريب السحر " الى بني اسرائيل ، من خلال اتباع ما تلتته الشياطين على ملك سليمان .

وبعد ذلك يحدث السياق عن الداعي النفسي وراء اتباع السحر ، وهو التملص عن المسؤولية . قال الله تعالى : { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُورُونَ } ( الصافات / ٢٤) .

^^^لماذا تأخير الجزاء ؟

١ / يستعجل المجرمون الجزاء ، ويزعمون ان تأخير العقوبة دليل ضعف سنة الجزاء . كلا ؛ ان رحمة الله الواسعة اقتضت تأخير الجزاء ، لان افعالهم التي كسبوها اقتضت بتعجيل العذاب - لولا رحمة الله وسنة الابتلاء في الدنيا - . قال الله تعالى : { وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْتُمْ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُمْ مَوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مُؤْتَلًّا } ( الكهف / ٥٨ ) .

٢ / بل ان الفساد العريض الذي احده الكفار ، كان يسبب دمار الارض كلها حتى لا تبقى عليها دابة، لولا رحمة الله الواسعة، وانه يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار. قال الله تعالى : { وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ } ( فاطر / ٤٥ ) .

٣ / وقد يؤاخذ الناس ببعض ما كسبوا من الذنوب ، بينما يعفو عن كثير . فقد يأمر الريح بأن يسكن في وسط المحيط او يهيج ليهلك السفن العابرة ، جزاء افعال اهلها . قال الله تعالى : { إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلُغْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ \* أَوْ يُوقِفُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ } ( الشورى / ٣٣ - ٣٤ ) .

#### ^^^ في الآخرة تتجلى المسؤولية :

متى تتجلى المسؤولية البشرية واضحة صارخة ؟ الجواب ؛ في الآخرة ، وبالذات في يوم الدين ، يوم الفصل ، يوم التغابن ، ويوم القيامة .

١ / في ذلك اليوم تتمثل اعمالنا التي كسبناها ظاهرة ، لا يمكن لنا انكارها ، وتبدى امامنا تلك الحقائق التي كفرنا بها . قال الله سبحانه : { وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } ( الزمر / ٤٨ ) .

٢ / وهناك ترى الذين ظلموا خائفين مشفقين من اعمالهم التي كسبوها ، وأوزارهم التي حملوها، ويتمنون لو كان بينهم وبينها بعد المشركين ولكنها واقعة

بهم ، قال ربنا سبحانه : { تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ  
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ  
ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } ( الشورى / ٢٢ ) .

٣ / وكيف ينكرون اقترافهم تلك الاعمال ، وان ارجلهم تشهد عليهم ، وايديهم  
تنطق بكل تلك الافعال التي ارتكبوها . قال الله الحكيم : { الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ  
وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } ( يس / ٦٥ ) .

### ^^^ القرآن كتاب المسؤولية :

١ / والقرآن يهدي للتي هي اقوم . ومن آفاق هدايته ، بشارة المؤمنين بحسن  
جزاءهم عند الله . وبكلمة اخرى ؛ بيان سنة الجزاء ، التي هي حقيقة المسؤولية .  
يقول الله تعالى : { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ  
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ  
أَجْرًا كَبِيرًا } ( الاسراء / ٩ ) .

٢ / والكتاب الذي انزله الله على رسوله ، كان بهدف الانذار والذكرى (وهما  
طرفا

المسؤولية . فالانذار لمن كفر ، والذكرى لمن تذكر) . قال الله سبحانه : { كِتَابٌ  
أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ } ( الاعراف /  
٢ ) .

٣ / وهذه من حقائق الحكمة في الكتاب ؛ الانذار والتبشير ، (وهي حقيقة  
المسؤولية) . قال الله تعالى : { الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ \* أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا  
أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا } ( يونس / ١ - ٢ ) .  
وهكذا تذكرنا فواتح السور القرآنية بسنة المسؤولية . واذا تدبرنا بعمق في الكتاب  
، لرأينا انه - بكلمة واحدة - كتاب مسؤولية ، حيث لا تخلوا آياته الكريمة من  
التذكرة بها ، وبتعابير شتى .

## بصائر الآيات

- ١/ تنعكس اسماء الله الحسنى ، وانه حي قيوم يحكم بالعدل ، ويقوم بالقسط ؛ تنعكس في ضمير المسلم بوعي المسؤولية ، واحتمال الامانة الكبرى .
- ٢/ ومن الرحمة الالهية ؛ ان كل انسان مسؤول عن نفسه . { الْأَتَّزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } ، إلا ان كل فرد مسؤول بقدر عن مجتمعه .
- ٣/ ومسؤولية الانسان تبدء بمسؤوليته تجاه هواجس نفسه ( نيته ) ، وعن ركائز علمه ( عينه وسمعه وفؤاده ) .
- ٤/ ولا يمكن الفرار من المسؤولية ، فليست هناك آلهة تمنعه من جزاء عمله ، ولا شفعاء يشفعون له من دون اذن ربه .
- ٥/ والانبيا عليهم السلام هم بدورهم مسؤولون امام رب العزة .
- ٦/ والمسؤولية صنفان ؛ فردية ( حيث كل انسان مسؤول عن نفسه ) ، وجمعية ( حيث المسؤولية عن الآخرين ) .
- ٧/ واذا تقدمت امة او تخلفت ، فيما كسبت ايديهم . ان احسنوا احسنوا لانفسهم، وان اساءوا فلها .
- ٨/ وتتوسع دوائر المسؤولية ، حتى تسع البر والبحر . فان ظهر الفساد فيهما ، فيما كسبت ايدي الناس . وقد اصاب الناس من قبلها ما اصابهم لمسؤوليتهم . ونحن مثلهم ان فعلنا ما فعلوا ، وما نحن بمعجزين ، والله يعفو عن كثير من الذنوب . ولكن الذين يصيبنا من المصائب ، فيما كسبت ايدينا ، لان الحافظ هو الله سبحانه . فاذا غيرنا ما بأنفسنا (من الاستقامة) ، غير الله ما علينا (من نعم) ، ولا مردّ من قضائه .
- ٩/ وكل انسان يلزم طائره (الذي يكتب فيه ما فعل) ، وغداً ينشر امامه ليحاسب نفسه بنفسه . فان اهتدى فقد اهتدى لنفسه ، وان ضل فعليها . وهكذا يوقف

المجرمون يوم القيامة ليسألوا ، وكل انسان يحمل ما كسبته يداه ، وهو رهين عمله يجازى غداً به ؛ ان خيراً فخير ، وان شراً فشر . وهكذا ليس للانسان إلا ما سعى ، وانه لا تزر نفس حمل غيرها ، لانه قد حُمِلت ما يكفيها من المسؤولية .

١٠ / وهكذا لايجوز ترامي المسؤولية . فلا يؤخذ منها أي عدل ، ولا ينفعها أي شفيع ، ولا أي ولي من دون الله سبحانه ، ولا وافي للانسان من الله . وكل الاماني التي يخدع الانسان بها نفسه للتهرب من المسؤولية ، انما هي خداع ذاتي . فمن يعمل سوءً يجز به ، ولا احد ينصره من دون الله او يدافع عنه .

١١ / وتتجلى المسؤولية المباشرة امام رب العزة عند الشدة . فكيف اذا مسك الضر دعوت ربك وحدك ، ونسيت النعم التي علقت عليها الاماني . فما اغنت عن ابي لهب ثروته ، ولا اغنت حضارة السابقين عنهم شيئاً ، حينما جاءهم أمر الله ( فدمروا تدميراً ) ، ولا اغنت عنهم آلهتهم التي علقوا عليها الامال .

١٢ / والانسان مسؤول عن معرفته ، ألا يخطو خطوة بغير علم ، لان السمع والبصر والفؤاد ( وهي وسائل المعرفة ) كل اولئك كان عنه مسؤولاً . وهكذا لايجوز ان يقول عن الله ما ليس له به علم ، فانه من الافتراء على الله .

١٣ / بل البشر مسؤول عن وساوس نفسه وظنونه ، وقد قال سبحانه : { وَإِنْ

تُبَدُّوا مَا

فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } ( البقرة / ٢٨٤ ) .

١٤ / وهكذا الالهة التي يعلق البشر عليها الامال ، انها تتلاشى في يوم الجزاء ، ولا تغني عنه شيئاً ، ولا يغني مولى عن مولى شيئاً ، ولا هم ينصرون .

١٥ / والقرآن كتاب المسؤولية . فهدف انزاله البلاغ ؛ انذاراً وتبشيراً . وليس الرسول وكيلاً عن الناس .. فهو بريء مما يجرمه الناس ، وانما عليه ما حمل من ابلاغ الرسالة ، وعليهم ما حملوا من قبولها .

١٦ / ويخلق البشر المعاذير للتهرب من المسؤولية ، فيعترض مثلاً على تناسخ الآيات ، أو يسأل آيات بعينها ثم يكفر بها . وقد يزعم ان قربه من انبياء الله سبحانه واوليائه يغنيه عن المسؤولية . وقد يزعم انه حبيب الله فلا تمسه النار ، والله لم يعط عهداً له بالأ يعذبه بالنار .

وقد حرم الله على بني اسرائيل المدنية الموعودة لما رفضوا القتال وتواكلوا . وهكذا التواكل وعدم تحمل المسؤولية عذر مرفوض . والسحر هو الآخر لا يغني عن مسؤولية السعي والكدح .

١٧ / والبعض يعترض على سنة المسؤولية ، إذ يزعم ان تأخير الجزاء دليل على عدم المسؤولية . كلاً ؛ انما الله رحمة بعباده ، يؤخرهم لأجل (لعلهم يرجعون) . وفي يوم القيامة تتجلى سنة المسؤولية ، حيث تبدو لهم سيئات ما كسبوا ، ويحيق بهم ما كانوا به يستهزئون . واذا الظالمون تراهم مشفقين مما كسبوا ، ولكن لا ينفعم ذلك ، اذ هو واقع بهم . ولا يمكنهم التكذيب بما فعلوا ، اذ تكلم الرب ايديهم فتشهد عليهم ، كما تشهد عليهم ارجلهم بما كانوا يكسبون .

## فقهاء الآيات

١ / (الاسراء / ٧) و (الرعد / ١١) ؛ الانسان حيّ اجتماعي ، بعضهم من بعض ، ولذلك يتأثر وضع كل فرد بالآخرين . واذا كان وضع المجتمع ككل فاسداً ، فان صلاح الفرد وحده قليل الفائدة . قال الله سبحانه : { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (الانفال / ٢٥) و فقط الذين ينهون عن الفساد ، هم الذين ينجيهم الله . قال سبحانه : { فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ } (هود / ١١٦) .

ورمز صلاح الأمة وفسادها ؛ قيادتها وإمارتها ، فقد قال سبحانه : { يَوْمَ نَدْعُوا  
كُلَّ نَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ  
فَتِيلًا } (الاسراء / ٧١) .

وجاء في الحديث عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه  
وآله : قال الله عز وجل : "لأعذب كل رعية في الاسلام أطاعت اماماً جائراً ليس  
من الله عز وجل ، وإن كانت الرعية في اعمالها برّة تقية ... " . (١)

من هذه البصيرة ، نستوحي الاحكام التالية :

أولاً : على كل فرد ان يعرف ماذا يجري في مجتمعه ، والأى يكون غافلاً او لاهياً  
بأوضاعه الخاصة عن الوضع العام ؛ لأن تأثير الوضع العام عليه اشد من نشاطه  
في الوضع الخاص ، ولأن الغفلة او الانشغال عن الوضع العام يحجبه عن  
المساهمة في اصلاحه .

ثانياً : وهكذا ينبغي ان يكون في الأمة نظام الوعي الجماهيري ؛ مثل الأجهزة  
الاعلامية الحرة ، ومنابر صلوات الجمعة والجماعة ، والمؤسسات السياسية  
المتعددة التي تحلل وتناقش وتبث الوعي السياسي ، وما أشبه .. لأن هذا النظام  
المعرفي العام ، ضروري لقيام كل فرد بواجبه الاجتماعي .

ثالثاً : على كل فرد ان يقوم بدوره في اصلاح المجتمع ، وبالذات اصلاح النظام  
السياسي في المجتمع ، بكل وسيلة شرعية ممكنة وذلك عبر القنوات المتاحة ؛ مثلاً  
عبر مؤسسة سياسية ينتمي اليها (جمعية - حزب - اتحاد) ، او عبر محورية رمز  
من الشخصيات (مرجع تقليد - عالم رباني - شيخ عشيرة - رجل سياسي) ، او عبر  
مؤسسة اعلامية ، او ما أشبه .

رابعاً : لا يجوز للدولة ، ولا الدوائر النافذة في المجتمع ان تتعرض لحرية  
المعرفة ، ولا لحرية الرأي ، ولا لحرية تأسيس التجمعات الاصلاحية . فان كل  
ذلك مناف لاصل الشرعي الانف الذكر ، وهو مسؤولية الفرد عن مجتمعه .

---

(١) بحار الأنوار / ج ٢٥ / ص ١١٠ .

٢/ (الروم / ٤١) ؛ الفساد في الأرض ، عنوان عريض لجملة قيم مضادة ، وهو من اعظم المنكرات شرعاً . ومصاديقه كثيرة ؛ مثل تعكير صفو الأمن ( وبالذات أمن السبل ) ، وتخريب البيئة ، والتأثير على النظام الطبيعي ..  
ويأتي الحديث عن الافساد في النظام الاجتماعي ( والاخلال بالأمن ) في تفسير قوله سبحانه : { إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } ( المائدة / ٣٣ ) .  
أما عن تخريب البيئة ، فقد قال سبحانه : { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا } ( الاعراف / ٨٥ ) . والآية التي تليت في سورة الروم تدل على مثل ذلك ، وهذه الآية اكثر صراحة . والآيتان تدلان على الحقائق التالية :

الف : لان الله سبحانه خلق كل شيء بحكمته بقدر مقدور ، فمن اسرف في استهلاك الطبيعة حتى اختل نظامها فقد أفسدها . ويكون مثله كمن عمد الى ساقية ماء تروي حقلاً ، فغير مجراها الى بيته لا حاجة ، وانما يتمتع بمنظرها ، مما سبب جفاف الحقل .

ومن ذلك صيد الحيوانات بما يزيد عن الحاجة ، حتى يهدد بانقراض نوعها . مثلاً ازداد صيد الفيلة في بعض الدول الافريقية ، حتى اشرفت على الانقراض . ومن ذلك ايضاً تخريب غابات الامازون ، مما قد يسبب في تقليل نسبة الأوكسجين في فضاء الأرض . ومن ذلك استخدام الغازات العضوية التي اثرت في الغلاف الواقي ، الذي يحفظ الله به الكرة الارضية من الاشعة الضارة . ومن ذلك استهلاك الطاقة النفطية بكميات كبيرة ، مما يسبب في استنزافها وحرمان الاجيال منها . ومنها ؛ الاستخدام غير النظيف للطاقة ، وبالذات لمشتقات البترول مما يسبب تلوث البيئة . وكذلك الاسراف في استهلاك المياه مما يسبب في شحها .

باء : لان طائفة من الناس يمتلكهم الجشع ، ويتجاوزون الحدود المعقولة في استهلاك مواهب الله ، فيفسدون الأرض . لذلك يجب ان توضع قوانين واضحة ، لمدى الاستفادة من الطبيعة ، وايضاً لكيفية الاستفادة منها .

جيم : وباعتبار اشتراك الناس جميعاً في اكثر الموارد الطبيعية ، فان كثيراً من قوانين البيئة هي قوانين عالمية ، لا تخص بلداً دون آخر .

٣/ (الاسراء / ١٣-١٥) و (النجم / ٣٦ - ٤١) ؛ بالرغم من اثر العوامل الوراثية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها في نفس البشر ، حيث تقتضي تلك العوامل سلوكاً معيناً ، قد يكون منحرفاً . إلا ان عقل الانسان و ارادته الحرة ، كفيلان بأن تحمّلانه كامل المسؤولية عن تصرفاته ، لأن العقل يخترق حجب التضليل ، والارادة تعلو على وسائل الضغط . فليس للانسان ان يبرر قيامه بسيئة ، بانه كان مدفوعاً إليها بسبب عامل الوراثة او عامل التربية او ضغط المجتمع او غيره .. لان هذه العوامل مهما تراكمت وتركزت ، فما هي إلا مقتضيات تضغط باتجاه معين ، وليست حتميات . وانما صراع البشر الدائب بين مثل هذه العوامل وبين ارادته ، ولم تتقدم البشرية إلا بقدر تحررها من نير العوامل الضاغطة .

وباعتبار القرآن كتاب التحرر ، فقد حفل بذكر امثلة من الصراع بين المؤمنين وبين عوامل الضغط ، وكيف انتصر المؤمنون بتوفيق الله على تلك العوامل . ومن هذه البصيرة التي تركز المسؤولية الفردية بكل ابعادها ، نستوحي الاحكام التالية :

الف : وعلى اساس ان الانسان مسؤول عن فعله فإن العاقل لو ارتكب جريمة استحق عقوبتها ، حتى ولو كان المحرّض غيره . وهكذا لا صحة للمثل المعروف : المأمور معذور . كلا ؛ انما المأمور مأزور .

ومن ذلك لو اقترح شخص على آخر السباحة في البحر ، فغرق فيه . فالمسؤولية عليه ، وليس على المقترح ، إلا إذا غرّه او كان السابح غير عاقل . وهكذا لو

اعطى شخص لآخر سلاحاً ، وأمره بقتل ثالث فقتله . فهو المسؤول ، وليس الأمر .. بالرغم من انه يتحمل وزر تحريضه ومساعدته على القتل .

وهذا يدخل ضمن القاعدة الفقهية والقانونية : ان المباشر اقوى من السبب .  
باء : وهكذا الانسان يملك سعيه ، لانه مسؤول عنه . ولذلك فهو المجزي به ،  
حيث قال سبحانه : { وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى } (النجم / ٣٩) .

وبناءً على ذلك ، فان كل ما يسمى سعيًا يكون مملوكاً لصاحبه وله قيمته . ومنه ؛  
انشطة جوارحه ، كالصانع بيده او الحارس بعينه . وانشطة عقله ، كالطبيب  
والمهندس والمؤلف والمخترع والفنان ومن اليهم .

وكذلك الحائز مباحاً فهو مالكة ، لان الحيازة سعيه . ومن هذه الآية يتبلور معنى  
الحق الذي لايجوز استلابه من احد ، والذي لو استلب كان ظلماً . ذلك المعنى هو :  
كلما يكون نتيجة السعي البشري .

جيم : وقد يستفاد من الآية الكريمة { وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى } ان ما  
يحصل عليه البشر بلا سعي ، فهو ليس له . والمثل الظاهر لهذه القاعدة الربا ،  
حيث انه استفادة غير مشروعة من مال الغير او انه امتلاك بلا سعي . ولعل الثراء  
الحاصل للبعض في ايام الحرب ، حيث تختل الموازين الاقتصادية ، يعتبر ايضاً  
اثراءً بلا سبب .

دال : لايجوز ان نحمل احداً وزر عمل غيره . فلا الانبياء يحملون اوزار قومهم  
، ولا الدعاة المصلحون ، ولا الآباء .. انما كل يحمل وزره بقدر عمله . من هنا  
فان الكلمة المعروفة عند بعض السذج : ان الخير يخص والشر يعم . غير صحيحة  
ابداً ، لانه لا اساس لها من العقل والوحي .

هاء : ومن ابعاد مسؤولية الانسان حرئته ؛ فهي شرطها . وقد قال ربنا سبحانه :  
{ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ  
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لِأَنَّفْصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (البقرة / ٢٥٦) .  
فمادام الرشدة قد تبين ، فانه لا اكراه في الدين .

ومن هنا فعلياً ان نبني الانظمة المختلفة (تربوية - ثقافية - سياسية وغيرها) على قاعدة المسؤولية . فالوالدان هما اول من يزرعان في نفس الطفل ؛ اما الاحساس بالمسؤولية وحرية الانتخاب ، وإما الاستسلام والخنوع . وكذلك المعلمون والمشرفون على الاجهزة الثقافية والاعلامية ؛ فاذا كان حديث هؤلاء حديثاً خطابياً قائماً على اساس اثاره العواطف وفرض الاراء الجاهزة بها ، فانهم سوف يحطمون نفسية المجتمع ويفرغونها من روح المسؤولية والحرية . بينما اذا كان حديثهم قائماً على المنطق ، وبيان مختلف الاراء ، والدعوة الى انتخاب افضلها ، كان الوضع مختلفاً جداً .

وكذلك النظام السياسي اذا كان فيه انفراج كافٍ لانتخاب الناس ، اما على اساس التعددية وتبادل السلطة ، واما على اساس اخرى ، فان ذلك كفيلاً بنمو روح المسؤولية . وهكذا ..

زاء : ومن ابعاد المسؤولية ؛ تحمل الانسان تبعه التزامه (العهد) ، سواءً امام طرف آخر (العقد) او من جانب واحد (الايقاع) . وقد تحدثنا عن ذلك بحمد الله في ملف العهد . وقاعدة سلطان المشيئة ، ناشئة من المسؤولية .

حاء : ومن المسؤولية ، ما يسمى بالمسؤولية التقصيرية ، التي توجب الضمان ؛ سواءً كانت المسؤولية ناشئة من عقد ، او ناشئة من واجب شرعي ، او عقلي . فالتقصير فيها يوجب التعويض . مثل من اخل بمقتضيات العقد فعليه ان يعوضها ، ومثل من اتلف مالاً لغيره او ألحق به ضرراً فعلياً ان يعوّض الخسارة .

طاء : ومن ذلك مسؤولية الانسان عن فعل الغير ، لو كانت المحافظة عليه من واجبه . فمن قصر في واجبه ، كحارس حتى سرق المال ، او كمرآب في برج المطار حتى سقطت الطائرة ، او في تنظيم المرور حتى اصطدمت السيارات ، فانه ضامن للخسائر . وكذلك الذي قصر في رعاية ابنه حتى تضرر او أضر بالآخرين . والخطأ والغفلة والنسيان والنوم وما أشبهه ، لا يعد عذراً إذا كان بسبب

الاهمال وعدم الجدية . ولعله لذلك جاء في الحديث : من اتلف مال الغير فهو له ضامن . مما يشمل العمد وغيره . والله العالم .

## ^^^ الفقه المقارن للآيات

تمهيد :

كلمة المسؤولية ؛ هي الأمتل والأبلى لاداء معنى جملة الواجبات المفروضة على الانسان ،

او التي يحس بها كل انسان تجاه نفسه والمحيط الخارجي منه .. فلو استخدمنا مثلاً كلمة الالتزام ، فان ظلال الكلمة تنحسر عن تلك الواجبات التي لا يحس الفرد بالالتزام تجاهها ، او التي لم يسبق وان التزم بها ، بل فرض عليه فرضاً من قبل القانون او الشرع او العرف او ما أشبه .(١) وكذلك كلمة التعهد او العقد الاجتماعي ، والحق الشخصي والحق العيني ، وسائر الكلمات التي استخدمها القانون ، قصرت عن أفق معنى المسؤولية . على ان تلك الكلمات - بعكس كلمة المسؤولية - لا تنطلق من حكمة الاسلام في الواجبات والحرمان ، بل تنطلق من فلسفات بشرية قاصرة . فالحكمة الالهية تبصر البشر بامانته التي تحملها في الميثاق الأول ، والتي اشفقت السموات والارض والجبال عن حملها .. وهي امانة العقل والمشية الحرة . والقدرة والعلم ، وبالتالي تلك الانوار التي ميزته عن سائر الأحياء وسائر الاشياء وجعلته مسؤولاً عن سعيه .

---

(١) يقول ريكو باوند في كتابه مدخل الى فلسفة القانون ص ٨٩ : ان لفظ الالتزام ، وهي كلمة رومانية تعني العلاقة القائمة بين طرفين ، والتي يطلق عليها الفقهاء التحليليون اسم الحق الشخصي ، وهو لفظ دخيل على القانون الأنجلو - سكسوني . فضلاً عن ذلك فان العلاقة التي تشير اليها كلمة الالتزام هذه ، ليست بالعلاقة العامة من اجل اغراض الترتيب والتصنيف . ثم ينعت تعبير " الحق الشخصي " و " الحق العيني " بانهما مضللان . وفي الأخير يقول : ولذلك فاني ساستعمل في هذا الباب كلمة المسؤولية .

وهذه البصيرة النافذة للمسؤولية واصلها الفطري ، تسع آفاقاً لا يبلغها أي قانون وضعي .

الانسان - اذاً - مسؤول امام ربه ؛ عن نفسه في مختلف الابعاد (عن هدايته وفلاحه ، عن روحه وجسده ، عن صحته وأمنه ، عن تقدمه ورفاهه ، عن عقله وعلمه ، عن حبه وبغضه و .. و ..) ، كما هو مسؤول عن أهله الاقربين (اولاده وزوجته واسرته وعشيرته) ، كذلك هو مسؤول عن المجتمع المحيط به ، الأقرب فالأقرب .

وتتسع آفاق مسؤوليته ، حتى تشمل مسؤوليته عن بقاع الأرض وهوامها ، وعن البيئة المحيطة به .. لأنه قد حمل الأمانة ، ولأنه تحملها في الميثاق ، ولأنه قد سخرت له ما في الأرض ، ولأنه سيد الكائنات المحيطة به . فكيف لا يكون مسؤولاً عنها ؟ اذاً ؛ مسؤولية الانسان تتصل بقدراته . بنعم الله عليه ، وحدودها واسعة . قال الله سبحانه : { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا \* لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (الاحزاب / ٧٢ - ٧٣) .

والتأمل في الصلة بين الآيتين يفيدنا علماً ، بان تلك الأمانة كانت حكمة عذاب المنافقين والمشركين ، وحكمة التوبة على المؤمنين . فلأن المنافقين خانوا تلك الأمانة ، وكذلك المشركون عذبوا . بينما المؤمنين صدقوا الله ما عاهدوا عليه ، فتاب عليهم (وعفا عن بعض الهنات التي ارتكبوها بعد الايمان ، او عن السيئات قبل ايمانهم) .

^^^ مقارنة قانونية :

اما القانون الوضعي الذي لم يهتد بنور الوحي ، فقد بحث فكرة المسؤولية بصورة تجزيئية ، ومن دون اساس واضح لها . وفيما يلي نستعرض بايجاز شديد تطور هذه الفكرة عبر الاجيال (١) .

الف : ففي المجتمعات البدائية ؛ ان اساس المسؤولية الاستقرار العام ، وان من يلحق ضرراً بأحد او يخالف العهد معه ، فإنه قد يتسبب في غضب الالهة ، لانهم قد يستجيبون لدعاء المظلوم وينزلون على البلاد كلها بلاء الطاعون او الصاعقة .  
(٢)

وهكذا المسؤولية تتحدد عندهم في أمرين ؛ جبران الخسارة ، والوفاء بالعهد .  
باء : وفي القانون الروماني كانت البداية لفكرة الالتزام (او ما نسميه بالمسؤولية) دعاوي الاسترداد ؛ أي استرداد شيء معين او مبلغ معين مستحق الاداء بمقتضى وعد ، ويسمى القانون الروماني على الضرر الالهانة . (٣)  
جيم : وفي مرحلة متقدمة وضع علماء القانون اساسين للالتزام ؛ احدهما الضرر الذي

يجب ان يجبر ، والثاني الوعد الذي يجب ان يوفى به . وفصلوهما عن بعضهما ، بعكس القانون البدائي والروماني الذين جمعوهما في قاعدة واحدة (٤) . (الاستقرار ؛ الدم عند البدائي ، والالهانة عند الروماني) .

دال : وأدخل القانون في فترة لاحقة حسن النية (الوجدان والضمير الحي) في فكرة المسؤولية . فأخذوا يتجاوزون حرفية النصوص الى القيم العقلانية ، التي اعتقدوا بها مقتضى القانون الطبيعي(٥) . وهكذا لم يعتبر رجال القانون القواعد

---

(١) نقتبس كل ذلك من كتاب (مدخل الى فلسفة القانون) .

(٢) المصدر / ص ٩٠ .

(٣) المصدر / ص ٩١ .

(٤) المدخل الى فلسفة القانون / ص ٩٢ .

(٥) المصدر / ص ٩٣ .

التقليدية على انها قواعد سحرية اكتشفها الاباء والاجداد ، بل نظروا اليها على انها تعبير عرفي لمبدء من مبادئ القانون الطبيعي . (١)

هاء : وفي مرحلة متقدمة تحولت النظرة الى فكرة المسؤولية ، باعتبارها واجب اخلاقي ، وكانت القاعدة عندهم " عدم الاضرار بمصالح الاخرين " او " اعطاء كل ذي حق حقه " ثم احيلت كل حالة من حالات المسؤولية الى مصدري الجرم المدني والعقد . فالمسؤولية بلا خطأ سميت بشبه الجرم ، والمسؤولية التي يفرضها حسن النية كمنع الاثراء غير المشروع سميت بالمسؤولية التعاقدية . واصبحت الفكرة المركزية في موضوع المسؤولية ، تدور حول متطلبات حسن النية بالنسبة للعمل المقصود . (٢)

باء : وفي القرن الماضي ( التاسع عشر الميلادي ) اصبحت الحرية محور فكرة المسؤولية ، حيث اعتبر القانون ككل انعكاساً لقيمة الحرية . حيث اعتقدوا ان على القانون ألا يفرض واجبات سوى تلك الضرورية لاعطاء الارادة اثرها ، او للتوفيق بين ارادة الفرد و ارادات الآخرين . وقد ارتكزت المسؤولية على اساسين هما ؛ السلوك الخاطئ ، والمعاملات القانونية . (٣) وهذان الاساسان يعتمدان بالنهاية على الارادة .

ويمكن ان تدخل كل الجرائم التي يعاقب عليها القانون ( الغصب ، الاعتداء ، السرقة والغش ) ضمن اطار الارادة ، حيث ان الفاعل قد ارتكب بارادته ما تحمل المسؤولية بها ، كذلك الذي يلحق ضرراً بآخر . ولكن هناك بعض المسؤوليات التي تفرض التعويض على الشخص ، لاتدخل في اطار الارادة ؛ مثل مسؤولية الولي عن اتلاف المولى عليه ، فالطفل والمجنون والحيوان الذي يلحق خسارة

---

(١) المصدر / ص ٩٣ .

(٢) المصدر / ص ٩٤ - ٩٥ .

(٣) المصدر / ص ٩٥ .

بأحد ، يرجع الخاسر الى الولي عنهم (١) . وهكذا قبطان السفينة او صاحب النزل (الفندق) او صاحب الاسطبل مسؤولون جميعاً عن فعل يرتكبه غيرهم . فاين موضع الارادة في هذا المجال ؟

ولكنهم قالوا ان الخطأ الذي ارتكبه امثال هؤلاء ، يتمثل في تقصيرهم في واجبهم ؛ من حفظ المولى عليهم ، او رعاية شؤون ولايتهم على السفينة ، او الاسطبل ، وما أشبه . وهكذا سميت هذه المسؤولية بالمسؤولية شبه الجرمية . ولكن بقيت المشكلة عندهم ، وهي فقدان الارادة (نية الخطأ) التي جعلوها محور المسؤولية . " مع العلم بانه لم يكن من الضروري في هذه المسؤولية اثبات الخطأ ، كما ان انتفاء الخطأ لم يكن ينفي المسؤولية " . (٢)

ولقد قبل رجال القانون المدني ، في كل مكان هذه النظرية البسيطة للمسؤولية التقصيرية ، حتى اواخر القرن التاسع عشر . وهي مازالت الى اليوم ، تعتبر النظرية الاصلية .

وقد قبل القانون الفرنسي بوجود مسؤولية بدون خطأ ؛ مثل مسؤولية ارباب العمل ، حيث لا يقبل منهم أي عذر فمسؤوليتهم مطلقة . وكذلك البناء اذا سقط بسبب عيب فيه وسبب ضرراً ، فالمالك مسؤول مسؤولية وضعية مطلقة ، ولا قيمة لادعائه بانه لم يكن يعلم بوجود عيب او ما أشبه . (٣)

وهكذا يفترض القانون (الفرنسي) في هذه الحالات وجود الخطأ ، إلا إذا اثبت المدعى عليه عكس ذلك . وحتى ذلك لم يكن كافياً عند فقهاء القانون في فرنسا ، بل تراهم يبحثون عن نظرية جديدة للمسؤولية التقصيرية . (٤)

---

(١) في الاسلام يرجع اولياء المقتول في بعض انواع الدية الى اقارب القاتل ، ويسميه الفقه الاسلامي بـ ( العاقلة ) أي الذين يفترض ان يحفظوا الشخص عن ارتكاب الجريمة .

(٢) المدخل الى فلسفة القانون / ص ٩٦ - ٩٧ .

(٣) المصدر / ص ٩٨ .

(٤) الفقه الاسلامي يعتمد قاعدة (من اتلف مال الغير فهو له ضامن)، وهو يشمل الاتلاف عن خطأ أو لا ، حيث انه بمجرد نسبة الاضرار الى الشخص يصبح ضامناً دون النظر الى ارادة الخطأ .

وهكذا رفض المؤلف " بندنج " بعد تحليل نظرية الخطأ تحليلاً شاملاً ، رفض القبول بها . وتبعه في ذلك رجال القانون في سويسرا والمانيا بشكل عام . (١) وهكذا نشهد ضعف وضمور نظرية الارادة ، ومحوريتها في المسؤولية . ورجعنا الى السؤال الأول : ماهو معيار المسؤولية اذا لم يكن الخطأ ، ولا الالتزام ، ولا الارادة الاخلاقية ؟

اقول : اذا لم تكن كل هذه المعايير كافية ، خصوصاً مع تطور الحياة المدنية ، بحيث بدء الجميع يشعرون بوجود مسؤوليات من نوع التقصير او الاهدال او ما أشبه . يقول روسكو باوند جواباً عن هذا السؤال : لننظر الى موضوع المسؤولية من زاوية اخرى . فبدلاً من الانطلاق من فكرة الارادة الحرة ، لننطلق من الحاجات والمطالب التي نراها في المجتمع المتحضر (٢) .

وبعد ان يفسر نظريته بان قواعد الاستقرار في المجتمع المدني تستدعي فرض نوع خاص من السلوك على كل فرد ، ليضمن الاخرون في حياتهم ، يقول : ثم اننا نفترض افتراضاً مماثلاً عندما نقول : بانه يجب في المجتمع المتحضر ان يكون في مقدور الناس الافتراض بان الاخرين سيتصرفون بالعناية المطلوبة (أي العناية التي يتطلبها الفهم الاعتيادي ، والحس الخلفي للمجموع) ، بحيث لا يعرضونهم لخطر غير معقول من الضرر (٣) .

وبعد شرح مفصل حول هذه النظرية ، ومناقشة النظرية الارادية ؛ بعدئذ يقول : فالامور

الاساسية ليست الجرم والعقد ، بل الافتراضات المشروعة التي لها ما يبررها والتي يفترضها الناس بالنسبة للطريقة التي سيتصرف وفقها الاخرون في مجتمع متحضر وفي حالات عديدة مختلفة . (٤)

---

(١) المدخل الى فلسفة القانون / ص ٩٩ .

(٢) المصدر / ص ١٠٢ .

(٣) المصدر / ص ١٠٣ .

(٤) المدخل الى فلسفة القانون / ص ١٠٦ .

ويضيف قائلاً : اضحت الطريقة التي يعمل بها الانسان تهدد الاستقرار العام ، بقدر ما يهدده العمل الذي يقوم به . وعليه يصبح الاهمال مصدراً للخطر على الاستقرار العام ، اشد خطراً واكثر شيوعاً من العدوان نفسه . (١)

### بصائر من الوحي :

ومن خلال التأمل في بصائر الوحي ، نستلهم عدة حقائق نستعرضها تباعاً :  
١/ قاعدة المسؤولية ؛ امانة الله التي احتملها البشر ، وهي نعم الله التي خولها اليه ، وفي مقدمتها نعمة المشيئة والعقل وما سخر به الكائنات .

٢/ في حدود نعم الله على الانسان ، تتسع مسؤولياته . فالمسؤولية تكبر وتتسع بقدر وسع البشر ، وقد قال سبحانه : { لِيُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا } (الطلاق / ٧) . (٢)

٣/ والمسؤولية الشاملة التي أمام الله سبحانه ، هي مسؤولية اخلاقية . وقد سبق عنها الحديث أنفاً ، عند تفسير آياتها المباركة . ولكن هذه المسؤولية قد تتحدد ضمن قواعد وتشريعات (قانونية) ، وهي التي نتحدث عنها .

٤/ تجاوز حق الاخرين هو الظلم ، والظلم مرفوض ، ويجب دفعه ورفع .  
٥/ والحق هو الواجب على الانسان تجاه غيره ، والواجبات الاجتماعية هي بايجاز اهداف التشريع وقيمه . فالحرمة (الاستقرار) والقسط (العدالة) والخير (التعالي والتقدم) ،

هي الاهداف السامية للمجتمع الاسلامي (٣) ، وتحقيقها من واجب كل فرد . ولكل انسان

(١) المصدر .

(٢) في الجزء الثاني من هذه الموسوعة شرح واف للمسؤولية وحدودها .

(٣) راجع الجزء الثالث من هذه الموسوعة (التشريع الاسلامي)، ص ٣١٦ - ٣٢٣ .

حرمته ( أمنه ) وقسطه ( نصيبه العادل ) و ( خيره ) ، وعلى كل فرد رعاية هذه القيم بالنسبة الى جميع ابناء المجتمع . واذا لم يؤد واجبه هذا فقد ظلم ، والظالم يعاقب عقاباً جسدياً او مالياً او معنوياً .. وقد سبق في الحديث المأثور : " كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته " .

وعندما نتلو آيات المسؤولية في سورة الاسراء ، نجد تذكرة بأهم حقوق الناس الى بعضهم ( الآيات ٢٣ - ٣٩ ) .

حق الله ، وحق الوالدين ، وحقوق الاقارب ، وحق المجتمع ( حرمة الاسراف ) ، وحرمة الزنا ( أمن العائلة ) ، وحرمة النفس ( أمن الفرد ) ، وحرمة مال اليتيم ( احترام الملكية ) ، واحترام العهد ( احترام الالتزام ) ، وايفاء الكيل والوزن بالقسط ( العدالة ) ، وحرمة العرض ( احترام الشخصية ) ، وعدم التعالي على الآخرين ( احترام الناس ) .

٦/ وضمن هذه القاعدة الثابتة والشاملة ، تدخل ما سبق الحديث عنها من قواعد المسؤولية . فالجرم ( الخطأ العمدي ) من اظهر مصاديق الظلم ، والالتزام ( العهد ) من اسباب المسؤولية ، وكذلك الاهمال والتقصير ؛ ( مثل تقصير الولي في حفظ الصغير ) . ويدخل ضمن الاهمال ما يثبتته القانون اليوم ، من مسؤولية القبطان والحارس وولي الطفل وصاحب الحيوان ومالك الفندق وما أشبه ..

٧/ وتتسع هذه القاعدة لتشمل ما اثبتته القانون بصورة جزئية او لم يثبتته ، وهو مايلي :

ألف : جعلت التشريعات الحديثة رب العمل مسؤولاً عن الاضرار الناجمة عن الطوارئ ، التي تصيب العمال اثناء العمل ، دون وجود خطأ ما . وذلك التشريع يهدف الضغط على رب العمل ليبيذل ما في وسعه من عناية لمنع حدوث اصابات . والهدف النهائي من ذلك ، المحافظة على الاستقرار والسلامة الهامين (١) ؛ أي تحقيق امن العاملين .

---

(١) المدخل الى فلسفة القانون / ص ١١٤ .

باء : وللمحافظة على الاستقرار والأمن ، وبالتالي لتحقيق العدالة الاجتماعية ، ولإقامة دولة التقدم والرفي ، أصبحت الدولة ( ومن خلالها كل فرد فرد من ابناء المجتمع الذين تمثلهم الدولة ) مسؤولة عن حماية الافراد وتوفير الأمن لهم بكل أبعاده ، وتوفير مستوى لائق من الحياة لهم (القسط) .

يقول باوند : أصبح الاستقرار يشمل حماية المرء من خطأه ، ومن عدم تبصره ، ومن حظه السيء ، وحتى من عيوبه المسلكية . (١) ويضيف : الفكرة الانسانية الحديثة تتطلب تعويض كل خسارة تصيب الشخص ، بصرف النظر عن كيفية او سبب حدوثها . ويبدو ان المجتمع الحديث يفترض ان لكل شخص الحق في ان يحيا حياة اقتصادية واجتماعية كاملة ، وعلى الدولة ان تحقق هذه التوقعات . (٢) وهكذا نجد ان المسؤولية الاجتماعية تجاوزت حدود الاضرار ، او الالتزام الى افق تحقيق قيم الأمن والقسط والخير . فمن حرم نصيبه من هذه القيم ، فقد ظلم ، وعلى المجتمع رفع هذا الظلم .

وفي آيات سورة الاسراء التي استوحينا منها هذه القاعدة ؛ قرأنا أمراً إلهياً بالاحسان والانفاق ، ونهياً صريحاً عن الاسراف . وهذا هو التكافل الاجتماعي ، من اجل اقامة مجتمع الأمن والعدل والخير .

جيم : ومن ذلك ، واجب المسارعة الى مساعدة المنكوبين . فاذا ضرب الزلزال بلداً او اجتاحته السيول او الاوبئة او ما أشبه .. فان على الجميع ان يتحملوا مسؤوليتهم في مساعدتهم ، وانقاذ من تبقى منهم .

يقول باوند : ففي حالة جدية بالاهتمام تقدم فيها القانون تقدماً كبيراً في جميع انحاء العالم ؛ تم نقل العبا من الشخص المتضرر ، الذي يؤدي به سوء طالعته الى تحمل الاصابة ، الى الجمهور كافة . (٣)

---

(١) المدخل الى فلسفة القانون / ص ١١٥ .

(٢) المصدر .

(٣) المصدر / ص ١١٦ .

دال : للحفاظ على امن الناس وسلامتهم ، تفرض الدولة جملة قوانين على منتجي العقاقير الصحية او الأطعمة المختلفة او صانعي الادوات الكهربائية او العاملين في حقل تمديدات النفط والغاز والكهرباء او حتى على شركات الحمل والنقل وما أشبه . وما ذلك إلا لان الضرر الذي قد يلحق بالناس بسبب ضعف الرقابة ، يهدد سلامة الناس . والسلامة هدف من اهداف القانون ، وقيمة من قيم الشريعة ، ولذلك فان القانون يفرض على المسؤولين عن هذه الأمور تحمل عبأ الضرر ، بالرغم من عدم تقصيرهم او تعهدهم او خطأهم ، بل لمجرد تحقيق الأمن والسلامة في المجتمع .

هاء : والعقد الذي يتم بين طرفين ، والعهد الذي قد يتم من طرف واحد ( ويلحق به النذر واليمين ) يتبع ارادة من يمارسه . ولكن ليس بصورة مطلقة ، لان الفرد يعيش في مجتمع ولا يمكنه ان يمارس حقه بصورة منفصلة عن المجموع . لذلك يضع القانون كما سنت الشريعة من قبل المزيد من الانظمة والاحكام المقيدة لارادة المتعهد والعاقد ، هدفها تحقيق القيم المثلى من الأمن والقسط والخير . فالاسلام نهى عن بيع الضرر والربا ، كما اشترط في النذر الرجحان . وهكذا القانون يضع مئات الحدود للعقود ، كلها بهدف تحقيق المسؤولية الشاملة .

واو : ما لم يذكره القانون إلا قليلاً ؛ مسؤولية الانسان عن حياة الاخرين ؛ مسؤولية تفرض عليه القيام بعمل معين من أجلها لو تعرضت لخطر . فلو قصر ضمن ، للاهمال الذي يعتبره القانون سبباً ثابتاً للمسؤولية . والأمثلة كثيرة ؛ فمن بصر بغريق وكان بإمكانه انقاذه من دون خوف منه او حرج عليه فلم يفعل حتى مات ، او الطبيب الذي كان بإمكانه انقاذ حياة مريض فلم ينقذه حتى قضا نحبه ، وهكذا عابر السبيل لو ترك الجريح دون ان يحمله الى المستشفى فمات .. أوليس هؤلاء مسؤولين بسبب التقصير في مهامهم الشرعية والعقلية ؟

واخطر من ذلك ، من عرف بوجود مؤامرة على سلامة البلد وأمنه ، فلم يخبر الجهات المسؤولة ، ولم يقوم بدوره في افشالها ، أوليس مسؤولاً ؟

ومن أوتي علماً ينفع الناس ، أو ينقذهم من امراض فتاكة او أخطار كبيرة ، أفلا يكون مسؤولاً عن هداية الناس اليه ؟

وكلمة أخيرة : لقد هبط الروح الأمين على الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ليبشر العالم بحياة طيبة . ونجد تفصيل القول في هذه الحياة ، في الكتاب والسنة على صورة قيم وقواعد وشرائع . والقيم والقواعد هي الاصول ، والشرائع هي الفروع . ونحن قد تمسكنا ببعض الشرائع ، ونسينا القيم والقواعد إلا حظاً بسيطاً منها . وسميناها تعاليم اخلاقية ، وكأنها مثل عليا تخص الرجال المخلصين وحدهم ، وليست لها قيمة اجرائية عملية .

واليوم وحيث تتقدم البشرية باتجاه المثل العليا للاسلام ، وتسند الدول المزيد من التشريعات القانونية لتطبيقها ؛ مثل قوانين تنظيم العلاقات الاسرية ، واخرى للعقود والمعاملات ، وايضاً قواعد السلوك المدني ، وبالتالي قوانين حقوق الانسان والبيئة وما أشبه .. اقول : في هذا العصر يجدر بنا ان نضيق الفجوة غير المبررة بين القيم والقواعد التي نزل بها الوحي ، وبين الاحكام الشرعية . فعلياً ان نستوحي المزيد من الاحكام الفقهية من تلك القيم ؛ مثلاً جاء في الحديث الشريف : " من اتلف مال الغير فهو له ضامن " ، ومن هذا الحديث استوحي الفقه جملة احكام (قوانين) . ولكن الحديث الشريف الآخر الذي يقول : " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته " ، هو الآخر حديث مأثور عن النبي صلى الله عليه وآله ، فلماذا لا نستوحي منه قوانين للتكافل الاجتماعي ؟ فذاك حديث وهذا حديث ، ولكل منهما قيمة تشريعية .

وكذلك استفدنا من الحديث الشريف : " لا ضرر ولا ضرار " مجموعة من الاحكام في نفي الاضرار بالناس ، وفي تحديد الاحكام والمعاملات بحدود الضرر البالغ . ولكن لم نستفد من قول الامام علي عليه السلام : " اتقوا الله في عباده وبلاده ، فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم " ما ينفعنا في تنظيم علاقاتنا

بالبيئة ، وفي منع الاسراف في الطاقة التي تستنزف موارد البشر ، ومنع تلويث الجو ، وردع افساد الغابات ، وصيد الحيوانات النادرة ، وما أشبه .  
بلى ؛ تبقى التعاليم الاخلاقية أوسع أفقاً من التشريعات (القانونية او الفقهية) ،  
حيث لايمكن ان نحول كل التعاليم الى احكام . ولكننا وبسبب تقدم وسائل العصر ،  
وتقدم البشرية في افاق العلم والتربية ، وايضاً تزايد الحاجة الى ضبط الأمور ؛  
بسبب كل ذلك ترانا بحاجة الى استنباط المزيد من الاحكام الفقهية من المصادر  
الغنية للدين ، التي لم تدع جانباً من رحاب الحياة إلا واضاءته بنور الوحي .  
والحمد لله .

## ^^^ في رحاب الأحاديث

- ١/ جاء في رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام ، في قوله تعالى : {  
وكل انسان أزمانه طائره في عنقه } يقول : "خيرهُ وشره معه حيث كان ،  
لايستطيع فراقهُ حتى يعطى كتابه يوم القيامة بما عمل " . (١)
- ٢/ وروي عن الامام الصادق عليه السلام في تفسير الآية { وكل انسان أزمانه  
طائره في عنقه } قال : " قدره الذي قدر عليه " . (٢)
- ٣/ وروي عن الامام الصادق عليه السلام ، في قول الله تعالى : { اقرء كتابك  
كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً } قال : " يذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه ،  
حتى كأنه فعله تلك الساعة " . (٣)
- ٤/ قال الامام علي بن الحسين عليهما السلام : " ليس لك ان تتكلم بما شئت ،  
لان الله عز وجل يقول : { ولا تقف ما ليس لك به علم } ، ولان رسول الله صلى  
الله عليه وآله قال : رحم الله عبداً قال خيراً فغنم ، او صمت فسلم . وليس لك ان

(١) تفسير نور الثقلين / ج ٣ / ص ١٤٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

تسمع ما شئت ، لان الله عز وجل يقول : { ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً } . (١)

٥/ وفي خطبة له يصف فيها هول يوم القيامة ، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : " ختم على الأفواه فلا تكلم ، وتكلمت الأيدي وشهدت الارجل ونطقت الجلود بما عملوا ، فلا يكتمون الله حديثاً " . (٢)

٦/ روي عن النبي صلى الله عليه وآله ، أنه قال في تفسير قوله عز وجل : " { وقفوههم انهم مسؤولون } انه لا يجاوز قدما عبد حتى يسأل عن أربع ؛ عن شبابه فيما أبلاه ، وعمره فيما أفناه ، وعن ماله من أين جمعه وفيما أنفقه ، وعن حينا أهل البيت " . (٣)

٧/ قال الامام علي بن أبي طالب عليه السلام : " اوصيكم بتقوى الله فيما أنتم عنه مسؤولون واليه تصيرون ، فان الله تعالى يقول : { كل نفس بما كسبت رهينة } ، ويقول : { ويحذركم الله نفسه واليه المصير } ، ويقول فوربك لنسئلنهم عن الصغير من عملكم والكبير ... " (٤)

٨/ في الدعاء بعد صلاة يوم الغدير ، قال الامام الصادق عليه السلام : يا صادق الوعد ، يا من لا يخلف الميعاد ، يا من هو كل يوم في شأن ، ان انعمت علينا بموالاته اوليائك المسئول عنها عبادك ، فانك قلت وقولك الحق : { ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم } ، وقلت : { وقفوههم انهم مسؤولون } . (٥)

٩/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " ان الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه ، أحفظ ذلك أم ضيعه ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته " . (٦)

(١) المصدر / ص ١٦٥ .

(٢) المصدر / ج ٤ / ص ٣٩١ .

(٣) تفسير نور الثقلين / ج ٤ / ص ٤٠٢ .

(٤) ميزان الحكمة / ج ٤ / ص ٣٢٦ - عن أمالي المفيد ص ١٥٢ .

(٥) تفسير نور الثقلين / ج ٤ / ص ٤٠٣ .

(٦) ميزان الحكمة / ج ٤ / ص ٣٢٧ - عن كنز العمال / خ ١٤٦٣٦ / خ ١٤٦٣٧ .

١٠ / قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : " كل امرئ مسئول عما ملكت يمينه  
وعياله ". (١)

١١ / عن أبي عبد الله عليه السلام قال : " قال الخضر لموسى عليه السلام : يا  
موسى ان أصلح يوميك الذي هو أمامك . فانظر أي يوم هو ، وأعد له الجواب ،  
فانك موقوف ومسؤول . وخذ موعظتك من الدهر ، فان الدهر طويل قصير .  
فاعمل كأنك ترى ثواب عملك ، ليكون اطمع لك في الآخرة . فانما هو آت من  
الدنيا ، كما قد ولى منها ". (٢)

١٢ / قال الامام علي بن الحسين عليه السلام في رسالته المعروفة برسالة  
الحقوق : "... وأما حق ولدك فتعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره  
وشره ، وانك مسؤول عما وليته من حسن الأدب والدلالة على ربّه والمعونة له  
على طاعته فيك وفي نفسه ، فمثاب على ذلك ومعاقب . فاعمل في أمره عمل  
المتزيّن بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا المعدّر الى ربه فيما بينك وبينه بحسن  
القيام عليه والأخذ له منه ، ولا قوة إلا بالله ". (٣)

١٣ / من مواعظ النبي صلى الله عليه وآله لابن مسعود ، قال : يابن مسعود ؛ لا  
تتكلم إلا بالعلم بشيء سمعته ورأيتّه ، فان الله تعالى يقول : { ولا تقف ما ليس لك  
به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً } وقال : { ستكتب  
شهادتهم ويسئلون } ... (٤)

١٤ / من مواعظ الامام علي بن الحسين عليهما السلام الى محمد بن مسلم  
الزهري ، انه قال : " فانظر لنفسك ، فانه لا ينظر لها غيرك ، وحاسبها حساب  
رجل مسؤول ". (٥)

(١) المصدر عن غرر الحكم .

(٢) الاصول من الكافي / ج ٢ / ص ٤٥٩ باب محاسبة العمل .

(٣) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ١٥ / ح ٢ .

(٤) المصدر / ج ٧٤ / ص ١٠٥ / باب مواعظ النبي لابن مسعود .

(٥) المصدر / ج ٧٥ / ص ١٣٢ / ح ٢ .

١٥ / قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " كل نعيم مسؤول عنه يوم القيامة ،  
إلا ما كان في سبيل الله تعالى " . (١)

١٦ / وجاء في عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام الى حذيفة بن اليمان : "   
وإني أمرت بتقوى الله وطاعته في السر والعلانية ، فاحذر عقابه في المغيب  
والمشهد . واتقدم إليك بالاحسان الى المحسن ، والشدة على المعاند ، وأمرت  
بالرفق في أمورك ، واللين والعدل في رعيته ، فانك مسؤول عن ذلك " . (٢)  
١٧ / عن الثمالي قال : كان علي بن الحسين عليه السلام يقول : " ابن آدم ؛

لاتزال

بخير ما كان لك واعظ من نفسك ، وما كانت المحاسبة من همك ، وما كان الخوف  
لك شعراً ، والحزن لك دثاراً . ابن آدم ؛ إنك ميت ومبعوث ، وموقوف بين يدي  
الله عز وجل ، ومسؤول فأعدّ جواباً " . (٣)

١٨ / روي عن الامام ابو جعفر الباقر عليه السلام ، انه قال : " يا ابا النعمان ؛  
لا تحققن علينا كذباً ، فتسلب الحنيفية . يا ابا النعمان ؛ لا تستأكل بنا الناس ، فلا  
يزيدك الله بذلك إلا فقراً . يا ابا النعمان ؛ لا ترأس فتكون ذنباً . يا ابا النعمان ؛ انك  
موقوف ومسؤول لا محالة ، فان صدقت صدقتك ، وان كذبت كذبتك . يا ابا  
النعمان ؛ لا يغرك الناس عن نفسك ، فان الأمر يصل إليك دونهم . ولا تقطعن  
نهارك بكذا وكذا ، فان معك من يحفظ عليك . وأحسن ، فلم أر شيئاً أسرع دركاً  
ولا أشد طلباً من حسنة لذنب قديم " . (٤)

١٩ / روي عن الامام الصادق عليه السلام ، انه قال : " البنات حسنات والبنون  
نعم . والحسنات يثاب عليها ، والنعم مسؤول عنها " . (٥)

(١) المصدر / ج ٧ / ص ٢٦١ / ح ١٠ .

(٢) المصدر / ج ٢٨ / ص ٨٨ / ح ٣ .

(٣) بحار الأنوار / ج ٦٧ / ص ٦٤ / ح ٥ .

(٤) المصدر / ج ٧٥ / ص ١٨٤ / ح ١١ .

(٥) المصدر / ج ٧٥ / ص ٢٠٦ / ح ٥٩ .

٢٠/ روي عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام ، انه قال : " أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلا به ، وأوجب العمل عليك ما أنت مسؤول عن العمل به ، وألزم العلم لك ما ذلك على صلاح قلبك ، وأظهر لك فساده . وأحمد العلم عاقبة ما زاد في علمك العاجل . فلا تشتغلن بعلم ما لا يضرك جهله ، ولا تغفلن عن علم ما يزيد في جهلك تركه " . (١)

٢١/ روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، انه قال : " كل نعيم مسؤول عنه صاحبه ، إلا ما كان في غزو او حج " . (٢)

٢٢/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " ان الله تعالى اذا بعث الخلائق يوم القيامة ،

نادى منادي ربنا نداء تعريف الخلائق في ايمانهم وكفرهم .... ثم يقول المنادي : اشهد ان محمداً رسول الله . فيقولها المسلمون أجمعون ، ويخرس عنها اليهود والنصارى وسائر المشركين . ثم يناد مناد آخر من عرصات القيامة : ألا فسوقوهم الى الجنة لشهادتهم لمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة . فاذا النداء من قبل الله عز وجل : لا ؛ بل قفوهم انهم مسؤولون . يقول الملائكة الذين قالوا سوقوهم الى الجنة لشهادتهم لمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة : لما يقفون يا ربنا؟! فاذا النداء من قبل الله : قفوهم انهم مسؤولون عن ولاية علي بن أبي طالب وآل محمد ... فمن جاء بها فهو من الفائزين ، ومن لم يأت بها فهو من الهالكين ... " . (٣)

٢٣/ روي عن الامام ابي جعفر عليه السلام ، انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " يا معاشر قرآء القرآن ؛ اتقوا الله عز وجل فيما حملكم من كتابه . فاني مسؤول ، وانكم مسؤولون . اني مسؤول عن تبليغي ، وأما انتم فتسألون عما حملتم من كتاب ربي وسنتي " . (٤)

(١) المصدر / ج ٧٥ / ص ٣٣٣ / ح ٩ .

(٢) المصدر / ج ٩٦ / ص ١٥ / ح ٤٩ .

(٣) بحار الأنوار / ج ٧ / ص ١٨٦ / ح ٤٦ .

(٤) المصدر / ج ٧ / ص ٢٨٣ / ح ٨ .

٢٤ / روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله عندما رجع من حجة الوداع ، انه قال : " انه نبأني اللطيف الخبير اني ميت وانكم ميتون ، وكأني قد دعيت فأجبت ، واني مسؤول عما أرسلت به اليكم ، واما خلقت فيكم من كتاب الله وحجته ، وانكم مسؤولون . فما أنتم قائلون لربكم ؟" (١) .

## ^^ النهي عن المنكر

القيم سور الأمة ، فإذا تلم انهارت الأمة ، والمؤمنون يدافعون عن هذه السور بكل وسيلة . والنهي عن المنكر واحدة من أقرب الوسائل . والله سبحانه قد نهى عن الفحشاء والمنكر . والرسول اتبع الوحي في النهي عن المنكر ، والمؤمنون اتبعوا الرسول في ذلك ، وكانت الأمة الاسلامية خير أمة أخرجت للناس لانها كانت تدعو الى الخير وتأمروا بالمعروف وتنهى عن المنكر . ومن بين ابناء الأمة طائفة هي الأكثر إهتماماً بهذه الفريضة ؛ وهي طائفة الربانيين والأخبار (الفقهاء) والمجاهدين الذين يتحملون هذه الرسالة الإلهية ، فهم الأمرون بالمعروف والناهون

---

(١) المصدر / ج ٣٧ / ص ١٢١ / ح ١٥ .

عن المنكر ، وهم الذين يهدفون اقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
لدى تمكنهم في الأرض .

أبعاد المعنى :

أولاً : النهي .

بالرغم من ان لفظة النهي تدل على النهي القولي ، إلا ان هناك بعض الأدلة التي  
تهدينا الى ان التغيير باليد ايضاً نوع من النهي عن المنكر . فالصلاة تنهى عن  
الفحشاء والمنكر . ولاريب ان الصلاة لا تنهى بالقول ، وإنما اثرها هو المنع عن  
المنكر . وفي الحديث المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله : "من رأى منكم منكراً  
فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، ليس وراء ذلك شيء  
من الإيمان" وفي رواية : "ان ذلك اضعف الايمان". (١)

وإذا كان الردع عن المنكر بازالة اسبابه من النهي عن المنكر ، فإن تحطيم  
الأصنام ، وسد ابواب البارات ومراكز الفحشاء ، ومنع كتب الضلال.. كل ذلك  
يعتبر من النهي عن المنكر. ولعل ذلك هو المراد من قوله سبحانه : { الَّذِينَ إِنْ  
مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ  
الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } (الحج/٤١).

فإن الذي يتوقف على التمكن في الأرض ، والوصول الى السلطة وامتلاك القوة  
السياسية ، ليس مجرد النهي القولي عن المنكر ، فإنه يتسنى للمؤمن قبل التمكن في  
الأرض ايضاً. وإنما هو ازالة المنكر بالقوة ، فإنه لا يمكن إلا بعد التمكن في  
الأرض .

وهذا ما نستوحيه من الأحاديث التي وردت في انكار المنكر بالقلب أو باليد ، أو  
باطهار الغضب أو بالقيام من عند فاعله والتباعد منه . وسوف نقرأ معاً طائفة من  
هذه النصوص باذن الله تعالى .

(١) مستدرك الوسائل / ج ١٢ / ص ١٩٢ .

٨٨٨٨ ثانياً : المنكر .

١/ اصل الانكار الجهل وعدم المعرفة ، حيث يقول سبحانه : { وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَآيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ } (غافر / ٨١) .

٢/ وقال سبحانه : { إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا قَوْمٌ مُنْكَرُونَ } (الذاريات / ٢٥) .

٣/ ولكن يستخدم هذا اللفظ في التجاهل ايضاً، حيث قال سبحانه : { يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ } (النحل / ٨٣) .

فالانكار هنا تسبقه المعرفة ، مما يدل على أنه نوع من الجحود .

٤/ ولعل منه العذاب النكر، الذي يقول عنه سبحانه : { وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكَرًا } (الطلاق / ٨) .

٥/ وهكذا المنكر يكون الفعل الذي لا تقبله فطرة البشر ، ويرفضه العقلاء من الناس ؛

ومنه القتل الذي تأباه الفطرة . قال الله سبحانه : { فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقتَلَهُ قَالَ أَقتَلتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغيرِ نَفْسٍ لَقَدِ جئتَ شَيْئًا نُكْرًا } (الكهف / ٧٤) .

٦/ ومنه الشذوذ الجنسي، الذي كان يمارسه قوم لوط . فقال سبحانه : { أَعنَّكُمْ لتأتونَ الرِّجالَ وتقطعونَ السَّبيلَ وتأتونَ في ناديتكم المُنكرَ فما كان جوابَ قومِهِ إلاَّ أن قالوا انننا بِعذابِ اللَّهِ إن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقيْنَ } (العنكبوت / ٢٩) .

٧/ وقول الزور ( وان يدعي الشخص ان ظهر زوجته عليه كظهر أمه ) . قال الله سبحانه : { الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ } (المجادلة / ٢) .

ومن المنكر قول الإثم وأكل السحت، كما نقره في آية كريمة: { لَوْلَا يَنْهَاهُمْ  
الرَّبَّائِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَنِ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ }  
(المائدة / ٦٣) .

^^ من القيم الإيمانية :

من التجليات الكبرى لروح الإيمان بالله ، والتسليم للرسالة ، النهي عن المنكر .  
لأن به يتصدى المسلم لمسؤوليته الاجتماعية .

١/ والله سبحانه هو الذي نهى عن المنكر . قال الله سبحانه : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ  
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانَ وَإِيتَاءَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ  
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (النحل / ٩٠) .

وهذه خلاصة رسالة الله، المنزلة على قلب الرسول صلى الله عليه وآله. والعدل  
(بمعناه الأعم ) إعطاء كل شيء حقه ، بينما الفحشاء (بالمعنى الواسع) تجاوز الحد  
في كل شيء . اما الاحسان فهو الانفاق واسداء المعروف الى الاخرين ، بينما  
المنكر هو بخس الناس اشياءهم بالغش والربا والفحش وما أشبه .. وابتاء ذي  
القربى أوضح معاني الإحسان بينما البغي افحش انواع المنكر . والله العالم .

٢/ ولان عقلاء البشر يجدون في رسالات الله هذه المعاني السامية، التي يتقبلها  
وجدانهم ، وتستريح اليها فطرة عقولهم . فهم يستدلون بذلك على انها من عند الله ،  
وكذلك فيما يتصل بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حيث يقول سبحانه : {  
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ  
وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ  
الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ  
وَعَزَّوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (الاعراف  
/ ١٥٧) .

فهذه هي رسالة الله الى البشرية؛ انها رسالة الخير والرحمة. فعطرها الفواح يدعو أصحاب الفطرة السليمة اليها ، فيسارعون الى الايمان بها . وكان الرسول صلى الله عليه وآله يقرن الدعوة بالعمل . فهو ينكر المنكر بكل وسيلة ممكنة . ففي حديث شمائل النبي صلى الله عليه وآله : " له عرق يدره الغضب - الى ان قال - فاذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد ، ولم يقم لغضبه شيء ، حتى ينتصر له .. " (١) .

٣/ وعند ايمان الصالحين بالرسالة ، تولد الأمة الاسلامية، التي هي خير امة اخرجت للناس . قال الله سبحانه : { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ } (آل عمران / ١١٠) .

٤/ وظليعة هذه الأمة ؛ هم الفقهاء (الربانيون والأخبار) والمجاهدون. فهم الطائفة الأكثر اهتماماً بفريضة النهي عن المنكر، والتي يقول عنها سبحانه : { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } ( آل عمران/١٠٤) .

وقد جاء في حديث شريف عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال : سئل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو اجب هو على الأمة جميعاً ؟ قال: "لا". قيل : ولم ؟ قال : "وانما هو على القوي المطاع ، العالم بالمعروف من المنكر. لا على الضعفة الذين لا يهتدون سبيلاً الى أي من أي ، يقول من الحق، أم من الباطل. والدليل على ذلك ( من ) (٢) كتاب الله ، قول الله { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } فهذا خاص غير عام ، كما قال الله تعالى : { وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ } ولم يقل : على

(١) مستدرک الوسائل / ج ١٢ / ص ١٩٧ .

(٢) ليست في المصدر .

أمة موسى ، ولا على ( قوم ) ( ١ ) ، وهم يومئذ أمة مختلفة ، والأمة واحد فصاعداً ، كما قال عز وجل { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ } يقول : مطيعاً لله ، وليس على من يعلم ذلك في الهدنة من حرج ، اذا كان لا قوة له ولا عدد ولا طاعة " .  
( ٢ )

٥/ وهذه الطليعة هي التي تحافظ على وحدة الأمة ، وعلى نضارة القيم المثلى فيها ، حتى ولو قل الاهتمام بها من لدن الأغلبية، ويكون حالها حال أولي البقية في الأمم السابقة؛ مثلاً في بني اسرائيل، حيث يقول سبحانه عنهم : { لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِمَةٌ يَنْتَوْنَ عَآيَاتِ اللَّهِ عَآنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ \* يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ } ( آل عمران / ١١٣-١١٤ ) .

٦/ ومثلهم الذين قال عنهم ربنا سبحانه : { فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ } ( هود / ١١٦ ) .

٧/ وهؤلاء هم المجاهدون في الأمة المرحومة، الذين نذروا انفسهم لله سبحانه ، فقال عنهم تعالى : { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآنَ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَاً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } ( التوبة / ١١١ - ١١٢ ) .

٨/ وهذا الهدف الأسمى للمجاهدين يحققونه - بأجلى صورته - عندما يمكنهم الله

في

(١) في المصدر : " كل قومه " .

(٢) مستدرك الوسائل / ج ١٢ / ص ١٨٧ .

الأرض ، فيقول سبحانه : { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَاءَتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } (الحج / ٤١) .  
وهكذا جاء في بعض الأحاديث، أن الناهي عن المنكر والأمر بالمعروف هو خليفة الله ورسوله . منها ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: "من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، فهو خليفة الله في الأرض، وخليفة رسوله". (١)  
٩/ والنهي عن المنكر كما الأمر بالمعروف ، هما محور العلاقة بين ابناء الأمة ، وهما - بالتالي- رمز الولاية الإلهية. قال الله سبحانه : { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (التوبة / ٧١) .

١٠/ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الأمور (الذي يحتاج الى ارادة صلبة ، وعزم راسخ). قال الله سبحانه : { يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } (لقمان / ١٧) .

#### ^^^ترك التناهي :

١/ وترك التناهي من الصفات السيئة، التي تجعل الساكيتين عن المنكر يشتركون في جزاء مرتكبيه . قال الله سبحانه : { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَنِي سَامِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } (الأعراف / ١٦٥) .

وروي عن الحسن بن علي بن شعبة في تحف العقول؛ في مواظب المسيح عليه السلام، قال: قال: "بحق أقول لكم؛ ان الحريق ليقع في البيت الواحد ، فلا يزال ينتقل من بيت الى بيت حتى تحترق بيوت كثيرة ، إلا ان يستدرك البيت الأول ، فيهدم من قواعده، فلا تجد فيه النار معملاً. وكذلك الظالم الأول ، لم يؤخذ على يديه

(١) مستدرك الوسائل / ج ١٢ / ص ١٧٩ .

، لم يوجد من بعده إمام ظالم فيأتون به ، كما لو لم تجد النار في البيت الأول خشباً وألواحاً لم تحرق شيئاً .

بحق أقول لكم ؛ من نظر الى الحية تؤمّ اخاه لتلدغه ولم يحذره حتى قتلته ، فلا يأمن

أن يكون قد شرك في دمه ، وكذلك من نظر الى أخيه يعمل الخطيئة ولم يحذره عاقبتها حتى أحاطت به ، فلا يأمن أن يكون قد شرك في ائمه .

ومن قدر على ان يغير الظلم ثم لم يغيره فهو كفاعله ، وكيف يهاب الظالم وقد أمن بين أظهركم؟! لا يُنهى ، ولا يُغير عليه ، ولا يؤخذ على يديه ، فمن أين يقصر الظالمون ؟ أم كيف لا يغترون ؟ فحسب أحدكم أن يقول لا أظلم .

ومن شاء فليظلم، ويرى الظلم فلا يغيره. فلو كان الأمر على ما تقولون، لم تعاقبوا مع الظالمين الذين لم تعملوا بأعمالهم حين تنزل بهم العثر (١) في الدنيا ". (٢)

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال: "من يشفع شفاعة حسنة ، أو يأمر بمعروف ، أو ينهى عن منكر ، أو دلّ على خير، أو أشار به، فهو شريك. ومن أمر بشرّ أو دلّ عليه أو أشار به، فهو شريك". (٣)

وروي عن أبي جعفر عليه السلام، أنه قال: "من مشى الى سلطان جائر فأمره بتقوى الله ووعظه وخوّفه ، كان له مثل أجر الثقلين من الجن والأنس، ومثل اجورهم". (٤)

٢/ فالذين انجاهم الله هم وحدهم الناهين عن السوء، أما الآخرون فقد شملهم البلاء. وكذلك قرأنا مثل ذلك في سورة هود، حيث قال سبحانه : { فَلَوْلَا كَانَ مِنَ

(١) في المصدر العثرة .

(٢) مستدرک الوسائل / ج ١٢ / ص ١٨٤ .

(٣) المصدر / ص ١٧٨ .

(٤) المصدر .

الْفُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ } (هود / ١١٦) .

فالذين انجاهم الله، هم الذين نهوا عن الفساد في الأرض .

٣/ اما اليهود الذين لم يتناهوا عن المنكر ، فقد انكر عليهم القرآن ، لأنهم بسما فعلوا . قال الله تعالى : { كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } (المائدة / ٧٩) .

٤/ اما سكوت الربانيين والاحبار عن فريضة النهي عن المنكر، فقد كان سيئاً . قال تعالى : { لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَنِ قَوْلِهِمْ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } ( المائدة / ٦٣) .

ومن هذه الآية نستفيد؛ ان سكوت العلماء أسوء من سكوت غيرهم ، وان فريضة النهي عن المنكر أكد عليهم من غيرهم .

^^^ النهي عن المعروف :

١/ وتنعكس الآية عند المنافقين، فهم يوالون بعضهم على أساس القيم المضادة . فهم ينهون عن المعروف، ويأمرون بالمنكر . قال سبحانه : { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (التوبة / ٦٧) .

وعند النهي عن المعروف يقبض المنافقون أيديهم (عن فعل الخير) . فالنهي عن المعروف ينسجم مع عملهم السيء .

٢/ وقد قال سبحانه عن صفات بعضهم : { وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } (الانعام / ٢٦) .

فهم ينهون عن الإيمان بالرسول نهياً عملياً، كما انهم ينأون عنه عملياً . وهكذا تتكامل عندهم اسباب الهلاك .

٣/ وهذه هي صفة الشيطان، فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر. قال سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (النور / ٢١) .  
وهكذا اذا رأيت شخصاً يأمر بالمنكر ( بأي تبرير كان ) ، فاعلم بأنه يتبع خطوات الشيطان .

## ^^^ بصائر الآيات

- ١/ النهي ظاهر في الأمر بالترك قولاً ، ولكنه قد يشمل النهي العملي مثل تحطيم الأصنام أو الأخذ على يد المذنب أو اظهار الغضب عليه أو هجره وما أشبه ..
- ٢/ وأصل معنى المنكر ما يجهل، ولكن معناه هنا ما لا يعترف به العرف والشرع. فهو عمل غير معروف وغير مشروع؛ ومنه قتل البرئ، والشذوذ الجنسي، وقول الزور، وأكل السحت ..
- ٣/ والله قد نهى عن المنكر، والرسول نهى عنه، وبذلك عرفه العقلاء. وبايمان الصالحين به اخرجت خير أمة، لأن فيها طائفة (من الفقهاء والمجاهدين) يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وهم البقية التي ينهون عن الفساد في الأرض، وهم الذين إن مكنهم الله في الأرض أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر .
- ٤/ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محور الولاية ، حيث ان ولاية المؤمنين لبعضهم محورها الأمر والنهي ، وهما من عزم الأمور .
- ٥/ ومن ترك النهي اشترك في المنكر في العقاب الإلهي-، وانما انجى الله الناهين عن المنكر من اصحاب السبب وعذب الباقين. وبئسما فعلت اليهود حين تركوا التناهي، وبالذات الربانيين والأخبار منهم، لأن مسؤوليتهم أكبر .
- ٦/ ومن صفات المنافقين؛ أمرهم بالمنكر، ونهيهم عن المعروف، والشيطان يأمر بالمنكر.

## ^^^ فقه الآيات

- ١/ قال المحقق الحلي: "المنكر كل فعل قبيح عرف فاعله قبحه، او دلّ عليه". وقد استفدنا قريباً من هذا المعنى من الآيات. ولكن المعيار في المنكر ليس فقط عقل

الفرد الذي قد يكون محجوباً بالهوى والغفلة والكفر، وانما عقل العرف. فالمنكر ما ينكره عقلاء البشر، ودلّ الشرع على ذلك.

٢/ وقال (قدس الله سره): "والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان اجماعاً ، ووجوبهما على الكفاية يسقط بقيام من فيه الكفاية. وقيل بل على الأعيان، وهو الأشبه". وعلق صاحب الجواهر بالقول: "ينبغي ان يعلم ان القائل بالعينية (أي انهما واجبان كالصلاة على كل فرد) موافق على السقوط مع حصول المطلوب". (١)

اقول: يظهر من النصوص؛ انهما واجبان على الكفاية. فلا يآثم من تركهما لو قام بهما غيره، كما غسل الميت .

٣/ وقال المحقق: "والمعروف ينقسم الى الواجب والندب؛ فالأمر بالواجب واجب، وبالمندوب مندوب". واطاف: "والمنكر لاينقسم، فالنهي عنه كله واجب". وقال ابو الصلاح (رحمه الله): "النهي عن المنكر يتبع المنكر ، فان كان المنكر محظوراً، كان النهي عنه واجباً. وإن كان مكروهاً، كان النهي عنه مندوباً". (٢) وهذا التقسيم (في المنكر والمعروف) جيد، ولكن لم نجد نصاً يدل عليه .

٤/ وقال المحقق رحمه الله: "ولا يجب النهي عن المنكر مالم تكمل شروط أربعة؛ الأول: ان يعلمه منكراً، ليأمن الغلط في الإنكار . الثاني: ان يجوز تأثير انكاره. فلو غلب على ظنه، او علم أنه لا يؤثر، لم يجب. الثالث: وان يكون الفاعل له مصراً على الإستمرار. فلو لاح منه أمارة الامتناع او اقلع عنه، سقط الإنكار. الرابع: ألا يكون في الإنكار مفسدة. فلو ظن توجه الضرر اليه او ماله او الى أحد من المسلمين، سقط الوجوب".

(١) الجواهر / ج ٧ / ص ٦٧٧ / طبعة بيروت .

(٢) المصدر / ص ٢٧٩ .

وعلق على الشرط الثاني في الجواهر بالقول: "بلا خلاف أجده في الأخير ، بل في ظاهر المنتهى الإجماع عليه". (١)  
ولكن لنا ملاحظتان :

ألف : ان النصوص الأمرة بهاتين الفريضتين، لم تصرح بسقوطهما عند العلم بعدم التأثير. بلى؛ هناك نص في قول كلمة الحق عند امام جائر، يدل على سقوط الفرض عند

عدم سماعه. وقد ذكرناه في الروايات، وهو خاص بموضعه لإحتمال الضرر.  
باء : ان غلبة الظن بعدم القبول لاتكفي، إلا إذا بلغ الظن درجة الإطمئنان، الذي هو العلم العرفي. وهذا ما ذكره في الجواهر ايضاً . (٢)

اما الشرطان الآخران، فقد ذكر في الجواهر؛ ان لا خلاف بين الفقهاء عليهما (٣). وتدل عليه الآية الكريمة : { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ } (الحج / ٧٨) .

٥/ وقال المحقق رحمه الله: "ومراتب الإنكار ثلاث ؛ بالقلب وهو يجب وجوباً مطلقاً".

وقال في الجواهر : "إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يعقل كونهما بالقلب وحده، ضرورة عدم كون ذلك أمراً ونهياً". و اضاف: "فلا بد من اعتبار أمر آخر في المرتبة الأولى، به تعد في الأمر والنهي، وهو اظهار عدم الرضا بضرب من الإعراض واطهار الكراهة، ونحو ذلك". (٤)

(١) المصدر / ص ٦٨٠ .

(٢) الجواهر / ج ٧ / ص ٦٨١ .

(٣) المصدر / ص ٦٨١ - ٦٨٢ .

(٤) المصدر / ص ٦٨٠ .

أقول: ان الإنكار بالقلب من مراتب الإيمان، وستظهر آثاره في مواقف الفرد بصورة او بأخرى، وذلك المظهر قد يعد أمراً ونهياً. وأما كونه واجباً على الإطلاق، ومن دون اجتماع الشروط السابقة، فهو مجرد السخط بالقلب. وأما مظاهره فانها مشروطة بتلك الشروط. والله العالم.

٦/ وقال المحقق الحلي (رحمه الله) وهو يبين بقية مراتب الإنكار بعد الإنكار بالقلب، قال: "وباللسان وباليد، ويجب دفع المنكر بالقلب أولاً كما اذا عرف ان فاعله ينزجر باظهار الكراهة. وكذا ان عرف ان ذلك لا يكفي، وعرف الاكتفاء بضرب من الإعراض والهجر وجب واقتصر عليه. ولو عرف ان ذلك لا يرفعه، انتقل الى الإنكار باللسان، مرتباً

للأيسر من القول فالأيسر. ولو لم يرتفع إلا باليد، مثل الضرب وما شابهه جاز".  
أقول: اما الجواز فهو هنا بمعنى الوجوب، كما بينته في الجواهر (١). ولكن تبقى عدة ملاحظات على ما أفاده المحقق (رحمه الله)، وهي:

ألف: يفهم من نصوص هذه الفريضة؛ أن المراد زجر مرتكب المنكر، فاذا ازجر سقط وجوبه. أما جوازه إذا لم يؤد الى ضرر، فلا دليل على سقوطه. فلعل في النهي عنه نوع عقوبة على مرتكب المنكر، ولعله يزجر غيره او يردعه عنه مستقبلاً ايضاً. وهكذا فعموم أدلة هذه الفريضة تشمل ما اذا ارتدع المذنب بأقل منه. منتهى الأمر قد نعرف من أدلتها، انه لو ازجر الفرد (بنفسه او بطريقة معينة) سقط الوجوب.

باء: لا دليل على وجوب تحري الايسر فالايسر. بلى؛ يستفاد من بعض الروايات ضرورة الفرق في اداء هذه الفريضة. ولعله من آداب اداء هذه الفريضة، وليس من واجباتها. والله العالم.

جيم: هل استخدام اليد لردع فاعل المنكر عام لكل الناس، أم خاص بصاحب الولاية؟ قال في الجواهر: ظاهر المصنف (المحقق الحلي رحمه الله) وغيره

---

(١) الجواهر / ج ٧ / ص ٦٨٦ .

الاجماع على عدم توقف الضرب الخالي عن الجرح على اذن الامام عليه السلام  
او القائم مقامه . (١)

واضاف : اذ لا يخفى على من احاط بما ذكرناه من النصوص وغيرها؛ ان  
المراد بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر، الحمل على ذلك بايجاد المعروف  
والتجنب عن المنكر، لا مجرد القول . (٢)

ويؤيده الحديث المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله: "من رأى منكراً فلينكره  
بيده إن استطاع ، فان لم يستطع فبقلبه . فحسبه ان يعلم الله من قلبه، انه لذلك كاره".  
(٣)

وفي نص آخر؛ فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ،  
وذلك  
اضعف الإيمان .

ودلالة الحديث تتم إذا قلنا؛ أن اليد في اللغة العربية، تعني القوة . واستدل في  
الجواهر على ذلك ايضاً؛ بأن " ما سمعته من النصوص والفتاوى الدالة على انهما  
(الأمر والنهي ) يكونان بالقلب واللسان واليد، صريح في ارادة حمل الناس عليهما  
بذلك كله . بل معنى قوله عليه السلام: "ما جعل الله بسط اللسان وكف اليد، ولكن  
جعلهما يبسطان معاً ويكفان معاً" (٤) . فيمكن ارادة ما يشمل الضرب ونحوه من  
أمر الأهل ونهيمهم . كما انه صرح في النصوص ايضاً بالهجر وتغيير الوجه  
وغيرهما، مما يراد منه الطلب بواسطة هذه الأمور، لا مجرد القول . (٥)

أقول : عند بحثنا عن معنى النهي في بداية هذه الدراسة ، استفدنا من آية كريمة؛  
أن النهي هو الردع؛ وهي قوله سبحانه : { إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

(١) المصدر / ص ٦٨٧ .

(٢) المصدر .

(٣) وسائل الشيعة / الباب ٣ من ابواب الأمر والنهي / الحديث ١٢ .

(٤) وسائل الشيعة / الباب ٣ من ابواب الأمر والنهي / ح ٢ .

(٥) جواهر الكلام / ص ٦٨٧ .

{ (العنكبوت / ٤٥). ولكن ذلك لا يورثنا يقيناً، بأن المراد من الأمر والنهي في الكتاب الكريم هو حمل الناس على الفعل والتترك. وكذلك الأدلة التي أقامها في الجواهر، ليست كافية في اقناع الانسان، بأن المراد من الأمر والنهي هو حمل الناس . بلى؛ قد نستفيد ذلك من قوله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً } (التحریم / ٦) .

وقول الرسول صلى الله عليه وآله : " كلکم راع وكلکم مسؤول عن رعيته " (١) .

وسائر الأدلة التي تهدينا الى المسؤولية الاجتماعية ؛ مثل الأمر بالاحسان والدعوة والجهاد في سبيل الله . على أن الأدلة التي تهدينا الى احترام الناس وحرمتهم وحریتهم، ونفي الإكراه في الدين ، وان الرسول ليس عليهم بمسيطر، وانه ليس بجبار وانما عليه البلاغ . هذه الأدلة تكمل الأدلة السابقة، مما يدعوننا الى انتهاج السبيل الوسط بين الدعوة الى الخير وبين حمل الناس عليه .

ولعل من مسؤولية الحاكم الشرعي، ان ييسر في كل وقت جملة انظمة تحدد مدى صلاحية الأفراد في فرض الاحكام الشرعية على بعضهم . ومن هنا فقد ذهب البعض الى ضرورة الرجوع الى ولي الأمر في الأمر والنهي باليد . فقال الشيخ الطوسي (قدس الله روحه) فيما حكاه عنه في الجواهر عن محكي كتابه النهاية قال: الأمر بالمعروف يكون باليد واللسان. فاما باليد، فهو ان يفعل المعروف، ويتجنب المنكر على وجه يتأسى به الناس. واما باللسان؛ فهو ان يدعو الناس الى المعروف، ويعددهم على فعله المدح والثواب، ويزجرهم ويحذرهم عن الاخلال به من العقاب. واذاف: وقد يكون الأمر بالمعروف باليد، بان يحمل الناس على ذلك بالتأديب والردع وقتل النفوس وضرب من الجراحات؛ إلا ان هذا الضرب لا يجب فعله، إلا باذن سلطان الوقت المنصوب للرئاسة العامة . (٢)

(١) بحار الأنوار / ج ٧٢ / ص ٣٨ .

(٢) بحار الأنوار / ج ٧٢ / ص ٦٨٧ .

اقول: ويؤيد ذلك؛ ان أدلة استخدام اليد مجملة من هذه الزاوية ، وهي تشبه أدلة استخدام السيف. وقد اشترط الفقهاء في استخدام السيف اذن الولي للأمر، وقالوا : لا اطلاق لها من هذه الناحية. مع ان لسان الأدلة واحد، سواء في استخدام السيف او استخدام اليد. ومعلوم ان المراد من اليد، ما يشمل السيف أيضاً .

٧/ وهكذا اشترط المشهور من فقهاء الشيعة، على اشتراط اذن الامام عليه السلام او نائبه في استخدام الضرب المؤدي الى الجرح أو القتل. قال الشهيد الثاني في المسالك : هو أشهر (١) . وقال في الجواهر : كل ذلك مضافاً الى ما في جواز ذلك لسائر الناس، عدولهم وفساقهم من الفساد العظيم والهرج والمرج المعلوم عدمه من الشريعة. (٢)

واما عن اطلاق الأمر والنهي لمثل هذا النمط المؤدي الى الجرح والقتل، فقد نفاه صاحب الجواهر قائلاً، وهو يستدل على عدم جوازه: للأصل السالم عن معارضة الاطلاق

المنصرف الى غير ذلك . (٣)

اقول : وهو كذلك . فانه لا نفهم من نصوص النهي عن المنكر قتل أحد، لكي لا يرتكب المنكر. فهل القتل ينهى؟ ولا اصابته بجرح. ولكن هل نفهم وجوب ضربه، لكي يرتدع عن المنكر؟ أنا شخصياً لا افهمه ايضاً، ومن يفهم منها هذا المعنى فليعمل بما يفهم، والله المستعان .

٨/ وقال آية الله المرجع الشيرازي ( حفظه الله ) في موسوعته " الفقه " : ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - مثل ارشاد الناس - قد يكون باللفظ والتقطيب واليد ، وقد يكون بالأعمال الايجابية مثل ان يصلح الانسان ليراه الناس فيقتدوا به ،

---

(١) المصدر / ص ٦٨٨ .

(٢) المصدر .

(٣) بحار الأنوار / ج ٧٢ / ص ٦٨٨ .

وعليه ورد قوله عليه السلام : " كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم " وهذا ايضاً واجب، لأنه داخل في عمومات الارشاد والأمر والنهي .

واضاف : فان كان فتح المدرسة وتأسيس النادي وتكوين المكتبة وتأليف الكتاب وغيرها، يوجب اطاعة الناس لله واجتنابهم عن معاصيه، وجب ذلك. كما انه اذا كان تصنيع البلاد ، وتكثير الزرع والضرع فيها يوجب غنى المسلمين عن الكفار الموجب لانطباق قوله عليه السلام : " استغن عن شئت تكن نظيره " والذي يسبب بالاخرة انقلاعهم عن المنكرات ، وجب ذلك.

وختم حديثه بالقول : والظاهر ان ( في ) زماننا هذا يجب الأمر والنهي بالتصنيع والتنسيق (١) ( ولعله يعني التنظيم ) .

أقول : ما ذكره ( مد ظله ) موافق لما ذكره صاحب الجواهر ( قدس سره ) في ان معنى الأمر والنهي حمل الناس على الفعل والترك . ولكن استنباط هذا المعنى من نصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحاجة الى شم مرهف للفقاهة، لم اوفق له كما اسلفت الحديث. فمن وفق له، فليعمل به باستعانة الله تعالى .

٩ / (الحج / ٤١) و (المائدة / ٦٣) و (التوبة / ١١٢) و (التوبة / ٧١) ؛ نستوحي

من هذه

الآيات الكريمة؛ ان فئات معينة في المجتمع، اكبر مسؤولية تجاه المعروف والمنكر ، وهم:

اولاً : من له مكنة وسلطة، فهو مسؤول عن إقامة المعروف ، وازالة المنكر بقدرها . وهكذا ينبغي ان يكون هدف السلطات المؤمنة، نشر المعروف ومنع المنكرات .

ثانياً : العلماء، كالربانيين والأخبار ؛ فان عليهم مسؤولية الدعوة الى الخير والأمر والنهي اكثر من غيرهم. وقد جاء في الحديث : " لنحملن ذنوب جهالكم على علماءكم " .

---

(١) الفقه / ج ٤٨ / ص ٢٠٤ .

ثالثاً : المجاهدون ؛ فان قيامهم لله ، وتطوعهم في سبيله، يدعوهم الى الاهتمام  
باقامة المعروف وازالة المنكر .

ولعل هذه الفئات، هم الأمة التي تدعو الى الخير وتأمّر بالمعروف وتنهى عن  
المنكر ، وهم طائفة خاصة من هذه الأمة . والله العالم .

رابعاً : الأولياء ؛ فالأقارب والأصدقاء، والأقرب فالأقرب، هم الأولى بالأمر  
والنهي . ونستفيد ذلك من آيات مختلفة في القرآن ، كقوله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً } (التحریم/٦) .

١٠ / (هود / ١١٦) و (المائدة / ٧٩) و (الاعراف / ١٦٥) ؛ نستفيد من هذه  
الآيات ومن تفسيرها في أحاديث الرسول وأهل بيته عليه وعليهم الصلاة والسلام؛  
ان التارك للنهي عن المنكر شريك في الجريمة ، وانه يعاقب عند نزول البلاء كما  
يعاقب المرتكب له . وهذه البصيرة القرآنية تثير بحوث هامة، منها :

لانه اذا كان ترك التناهي سبباً لوقوع الجريمة ، فان التارك مشارك فيها . مثال  
ذلك من اطلع على قوم يتآمرون على أمن البلاد ، أو على قتل نفس زكية ، أو على  
سرقة اموال.. وكان بإمكانه ان ينهاهم او يخبر السلطات عنهم ، فاذا فعل اذجروا  
ولكنه تماهل، فقد ساهم بسكوته في وقوع الجريمة. وقد جاء في حديث شريف عن  
ابان بن تغلب، عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: كان المسيح عليه السلام  
يقول : ان التارك شفاء المجروح من جرحه شريك لجارحه لا محالة ، وذلك ان  
الجراح أراد فساد المجروح. والتارك لاشفائه لم يشأ صلاحه، فاذا لم يشأ صلاحه،  
فقد شاء فساده اضطراراً . (١)

وجاء في حديث السكوني عنه عليه السلام، انه قال : ان ثلاثة نفر رفعوا الى  
أمير المؤمنين عليه السلام؛ واحد منهم امسك رجلاً، وأقبل الآخر فقتله، والآخر

---

(١) الكافي / ج ٨ / ص ٣٤٥ .

رأهم. ففضى في الرؤية (١) ان تسمل عيناه، وفي الذي امسك ان يسجن حتى يموت كما امسك، وقضى في الذي قتل ان يقتل . (٢)

وقد فسّر في الجواهر ؛ صاحب الرؤية بالذي كان عيناً للقاتل، وقال: ان هذا الحكم مقطوع به في كلام الأصحاب . (٣)

ومن رأى اعمى يقترب من هاوية، فلم ينكر عليه ولم يمنعه فوقع فيها، فانه مشارك في الجريمة . وكذلك الطبيب الذي ترك المريض يموت ولم يسعفه بدواء، وهكذا المستشفى الذي لم يستقبل المصاب، وبتركه اياه حتى مات .

ان العرف ينسب الوفاة في هذه الحالات او أية حادثة اخرى الى الساكت . وفي ختام آية سورة هود اشارة الى ان من سوى الناهين عن الفساد يُهلكون. وكذلك آية سورة الأعراف تشير الى أن الناهين عن الصيد في يوم السبت هم الذين نجوا، بينما هلك البقية جميعاً لانهم كانوا ظالمين .

والفقه الاسلامي بحاجة الى إغناء في هذا الحقل، حيث ان كثيراً من المنكرات التي تقع وتسبب اخطاراً على المجتمع، كانت لا تقع لو تحمل البعض فريضة النهي عنها .

والقوانين الوضعية لا ترى الفعل السلبي جريمة ، إلا في حدود ضيقة ، حيث نجد بعض القوانين فقط ترى الطبيب مسؤولاً عن تركه للعلاج إذا أدى ذلك التارك الى الوفاة .

ولكن أركان المسؤولية قائمة؛ فمثلاً : ما الفرق بين من خالف المرور في قيادته للسيارة فاحدث ضرراً، وبين من لم يردعه وهو قادر على ذلك ومسؤول عن رده؟ فالعقل لا يرى فرقاً بين الطرفين، إلا في الشدة والضعف .

---

(١) وفي نسخة " الرؤية " .

(٢) وسائل الشريعة / الباب ١٧ من ابواب قصاص النفس / الحديث ٣ .

(٣) جواهر الكلام / ج ١٥ / ص ٢٩ .

وقد ضرب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله مثلاً على ذلك، بقوم ركبوا سفينة، فاراد

أحدهم ان يخرق موضع جلوسه. فلولم يأخذوا على يده غرق وغرقوا، وان أخذوا نجا ونجوا.

دعنا نتصور ان رجلاً مر على بيت يحترق، وكان بإمكانه اخبار رجال الاطفاء، ولكنه لم يفعل حتى احترق البيت كله. افلا يكون مسؤولاً.

والفقه - كما القانون - يعتبر تقصير المسؤول عن شخص (كالوالدين إذا قصرنا في قيادة اولادهم) أو عن شيء (كالحارس) أو عن حيوان (كصاحبه)، كل ذلك يؤدي الى ضمانه. فكيف لا يؤدي تقصير الناس عن واجباتهم الاجتماعية الى الضمان؟ وقد عبر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عن المسؤولية الاجتماعية بقوله: " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ". ولعل قول الله سبحانه: {

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } (التوبة / ٧١) يؤكد ذلك أيضاً. ونحن ننتظر اليوم الذي يهتم الفقه كما القانون، اهتماماً اكبر بالمسؤولية الاجتماعية، ويضعان لها احكاماً تفصيلية انشاء الله تعالى .

١١ / ان النهي عن المنكر كما الأمر بالمعروف، اصبح اليوم اوسع مدى، وارجح افاقاً. وذلك بوجود اجهزة مساعدة لهما، وايضاً بسبب اطلاع كل فرد تقريباً بما يجري في العالم وبما يرتكب هنا وهناك من منكرات؛ بعضها خطيرة ومؤثرة في مصير العالم ( مثلاً استخدام القنبلة النووية - او تخريب واسع للبيئة ، أو زعزعة نظام المال في العالم ). فالعالم يتقلص حجمه ويصبح كقرية صغيرة يطلع أهلها على ما يقع في اطرافها، كما يستطيع كل واحد من ابنائها التأثير فيها. فالأجهزة الاعلامية المتكاثرة (محطات الاذاعة المسموعة والمرئية العالمية ، والصحف العابرة للقارات، وكذلك شبكة الانترنت، وثورة المعلومات، وشبكات الاتصالات الهاتفية والفاكس والتلكس، وما أشبه.. ) كل ذلك يسمح لكل فرد ان يعرف ما يحدث، وان يؤدي دوره في ادانة المنكرات الحادثة .

فعلى كل فرد اليوم مسؤولية مضاعفة. ولأنها لا تتحقق بصورة فردية ، فلا بد من تعاون المؤمنين مع بعضهم تحت مظلة الولاية الالهية لتطوير قدراتهم الاعلامية ، وانشاء المحطات الاذاعية ، ووكالات الانباء والصحف، والاشترك في اجهزة ثورة المعلومات.. كل ذلك من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليس على نطاق المنطقة التي يسكنون فيها، بل في الافق العالمي بتوفيق الله سبحانه .

١٢/ نجد في روايات أهل البيت عليهم السلام، تذكرة بمدى علاقة النهي عن المنكر بولاية الصالحين، بينما تركه يسبب في ولاية الاشرار. فقد قال الامام امير المؤمنين عليه السلام في وصيته للحسن والحسين عليهما السلام : " قولاً بالحق ، واعمالاً للأجر ، وكوناً للظالم خصماً ، وللمظلوم عوناً". ثم قال: "الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله. لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيولى عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم". (١)

وجاء في حديث مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبته يوم الغدير : " ألا فاقموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وامروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر. الا وان رأس الأمر بالمعروف ان تنتهوا الى قولي ، وتبلغوه من لم يحضر ، وتأمرونه بقبوله ، وتنهونه عن مخالفته ، فإنه امر من الله عز وجل ومئي. ولا امر بمعروف ولا نهى عن منكر ، إلا مع امام معصوم". (٢)

وفي احاديث كثيرة؛ ان اعظم الجهاد، كلمة حق عند امام جائر . فقد سبق عن الرسول صلى الله عليه وآله، أنه قال: "من مشى الى سلطان جائر، فأمره بتقوى الله ووعظه وخوفه، كان له مثل أجر الثقلين من الجن والانس". (٣)

ومن هذه البصيرة؛ نستفيد الحقائق التالية :

---

(١) مستدرک الوسائل / كتاب الأمر بالمعروف / ص ١٨٠ .

(٢) المصدر / ص ١٨٢ .

(٣) المصدر / ص ١٧٨ .

الف : ان ترك الأمر والنهي يوجب انتشار الفساد السياسي . وعلينا اذا اردنا اصلاح هذا النمط الأخطر من الفساد ، فعلينا نشر سنة الأمر والنهي باوسع نطاق في الأمة ، حتى تعود الأمة الى رشدّها الديني وتصلح وضعها السياسي .  
باء : ان من اعظم المعروف، الاجتماع حول الولاية الالهية الصالحة؛ كما ان اعظم

المنكر، التفرق عنها . فعلينا اذا اردنا اصلاح أمرنا، ان نجتمع اكثر فأكثر حول هذه الولاية ، ولا نتفرق عنها ، وهي حبل الله المتين وصراطه المستقيم .

جيم : من اعظم النهي عن المنكر، نهي السلطان وكل ذي قوة، وردعه من الظلم والبغي. وهذا لا يكون إلا بتجاوز الانظمة الجائرة، وابلاغ كلمة الحق للسلطات إن امكن برفق وموعظة، وإلا فبأي طريقة ممكنة ومأمونة الأخطار .

دال : لا يجوز الاهتمام بالمنكرات الصغيرة؛ مثل حلق اللحية ، وطول الشعر، وطريقة تسريحه.. ثم ترك الأهم وهو انحراف السلطة، وسن القوانين الباطلة من قبلها. انما علينا اصلاح الوضع السياسي ، ونهي سلطات الجور من التماذي في الغي . فإنه اعظم أجراً، وأكبر خطراً .

١٣ / الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فريضتان كالصلاة والصوم ، ولا يجوز تقييدهما بالقوانين المرعية، و انما يجب التلطف لابلاغهما الى اسماع الناس دون التوجه الى القوانين التي تحدد حركة المجتمع . كما انه لا يستحسن عندي وضع قوانين لهما، غير احكامهما الشرعية . وانما نجعل التيار الجماهيري هو السور للقيم الالهية .

وهكذا نعرف ان من اساليب الأمر والنهي الجديدة؛ اقامة المهرجانات الحاشدة ، وتسيير التظاهرات المسموحة ، ونشر الكتب والمنشورات.. وما اليها من انواع الضغط الجماهيري، الذي يجب ممارسته لاقامة المعروف وازالة المنكر، والله المستعان .

## ^^^ في رحاب الأحاديث

^^^ وجوبه وتحريم تركه :

١/ عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال في قوله تعالى : { وَلِتُكِنِّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } قال : " في هذه الآية تكفير ( أهل المعاصي بالمعصية ) ، لأنه من لم يكن يدعو الى الخيرات ويأمر بالمعروف وينهى على المنكر بين المسلمين ، فليس من الأمة التي وصفها الله ، لأنكم تزعمون ان جميع المسلمين من أمة محمد صلى الله عليه وآله ، وقد بدت هذه الآية ، وقد وصفت امة محمد صلى الله عليه وآله بالدعاء الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن لم توجد فيه هذه الصفة التي وصفت بها ، فكيف يكون من الأمة ؟ وهو على خلاف ما شرطه الله على الأمة ، ووصفها به " (١) .

٢/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ومن يشفع شفاعة حسنة ، او يأمر بمعروف ، او ينهى عن المنكر ، او دلّ على خير أو أشار به ، فهو شريك. ومن أمر بشرّ أو دلّ عليه أو أشار به ، فهو شريك " . (٢) .

٣/ عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : " من مشى الى سلطان جائر ، فأمره بتقوى الله ووعظه وخوّفه ، كان له مثل اجر الثقلين من الجن والانس ، ومثل اجرهم " . (٣) .

٤/ ان رجلاً جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : اخبرني ما أفضل الأعمال؟ فقال : الايمان بالله. قال : ثم ماذا؟ قال صلة الرحم. قال : ثم ماذا؟ قال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . (٤) .

(١) مستدرک الوسائل / ج ١٢ / ص ١٧٧ .

(٢) المصدر / ص ١٧٨ .

(٣) المصدر / ص ١٧٨ .

(٤) المصدر / ص ١٨٤ .

٥/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " لا يحقرن أحدكم نفسه اذا رأى امرأً لله عز وجل فيه حق الا أن يقول فيه ، لئلا يقفه الله عز وجل يوم القيامة فيقول له : ما منعك إذ رايت كذا وكذا أن تقول فيه ؟ فيقول : رب خفت ، فيقول الله عز وجل : أنا كنت أحق ان تخاف " . (١)

٦/ قال أمير المؤمنين في وصيته للحسن عليهما السلام : " وأمر بالمعروف تكن من أهله ، وانكر المنكر بيدك ولسانك ، وباين من فعله بجهدك ، وجاهد في الله حقّ جهاده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم " . (٢)

٧/ قال أمير المؤمنين عليه السلام: " ايها المؤمنون؛ ان من رأى عدواناً يعمل به ، ومنكراً يدعى اليه ، وانكره بقلبه فقد سلم وبرئ. ومن أنكره بلسانه فقد اجر، وهو أفضل من صاحبه. ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى ، فذلك الذي أصاب الهدى ، وقام على الطريق ، ونور في قلبه اليقين " . (٣)

#### مراتب النهي عن المنكر :

١/ قال النبي صلى الله عليه وآله: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، ليس وراء ذلك شيء من الإيمان" وفي رواية: "ان ذلك اضعف الإيمان". (٤)

٢/ قال الصادق عليه السلام: " حسب المؤمن خيراً ان رأى منكراً ، ان يعلم الله من نيته انه له كاره " . (٥)

(١) المصدر / ص ١٨٥ .

(٢) المصدر / ص ١٩٠ / عن نهج البلاغة / ج ٣ / ص ٤٤ / ح ٣١ .

(٣) مستدرک الوسائل / ج ١٢ / ص ١٩٠ / عن مشكاة الأنوار / ص ٤٨ .

(٤) المصدر / ص ١٩٢ .

(٥) المصدر / ص ١٩٣ .

٣/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " من شهد أمراً وكرهه كان كمن غاب عنه ، ومن غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده " . (١)

٤/ قال أمير المؤمنين عليه السلام: " ان اول ما تغلبون عليه من الجهاد، جهاد بأيديكم، ثم بألسنتكم، ثم بقلوبكم. فمن لم يعرف بقلبه معروفاً، ولم ينكر منكراً ، قلبه فجعل اعلاه أسفله " . (٢)

٥/ قال النبي صلى الله عليه وآله: " ستكون قتن لا يستطيع المؤمن ان يغير فيها بيد ولا لسان. فقال علي بن أبي طالب عليه السلام : وفيهم يومئذ مؤمنون؟ قال: نعم. قال : فينقص ذلك من ايمانهم شيئاً؟ قال: لا. الا كما ينقص القطر من الصفا. انهم يكرهونه بقلوبهم " . (٣)

شروط النهي عن المنكر :

١/ قال الصادق عليه السلام: " انما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، من كانت فيه ثلاث خصال : (عامل ) لما يأمر به ، تارك لما ينهى عنه ، عادل فيما يأمر ، عادل فيما ينهى ، رفيق فيما يأمر ، رفيق فيما ينهى " . (٤)

٢/ قال أبي عبد الله عليه السلام: " يا فضل؛ من تعرض لسلطان جائر فأصابته بلية ، لم يؤجر عليها ، ولم يرزق الصبر عليها " . (٥)

٣/ قال أمير المؤمنين عليه السلام : " من كانت له ثلاث، سلمت له الدنيا والآخرة؛ يأمر بالمعروف ويأتمر به ، وينهى عن المنكر وينتهي عنه ، ويحافظ على حدود الله جل وعلا " . (٦)

(١) المصدر / ص ١٩٣ .

(٢) المصدر / ص ١٩٤ .

(٣) المصدر / ص ١٩٠ .

(٤) مستدرک الوسائل / ج ١٢ / ص ١٨٧ .

(٥) المصدر / ص ١٨٧ .

(٦) المصدر / ص ٢٠٧ .

#### طريقة النهي عن المنكر :

١/ كان ابو عبد الله عليه السلام إذا مرّ بجماعة يختصمون ، لا يجوزهم حتى يقول ثلاثاً : " اتقوا الله " يرفع بها صوته . (١)

٢/ قال أبو الحسن الرضا عليه السلام ، في قول الله : { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ } قال : " اذا سمعت الرجل يجحد الحق ويكذب به ويقع في أهله ، فقم من عنده ولا تقاعده " . (٢)

٣/ وكان عيسى عليه السلام ، يقول : "يا معشر الحواريين ؛ تحببوا الى الله ببغض أهل المعاصي ، وتقربوا الى الله تعالى بالتباعد منهم ، والتمسوا رضاه بسخطهم" . (٣)

٤/ وجاء في حديث شمائل النبي صلى الله عليه وآله : له عرق يدره الغضب . الى ان قال - فاذا تعوطي الحق لم يعرفه احد ، ولم يقم لغضبه شيء ، حتى ينتصر له . (٤)

٥/ روي ان رجلاً سأل العالم عليه السلام ، عن قول الله عز وجل { قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً } قال : يأمرهم بما أمرهم الله ، وينهاهم عما نهاهم الله . فان اطاعوا كان قد وقاهم ، وان عصوه كان قد قضى ما عليه " . (٥)

٦/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيما رجل رأى في منزله شيئاً من الفجور فلم يغير ، بعث الله تعالى بطير أبيض فيظل ببابه أربعين صباحاً ، فيقول له كلما

(١) المصدر / ص ١٨١ .

(٢) المصدر / ص ١٩٥ .

(٣) المصدر / ص ١٩٦ .

(٤) مستدرک الوسائل / ج ١٢ / ص ١٩٧ .

(٥) المصدر / ص ٢٠٠ .

دخل وخرج : غير غير . فان غير ، والا مسح بجناحه على عينيه؛ وان رأى حسناً لم يره حسناً ، وان رأى قبيحاً لم ينكره " . (١)

^^^^ جزاء من تركه :

١/ قال الامام علي عليه السلام : " لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيولي الله أموركم شراركم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم ( دعاؤكم ) " . (٢)

٢/ قال أبو عبد الله عليه السلام : " كان رجل شيخ ناسك يعبد الله في بني اسرائيل؛ فبينما هو يصلي وهو في عبادته ، إذ بصر بغلامين صبيين ، قد اخذا ديكاً وهما ينتفان ريشه ، فأقبل على ما هو فيه من العبادة، ولم ينههما عن ذلك . فأوحى الله الى الأرض ان سيخي بعبيدي ، فساخت به الأرض . فهو يهوي في الدردور ، أبد الأبدين ودهر الدهارين " . (٣)

٣/ قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : " انه لم يهلك من كان قبلكم من الأمم ، إلا بحيث ما أتوا من المعاصي ، ولم ينههم الربانيون والاحبار . فلما تمادوا في المعاصي ، ولم ينههم الربانيون والاحبار ، عمهم الله بعقوبة . فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، قبل ان ينزل بكم مثل الذي نزل بهم . واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ، ولا ينقصان من رزق . فان الأمر ينزل من السماء الى الارض كقطر المطر ، الى كل نفس او أهل او مال " . (٤)

٤/ روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي أهل الصفة، وكانوا ضيفان رسول الله صلى الله عليه وآله الى

(١) المصدر / ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٢) المصدر / ص ١٧٩ / عن امالي الطوسي / ج ٢ / ص ١٣٦ .

(٣) المصدر / ص ١٨٠ .

(٤) مستدرک الوسائل / ج ١٢ / ص ١٨٠ .

ان قال: فقام سعد بن أشج فقال: اني أشهد الله، وأشهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن حضرني؛ ان نوم الليل عليّ حرام. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لم تصنع شيئاً، كيف تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر اذا لم تخالط الناس؟ وسكون البرية بعد الحضر كفر للنعمة. ثم قال صلى الله عليه وآله: بنس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهاون عن المنكر، بنس القوم قوم يقذفون الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، بنس القوم قوم لا يقومون لله تعالى بالقسط، بنس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون الناس بالقسط في الناس". (١)

٥/ روي أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يخطب فعارضه رجل فقال: يا أمير المؤمنين؛ حدثنا عن ميت الأحياء. فقطع الخطبة، ثم قال: منكر للمنكر بقلبه ولسانه ويده، فخلال الخير حصلها كلها. ومنكر للمنكر بقلبه ولسانه وتارك له بيده، فحصلتان من خصال الخير. ومنكر للمنكر بقلبه وتارك بلسانه ويده، فخلّة من خلال الخير حاز. وتارك للمنكر بقلبه ولسانه ويديه، فذلك ميت الأحياء. ثم عاد الى خطبته". (٢)

٦/ روي عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: "ان الله بعث الى بني اسرائيل نبياً، يقال له: ارميا. فقال: قل لهم: ما بلد منعتهم من كرام البلدان، وغرس فيه من كرام الغروس، ونقيته من كل غريبة، [ فأخلف ] فأنبت خرنوباً. فضحكوا منه واستهزؤوا به، فشكاهم الى الله. فأوحى الله اليه: ان قل لهم: ان البلد بيت المقدس، والغرس بنو اسرائيل، نقيتهم من كل غريبة، ونحيت عنهم كل جبار. فاختلفوا فعملوا بالمعاصي، فأسلطنّ عليهم في بلدهم من يسفك دماءهم ويأخذ أموالهم، وإن بكوا لم ارحم بكاءهم، وان دعوا لم استجب دعاءهم. فشلوا وفشلت اعمالهم، ولأخر بنها مائة عام ثم لاعمرنها. قال: فلما حدثهم جزعت العلماء.

(١) المصدر / ص ١٨٣.

(٢) المصدر / ص ١٩٠.

فقالوا : يا رسول الله ؛ ما ذنبنا نحن ، ولم نكن نعمل بعملهم ؟ فعاود لنا ربك .  
فصام سبعاً ، فلم يوح إليه . فأكل أكلة ثم صام سبعاً ، فلما كان اليوم الواحد  
والعشرون يوماً ، أوحى إليه : لترجعن عما تصنعن ان تراجعني في امر قد قضيته ،  
أو لاردنّ وجهك على دبرك . ثم أوحى إليه : ان قل لهم : انكم رأيتم المنكر فلم  
تتكروه . وسلّط عليهم بخت نصر ، ففعل بهم ما قد بلغك " . (١)

٧/ قال أبو جعفر عليه السلام : وان الله ليعذب الجعل في حجرها ، بحبس المطر  
عن الأرض التي هي بمحلّتها ، لخطايا من حضرتها ، وقد جعل الله لها السبيل الى  
مسلك سوى محلة اهل المعاصي " قال ثم قال ابو جعفر عليه السلام : { فَأَعْتَبُوا  
يَا أُولِي الْأَبْصَارِ } " . (٢)

#### ^^^^ جزاء من نهى عن المنكر :

١/ قال الامام الباقر عليه السلام : " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، خلقان  
من خلق الله ؛ فمن نصرهما اعزه الله ، ومن خذلهما خذله الله " . (٣)  
٢/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " رأيت رجلاً من أمّتي في المنام ، قد  
أخذته الزبانية من كل مكان ، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، فخلصه  
من بينهم ، وجعله مع الملائكة " . (٤)  
٣/ قال النبي صلى الله عليه وآله : " لاتزال أمّتي بخير ، ما أمروا بالمعروف  
ونهبوا عن المنكر وتعاونوا على البر . فاذا لم يفعلوا ذلك ، نزعت منهم البركات ،  
وسلّط بعضهم على بعض ، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء " . (٥)

(١) مستدرك الوسائل / ج ١٢ / ص ١٩١ .

(٢) المصدر / ص ١٩٦ .

(٣) المصدر / ص ١٨١ .

(٤) المصدر / ص ١٨١ .

(٥) مستدرك الوسائل / ج ١٢ / ص ١٨١ .

٤/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " ألا أخبركم عن أقوام ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم ( الناس يوم القيامة ) بمنزلهم من الله عز وجل ، على منابر من نور" ؟ قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : " هم الذين يحبون عباد الله الى الله ، ويحبون الله الى عبادهم " . قلنا : هذا حببوا الله الى عبادهم ، فكيف يحبون عباد الله الى الله ؟ قال " يأمرونهم بما يحب الله ، وينهونهم عما يكره الله ، فإذا أطاعوهم أحبهم الله " . (١)

٥/ عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام ، انه قال : " لا يزال المؤمن يورث أهل بيته العلم والأدب الصالح ، حتى يدخلهم الجنة [ جميعاً ] ، حتى لا يفقد فيها منهم صغيراً ولا كبيراً ، ولا خادماً ولا جاراً . ولا يزال العبد العاصي يورث أهل بيته الأدب السيء ، حتى يدخلهم النار جميعاً ، حتى لا يفقد فيها منهم صغيراً ولا كبيراً ، ولا خادماً ولا جاراً " . (٢)

---

(١) المصدر / ص ١٨٢ .

(٢) المصدر / ص ٢٠١ .

## ^^ الهجرة مبعث المسؤولية

^^^ ابعاد الكلمة :

اذا تركت شيئاً فقد هجرته . وقد انبأ الله سبحانه ان الرسول صلى الله عليه وآله يشكو الى الله تعالى قومه يوم القيامة، لانهم هجروا الكتاب . فقال الله سبحانه : { وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا } (الفرقان / ٣٠) . وهكذا الهجرة هي ترك البلاد ، حيث قال سبحانه : { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (الحشر / ٨) . فالإخراج من البلاد ، دليل هجرتهم . وقد تكررت مثل هذه المفارقة في آيات عديدة، سوف نتلوها انشاء الله .

وقد تكون الهجرة معنوية ؛ كمن يهاجر دين قومه وعاداتهم ، ويرفض ولايتهم ، كما هاجر لوط الى ربه . قال الله سبحانه : { فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (العنكبوت/ ٢٦) . وجاء في حديث مروى عن الامام الباقر عليه السلام : " من دخل في الاسلام طوعاً ، فهو مهاجر " (١) .

^^^ حقائق الهجرة :

١/ اهداف المهاجرين قد تكون شتى ، ولكنها تنتهي عند المخلصين الى غاية واحدة ، هي سبيل الله سبحانه . وفيما يلي نستعرض بعض تلك الاهداف :  
اولاً : ابتغاء فضل الله ، والسعة في رزق الله ؛ والتي توفرها الحرية السياسية والاقتصادية في المهاجر .  
ثانياً : ابتغاء رضوان الله بالعمل الصالح ، واقامة شعائر الدين بنحو افضل ، وباستجابة الله لهم بالهجرة .

(١) بحار الانوار / ج ١٠٠ / ص ٤٦

ثالثاً : نصره دين الله ، ورسول الله . فالمهاجر اذا خرج من دياره والتحق بجند الله ، استطاع ان يجاهد في سبيل الله سبحانه بنفسه وبماله . قال الله تعالى : {  
لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ  
وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } ( الحشر / ٨ ) .

وفي حديث مأثور عن النبي صلى الله عليه وآله ، انه قال : " لا هجرة بعد الفتح ،  
ولكن جهاد ونية ، واذا استنفرتم فانفروا " . (١)  
ونستفيد من الحديث ؛ ان الهجرة تصدق مع استضعاف المؤمنين . اما عند غلبة  
الدين ، فلا هجرة ، بل جهاد ، ونفر في سبيل الله .

ولعل ذلك مراد الامام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : " لا يقع اسم الهجرة  
على احد بمعرفة الحجة في الارض . فمن عرفها وأقرّ بها ، فهو مهاجر . ولا يقع  
اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة ، فسمعتها أذنه ووعاها قلبه " . (٢)  
وهؤلاء المهاجرون هم الصادقون في ايمانهم ، ولهم من الغنائم نصيب مفروض

٢/ والذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله ، يجوز لهم قتال  
اعداءهم ، للعودة الى بلادهم بعد تحريرها من الطغاة ، الذين ارادوا ان يفتنواهم عن  
دينهم . قال الله سبحانه : { اذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ  
لَقَدِيرٌ \* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ  
النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَّهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ  
كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } (الحج / ٣٩ - ٤٠) .

٣/ وأساساً الفتنة ، هي احد اسباب الحرب . ومن اجل ان يتحرر المؤمن من فتنة  
الكافر ، والأ يستسلم لطغيانه ، وبالتالي من اجل ان يحافظ على دينه ، فانه يهاجر  
الى الله ورسوله . ففي قصة بني اسرائيل اذ اخرجوا من ديارهم وابنائهم ، نجد انهم

(١) ميزان الحكمة / ج ١٠ / ص ٣٠١ / عن كنز العمال / خ ٤٦٢٥٠ .

(٢) نهج البلاغة / الخطبة رقم ١٨٩ .

طلبوا من نبيهم ان يجعل لهم ملكاً يقاتلون في سبيل الله معه ، فلما ذكرهم النبي انهم قد لا يقاتلون بإمرته ، قالوا ما ذكره ربنا سبحانه في الكتاب : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } (البقرة / ٢٤٦) .

٤/ كفار مكة ففتنوا المؤمنين ، وعذبوهم وقتلوا بعضهم ، واخرجوهم من ديارهم . فلما قاتل بعض المؤمنين سرية مرافقة لقاقتهم التجارية في الشهر الحرام (١) . اعترضوا . وسأل الناس عن القتال في الشهر الحرام ، فنزلت الآية الكريمة : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (البقرة / ٢١٧) .

وهكذا نجد ان الفتنة أشد من القتل ، وانها سبب معقول للهجرة ، حيث يخرج المهاجر من دار الفتنة الى دار الاسلام .

٥/ وحين يخرج المؤمن من وطنه ، لا يعلم شيئاً عن سائر البلاد ؛ يساوره الخوف ، ألا

يجد موقعاً مناسباً لكدحه وسعيه . ولكن الله سبحانه يبشره ، ان في الارض سعة تنتظره . قال الله سبحانه : { وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (النساء / ١٠٠) .

(١) جاء في التاريخ انهم اخطأوا في التقويم ، فكانوا يزعمون يوم القتال آخر يوم من جمادي الثانية ، وكان اول يوم من رجب . فاشاع الكفار ان المسلمين هتكوا حرمة رجب .

وهكذا يحقق المهاجر في سبيل الله هدفه في الرفاه والتقدم ، بالاضافة الى غايته السامية في الكرامة والأجر .

٦/ والولاية (الانتماء الى التجمع الالهي) من منجزات الهجرة ، (وقد تكون من اهداف المهاجرين ايضاً) . ولذلك فمن هاجر ، تمتع بميزات الولاية دون غيره . قال الله سبحانه : { وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } (النساء / ٨٩) .

وترى كيف نهى ربنا تعالى عن ولاية من لا يهاجر في سبيل الله .

٧/ وحين يهاجر المؤمن ، يجد اهل البلاد التي هاجر اليها ، اخوته في الله واوليائه . وهكذا تراه يبذل بالهجرة ، شر الناس باحسن الناس ولايةً وأملاً . قال الله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنَ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (الانفال / ٧٢) .

٨/ والولاية التي يحصل عليها المهاجر ، هي اسمى درجات الولاية ، حيث يصبح المهاجر واحداً من ابناء الأمة سواءً بسواء ، لا يفضل عليه احد من اهل البلاد إلا بالتقوى. ولعل هذا هو معنى { مِنْكُمْ } في الآية التالية ، حيث يقول ربنا سبحانه : { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (الانفال / ٧٥) .

ترى هذه الولاية مقدمة في الذكر على ولاية الارحام. بلى؛ الدين ابلغ ولاية من الرحم.

٩/ ويبدو ان الهجرة شرط الزواج . فالمرأة التي لاتهاجر ، لا يتزوجها المؤمن . هكذا نستفيد من قوله سبحانه : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي ءَاتَيْتَ

أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ  
خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ  
أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ  
فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلًا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا {  
( الاحزاب / ٥٠ ) .

ذلك ان الظاهر ؛ ان اشتراط الهجرة، يشمل كل البنات التي يجوز للنبي ان  
يتزوج منهن.

١٠ / والهجرة فريضة على الذين استضعفوا ، ( فلم يقدرُوا على تطبيق دينهم في  
ديارهم لغلبة الكفار) . قال الله سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ  
قَالُوا فِيمْ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً  
فَتَهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } ( النساء / ٩٧ ) .

وبالتأمل في كلمة { ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ } وكلمة { مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ } نعرف  
ان الهجرة مفروضة على من يظلم نفسه بمخالفة احكام الدين ، لانه مستضعف في  
الأرض ، ولان هناك من هو مستكبر فيها يفرض عليه سلطته الداعية الى مخالفة  
الدين .

وقد جاء في رواية ابي الجارود ، عن الامام ابي جعفر ( الباقر عليه السلام ) في  
قول الله تعالى : { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا } ، يقول : لا تطيعوا اهل الفسق من  
الملوك ، فان خفتموهم ان يفتنوكم على دينكم ، فان ارضي واسعة . وهو يقول :  
فيم كنتم ، قالوا : كنا مستضعفين في الارض . فقال : الم تكن ارض الله واسعة  
فتهاجروا فيها . (١)

١١ / وحب المهاجر فضيلة ، وهو دليل على تجاوز شح النفس . ومن تخلص من  
شح النفس ( من العصبية والانانية والنظرة الشوفينية ) ، فقد فاز بالفلاح . هكذا  
 نجد مثل الانصار في كتاب الله ، حيث يقول سبحانه : { وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ

(١) تفسير القمي / ج ٢ / ص ١٥ .

وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا  
أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شَحَنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ  
هُمُ الْمُفْلِحُونَ { (الحشر / ٩) .

١٢ / والمهاجر حقاً ، هو الذي يتبع الرسول في ساعة العسرة . اما الذي يهاجر  
بلده ، ولكنه يخلد الى الخفض والدعة في المهجر ، فانه ليس بتلك المكانة . ( ولذلك  
تجد الهجرة قد قرنت عادة بالجهاد ) ، وفي الآية التالية نجد كيف يتوب الله على  
الذين اتبعوا النبي صلى الله عليه وآله في ساعة العسرة . (وتأويل الآية في اتباع  
كل قائد الهي في مثل تلك الساعة) . قال الله تعالى : { لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ  
وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ  
فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ { ( التوبة / ١١٧) .

ومن هنا فان الهجرة التي لا جهاد معها ولا موالة ، فهي في حد التعرب  
والتحزب . قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : " واعلموا انكم صرتم بعد  
الهجرة اعراباً ، وبعد الموالة احزاباً ، ما تتعلقون من الاسلام إلا باسمه ، ولا  
تعرفون عن الايمان إلا رسمه " (١) .

وهكذا جاء في رواية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله قوله : " فان الهجرة  
لا تنقطع مادام الجهاد " (٢) .  
وروي عنه صلى الله عليه وآله : " لن تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار " (٣) .

### ^^عقبى المهاجر في الحياة :

١ / اول ما يبحث عنه المهاجر ، المحل المناسب للاقامة . أليس يفقد داره ودياره  
؟ والله سبحانه يعوضه في الدنيا داراً حسنة ، ودياراً طيبة . يقول الله تعالى : {

(١) نهج البلاغة / الخطبة رقم ١٩٢ .  
(٢) ميزان الحكمة / ج ١٠ / ص ٣٠٢ - عن كنز العمال / خ ٤٦٢٦٠ .  
(٣) المصدر عن كنز العمال / خ ٤٦٢٧٤ .

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا نَبُؤْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ { (النحل / ٤١) .

وقد تكررت آيات الذكر ، التي انبأت عن هذه الحقيقة ، وانه يجد المهاجر مراغماً في الأرض وسعة .

٢/ ولأن المهاجر يترك في بلده ابناء وطنه ورفاق صباه ، فان الله سبحانه يعوضه بأوليائه المؤمنين ، حيث ينتمي الى التجمع الالهي في المهاجر . يقول الله سبحانه : { النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا { (الاحزاب / ٦) .

في هذا التجمع ؛ قائد كرسول الله صلى الله عليه وآله ، او قائد في خطه سلام الله عليه وخط أهل بيته المعصومين عليهم السلام ، وأولياء ممن يتبعون الرسول . وقد سبقت آيات حول ولاية المهاجر ، وانه وأهل البلاد التي يهاجر اليها ، أولياء بعضهم من بعض .

٣/ وقد جعل الله سبحانه المغفرة ثواباً ، لمن انفق على المهاجرين في سبيل الله . قال الله تعالى : { وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْأَفْضَالِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا إِلَّا نَجَبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ { (النور / ٢٢) .

^^^ ثواب المهاجرين عند ربهم :

١/ اعظم ثواب المهاجرين رضوان الله ، وأي هدف اسمى منه ؟ والرضا عن اسمى الخلق ، والذي تجتمع به الفضائل ، وهو ثواب المهاجرين . والجنة التي اعد لها لهم ربهم ، خالدون فيها أبداً . أليس ذلك كله الفوز العظيم ، (حيث تتحقق الأهداف المثلى للانسان)؟ قال الله تعالى : { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ { (التوبة / ١٠٠) .

٢/ والانسان ضعيف ، والشيطان يغويه ، ونفسه ترديه . وحين ينتبه من غفلاته ويعود الى رشده ، يكون قصارى همته التخلص من وزر ذنوبه . والله سبحانه وعد المهاجرين التوبة، شريطة ان يتبعوا الرسول في ساعة العسرة ، وقد تلونا آية سورة التوبة آنفاً ، كما تلونا آية سورة النساء ، حيث بيّن ربنا ؛ ان المهاجر إذا ادركه الموت ، فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيماً . وفيها اشارة الى توبة الله عليه . وفي الآية التالية نقرأ قول ربنا تعالى : { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } (النحل / ١١٠) .

وبالتدبير في قوله سبحانه : { مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا } نعرف ان المهاجر قد تعرض للفتنة ، وربما سقط فيها في فترة من عمره . ربما كان من أنصار الطغاة ، او من أعوان الظلمة ، او في المضلين ، واليوم يغسل آثار ذنوبه بالهجرة ، ثم الجهاد والصبر . والله غفور رحيم .

٣/ والهجرة لا تختص بالرجال ، بل قد تكون النساء المهاجرات أشد تعرضاً للاذى . وهكذا ذكرهن ربنا سبحانه في كتابه ، وبيّن انه لا يضيع اجرهن كما الرجال تماماً ، لان النساء والرجال بعضهم من بعض . وقد وعدهم الله جميعاً غفران الذنوب ، والجنة ، ان هم جاهدوا وقاتلوا وقتلوا . قال سبحانه : { فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ نَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ النَّوَابِ } ( آل عمران / ١٩٥) .

٤/ والرزق الالهي الحسن ، جزاء المهاجرين ، سواء قتلوا في سبيل الله او ماتوا . قال الله سبحانه : { وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ } ( الحج / ٥٨ ) .

٥/ والرحمة الواسعة التي وعدنا الله للمهاجرين ، سواء في الدنيا او في الآخرة ، هي التي تقودهم الى اختيار هذا السبيل اللاب . يقول ربنا سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (البقرة/٢١٨) .

### ^^^ احكام الهجرة :

إذا هاجرت امرأة مؤمنة ، (فلعل هجرتها ليست خالصة لوجه الله) ، فانها تمتحن (١) .

فاذا عرفت مؤمنة (وقد هاجرت الى الله ورسوله) ، فلا يجوز ان ترجع الى الكفار . بلى ؛ يؤتى الكافر المهر الذي أنفقه في زواجه منها ، ثم لا بأس ان تتزوج من مسلم (بمهر) . وإذا فرّت امرأة الى الكفار ، فقد ارتدت وتنفصل عن زوجها الاول ، ولا يجوز للمسلم ابقاءها في حبالته . وعلى المسلمين مطالبة الكفار بمهرها ، كما للكفار ان يطالبوا بمهر التي هاجرت الى المسلمين . قال الله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ أَلْوَا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (الممتحنة/١٠) .

(١) قال المحقق الراوندي تمتحن بالشهادتين . (سلسلة الينايبع الفقهية ج ١٨ / ص ٢٥٧) ولكن الامتحان اعم من ذلك ، وهو يختلف حسب الظروف ، والله العالم .

## بصائر الآيات

١/ اذا تركت بلد الى آخر ، فقد هاجرت الأول الى الثاني . وقد تترك دين قومك فتهاجرهم . ومن ترك السيئات فقد هاجر ، ومن دخل في الاسلام طوعاً فقد هاجر .

٢/ والمهاجر يهدف سبيل الله اولاً بابتغاء فضله (الرزق مثلاً) . ثانياً بابتغاء رضوانه (التوبة مثلاً) . ثالثاً لنصرة دينه .

٣/ وقد اذن للذين اخرجوا من ديارهم بقتال المتسلطين عليها ، جهاداً في سبيل الله . فاذا تمكنوا في الأرض ، اقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وامروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر . وفي قصة بني اسرائيل الذين طلبوا من نبيهم ملكاً يقاتلون معه - وعلّوا ذلك بأنهم اخرجوا من ديارهم - في هذه القصة مثل للهجرة والقتال من بعدها .

٤/ والفتنة التي يجدها المؤمن في حكومة الكفار (والظلمة) ، سبب مشروع للهجرة . وقد فتنت قريش المؤمنين ، حتى اخرجوهم من مكة البلد الحرام . وكانت تلك ، فتنة أشد من القتل .

٥/ ومن يخرج من بيته مهاجراً ، سيجد في الأرض سعة . فلا يعدم فضل الله ، وورزقه

في مهجره .

٦/ والهجرة شرط الولاية . فمن لم يهاجر ، لا ولاية له . ومن هاجر فيكون من المؤمنين ، (لا فرق بينه وبين أهل البلد) . والمرأة التي لا تهاجر ، لا يتزوجها المؤمن . والتي التحقت بالكفار ، واصبحت كافرة ، يفسخ زواجها من المسلم ، وهم مطالبون بمهرها .

٧/ ومن استضعف في الأرض ولم يهاجر ، فقد ظلم نفسه ، ان كان قادراً على الهجرة .

- ٨/ وحب المهاجرين وايتارهم فضيلة للانصار (أهل البلاد) ، وهو سبب الفوز ،  
 ودليل التحرر من شح النفس .
- ٩/ والمهاجر (الذي يبحث عن التوبة) ، يتبع الرسول (وكل من يمثله) في ساعة  
 العسرة.
- ١٠/ وعقبى المهاجر في الدنيا ؛ انه يجد ارضاً وأولياء و اخوة في الدين ،  
 ورجالاً كراماً ينفقون اموالهم في سبيل الله عليه .
- ١١/ وعقبى المهاجر في الآخرة ؛ رحمة ومغفرة وجنة ورضواناً من عند الله .
- ١٢/ وحكم المهاجرة ان تمتحن ؛ فاذا كانت مؤمنة انفسخ عقدها من زوجها  
 الكافر ، فيؤتى ما انفق عليها .

### فقهاء الآيات

- ١/ (النساء / ٩٧) ، ( آل عمران / ١٩٥ ) ، ( الحج / ٣٩ - ٤٠ ) ، ( النحل /  
 ١١٠ ) ؛ اذا كانت الفتنة قائمة في بلد ، واذا كان الطاغوت حاكماً ، والظالم مهيمناً ،  
 فعليك ان تغادر البلاد الى حيث تستطيع ان تقيم شعائر الدين بحرية - وتقدر على  
 الجهاد في سبيل الله ، والقتال ضد الظالمين ، حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله -  
 . وهذا يعني :
- ألف : ان المحافظة على الحرية الدينية ، بل على الحرية بصفة عامة (والتي  
 تتنافى وصفة الاستضعاف) ؛ انها واجبة شرعاً لمن استطاع ، وإلا فهو ظالم لنفسه  
 ، تنهه ملائكة الموت عند قبض روحه .. فالحرية ، وبالذات الحرية الدينية من  
 القيم السامية ، التي يجب  
 على الانسان الهجرة من اجلها .
- وفي هذا المجال يقول المحقق الطلي في كتاب الشرائع : " وتجب الهجرة عن بلد  
 الشرك ، على من يضعف عن اظهار شعار الاسلام " . وعلق صاحب الجواهر

على ذلك بالقول ، مفسراً شعار الاسلام بما يلي : "من الاذان والصلاة والصوم وغيرها". ثم اضاف : "بلا خلاف أجده فيه ، بين من تعرض له ، كالفاضل والشهيدين وغيرهم" (١) .

وقال المحقق الحلبي : "والهجرة باقية مادام الكفر باقياً" . وعلق صاحب الجواهر على هذه الجملة بالقول : "لا أجد فيه خلافاً بيننا ، بل ظاهر المسالك انحصار الخلاف في بعض العامة" (٢) .

باء : ان الذين يستجيبون لفتنة الظالمين ، وترين قلوبهم بالذنوب ، بسبب استسلامهم للنظام الجاهلي ، لا بد ان يغسلوا هذا العار بالهجرة والجهاد ..

جيم : ويجوز ان يمارس المهاجر ، الذي اضطر للخروج من بلده ، حقه في القتال ، والدفاع عن حرمة الدين . وذلك بهدف اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . فالحركة الجهادية تبدء -حسب آية الحج- من مصادرة الطاغوت لحرية المؤمن واستقلاله ، ومحاولة فتنته عن دينه ، فيضطر الى الخروج . ثم يؤذن له بالقتال ، فيجاهد . وبجهاده يحفظ الله تعالى حرمة الدين ، وربما يمكنه الله في الارض ويؤتيه الملك ، وهناك يقيم حدود الله في مملكته .

ومن هنا نعرف حكم الهجرة من البلاد التي يتسلط عليها الظلمة والطغاة ، اذا كان من الممكن اقامة دولة الحق والحرية في بلاد أخرى ، او ان تكون الهجرة مقدمة لاقامة تلك الدولة في ذات البلاد بعد جهاد الظالم بألوان الجهاد السياسي والعسكري .

كما ان الآيات هذه تبين ان مشروعية الهجرة تتمثل في مواجهة الشرك الذي هو فرض سلطة غير سلطة دين الله وحاكمية غير حاكمية الله ، او محاولة فتنه المسلم

---

(١) جواهر الكلام للفقير الكبير الشيخ محمد حسن النجفي ( طبعة النجف الاشرف ) ج ٢١ / ص ٣٤ .

(٢) المصدر / ص ٣٦ .

لتغيير دينه ، او محاولة استضعاف المؤمن ومصادرة حقوقه السياسية او الاقتصادية او ما أشبه . ومن هنا نعرف ؛ ان الهجرة مستمرة ، حتى يوم القيامة اذ انها تقوم بدور اساسي في اقامة العدل، ومقاومة الظلم .

٢/ ( التوبة/١٠٠ ) ؛ نستفيد من الآية؛ قيمة السبق الى الهجرة، وقيمة الاتباع بالاحسان . اما السبق بالهجرة، فانه يجعل المؤمن مقرباً وجديراً بالاتباع. وقد جاء في حديث الامام أمير المؤمنين عليه السلام : " فاني ولدت على الفطرة، وسبقت الى الايمان والهجرة " . (١)

اما الاتباع ، فلا بد ان يكون في حدود تعاليم الدين . فالطاعة المطلقة ماهي إلا الله والرسول ، ومن أمر الله ورسوله بطاعته . والطاعة هذه في حد العباداة ، بل هي العباداة . بينما الاتباع الذي يكون باحسان ، انما هو الاتباع الواعي ، القائم على اساس مقاييس العقل والوحي . من هنا تجد المقارنة الكبرى بين العباداة والاحسان في قوله سبحانه : { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } ( الانعام/١٥١).

فالوالدان هما احق الناس بالعطف والمحبة ، ولكن لايجوز اتباعهما اتباعاً أعمى ، بل يجب الاحسان اليهما بلا حدود . لذلك قال ربنا سبحانه : { وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (لقمان / ١٥) .

٣/ (النور / ٢٢) ، (الحشر / ٨) ، (الانفال / ٧٤)؛ نستفيد من الآيات ؛ ان على اهل البلاد التي يهاجر المؤمنون اليها ، ان يحبوا من هاجر اليهم ، ويقوموا بواجبهم تجاه المهاجرين ، بما يلي :

---

(١) نهج البلاغة / الخطبة رقم ٥٧ .

الف : بالانفاق عليهم ، وبالذات من قبل الاغنياء . ونستفيد من سياق سورة الحشر ؛ ان المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم ، ثم كانوا ينصرون الله ورسوله ، هم مورد صرف الفيء . فقد جاءت الآية (٧) حول مصارف الفيء ، ثم ذكر القرآن في الآية (٨) المهاجرين بهذه الكلمة { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ } .

باء : بايوائهم، لكي لايشعروا بالغربة، كما فعلت الانصار من أهل المدينة للمهاجرين من أهل مكة . حيث جاء في التاريخ انهم قاسموهم اموالهم ومسكنهم، فلما فتحت خيبر خيّرهم النبي صلى الله عليه وآله بين ان يقسم الغنائم بين جميع المسلمين ؛ المهاجرين والانصار، فيبقى الوضع كما هو . وبين ان يخصص المهاجرين، حتى يتمكنوا من اداء دينهم للانصار . فقالت الانصار : بل نقسم لاخواننا من ديارنا وأموالنا ، ونؤثرهم بالغنيمة (١) . ولكن النبي صلى الله عليه وآله خص بها المهاجرين ، وهم - بدورهم - اعدوا الى الانصار اموالهم .

تقول الرواية التاريخية : نقلاً عن انس بن مالك : " ان رسول الله لما فرغ من قتال اهل خيبر ، وانصرف الى المدينة ، رد المهاجرون الى الانصار منائحهم التي كانوا منحوهم من ثمارهم . قال (انس) : فرد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى أمي عذاقها (٢) ، واعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ام ايمن مكانهن من حائطه (٣) .

جيم : بنصرتهم ، والدفاع عنهم ، بمثل ما يدافعون عن انفسهم . فاذا اراد الكفار والظلمة استرداد المهاجرين ، لا يجوز تسليمهم . بل قد تدخل بلاد المهجر في حرب شعواء ، دفاعاً عن آوهم وأجاروهم من المستضعفين .

٤ / ( الاحزاب / ٦ ) ، ( النساء / ٨٩ ) ، ( الانفال / ٧٢ ) ؛ نستلهم من آيات الذكر الحكيم ، مدى علاقة الولاية (الايمانية بين ابناء المجتمع) بالهجرة . فمن

---

(١) تفسير القرطبي الجزء الثامن عشر / ص ٢٥ ( تفسير سورة الحشر ) .

(٢) معناها : النخلات جمع عذق يعني النخلة .

(٣) المصدر / ص ٢٦ .

هاجر ، دخل في حصن ولاية المؤمنين دون غيره . ومن ذلك نستفيد الحقائق التالية :-

ألف : نظام المجتمع الاسلامي قائم على اساس الولاية ، فمن دخل حصنها تمتع بالحقوق التي جعلت للمسلمين . فهو يعطى من الفيء ، ويجوز الزواج معه ، ويكون ضمن العسكر . وبالتالي : المواطنة الاسلامية ؛ شرطها الولاية ، ودار الاسلام ؛ هي الدار التي تحيط بالذين دخلوا في اطار الولاية . (١)

باء : اذا هاجر المؤمن ، فانه يندمج بالمجتمع الجديد ، ويصبح جزءاً عضواً منه ، بلا فرق بينه وبين غيره من ابناء المجتمع ، من المهاجرين السابقين (٢) او من اهل البلاد (٣). والاحكام الدينية تجري عليهم جميعاً ، سواءً بسواء . وهكذا تنصهر كل القبائل والقوميات والشعوب في بوتقة واحدة ؛ هي بوتقة الايمان والولاية .

## الفقه المقارن

ودراسة الهجرة من البعد الاجتماعي ، تحملنا الى صعيد الدساتير والقوانين السائدة ، التي تطبق اليوم على المهاجرين . سواءً التي تتصل بنظام المواطنة (التابعة ، الجنسية) ، او بنظام الهجرة . واليك بعض التفصيل في هذا الجانب :

١/ التابعة - في لغة القانون - علاقة سياسية (ومعنوية) ، ترتبط شخصاً ببلد . واضاف بعضهم ؛ انها علاقة دائمة بهذا البلد، وهي تتحقق بواحدة من اسباب ثلاثة: فيما الدم، وإما التربة، وإما التجنس؛ وهي التابعة القانونية (او الارادية)،

---

(١) فيما يأتي من الحديث عن الفقه المقارن ، نذكر انشاء الله عن هذا البند ببعض التفصيل .

(٢) حسب الآية ٧٥ من سورة الأنفال .

(٣) حسب الآية ٧٢ من سورة الأنفال .

مثل الذي يحصل على جنسية بلد بعد ان يقيم به فترة معينة ، او يخدمه خدمة معينة ، او يتزوج من أهله ، وهكذا ..

وتكاد دول العالم لا تختلف في تابعة الدم ، حيث ان المولود من ابوين ينتميان الى جنسية معينة ، يولد متجنساً بها فطرياً . بينما هناك بعض الاختلاف في تابعة التربة ، واختلاف اكبر في التجنس .

وهذا الاختلاف خصوصاً في القسم الثالث ، دليل على عدم وجود ملاك واحد لتشريع قانون الجنسية والتجنس في العالم . بل بالعكس تماماً ، وضع معظم هذه القوانين من وحي المصالح العاجلة لهذه الدولة او تلك . يقول في ذلك الدكتور السيد حسن امامي : لم تراعى في ( تشريع قانون التابعية ) واختيار سبب الدم او التربة ، اية حقيقة مسلمة ومطلقة عن قيد الزمان والمكان . وبتعبير آخر ؛ ليست التابعية مسألة فلسفية او منطقية ،

حتى نبحث لها عن حلول واحدة صالحة لكل موقع وكل عصر . (١)

واذا عرفنا ان مسألة الجنسية والتجنس تعتبر احد أهم القضايا التي تتصل بصميم حياة البشر في كل مكان ، وتعتمد عليها مئات القوانين المصيرية ؛ نعرف حجم الماساة القانونية للانسانية اليوم ، حيث ان أهم ، او لا اقل من أهم اصول حياتها تخضع لمصالح وارهاء ، وربما اهواء حفنة من السياسيين ، من دون ان تعتمد على قاعدة فلسفية أصلية ، ولا أصل علمي رصين . واي قيمة تبقى بعدئذ لحقوق الانسان في ظل هذه الفوضى ، في وضع القوانين المصيرية للبشر ؟ وهذه العبثية في مسألة حق الانسان في الانتماء .

٢/ وباستثناء جملة بسيطة من قوانين التجنس القائمة على اساس ارادي ، فان مجمل قوانين الجنسية تابعة للولادة والتربة ، وهي قوانين مفروضة على الانسان . فلانك ابن والد يحمل الجنسية لهذا البلد او انك ولدت في هذه الارض ، فلا بد ان

---

(١) حقوق مدني ( بالفارسية ) ج ٤ / ص ١٦٢ .

تتحمل والى آخر حياتك وزر ذلك تماماً ، كما تتحمل متاعب مرض وراثي . فاين العدالة ؟ واين حق البشر في الاختيار الحر ؟

ان ميزة الانسان عن غيره ، هي حريته في اختيار صيغة حياته . وان هذه الميزة هي قاعدة كل المدارس الفلسفية، والشرائع السماوية . وقد الفت القوانين الوضعية هذه القاعدة في واحدة من أهم قضايا حياة البشر . فاي ظلم اكبر من هذا ، أم أي ضلالة أبعد منه ؟

٣/ ودين الله القويم يرى البشر من نفس واحدة ، حيث يقول ربنا سبحانه : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } (النساء/١).

وقال سبحانه : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (الحجرات/١٣) .

والارض التي نسكنها انما هي لله ، يورثها من يشاء من عباده ، حيث يقول سبحانه : { قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } (الاعراف / ١٢٨) .

والارض جعلها للناس جميعاً ، حيث يقول سبحانه : { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } (الملك / ١٥) .

فاذا كان الناس قد خلقوا من نفس واحدة ، واذا كانت الارض لهم ، فما هي هذه الفوارق الفاحشة بين انسان ولد من هذا الاب او في هذه الأرض ، وبين ذلك الانسان الذي ولد من أب آخر او في ارض ثانية ؟

بلى ؛ لايمكن الغاء الانتماء الفطري (الى النسب او الارض) ، ولكن لا يمكن جعله القيمة الأسمى . بل هو خاضع لقيمة الارادة ، والانتخاب الحر للانسان .

٤/ ودين الاسلام الحنيف قد جعل ولاية الايمان ، والانتماء الارادي الشفاف ؛ القيمة الأسمى ، والمعيار الأساسي للتابعة . فحينما اثير جدل حول الانتماء الى

النبي ابراهيم عليه السلام ، جاءت الآية الكريمة واضحة جداً : { إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } (آل عمران ٦٨/).

وقال ربنا سبحانه ، حول ولاية المؤمنين لبعضهم : { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (التوبة / ٧١) .

وقال عن الكفار : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } (الانفال / ٧٣) .  
وبعد ان قال سبحانه : { وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ } قال تعالى : { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } (الحجرات / ١٣) . فالتقوى (التي تتصل بارادة الانسان) ، هي الاساس للكرامة .

٥/ ومن هنا كانت دار الاسلام ، هي الدار التي يسكنها المؤمنون بالاسلام ، سواء ولدوا من اباوين مسلمين ام لا ، وسواء ولدوا في ذات الارض ام لا ، وسواء انتموا الى هذه السلالة او القومية ام تلك ..

٦/ ويأتي اساس قانون الهجرة من هذه الفلسفة . فاذا هاجر انسان الى دار الاسلام مسلماً ، فقد اصبح مواطناً لها ، وله ولاية المسلمين (كما سبق في بحث فقه الآيات آنفاً) . وهكذا حرّم الاسلام التعرب بعد الهجرة ، وقد جاء في حديث مأثور عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام : ان من الكبائر قتل المؤمن عمداً .. الى ان قال : والتعرب بعد الهجرة (١) . وروي عن النبي صلى الله عليه وآله ، في وصيته لعلي عليه السلام انه قال : ولا تعرب بعد الهجرة (٢) .

## ٨٨٨ اخلاقيات المهاجر

(١) مستدرک الوسائل / ج ٢ / ص ٢٦٠ .

(٢) الوسائل / ج ١١ / ص ٧٥ / رواية ١ .

١/ من أهم اخلاقيات المهاجر ؛ الاخلاص في هجرته .. وشفافية اهدافه التي يضعها نصب عينيه . ونستوحي ذلك من كلمة في " سبيل الله " في آيات القرآن عند ذكر الهجرة او المهاجر ، ومن ضرورة امتحان المهاجرة لتعرف انها مؤمنة . وفي بعض القوانين الحديثة لاتقبل تابعة المهاجر ، الذي يتهرب من الخدمة العسكرية في بلاده . (١)

وفي حديث مأثور عن النبي صلى الله عليه وآله ، انه قال : " فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله . ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ، فهجرته الى ما هاجر اليه " . (٢) وهكذا ينبغي على المهاجر ان يخلص في ولائه للمؤمنين الذين آووه ونصروه ، والأيدع في قلبه غلاً لهم ولا اثراً للعصية الوطنية السابقة ، فيفسد عليه هجرته ، ويضعف اندماجه في الوطن الجديد .

٢/ وعلى المهاجر في سبيل الله ان يستفيد من الحرية التي انعمها عليه ربه ، ويجاهد في سبيل الله والمستضعفين الذين لايزالون يعانون من الظلم في بلده الأول . فالهجرة قرنت بالجهاد في آيات كثيرة ، وقد أذن الله للذين اخرجوا من ديارهم بغير حق ان يقاتلوا ، ووعدوا من عند الله بالنصر ، حيث قال ربنا سبحانه : { أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ } (الحج / ٣٩) .

٣/ وعلى المهاجر ان يصمد امام الصعوبات التي يجدها في المهاجر ، ويزداد ولاءً لقيادته الايمانية حتى يتوب الله عليه ، كما كان السابقون من المهاجرين الذين اتبعوه في ساعة العسرة . واما الذين يتلکأون في الاستجابة لنداء الجهاد ، يخشى ان يكونوا كمن قال عنهم الامام أمير المؤمنين عليه السلام : " واعلموا انكم صرتم

---

(١) القانون الذي كان مرعياً في ايران قبل الثورة الاسلامية ، يتضمن هذا الشرط .

(٢) بحار الأنوار / ج ٦٧ / ص ٢١١ / رواية ٣٥ .

بعد الهجرة اعراباً ، وبعد الموالاتة احزاباً ، ما تتعلقون من الاسلام إلا باسمه ، ولا تعرفون من الايمان إلا رسمه " . (١)

٤/ والمهاجر يهاجر السيئات ، كما يهاجر بلاد الظلم . وحسبما جاء في حديث مأثور عن النبي صلى الله عليه وآله ، انه قال : " الهجرة هجرتان ؛ ان تهجر السيئات ، والاخرى ان تهجر الى الله تعالى ورسوله . ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة " . (٢)

وفي حديث آخر ، عنه صلى الله عليه وآله ، انه قال : " افضل الهجرة ، ان تهجر ما كره الله " . (٣)

## ^^^ في رحاب الأحاديث

١/ جاء في حديث مأثور عن الامام الباقر عليه السلام : " من دخل في الاسلام طوعاً فهو مهاجر " . (٤)

٢/ وفي قوله تعالى : { يا عبادي الذين آمنوا ... } قال ابو عبد الله الامام الصادق عليه السلام : " اذا عصي الله في ارض انت فيها ، فاخرج منها الى غيرها " . (٥)

٣/ عن حماد السمندي قال : قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام : اني ادخل بلاد الشرك ، وان من عندنا يقولون ان مت ثم حشرت معهم . قال : فقال لي : يا حماد ؛ اذا كنت ثم تذكر أمرنا وتدعو اليه . قال : قلت : نعم . قال : فاذا

---

(١) نهج البلاغة / الخطبة رقم ١٩٢ .  
(٢) عن كنز العمال / خ ٤٦٢٦٢ .  
(٣) المصدر / خ ٤٦٢٦٣ .  
(٤) بحار الأنوار / ج ١٠٠ / ص ٤٦ .  
(٥) تفسير مجمع البيان / ج ٣ / ص ٢٩١ .

كنت في هذه المدن ، مدن الاسلام تذكر أمرنا وتدعو اليه . قال : قلت : لا . فقال لي : انك ان تمت ثم تحشر أمة وحدك ، ويسعى نورك بين يديك . (١)  
أقول : يظهر من هذا الحديث ؛ ان الحرية الدينية هدف مقدس ، وان من يتعرض لتفتيش العقائد في البلاد التي تسمى باسلامية يجوز له السفر الى البلاد الاخرى ذات الحرية السياسية ، واطهار عقائده هناك وبصورة علنية .  
٤/ عن حذيفة بن منصور قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : " المتعرب بعد الهجرة ، التارك لهذا الأمر بعد معرفته " . (٢)

---

(١) الوسائل / ج ١١ / باب ٣٦ من ابواب جهاد العدو / ص ٧٦ / رواية ٦ .  
(٢) المصدر / رواية ٣ .

## ^^ الاعداد الشامل

قال الله تعالى : { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ } ( الانفال / ٦٠ ).

وهكذا كانت الآية تدعونا لقيمة من ابرز القيم، وهي قيمة الاعداد . والاعداد قد يكون اعداداً عسكرياً، وهدفه بعث الرهبة في قلوب الاعداء . ليس اولئك الذين نعرفهم، وانما اولئك الذين يرشحون لكي يكونوا اعداء في المستقبل .

من حقائق الايمان ، ومن دعائمه الاساسية الصبر ؛ ولا يعني الصبر . مجرد الانتظار السلبي ، بل انه الغاء لفاصل الزمن ، والشوق الى الخير ، والشفق من الشر، وبالتالي الانبعاث الى العمل بدافع التطوير .

وهكذا تكون قيمة الاعداد من قيم الايمان، لأن المؤمن لا يعيش مؤثرات الحاضر فقط، بل يعتقد بأن غيب المستقبل حق، وان عليه ان يسلم له ويعترف به . وهذا هو الاعداد .

١ / وقد أمرنا الله سبحانه بالاعداد للعدو بكل ما نستطيعه من قوة (مادية او معنوية)، ومن جاهزية قتالية ترهب العدو الحاضر كما ترهب العدو المستقبل الذي لا نعرفه . والاعداد بحاجة الى الانفاق (وهو نوع من الاستثمار) ، والله سبحانه يعيد الى المنفق ما انفقه دون ان يمنعه منه شيئاً . قال الله سبحانه : { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ } ( الانفال / ٦٠ )

٢ / واهمال الاعداد، دليل انعدام نية الجهاد . وهكذا بين الله تعالى ان اهمال قوم للاعداد ، دليل على عدم نية الخروج الى الجهاد . قال الله سبحانه : { وَلَوْ أَرَادُوا

الْخُرُوجَ لِأَعْدُوِّ لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ اللَّهَ انبَعَثَهُمْ فَتَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ {  
(التوبة / ٤٦) ، ونستوحي من الآية؛ ان من اعد لعمل صالح، يوفقه الله له .

## فقهاء الآيات

في آية الاعداد بصيرتان، نواتا فوائد عظيمة؛ اولهما: تفقهننا بأهمية الاعداد.  
والثانية: تذكرنا بدور القوة في الردع . ومن هاتين البصيرتين نستوحي وصايا،  
وأحكاماً:

ألف / يُطَوَّى الْمُسْتَقْبَلُ أَمَامَ نَاطِرِي الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَرَاهُ قَرِيباً، بل حاضراً. لأن  
بصيرة المؤمن تنفذ في ضمير الغيب، فهو يؤمن بالأخرة، فكيف لا يرى المستقبل  
في الدنيا؟

بلى؛ المؤمن يتبع نهج أميره الامام علي عليه السلام في نظرتة الثاقبة الى المدى  
البعيد، حتى وُصف عليه السلام بأنه كان بعيد المدى، وقد أوصى بذلك ابنه محمد  
بن الحنفية في الحرب، فقال له : "ارم ببصرك اقصى القوم".

وقد جاء في القرآن الحكيم : { فِيمَا تَنَقَّفْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ  
لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ } (الانفال / ٥٧) .

وهكذا ينبغي ان يأخذ الاعداد للمستقبل موقعه في وعي المؤمنين ، وذلك لدرء  
الايثار المحتملة .

والاعداد نوع من استثمار الطاقة والوقت، واستباق الحدث، وتوقي الشر قبل  
نزوله، ودرء الخطر قبل استفحاله. وهو الى ذلك يحفظ الانسان من الغرور  
والترف، ويحمله على النشاط والجد .

باء / والقوة التي في الآية ، تشمل كل ما يرهب العدو من عدد وعدة . ولأن  
الآية

الكريمة ذات عموم، فالواجب اعداد انفسنا بكل الوسائل العصرية التي ترهب العدو وتردعه، ومنها ما يلي :

١ - الاعداد النفسي، وتعبئة الأمة للدفاع عن انفسهم بكل وسيلة ممكنة . فإن الأمة الخائرة عزيمتها تنهار مع أول هجمة ، حتى ولو كانت ذات امكانات مادية .

٢ - الاعداد البشري . فإن الرجال المدربين القادرين على استخدام الوسائل الحربية، وبالذات الحديثة والمعقدة ، هم عصب القوات المدافعة عن الأمة .

٣ - الاعداد الاقتصادي . فإن الحرب منهكة للأمة، والأمة الضعيفة اقتصادياً لاتقدر على مواجهة خطر الحرب .

٤ - توفير أحدث وأفضل الاسلحة . فإن سنة من الترهل والتسامح قد تجعل أمة من الناس خارج إطار الزمن ، لأن تطور الأسلحة اليوم - كما تطور كل وسائل الحياة - تطور سريع .

٥ - توفير الوسائل القتالية الأخرى؛ مثل شبكة الطرق ، المطارات العسكرية ، والخطوط الحديدية، والخنادق المنيعه ، والمعسكرات الوسيعة ، ووسائل النقل .

٦ - الجاهزية القتالية ، التي يمكن توفيرها بالمزيد من المناورات العسكرية . ولعل قوله سبحانه في الآية الكريمة { وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ } اشارة الى الجاهزية الدفاعية . فإن الخيل هي الوسيلة المثلى التي كانت عند العرب ، فإذا رابطت الخيل فقد توفرت سائر وسائل الحرب من عدة وعدد .

ونستفيد من الآية الكريمة، مدى أهمية الردع في الحرب. فإنك لو كنت قد اعددت نفسك للقتال اعداداً كافياً، فإن العدو قد لايفكر في الهجوم. وبذلك يكفيك الله مؤونة القتال، وأخطاره وويلاته، بأقل ثمن ممكن. والله الموفق .

## ^^ الاستقامة العملية

الاستقامة ميراث اليقين . وغاية المؤمنين ، ان يهديهم الله الصراط المستقيم ، وان يعبدوا ربهم حتى يأتيهم اليقين . وقد امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله ان يستقيم كما أمر ، وبشر الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل الملائكة مبشرين، ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون، حتى يدخلوا الجنة. كما ذكرنا تعالى، بان لو استقاموا على الطريقة لسقاهم ربهم ماء غدقاً .

١/ في خواتيم سورة هود، وبعد بيان القرآن لجهاد الانبياء عليهم السلام ، واستقامتهم ضد طغيان الأمم ، وتوكلهم على ربهم ، وبيان عاقبة الأمم وكيف دمرت وانتصر الله لرسله حتى كانوا هم الغالبين باذن الله . بعد بيان ذلك كله، يأمر الله سبحانه نبيه بالاستقامة . والاستقامة تكون على الطريقة التي أمر الله بها، تلك الطريقة التي نطلب من الله سبحانه ان يهدينا إليها في كل صلاة، فنقول : { اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } (الفاتحة/٦). واستقامة النبي هي بتأييد الرب سبحانه، وعصمته التي تتجلى في مرافقة روح القدس له . وقال تعالى في آية كريمة : { وَلَوْلَا أَنْ تَبَتَّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً } (الاسراء/٧٤)

اما المؤمنون معه، فقد لايقاومون الضغوط، فيسقطون على اطراف الطريق . ولكنهم لا يلبثون ان يعودوا الى الطريق بالتوبة. ولان الاستقامة التي تكون سبيلاً الى النصر، قد تدعو البعض الى الطغيان. فقد نهى ربنا سبحانه عنه في قوله تعالى: { فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (هود/١١٢)

ولعل الفاء في هذه الآية ذات اشارة الى عبرة القصاص التي مرّ ذكرها في آيات سورة هود .

٢/ والاستقامة تأتي بعد الشهادة بوحدانية الله، (لان الشهادة بالوحدانية تعني التحرر التام من كل الطغاة والجبابرة، ومن جبت النفس والحميات والجاهلية وسائر الفواحش الباطنة. وعندما يعلن المرء الشهادة بالله، والتحرر من الشرك، تنهال عليه الضغوط بكل ألوانها، وتبدء الفتنة الكبرى حيث يستقيم من كان ايمانه مستقراً وشهادته صادقة). وهؤلاء لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون . ( إذ الخوف ميراث الضعف، والحزن عقبى الخطاء. والمؤمن قوي بالتمسك بالله القوي العزيز، ومستبشر أبداً بالطريقة الصحيحة). قال الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (الاحقاف / ١٣)

٣/ والشهادة برؤية الله؛ (لا ربوبية الطاغوت، ولا ربوبية الدهر، ولا ربوبية المجتمع او الاسرة او القوم)؛ انها شهادة ثقيلة في ميزان الحق. وهكذا فهي تستوجب الاستقامة، (لانها تقتضي التعرض للفتن). ولا يترك الرب عباده الذين يستقيمون، بل ينزل عليهم ملائكته (يثبتوهم)، وليقولوا لهم لا تخافوا (فانهم في امان الله وحفظه وتحت ظل رعايته)، ولا تحزنوا (فان طريقكم سليم وعاقبته الحسنی، فلماذا الحزن)، ويبشروهم بالجنة (واي عمل تكون عاقبته الجنة، لا خسارة فيه). وإن الملائكة يبشرون العباد الصالحين بانهم اولياءهم في الدنيا، (يسددونهم ويثبتونهم وينصرونهم في الدنيا)، وفي الآخرة (يرافقونهم الى الجنة بفضل الله سبحانه). قال الله سبحانه: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ \* نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ \* نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ } (فصلت / ٣٠ - ٣٢)

٤/ وعقبى الاستقامة في الدنيا ايضاً؛ الماء الغدق، (الذي ينفع الزرع والضرع ، وينعش

الحياة والحضارة ) . قال سبحانه : { وَأَلِّوْا سِنْتَكُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا } (الجن / ١٦)

والماء الغدق في تفسير اهل بيت الوحي، العلم الوافر الذي يرزقه الله لمن استقام على الولاية . والطريقة هي التي أمر الله بها، والتي ندعو الله ان يهدينا اليها، وهي الشريعة الالهية .

٥/ والاستقامة من مسؤوليات القادة اولاً، ثم الجماهير . وهكذا خصص الله النبي صلى الله عليه وآله بالأمر بها في سورة هود . وكذلك أمر موسى وهارون عليهما السلام بها، حيث قال تعالى : { قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (يونس / ٨٩)

والله سبحانه استجاب دعوة رسوله موسى وهارون، وانزل عليهما النصر، وايدهما على فرعون وملاه - وطمس على أموالهم، وشد على قلوبهم - . ولكنه سبحانه دعاهما الى الاستقامة . فهل كانت هذه الاستقامة تعني الصبر على اذى فرعون حتى يحين ميعاد النصر الالهي ، أم كانت تعني الاستقامة بعد النصر وعدم الاستجابة لاهواء بني اسرائيل الذين قالوا لموسى بعد النصر اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ؟

حقاً؛ كلا الأمرين محتمل، ولكن يبدو ان الثاني اقرب، لانه تعالى نهاهما عن اتباع سبيل الذين لا يعلمون . وهذه الكلمة اصدق الى بني اسرائيل، والله العالم .

٦/ والاستقامة ضد الطاغوت هي الأجلى والأظهر من مصاديق الاستقامة، ولكن قد تكون الاستقامة ضد الجبت . (فمثلاً : الاستقامة في الوفاء بالعهد، وبالذات مع العدو، وخصوصاً إذا غلب العدو وقهر، حيث أن هوى الانسان يدعوه وباصرار الى ترك الاستقامة). بينما ربنا سبحانه يدعوه الى الاستقامة، فيقول تعالى : { كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } (التوبة / ٧)

وختام الآية تشير الى ان الوفاء بالعهد، حتى مع المشركين الذين يوفون بعهدهم، من سمات المتقين .

## ^^^ بصائر الآيات

- ١/ الاستقامة فريضة الهية، (وهي ميراث الايمان والتقوى). ومحور الاستقامة أمر الله، والاستمرار على الطريقة (التي أمر الله بها) .
- ٢/ (والمؤمن يتعرض للضغوط بعد ان يشهد بربانية الله). وقد بشر الله المؤمنين الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، بأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وان الملائكة تنزل عليهم وتبشرهم بالجنة .
- ٣/ ولو أن الناس استقاموا على الطريقة (التي أمروا بها من نهج الولاية)، لسقاهم الله ماءً غدقاً (من وفرة الثمرات، وعلماً غزيراً) .
- ٤/ وقد أمر الله انبياءه بالاستقامة، ونهى عن اتباع سبيل الذين لا يعلمون. (مما نستفيد؛ ان الاستقامة قد تكون ضد الجاهلين من اتباع الانبياء) .
- ٥/ ومن الاستقامة؛ (مقاومة الجبت، وتحدي الأهواء. فيجب) الوفاء بالعهد، حتى العهد الذي يكون مع المشركين، (بالرغم من وسوسة الهوى بنقض العهد معهم) .

## ^^^ فقه الآيات

^^^ فاستقم كما أمرت ومن تاب :

(هود / ١١٢) ، (يونس / ٨٩) ، (الجن / ١٦)؛ لان كتاب الله فرقان بين الحق والباطل، وبيان شاف للأسئلة الحائرة التي تعيشها البشرية في مختلف الظروف، ولأن الدعوة الى الله وحملة رسالاته المضيئة يخوضون صراعاً مريراً وقاسياً مع الأمم الضالة وقياداتها الطاغية ، فانهم يتعرضون لفتن عمياء ظلماء، ويتعرضون لزواجع من الهواجس والأفكار السلبية وأسئلة حائرة؛ بالذات عندما تطول محنتهم ،

ويتأخر النصر عنهم، حتى يقولوا متى نصر الله . لذلك كله، فقد أنزل الله سبحانه في كتابه العزيز ما فيه فرقان وبيان لمعضلات الدعوة الالهية والبلاغ الرسالي .

وفيما يلي نستوحي من الآيات التي تليت، طائفة من البصائر :

الف : لقد كانت في قصص الانبياء عليهم السلام؛ في جهادهم العظيم، عبر لمن أراد الاعتبار. وفي سورة هود بيان لهذه القصص؛ فابتداء من قصة شيخ المرسلين نوح عليه السلام، الذي دعا قومه الى التوحيد فابلق في الدعوة، حتى قال له قومه : يا نوح قد جادلنا فأكثررت جدالنا. فلم ينتفعوا بنصحه حتى أغرقوا ( هود / ٤٩ ) . وانتهاً بقصة فرعون وملاه ، إذ ارسل الله اليهم النبي موسى عليه السلام بالآيات وسلطان مبين ، فاتبعوا امر فرعون فأوردتهم النار ( هود / ٩٦-٩٩ ) . ومروراً بقصص النبي هود عليه السلام إذ ارسل الى عاد ( هود / ٥٠-٦٠ ) ، والنبي صالح عليه السلام الذي ارسل الى ثمود ( هود / ٦١-٦٨ ) ، والنبي لوط عليه السلام إذ أرسله الله الى قومه فتمادوا في الفاحشة حتى دمر الله قراهم ( هود / ٧٤-٨٣ ) ، وقصة النبي شعيب عليه السلام، حيث ارسله الله الى مدين فلم يوفوا بالمكيال والميزان فأخذتهم الصيحة ( هود / ٨٤-٩٥ ) . وقد اختلفت مظاهر تكذيب الأمم للرسول، ولكن المحتوى كان واحداً ، حيث قال ربنا سبحانه : { نَلِكِ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ \* وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ } ( هود / ١٠٠-١٠١ ) .

لقد ظلموا أنفسهم، وعبدوا غير ربهم، ولم يستجيبوا للنذر، فاخذهم الله أخذاً أليماً شديداً .

وبعد بيان تلك القصص، قال ربنا سبحانه : { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ } ( هود / ١١٠ ) ، ثم قال سبحانه : { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ } ( هود / ١١٢ ) . فالاستقامة إذاً هي حكمة بالغة، تستوحي من قصص الرسل. ولعل الفاء هنا ذات دلالة على

ذلك اذ الفاء للتفريع، واخذ النتيجة . فمادام الجهاد الطويل ينتهي الى العاقبة الحسنى، فلا بد من الاستقامة الى بلوغ تلك العاقبة .

باء : والاستقامة لابد ان تكون وفق أمر الله ، وعلى هدى الله ، وطريقة الحق التي دعا

اليها الله سبحانه ، وهي الطريقة التي جاءت في الكتاب. وهذه الكلمة { كَمَا أَمِرْتُ } في آية هود، تفسر كلمة "الطريقة" في سورة الجن. و ضد طريقة الهدى سبيل الذين لا يعلمون، الذي نهى ربنا عن اتباعه في سورة يونس .

فالطريقة هي طريقة الهدى، كما قال المفسر المعروف "الطبري"، إذ قال : لو استقاموا على طريقة الهدى، بدلالة قوله: { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا لَهُمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ } (١)

وبدلالة الآية السابقة في سورة هود، والتي أشارت الى التوراة، يكون الأمر هنا هو ما في القرآن، والاستقامة عليه العمل بمحكمه والاختلاف اليه؛ لا الاختلاف فيه، ولا العمل بمتشابهه. وبالتالي جعله ميزاناً لحل الخلافات، ومرجعاً لفض النزاع . وهذا هو الذي تركه اليهود فابتلوا بالخلاف، وتركه المسلمون فكانت عاقبتهم السوءى .

وهكذا كانت الاستقامة هنا في مواجهة التيارات المختلفة، التي تنشأ في الأمم بعد نشوءها وانتشارها واختلاف الآراء والمصالح بين ابناءها، وعادة بعد غياب مؤسسها الأوائل . ففي أيام موسى بن عمران عليه السلام اختلف اليهود؛ فمنهم من قال : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، ومنهم من عبد العجل وقال هذا الهكم واله موسى، ومنهم من قال : ارنا الله جهرة .. إن مواجهة التيارات المختلفة ليست هينة، بل هي اصعب من مواجهة الاعداء من الخارج. ولكنها ضرورية، وإلا لانحرفت الأمة عن مسارها، وانتفت حكمة الرسالات الالهية .

---

(١) مجمع البيان / ج ١٠ / ص ٣٧١ .

ولعل الاحاديث التي وردت في النبي عن البدع وأمر العلماء بفضح المبتدعين ، كانت من أجل مواجهة الحكام الذين يشتركون بالدين، ويتخذون منه وسيلة لتسلطهم، ويؤولون نصوص الدين حسب اهواءهم، ثم يضيفون الى الدين عبر عملاءهم من اشباه العلماء ما يثبت سلطانهم، ويقوي اركان نظامهم .

والولاية وخطها الصحيح أمان من البدع. يقول الامام علي عليه السلام : "وقد قلتُمْ { رَبُّنَا اللَّهُ } فاستقيموا على كتابه، وعلى منهج أمره، وعلى الطريقة الصالحة من عبادته،

ثم لا تمرقوا منها، ولا تبتدعوا فيها، ولا تخالفوا عنها". (١)

ومن هنا جاء في تفسير كلمة الطريقة؛ انها الولاية . وان الماء الغدق، هو العلم الكثير . فقد روى بريد العجلي قال: سألت أبا عبد الله (الامام الصادق عليه السلام) عن قول الله عز وجل : "وَأَلِّمُوا سِتْمَامًا عَلَى الطَّرِيقَةِ" ؟ قال : يعني الولاية . " لاسقيناهم ماءً غدقاً " قال : لأنقناهم علماً كثيراً يتعلمونه من الأئمة . (٢) وعن الامام الباقر عليه السلام قال : لأشربنا قلوبهم الايمان، والطريقة هي الايمان بولاية علي والأوصياء . (٣)

بلى؛ كما الماء حياة الأرض ، فالعلم حياة القلب ، والطريقة الايمانية السليمة هي طريقة الولاية، والولاية هي الانتماء الى خط الرسالة الأصيل؛ خط النبي وأهل بيته، وحزب الله المنتمين اليهم بصدق، والله المستعان .

جيم : والاستقامة صفة الحجة المؤيد بنصر الله؛ ومن لا يستقيم، لا يصلح حجة بين الله وعبده. ومن هنا فقد أيد الله رسله بروح القدس، لكي لا يضلوا ولا يزلوا. فقال سبحانه عن النبي صلى الله عليه وآله : { وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً } (الاسراء/٧٤)، وقال عن النبي يوسف عليه السلام : { وَلَقَدْ

(١) نهج البلاغة / الخطبة ١٧٦ .

(٢) البصائر / ج ٤٩ / ص ٤٢٨ .

(٣) المصدر .

هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَعَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } (يوسف/ ٢٤) وقال : { قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ } (يوسف/ ٣٢) .

ولكن المؤمنين ليسوا كذلك، حيث ان بعضهم ينهار امام ضغوط الأعداء . ولكن ثبات القائد الرباني، يجعلهم يعودون الى الخط السليم بعد الانحراف عنه. ولعله لذلك قال الله تعالى : { وَمَنْ تَابَ مَعَكَ } (هود/ ١١٢) فان المؤمنين يتوبون من قريب، وينتمون الى الحق بعد الغياب عنه. ولذلك لا ينبغي للمؤمن ان ييأس إذا سقط في الفتنة، بل يعود تائباً الى الرسول وأهل بيته وخلفاءهم.

والشجاعة في نقد الذات، والتوبة بعد الذنب، هي من أهم سمات المؤمن. بينما المنافق تأخذه العزة بالإثم، فيصد مستكبراً على ما فعل . ومن هنا فعلينا ان نجعل الحق؛ لا أعمالنا ومواقفنا ميزاناً للهدى، فنضل ونهلك لا سمح الله ..

دال : والاستقامة تعني - فيما تعني - مجانية الطغيان . فمن استقام على الطريق حسبما أمر الله سبحانه، ترك التطرف، والذي قد يكون سبباً للطغيان . وان كثيراً من حركات المعارضة تحولت الى انظمة ظالمة، بالرغم من تظاهرها بالمبدئية والمناقبية، وحتى تستر بعضها بالشرعية الدينية، لانها كانت فاقدة لروح الاستقامة على الطريق والالتزام باوامر الشرع المبين .

إن على المؤمن المجاهد ان يجعل العمل الرسالي الذي وفقه الله له، معراجاً لروحه، وتزكية لنفسه، ومدرسة لتنمية الاخلاق الفاضلة .. لكي لا يصبح طاعياً في الأرض مستكبراً، فيخسر عاقبته عند ربه ، ويكتفي بثواب الدنيا دون ثواب الله العظيم في الآخرة.

إن الدعوة الى الله، والصبر في مواجهة الطغاة، والحركة ضد الانظمة الفاسدة.. كلها عبادات. والعبادة لا تقبل عند الله سبحانه إلا باخلاص النية ، حتى يكون داعية الى العمل رضوان الله فقط و فقط؛ نقياً مطهراً من دواعي الحمية والعصبيية او حب

الرئاسة والعلو في الأرض، او ما أشبهه من الدواعي الشيطانية التي تتسرب الى النفس في غفلة من صاحبها، والعياذ بالله .

هاء : ومن ابعاد الاستقامة في الدعوة الى الله سبحانه ، والجهاد ضد الطغاة ؛ استقلال الداعية، واعتماده على الله وحده دون الظلمة، من الذين قد يعارضون الطاغوت الذي نحاربه. ولكن ليس بذات الداعي الايماني الذي يعارضه به المؤمنون ، وانما بدواعي شيطانية . ومن هنا فقد نهى سبحانه عن الركون الى الظالمين، بعد ان أمر بالاستقامة، فقال سبحانه : { وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ } (هود / ١١٣)

وببيان بالغ الوضوح ، ذكرنا الرب سبحانه؛ بأن الركون الى الظالمين يفقد المؤمنين أهم ركن لهم، وهو ولاية ربهم . كما يفقدهم النصر .

وهكذا الاستقامة تعني - فيما تعني - الاستقلال عن الظالمين، حتى ولو كانوا مؤيدين جزئياً لحركة العاملين في سبيل الله سبحانه .

واو : وزاد المؤمن في مسيرته المستقيمة التبتل الى ربه، بالصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ، حيث يقول ربنا سبحانه : { وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ } (هود / ١١٤)

وكلما زادت الفتن حدة، كلما تضرع الدعاة الى الله، وتبتلوا تبتلياً حتى يحافظوا بفضل الله على توازنهم. فلا يياسوا، ولا يركنوا الى الظلمة، ولا يطغوا .

زاء : ومن تجليات الاستقامة؛ الصبر، وانتظار الفرج الذي وعد الله عباده بالغيب . والصبر ميراث اليقين، بأن الله لا يضيع أجر المحسنين، حيث قال تعالى : { وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } (هود / ١١٥)

حاء : وقد يوسوس الشيطان في صدور العاملين، بأن استقامتهم على خط الدعوة لا نفع فيها ولا جدوى لها . كلا؛ ان الله سبحانه يؤتي - بفضلله ومنه - العاملين في سبيله أجراً في الدنيا، إذ ينجيهم من العذاب الذي ينزل على الظلمة وعلى الساكتين عنهم من المؤمنين، حيث يقول تعالى : { فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا

بَقِيَّةٌ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ { (هود / ١١٦)

وبالتدبر في قوله سبحانه : { إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ } وقوله في آية أخرى : { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } (الاعراف/ ١٦٥) نعرف إن الناهين عن الفساد هم الناجون . وهكذا نقرأ في حديث الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " من رغب في السلامة، ألزم نفسه الاستقامة ". (١)

بالإضافة الى ذلك نستفيد من هذه الآية؛ ان في وجود فئة ناهية عن الفساد، حكمة بالغة، هي اتمام حجة الله على خلقه . فالاستقامة مفيدة فائدة اخروية، حتى ولو لم تكن ذات فائدة ملموسة في الدنيا. وقلة العاملين لتوحش المجاهدين، لان القلة محمودة. وقد جاء في حديث شريف : " لا تستوحشوا من طريق الحق لقلة سالكيه "

طاء : ويبدو من الآية التالية ؛ ان للاستقامة والاستمرار في النهي عن الفساد ، فائدة اجتماعية . حيث ان الله سبحانه يؤخر العذاب عن القرية الظالمة ، بسبب وجود مصلحين فيها . هذا أحد المعاني التي يمكن استفادتها من قول الله سبحانه : { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ } (هود / ١١٧)

~~~~~  
قالوا ربنا الله ثم استقاموا :

جاء في الحديث المأثور عن الامام علي عليه السلام، أنه قال : قلت : يا رسول الله؛ اوصني . قال : قل ربي الله ، ثم استقم . قلت : ربي الله ، وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه انيب . قال : لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ - ابا الحسن - لقد شربت العلم ونهلتها نهلاً . (٢)

---

(١) ميزان الحكمة / ج ٨ / ص ٢٨٩ - عن غرر الحكم .  
(٢) عن كنز العمال / خ ٣٦٥٢٤ .

ماذا تعني كلمة " ربي الله " ، ولماذا قال ربنا سبحانه : { **ثُمَّ اسْتَقَامُوا** } ، وكيف تنزل الملائكة على من استقام ، ولماذا ؟؟ التفكر في هذه الحقائق ، يهدينا باذن الله تعالى الى البصائر التالية :

ألف : عندما تقرر أمة العيش مستقلة ومتقدمة ، وتسعى الى قهر الطبيعة وتسخيرها ، وتريد التغلب على الفقر والمرض والجهل .. فعليها ان نستعد لدفع الثمن المناسب، لتحقيق تلك الغايات المثلى . ومن يمني نفسه بالاهداف الكبرى، دون ان يكون مستعداً للعطاء المناسب، فانه يبحث عن سراب .

وكلمة "ربي الله" هي تلك الكلمة الكبرى، التي تعني التحرر والاستقلال عن عبادة الطغاة، وعن الخضوع للمجتمع الفاسد، وعن الاسترسال مع شهوات النفس واهواءها، ثم التسليم التام لرب العالمين وهداه وشرائعه .

اولئك الذين اخرجوا من ديارهم، كانوا يقولون ربنا الله . قال الله سبحانه : { **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ** } (الحج/٤٠)

وقد عذب فرعون الطاغية السحرة التائبين، لأنهم قالوا آمنا برب هارون وموسى . ولما قال ابراهيم عليه السلام : { **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** } (الانعام/٧٩) اراد قومه اصرافه ، فانجاه الله .

وهكذا كانت كلمة "ربي الله" محور الصراع بين الحق والباطل . فكان على من يسمو الى درجة الشهادة بها، ان يستعد للبلاء ، وان يسأل الله توفيق الاستقامة .

باء : وجاء السياق بحرف " ثم " لعله للدلالة على ضرورة الاستقامة المستمرة . فان من يصبر اياماً ثم ينهار، لا يعد مستقيماً . وكما يقول الامام أمير المؤمنين

عليه السلام : " العمل العمل ، ثم النهاية النهاية ، والاستقامة الاستقامة " . (١)

---

( ١ ) نهج البلاغة / خطبة رقم ١٧٦ .

إن غاية الاستقامة نهاية العمر ، حيث قال ربنا سبحانه : { **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** } (الحجر/٩٩) وقال تعالى : { **فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** } (البقرة/١٣٢)

جيم : ان رفض الطاغوت والتمسك بالله وحده، هو القوة ؛ حيث قال سبحانه : { **فَمَنْ يُكْفِرِ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لِأَنْفِصَامٍ لِّهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** } (البقرة/٢٥٦)

وحين يكفر المؤمن بالطاغوت ويتجنبه ، فإنه يرفض ثقافته الجاهلية ، وما في هذه الثقافة من عوامل الخنوع والذل والتخلف . ثم يرفض قوانينه التي هي أصر واغلال ، ويتحرر من هيئته وخوفه ، ويتحرر من اغرائه وزخارفه، فيكون قوياً . أليس القوي هو الذي لا يخاف ولا يحزن ؟ كذلك قال ربنا سبحانه، عمن استقام على الطريقة : { **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** } ( الاحقاف / ١٣ )

ان الاستقامة تعلق بالمؤمن عن مؤثرات الحياة المادية العاجلة، فيصبح كما قال سبحانه : { **لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** } (الحديد/٢٣) فيكون قوياً بالله سبحانه .

والاستقامة قوة في القلب ، بينها ملائكة الله الذين ينزلون على عبده ؛ حيث قال سبحانه : { **تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ**

**تُوَعَدُونَ** } (فصلت/٣٠)

وهكذا المؤمن الذي عزم بتوفيق الله على الاستقامة، يؤيد بالملائكة الذين يثبتونه، ويبشرونه بالجنة. ومن اشتاق الى الجنة، سلا عن الشهوات، واستهسل المكاره . المؤمن قد يشعر بالوحدة، حين يرى اكثر الناس يخذلون الحق، ولا يتناهون عن المنكرات. هناك ينصره الله - اذا استقام - بالملائكة الذين يبشرونه بانهم اولياءه .

دال : وكلمة أخيرة ؛ النفس البشرية كما الفولاذ، ولا تصلح إلا بتعرضها لنيران الفتنة الشديدة . وكل فتنة تقع فيها النفس، تتخلص بها من بعض الشوائب، حتى تصفو من أكثرها، وتكون صالحة للعودة الى الجنة . إذ الجنة ليست محلاً للنفوس المريضة. انها دار السلام، فلا يدخلها من في قلبه كبر او طمع او غل .. وإذا كانت الجنة مثل الدنيا يمكن ان يعيش بها مختلف الناس، لانتفت حكمة الخلق، ولما اخرج ابونا آدم وزوجه من الجنة .. انهما اخرجوا لما كان في قلوبهما من طمع الملك والخلود، فوسوس اليهما الشيطان باثارة هذا الطمع حتى اخرجهما . وانما يعودان اليها بعد تصفية ذلك الطمع، حتى يكونا كما قال سبحانه : { لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ } (الاعراف/٤٦) وقال تعالى : { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ } (الاعراف/٤٣) .

ومن هنا فان حكمة الفتن تطهير النفوس من تلك الرواسب ، التي لا يدخل الجنة من كانت فيها. وانما الذي يستقيم على الطريقة، يتخلص منها باذن الله تعالى . والله المستعان.

#### الاستقامة في تطبيق الشرائع :

(التوبة /٧) ؛ ثلاثة بصائر نستفيدها من هذه الآية الكريمة :

ألف : ان اهتمام المجاهد بالاستقامة في طريق الكفاح الشانك، لا يمنعه عن الاهتمام بها في سائر ابعاد الحياة . فبالرغم من صراع المجاهد مع اعداء الاسلام، إلا انه يلتزم بعهوده معهم . لان صراعه مبدئي، وقائم على اساس الايمان، وليس الهوى والحمية .

باء : ان القيم، حقوق متبادلة بين ابناء البشر . فكما تمسكت امة بقيمها، استحققت التمسك معها بالقيم. وقد قال ربنا سبحانه : { وَالْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ } (البقرة/١٩٤) جيم : ان الوفاء بالعهد ، وبالذات مع الاعداء والمخالفين مستصعب، وبحاجة الى استقامة، بما لها من مثابرة وصبر وعناء .

## ^^^ في رحاب الأحاديث

- ١/ قال الامام الصادق عليه السلام : "المؤمن له قوة في دين .. وبرّ في استقامة". (١)
- ٢/ قال الامام علي عليه السلام : "اعلموا ان الله تبارك وتعالى يبغض من عباده المتلّون. فلا تزولوا عن الحق، وولاية اهل الحق، فإنه من استبدل بنا هلك". (٢)
- ٣/ قال أمير المؤمنين عليه السلام : "افضل السعادة استقامة الدين". (٣)
- ٤/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : "ان تستقيموا تفلحوا". (٤)
- ٥/ قال أمير المؤمنين عليه السلام : "من استقام فالى الجنة ، ومن زلّ فالى النار". (٥)
- ٦/ قال أمير المؤمنين عليه السلام : "الاستقامة سلامة". (٦)
- ٧/ قال أمير المؤمنين عليه السلام : "من لزم الاستقامة لزمته السلامة". (٧)
- ٨/ قال أمير المؤمنين عليه السلام : "علك بمنهج الاستقامة، فإنه يكسبك الكرامة، ويكفيك الملامة". (٨)

---

(١) ميزان الحكمة / ج ٨ / ص ٢٨٧ - عن بحار الأنوار / ج ٦٧ / ص ٢٧١ .  
(٢) المصدر عن بحار الأنوار / ج ١٠ / ص ١٠٥ .  
(٣) المصدر عن غرر الحكم .  
(٤) ميزان الحكمة / ج ٨ / ص ٢٨٨ - عن كنز العمال / خ ٥٤٧٩ .  
(٥) المصدر عن نهج البلاغة / خ ١١٩ .  
(٦) المصدر عن غرر الحكم .  
(٧) المصدر عن بحار الأنوار / ج ٧٨ / ص ٩١ .  
(٨) المصدر عن غرر الحكم .

## ^^ الجهاد ذروة التصدي

الايمان وعي المسؤولية ؛ ومن دون التصدي لمسؤوليات الايمان ، فانه يبقى ناقصاً ضعيفاً . ومن ابعاد التصدي الجهاد في سبيل الله ، دفاعاً عن قيم الحق ، ودعوة اليها . وهو من الوسائل التي تعرج بنا الى الله ( كما نستوحىها من الآية التي نتلوها ) ، ومن سبل الفلاح . وهكذا الايمان لا يستدل عليه فقط بالاعمال الظاهرية ( كسقاية الحاج وعمارۃ المسجد الحرام ) ، بل بالجهاد الذي هو اعظم . ولذلك لا يستوي المجاهدون والقاعدون ، بل الله قد فضل المجاهدين اجراً عظيماً .

^^^ معنى الجهاد :

١ / الجهد ( بالرفع ) هو خلاصة سعي الانسان ، ولعله نهاية سعيه . قال الله سبحانه : { الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (التوبة / ٧٩)  
فهؤلاء هم الكادحون ، الذين يبذلون جهدهم في سبيل عيشهم (او قسارى جهدهم) .

٢ / والجهد (بالفتح) هو غاية الجهد الذي يبذله الفرد . قال الله تعالى : { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنَبْتَغِيَ الْبِرَّ بِهَا وَأَن نَّكُونَ مِنَ الْمُكَذِبِينَ } (الانعام / ١٠٩)

٣ / والجهد هو بذل أقصى الجهد في مواجهة جهة ثانية . قال الله سبحانه : {  
وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا  
تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (العنكبوت / ٨)

٤ / ولذلك فان مقاومة الرسول للكفار سمي جهاداً . قال ربنا سبحانه : { يَا أَيُّهَا  
النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ }  
(التوبة / ٧٣)

٥ / وهكذا قرنت كلمة الجهاد بالغلظة ، وربما قرنت بالكبير ، كما في قوله  
سبحانه : { فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } (الفرقان / ٥٢)  
وهكذا نستوحي؛ ان معنى الجهاد بذل أقصى الجهد في مواجهة طرف اخر،  
الذي قد يكون طرفاً خارجياً مثل الكفار، او داخلياً مثل النفس، حيث سمي جهادها  
بالجهاد الأكبر.

ولقد روي عن فضيل بن عياض انه سأل الامام الصادق عليه السلام عن الجهاد  
؛ أسنة هو أم فريضة؟ فقال عليه السلام : " الجهاد على أربعة أوجه ؛ فجهادان  
فرض ، وجهاد سنة لا يقام إلا مع فرض ، وجهاد سنة . فأما أحد الفرضين  
فمجاهدة الرجل نفسه عن معاصي الله عز وجل ، وهو من أعظم الجهاد . ومجاهدة  
الذين يلونكم من الكفار فرض . وأما الجهاد الذي هو سنة لا يقام إلا مع فرض ، فان  
مجاهدة العدو فرض على جميع الأمة، ولو تركوا الجهاد لأتاهم العذاب ، وهذا هو  
من عذاب الأمة ، وهو سنة على الامام أن يأتي العدو مع الأمة فيجاهدهم . وأما  
الجهاد الذي هو سنة ، فكل سنة أقامها الرجل وجاهد في اقامتها وبلوغها واحيائها ،  
فالعمل والسعي فيها من أفضل الأعمال ، لانه أحيى سنة . قال النبي صلى الله عليه  
 وآله : من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير ان ينتقص من  
أجورهم شيء " . (١)

(١) بحار الأنوار / ج ٩٧ / ص ٢٣ .

وروي عن الامام الصادق عليه السلام انه قال : ان النبي صلى الله عليه وآله بعث بسرية، فلما رجعوا قال : مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر . قيل : يا رسول الله ؛ وما الجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد النفس . (١)  
^^^ بين الجهاد والايمان :

١ / الجهاد هو قيمة سامية من قيم الايمان ، تتمثل في التصدي للدفاع عن الحق . يقول عنه ربنا سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (المائدة / ٣٥)  
وفي هذه الآية تبيان لعوامل الفلاح الثلاث :  
ألف : التقوى ؛ وهي اتباع شرائع الدين باخلاص ، والتقيد بحدود الدين الحنيف باخلاص.

باء : ابتغاء الوسيلة ؛ وهو - فيما يبدو - العمل الصالح في مختلف أبعاد الحياة ، وفي اطار الولاية الإلهية .

جيم : الجهاد ؛ وهو بذل اقصى الجهد في سبيل الله ، ومواجهة العقبات الشيطانية الداخلية (جبت الهوى) او الخارجية (طاغوت الكفر والشرك والنفاق) .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : " الجهاد عماد الدين ، ومنهاج السعداء " . (٢)  
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : " إن أحب الأعمال الى الله عز وجل الصلاة والبر والجهاد " . (٣)

وجاء في خبر أبي زر ، أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله : أي الاعمال أحب الى الله عز وجل؟ فقال : " ايمان بالله ، وجهاد في سبيله " . قال : فأبي الجهاد أفضل ؟ قال : " من عقر جواده ، وأهريق دمه في سبيل الله " . (٤)

---

(١) المصدر / ج ١٩ / ص ١٨٢ .  
(٢) ميزان الحكمة / ج ٢ / ص ١٢٤ عن غرر الحكم .  
(٣) بحار الأنوار / ج ٩٧ / ص ١١ .  
(٤) المصدر .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : " أفضل ما توسل به المتوسلون ؛ الايمان بالله ورسوله ، والجهاد في سبيل الله ". (١)

ويبدو ان الوسيلة هنا هي التي يتوسل الانسان بها الى الله من حب اولياء الله وطاعتهم.

٢ / وهكذا جاء الجهاد شرطاً من شروط الايمان ، التي اشترى الله بها انفس المؤمنين . قال الله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } ( الصف / ١٠ - ١١ )

وهنا جاءت كلمة الخير (التي هي أفعل تفضيل) للدلالة على أن الذلة والخنوع والاستسلام للدعة والخفض قد تستهوي بعض الناس لما فيها من الراحة العاجلة ، إلا ان الجهاد بالمال والنفس أفضل للمستقبل . ويبدو ان شرائط تحقق الخير هنا ، هي عوامل تحقق الفلاح في الآية السابقة، وهي الايمان بالله (التقوى)، والايمن بالرسول (الوسيلة) والجهاد .

قال الامام علي عليه السلام : " ان الله فرض الجهاد وعظمه ، وجعله نصره وناصره . والله ما صلحت دنيا ولا دين إلا به ". (٢)

٣ / وامر الله بالجهاد في قائمة اهم الواجبات التي تفرض على المؤمنين ( بعد الصلاة وفعل الخير ) ، ثم امر ربنا ان يرتفع مستوى الجهاد الى اسمى درجاته حتى يكون حق الجهاد . قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ } (الحج / ٧٧ - ٧٨)

ونستوحي من كلمة {حَقَّ جِهَادِهِ} ؛ ان جهاد المسلم لربه يكون - عادة - بقدر معرفته به سبحانه ، فكلما زادت معرفته بربه ازداد جهاداً في سبيله . والله العالم .

(١) المصدر / ص ١٢ .

(٢) ميزان الحكمة / ج ٢ / ص ١٢٥ / عن وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٩ .

كما نستوحي ؛ إن الجهاد من أبرز صفات المسلمين، ومن شرائط الاجتباء لهذه الأمة المرحومة .

قال الامام علي عليه السلام : " ان الجهاد أشرف الاعمال بعد الاسلام، وهو قوام الدين، والأجر فيه عظيم مع العزة والمنعة . وهو الكرّة ، فيه الحسنات والبشرى بالجنة بعد الشهادة " . (١)

٤ / وجعل الجهاد من اوامر الانتماء الى الامة ، ومن ادلة صدق الانتماء . قال الله سبحانه : { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (الانفال / ٧٥)

### ^^^ آفاق الجهاد :

وآفاق الجهاد تتسع لتشمل كل مواجهة في سبيل الله ، ابتداءً من الحرب العسكرية، الى الاعداد المالي والنفسي لها ، الى تحمل اذى الاعداء الجسدي والنفسي ، وما اشبه .

١ / فالجهاد يترجم في كثير من الاحيان في صيغة حرب شاملة . (وهذا هو المعنى المتبادر من الكلمة - عادة - ، وقد اصطلح هذا المعنى في الفقه الاسلامي ايضاً) . قال الله سبحانه : { انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } (التوبة / ٤١)

فالنفر هو الخروج للحرب ، وقد يكون بصورة سرايا سريعة ( او حتى مشاة ) ، وقد يكون ثقيلًا في صورة تعبئة عامة .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " للجنة باب يقال له باب المجاهدين ؛ يمضون اليه فاذا هو مفتوح ، وهم متقلدون سيوفهم ، والجمع في الموقف والملائكة

---

(١) المصدر عن تفسير نور الثقلين / ج ١ / ص ٤٠٨ .

ترحب بهم . فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً في نفسه ، وفقراً في معيشته ، ومحقاً في دينه . إن الله تبارك وتعالى أعز أمتي بسنابك خيلها ، ومراكز رحمها " . (١)

وقال الامام الباقر عليه السلام : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال :  
إني راغب نشيط في الجهاد . قال صلى الله عليه وآله : " فجاهد في سبيل الله ؛  
فإنك ان تقتل كنت حياً عند الله ترزق ، وان مت فقد وقع أجرك على الله ، وان  
رجعت خرجت من الذنوب الى الله " . (٢)

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، انه قال : " السيف مقاتل الجنة  
" . (٣)

٢ / والجهاد بالمال يشمل الانفاق الذي يعد به الجيش ، كما يتسع لكل ما ينمي قوة  
المواجهة . قال الله تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ  
يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ }  
(الحجرات / ١٥)

فكلمة { ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا } تهدينا الى خطورة المواجهة مع الاعداء ، والتي ربما  
أدت الى الارتياح عند البعض . والجهاد بالمال في تلك الظروف ، يعتبر علامة  
بارزة للايمان . وقد يشمل الجهاد بالمال ، الانفاق على العمل الرسالي من صافي  
المال ، بالإضافة الى الحقوق المالية المفروضة ، وذلك إذا كانت الأمة بحاجة الى  
ذلك . كما يشمل الجهاد بالنفس بذل المزيد من الطاقة في سبيل التحرك الرسالي .  
قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " من جبن من الجهاد فليجهز بالمال رجلاً  
يجاهد في سبيل الله ، والمجاهد في سبيل الله إن جهز بمال غيره فله فضل الجهاد ،  
ولمن جهزه فضل النفقة في سبيل الله ، وكلاهما فضل . والجود بالنفس أفضل في  
سبيل الله من الجود بالمال " . (٤)

---

(١) بحار الأنوار / ج ٩٧ / ص ٩ .  
(٢) ميزان الحكمة / ج ٢ / ص ١٢٧ / عن تفسير نور الثقلين / ج ١ / ص ٤٠٩ .  
(٣) المصدر عن مستدرك الوسائل / ج ٢ / ص ٢٤٣ .  
(٤) المصدر عن مستدرك الوسائل / ج ٢ / ص ٢٤٥ .

٣ / وقد يكون الجهاد بعد الهجرة ؛ مما يعني تحمل مشاق الهجرة ثم مواجهة  
الاعداء مواجهة شاملة . (وربما تقتضي التفرغ للجهاد) . قال الله سبحانه : {  
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ  
الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } (الانفال / ٧٤)  
وهنا اعتبرت قيمة الجهاد مع قيمة النصره، من اسمى القيم التي تدل على حقيقة  
الايمان.

^^^عقبى الجهاد :

١ / لقد فضل الله المجاهدين في الامة على القاعدين اجرا عظيما ، وجعلهم اعظم  
درجة عنده ، وجعلهم الفائزين . قال الله سبحانه : { لَأَيُّسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ  
اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى  
وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا } (النساء / ٩٥)  
ونستفيد من السياق البصائر التالية :

الف : ان الجهاد بالمال قد يقدم على الجهاد بالنفس تقديماً زمنياً ، حيث ان كثيراً  
من آفاق الجهاد لا تتحقق إلا بالمال .

باء : من كان الجهاد يضر به يسقط عنه .

جيم : ان الجهاد درجة اعلى من الايمان ، ولكن ليس ابدأ شرطاً من شروط  
الايمان . فالقاعد الذي يعمل بفرائض الدين ، وعده الله الحسنى . وهذه الآية تردم  
الفجوة التي قد تحصل بين المجاهدين والقاعدين .

دال : وقد فضل الله المجاهدين على القاعدين ، وعلينا ان نفضلهم في الأمور  
السياسية والاجتماعية . وقد أشاد الامام علي عليه السلام بفضلهم ، حين قال : "  
المجاهدون تفتح لهم ابواب السماء" . (١)

(١) ميزان الحكمة / ج ٢ / ص ١٢٦ عن غرر الحكم .

٢ / قد تنمو في الامة طبقة مستكبرة يرفضون قيادة المجاهدين ، ويحاولون الاستعاضة عن الجهاد ببعض المظاهر ليخدعوا بها البسطاء ؛ مثل بناء المساجد ، والاهتمام بالمساكين .. وبالرغم من اهمية هذه الامور ، إلا انها لا تعادل فضيلة الايمان والجهاد في سبيل الله . قال الله سبحانه : { أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } (التوبة / ١٩ - ٢٠)

والبصائر التالية نستلهمها من السياق :

الف : حين يجعل القرآن سقاية الحاج اقل قيمة من الجهاد ، نعرف ان سقاية غيرهم ليست بمستوى الجهاد يقيناً ، لان الحاج هم احوج الى السقي . كذلك حين يجعل عمارة المسجد الحرام في الفضل اقل من الجهاد ، فإننا نعرف ان الجهاد اعظم من عمارة اي مسجد اخر ، فضلاً عن عمارة محل آخر ؛ مثل تعبيد الطرق ، وبناء الجسور ، وانشاء المصانع ، وما الى ذلك .

باء : يذكرنا القرآن في خاتمة الآية ، بأن الله لا يهدي القوم الظالمين ؛ مما يهدينا الى ان الطبقة التي تفضل سقاية الحاج او عمارة المسجد على الايمان والجهاد ، هم من الظالمين الذين يسلبون حقوق الناس ، ويتسترون بعمارة المسجد او سقاية الحاج .

جيم : هنا كما في الآية السابقة ، يبين القرآن ان الفوز من نصيب المجاهدين . لماذا ؟ لان الانسان القاعد او الذي يعمر مسجد يرجو الفوز ( والنجاح ) بعمله ، ولكن لا يضمن الفوز إلا المجاهد ، والله العالم . كما يؤكد القرآن ان طبقة المجاهدين هم الأعلى (سياسياً واجتماعياً).

دال : ونستفيد من الآية ؛ ان الاستقلال السياسي والعزة والكرامة وسائر القيم الدينية ، أهم وأعظم من العمران المدني والتقدم المادي . وهكذا يكون الجهاد الذي يحافظ على هذه القيم ، أعظم درجة من سائر الأعمال .

هاء : بالجهاد يقاوم الانسان نفسه ، ويتجاوز شهواته واهواءه . وهكذا تتساقط عنه حجب الضلالة ، وتتجلى له بصائر الحقيقة ، ويهديه الله الى الصراط المستقيم . بينما الأعمال الظاهرية الأخرى قد تكون وسيلة لاختفاء الظلم ، وتكريس الضلالة . وهكذا نجد الطغاة والمترفين يتسترون وراء طائفة من الأعمال الصالحة ، بممارسة الظلم والخيانة بحق المحرومين .

٣ / والمجاهد يفوز بالخيرات (في الدنيا) ، وبالفلاح (في الآخرة) . فهو يحقق طموحاته السامية بالفلاح ، ويحقق نجاحاً حاضراً بالخيرات ؛ مثل الغنائم . قال الله سبحانه : { لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (التوبة / ٨٨)

٤ / وان الله يبشر المجاهدين برحمة منه (مثل الخيرات والغنائم الحاضرة) ، وبرضوان منه (حيث يغفر ذنوبهم ويرضى منهم) ، وبالجنات . قال الله سبحانه : { يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ \* خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } (التوبة / ٢١ - ٢٢)

٥ / والمغفرة من اعظم اهداف الذين يتوبون الى ربهم بعد قضاء وقت مديد في خدمة الطغاة واتباع الشهوات ، والله سبحانه يعد الذين يهاجرون بعد الفتنة ( والانخداع باتباع الشيطان ) ثم يجاهدون في سبيل الله ، يعدهم بالمغفرة ان صبروا على اذى الهجرة والجهاد . قال ربنا سبحانه : { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } (النحل / ١١٠)

ان خيانة الأمة اعظم خيانة ؛ وان نصرة الظالم ، والسكوت عن حكم الطاغوت ، وتأييد المترفين والفاسقين .. كل اولئك جرائم عظيمة ، لا بد من الكفاح الدائب لمحوها من كتاب الأعمال . ولكن كيف ؟

إن الذنب يمحي بالحسنة . والحسنة التي تمحي ذنباً كبيراً . كالجرائم السياسية التي ذكرناها ، هي الجهاد ؛ لأنه يصلح ما افسده الانسان بتلك الجرائم . ان النجاة من النار ، تستدعي النجاة من آثار الجرائم التي ارتكبتها الانسان بتأييد الطاغوت أو السكوت عنه . ألا ترى كيف ان السحرة تاب الله عليهم ، وكان جهادهم (بالكلمة) ضد فرعون ، وشهادتهم في سبيل الله كفارة لذنوبهم ؟ أو رأيت كيف ان الحرّ بن يزيد الرياحي غسل ذنبه في تأييد بني أمية بالشهادة بين يدي السبط الشهيد ؟ وكذلك المجاهد يغسل الفتنة التي تعرض لها بنصرة الظالمين ، يغسلها بجهاده ضد الظلمة . فاذا جاهد وصبر فان الله غفور رحيم .

٦ / والمجاهد في سبيل الله يفتح الله بصائرهم على الحقائق ، فيهديه الى سبيل السلام . (تلك السبل التي تحمله الى اهدائه بأيسر الجهد ، واقرب الوقت . تلك السبل التي هدى الله النحل لتسلكها ذللاً ، وتنتج العسل . وتلك السبل التي يهدي الله الذين اتبعوا رضوانه اليها) . وهكذا يكون الجهاد وسيلة لمعرفة افضل الطرق الى الاهداف المشروعة . قال الله سبحانه : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } (العنكبوت / ٦٩)

^^^ عاقبة المتقاعسين :

والذين يناقلون عن الجهاد ، ويستأذنون الرسول عند المواجهة للتهرب من الجهاد ، ويستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ، انهم جميعاً يفقدون شرطاً اساسياً من شروط الايمان .

١ / فالجهاد الواجب (عند التعبئة العامة مثلاً) فريضة لا يجوز التخلف عنها ، ولا يجوز طاعة الوالدين او الزوجة او الاشتغال بالاولاد والاموال والمسكن وترك الجهاد . قال الله سبحانه : { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } (التوبة / ٢٤) .

وهكذا يعتبر التقاعس عن الجهاد فسقا وحجابا دون هداية الله ، وسبباً للضلالة عن الصراط المستقيم .

ونستفيد من الآية ؛ ان هناك عقبات اجتماعية واقتصادية تحول دون ارادة الجهاد ، وعلى المؤمن ان يتحداها حتى يوفق ليس فقط عند المواجهة ، بل حتى عند وعي ضرورة الجهاد . فان الذين استولى عليهم حب الوالدين والاولاد والزوجة والأموال ، وسائر مافي الدنيا من علاقات او متاع ، فانهم قد ينكرون وجوب الجهاد او وجود ظروفه . والله لا يهديهم لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة .

٢ / اما المخلفون الذين رغبوا عن الجهاد وقعدوا ، فإن لهم جزاءً عدلاً ، يجعلهم يضحكون قليلاً ويكون كثيراً بسبب تقاعسهم . قال الله سبحانه : { فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ \* فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْئُتُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (التوبة / ٨١ - ٨٢ )

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : " أما بعد ؛ فان الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة . فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء ، وديث بالصغار والقماء ، وضرب على قلبه بالاسهاب ، واديل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ، ومنع النصف " .(١)

٣ / وان كثيراً من الاغنياء يحاولون التهرب من الجهاد ، وتراهم يستأذنون رسول الله (والقيادة الالهية) لكي يبقوا مع القاعدين (من اولي الضرر الذين لا جهاد عليهم) . وهكذا طبع على قلوبهم ، فهم لا يفقهون (ما اعد الله للمجاهدين في سبيله من الخيرات والفلاح) . قال الله سبحانه : { وَإِذَا أَنْزَلْتُمْ سُورَةَ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ \* }

(١) نهج البلاغة / خطبة رقم ٢٧ .

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ } (التوبة / ٨٦ -  
(٨٧)

ومن سوء تقديرهم أنهم يفضلون ما عندهم من متاع الحياة الدنيا على ما عند ربهم من الأجر الجزيل، وعلى ما وعد الله المجاهدين في سبيله من الكرامة والعزة، ومن الثروة والمكنة .

## بصائر الآيات

١/ الجهاد بذل أقصى الجهد لمواجهة فساد او انحراف ، وقد يوصف بالغليظ والكبير .

٢/ والجهاد ميراث الايمان بالله ، وهو من اقرب الوسائل (التي تبتغى للتقرب) الى الله تعالى .

٣/ والجهاد بالمال والنفس تجارة رابحة بعد الايمان بالله والرسول ، والتي تنجي أهله من عذاب أليم .

٤/ والجهاد من صفات الأمة التي اجتبأها الله ، وهي على ملة ابراهيم عليه السلام الذي سمأها بـ (المسلمين) .

٥/ الجهاد من أدلة صدق الذين يلتحقون بالأمة (في مراحل لاحقة).

٦/ وقد يكون الجهاد (بالسيف) حرباً عسكرياً ، كالنفر الخفيف (سرايا) ، والثقيل (الجيش) .

٧/ وقد يكون الجهاد بالمال (بالانفاق على المجاهدين او على الاسلحة).

٨/ وقد يهاجر المرء ليجاهد في سبيل الله ، وقد ينصر المجاهدين ويؤويهم (كما فعل الانصار).

٩/ وقد فضل الله المجاهدين على القاعدين اجراً عيظماً . (وهكذا ينبغي على المجتمع المسلم ان ينتخب منهم القادة والشهداء ، وان يقدمهم في الأمور).

١٠ / والجهد يفوق سائر افعال الخير التي قد يقوم بها البعض رياءً وسمعةً ؛ مثل سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام . وانما جعل الله الفوز للمؤمنين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم .

١١ / والله قد جعل للمؤمنين (بالله والرسول) الذين يجاهدون في سبيل الله ، جعل لهم الخيرات (في الدنيا) والفلاح.

١٢ / وعقبى المجاهدين ؛ ان الله يبشرهم برحمة منه ورضوان ، ونعيم مقيم.

١٣ / ومن أسمى غايات المؤمنين ؛ المغفرة الالهية التي يفوز بها المجاهدون (خصوصاً بعد الفتنة) .

١٤ / والله يهدي المجاهدين (في سبيله) الى السبل (التي فيها السلام ، فيبلغون أهدافهم من آمن واقرب الطرق بفضل هدى الرب لهم) .

١٥ / (والمجاهد حقاً هو الذي يفضل الجهاد في سبيل الله على علاقاته واهتماماته كلها) . اما الذين يفضلون آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او ازواجهم او عشيرتهم او مساكنهم او تجارتهم على الجهاد ، فعليهم ان يتربصوا (عذاب الله) ، والله لا يهدي الظالمين.

١٦ / اما المتخلفون عن الجهاد ، فان فرحهم بقعودهم خلاف رسول الله (والقيادة الربانية) لا يدوم ، حيث (يأتيهم عقاب عملهم ، مما يجعلهم) يبكون كثيراً ويضحكون قليلاً.

١٧ / ومثلهم الاغنياء الذين يتهربون من الجهاد ، ويرضون بان يتخلفوا عنه مع النساء ، وهم لا يفقهون (مدى أهمية الجهاد ، وانه أفضل مما لديهم من متاع الحياة الدنيا) .

فقهاء الآيات

١٨٨٨٨ / آفاق الجهاد .

(المائدة / ٥٣)، (العنكبوت/ ٨)، (التوبة/ ٧٣)، (الفرقان / ٥٢)؛ بالجهاد في سبيل الله يتوسل المؤمنون الى الله تعالى ابتغاء رضوانه ، وابتغاء الفلاح ، وتحقيق كل الغايات السامية التي هيأها الله سبحانه لعباده .

وهكذا لا يتوقف المؤمن عن الجهاد ، وعلى مختلف الاصعدة ، وعبر كل الآفاق الممكنة .. فأينما وجد المؤمنون عقبة في سبيل تطبيق الدين ، خاضوا صراعاً مريراً من أجل تذليلها ، باذلين كل ما في وسعهم من الجهد بالتوكل على الله سبحانه

والعقبات التي قد تعترض المؤمن في حركته الدائبة الى ربه ، هي التي يجملها الكتاب بقوله سبحانه : { **فَلْإِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** } (التوبة / ٢٤)

وتفصيل القول فيها ، نجده في آيات كريمة نتلوها في سور الذكر الحكيم.

~~~~~ ألف : جهاد الوالدين

يتربى الطفل في احضان الأسرة ، ويجد فيها التربية الخصبة لنمو كفاراته ، وترسيخ عاداته ، ويتلقى من محيطها لغته وثقافته وتجارب الحضارة . وعندما يبلغ أشده ويؤتيه الله العقل والحكمة ، يتطلع الى آفاق جديدة من الحياة . وربما تبلغه دعوة اصلاحية لم يعهدها في اسرته ، وهناك يبدء الفصل الأول من صراعه من أجل الاصلاح والتغيير ، وتبدء المعادلة الصعبة . فمن جهة يحس بضرورة الوفاء بحق اسرته ، ومن جهة ثانية يشعر بتطلعاته الخاصة . والقرآن الكريم يحل هذه المعادلة ، حين يوصي الابناء بالاحسان الى الوالدين ، والتحلي بأعلى درجات الاخلاق معهما ، وعدم نهرهما حتى بكلمة أف . ولكنه ينهى عن عبادتهما ، والتسليم المطلق لهما ، وتجميد مآلديه من عقل وحكمة وتطلع لارضائهما . ذلك لان العلم هو محور حركة الانسان ، وليس الاتباع الأعمى .. وقد ضرب الله لنا

مثلاً من النبي ابراهيم عليه السلام، إذ وقف في وجه ابيه قائلاً : { يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ  
جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيًّا } (مريم / ٤٣)  
وقد تحدى النبي ابراهيم أباه وقومه، (وجاهدهم جهاداً كبيراً)، حين قال لهم: {  
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرًا أَن تَتَّخِذَ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ  
مُبِينٍ } (الانعام/٧٤)

وهكذا أراه الله سبحانه ملكوت السموات والأرض ، فقال تعالى : { وَكَذَلِكَ نُرِي  
إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ } (الانعام / ٧٥)  
ونستفيد من هذه البصيرة الفروع التالية :

أولاً : على كل انسان ان يجدد النظر في ثقافته وافكاره ورؤاه الحياتية فور ما يبلغ  
مرحلة الرشد . فاذا وجد في تراث ابيه وثقافتهم ما يخالف العقل ، فليبحث عن  
الحقيقة بنفسه .

ثانياً : على الآباء أن يربوا ابناءهم منذ نعومة اظفارهم على التفكير السليم ،  
وينموا فيهم موهبة العقل والحكمة ، ويثيروا فيهم الرغبة في التطلع والبحث .  
ثالثاً : إذا دعاك ابوك الى الخضوع للجبت والطاغوت ، والاستسلام التام  
للسلطات الظالمة .. فعليك ان تحسن اليهما ايما احسان ، ولكن دون ان تطيعهما .  
فانهما لن يغنيا عنك يوم القيامة شيئاً .

رابعاً : ان لكل جيل الرغبة في استمرار نهجه ، حيث تراه يضيف عليه قداسة  
مزيفة . وهذا لايحوز ، لانه تشريع محرم . فليس الحكم إلا حكم الله ، وليس لاي  
رأي او تقليد او تجربة قداسة او شرعية . كما لايحوز للابناء ان يرضخوا لاي  
حكم غير إلهي ، ولا ان يقدسوا أي تشريع من دون الله . وهكذا تعتبر الفكرة  
السلفية التي تقديس افكار السلف وتعتبر التراث والتقاليد السابقة مثل احكام الشرع  
قضايا مقدسة ؛ ان هذه الفكرة مخالفة لروح الشريعة ، ولمجمل نصوص الدين ،  
حيث يقول ربنا سبحانه : { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا  
تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (البقرة / ١٤١)

خامساً : لكي نفقه الدين ، ونبصر حقائقه ، ونعرف احكامه ، علينا ان نتبع المنهج السليم الذي أمرت به نصوص الدين ذاته . ولا يجب ان نتبع المنهج الذي اقترحه أبائنا ، فلعله ليس ذلك المنهج الالهي السليم ، أو لعله كانت لابائنا ظروف خاصة أوحى اليهم ذلك المنهج .

إن علينا ان ندرس نصوص الدين بوعي وبحكمة ، ونستنتقها فيما يرتبط بقضايانا لنعرف الحكم الشرعي . اما ما قاله الأولون في فهم الدين ، فانه قد يكون صحيحاً ، وقد لا يكون . فلا يجوز ان نجعل رأيهم حجاباً دون فهم حقائق الدين . وهكذا لايعتبر اجماع الأولين حجة ، إلا إذا كشف عن حكم الشرع ، كما يكشف نقلهم اللفظي عنه ، والله المستعان .

~~~~~  
باء : جهاد الأبناء

قد يتطلع الابناء الى حياة الدنيا ، ويتطرفون في تطلعهم الى حد الخروج من حدود الشريعة ، ويسعون جاهدين الى استدراج آباءهم اليها . وهنا يجب على الاباء جهادهم للدفاع عن حدود الدين ، محافظة عليهم وعلى انفسهم . وقد قال سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } (المنافقون / ٩)

وقال سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (التغابن / ١٤)

ونجد صورة من صراع الآباء مع ابنائهم من أجل العقيدة في الآية التالية : { وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِّ لَكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } (الأحقاف / ١٧)

وفي قصة نوح مع ابنه الذي حاول انقاذه من الغرق فما استجاب له، عبرة لكل أب مؤمن . إذ عليه ان يسعى جهده ، ولكن إذا رآه مصراً ، تركه لمصيره دون ان يهلك نفسه معه .

واليوم حيث تتعرض شعوبنا لموجات متلاحقة من المبادئ الهدامة والثقافات الكافرة ، علينا ان نتسلح بالجهاد ضد انسياب ابناءنا في تيارها . والله المستعان .

~~~~~  
جيم : جهاد الاخوان

والانسان يتربى في اسرة تحيط بها حلقات الآباء والأبناء والاخوان . وكثيراً ما يحس

بالضغط من قبل اخوانه ، وبالذات الأكبر منه سناً ، حيث يمارسون عليه نوعاً من الولاية ، ويحاولون استلاب استقلاله الفكري ، وقد يدفعونه باتجاه الضلال . وعليه ان يجاهدهم من أجل الاستقامة على دينه . وفي قصة يوسف عليه السلام واخوته آيات لمن اراد الاعتبار ، إذ حسدوه وألقوه في غيابت الجب ، فنصره الله . كما ان النبي موسى عليه السلام غضب على أخيه هارون ، عندما ضل قومه . والامام أمير المؤمنين عليه السلام قرب حديدة حامية من يد أخيه عقيل ، حين طلب منه ما لا يحق له من بيت المال .

~~~~~  
دال : جهاد الزوج والزوجة

في قصة امرأة النبي نوح والنبي لوط درس لكل مؤمن يتعرض لضغط زوجته ، التي تحاول ان تبعده عن مسيرة الايمان . وانما بالتصدي والجهاد والاستقامة ، يستطيع ان يتحدى الضغط .

وفي قصة امرأة فرعون ، عبرة لكل امرأة مؤمنة يسعى زوجها لتضليلها أو استلاب تقواها . فتصمد بالتوكل على الله ، حتى ولو انتهى امرها الى الطلاق او الى ما هو اعظم منه .

وبالرغم من أهمية التوافق بين الزوجين ، إلا ان ذلك لن يتم عند المؤمن على حساب الدين وحدوده . ومن هنا فإن على الزوجين ان يجعلوا تمسكهما بالدين أهم من سائر شئونهم الحياتية .

~~~~~  
هاء : جهاد العشيرة

تمارس عشيرة الانسان نوعاً من الولاية عليه . والاحساس بالضعف يدفع كل انسان بالتسليم لهذه الولاية . وتعتبر هذه الولاية مقبولة في حدود تعاليم الدين واحكامه ، اما اذا تجاوزتها فلا . ومن هنا أمر الله النبي صلى الله عليه وآله بأن ينذر عشيرته الاقربين ، فقال سبحانه : { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } (الشعراء / ٢١٤)

ومعلوم ان الانذار نوع من الجهاد . اذ ان من ينذر أحداً يهدده ويجعل علاقته معه مشروطة بقبول دعوته . وقد ضرب الله لنا مثلاً من النبي ابراهيم عليه السلام والمؤمنين معه كيف تبرأوا من قومهم ، فقال سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ \* إِنْ يَتَّقُوكُمْ يُكَفِّرُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَسْطُرُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ \* لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ \* قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } (الممتحنة / ٤-١)

ونستوحي من الآية ؛ ان ايمان الانسان لا يكتمل ، بل لا يتحقق إذا لم يتبرء المرء من الكافر ، حتى ولو كان من ارحامه . وإن جهاد الانسان ضد عشيرته الكافرة يبدأ من لحظة خروجه عن ولايتها ، والدخول في ولاية الله سبحانه .

ان علاقة الانسان باسرتة وعشيرته ينبغي ألا تكون منذ البداية علاقة التبعية المطلقة ، حتى يمكن ان يضغط اولئك عليه متى ما شاءوا .

~~~~~  
واو : جهاد القوم

وجهاد القوم يتمثل في البراءة من الكفار وتجنب مجتمعمهم ، والبراءة من المنافقين وتحديهم ، ومواجهة الطاغوت والكفر به والتمرد على سلطانه . وهذا الجهاد هو الأكثر شيوعاً ، والذي تدور حوله النصوص الشرعية . وبتعبير آخر ؛ هذا الأفق من الجهاد هو المتبادر من آيات الكتاب الكريم ، وهو الذي مارسه الرسل مع الأمم ، ومارسه اولياء الله مع سائر المجتمعات الجاهلية . وسوف نتحدث باذن الله تعالى عن محاور هذا الجهاد وبواعثه في الفصل التالي .

### ٢٨٨٨٨ / بواعث الجهاد .

( الحجرات / ١٥ ) ، ( المائدة / ٣٥ ) ، ( الصف / ١٠ - ١١ ) ، ( الحج / ٧٧ - ٧٨ ) ؛

بالتأمل

في هذه الآيات نستبصر ان من اسمى غايات الجهاد بكل آفاقه ، وبالذات حينما يتحول الى قتال ؛ تطهير النفس من الريب ، وابتغاء الوسيلة الى الله ، والنجاة من النار ، وان يكون الانسان شهيداً (على الناس) ومجتبى (بين الناس) .

ولاستجلاء هذه الغايات ، نستوحي بصائر من الآيات التي سبقت :

ألف : الجهاد دليل صدق الايمان . وإذا ادعى المرء الايمان ثم تقاعس عن خوض غمار الصراع مع اعداء الدين ، فانه لايزال يتردد في ريبه . اما إذا اقتحم الصراع ، فانه قد تغلب على وساوس نفسه بصورة عملية . وبالصراع يزداد ايمانه جلاءً ، وقلبه طهراً ، ويمحص تمحيصاً .

وهكذا يكون الجهاد شاهداً على صدق الايمان ، ووسيلة لزيادته في ذات الوقت .

ومن ذلك نستلهم الاحكام التالية :

أولاً : اذ شعرت بضعف في ايمانك ، وتردد في يقينك ، فاختر الجهاد وسيلة لنمو الايمان واليقين ، وابدء بأصعب حلقات الجهاد عليك ، ولا تنتظر قوة ايمانك وزيادة يقينك حتى تنشط في سوح الجهاد ، بل جاهد في سبيل الله يزدك ربك ايماناً بفضلته .

ومن هنا فان الله سبحانه أمر المؤمنين في كتابه بالتقوى وابتغاء الوسيلة اليه .  
وبالجهاد في سبيله (المائدة/٣٥) . مما يدل على أن الجهاد من ابرز الوسائل الى  
الله، حيث جاء في حديث شريف مروى عن أمير المؤمنين عليه السلام : " أفضل  
ما توسل به المتوسلون ؛ الايمان بالله ورسوله ، والجهاد في سبيل الله ".(١)

ثانياً : إذا أحس القائد الرسالي ضعف ايمان التجمع الاسلامي أو المجتمع المسلم  
، فما عليه إلا ان يخوض بهم غمار الجهاد ، فإنه وسيلة مناسبة لمواجهة الضعف ،  
وازدیاد السكينة بإذن الله سبحانه .

ان القيادات التي تنتظر قوة ايمان التجمع حتى تبدء بالتحرك ضد الاعداء ، انهم  
يختارون سبلاً بعيدة ، وقد لا يدركون اهدافهم .

ثالثاً : الجهاد يكون من أقرب نقطة اليك؛ من اسرتك وعشيرتك، من جيرتك  
وزملاءك،

من اقرب الانظمة اليك .. فإن ترك الاقرب والاهتمام بالأبعد قد يكون نوعاً من  
الوسوسة الدالة على ضعف الايمان .

باء : للتقوى وجهان ؛ فهي من جهة الكف عن محارم الله سبحانه مما يسمى  
ايضاً بالورع ، وهي من جهة ثانية العمل بما أمر الله . وقد أمر الله سبحانه (المائدة  
٣٥/ ) بالتقوى ، وقرن الأمر بها بفرض ابتغاء الوسيلة ، مما يهدينا الى ضرورة  
السعي الدائب فيما يقربنا الى الله من مختلف الوسائل ؛ مثل طاعة اولياء الله ،  
والمسارعة في الخيرات ، والدعاء رغباً ورهباً .

ثم أمر بالجهاد ومقارعة اعداء الله والكفاح الدائب ضدهم ، وهو وسيلة قريبة الى  
الله تعالى . ومن هنا فعلى الحذر من النظرة السلبية الى التقوى ، والزعم بأن أشد  
الناس تقوى هم أكثرهم جموداً وسكوناً وانطواءً . كلاً ؛ انما التقوى الالتزام بكل ما  
جاء في الدين من أمر ونهي ؛ من صلاة وصيام وجهاد وأمر بالمعروف ونهي عن  
المنكر ..

---

(١) بحار الأنوار / ج ٩٧ / ص ١٢ .

جيم : الايمان درجة رفيعة لا يبلغها كل انسان ، انما يختار الله من عباده من يعرف منه صدق النية ، وحسن الانتخاب ، فيلقي في روحه سكينه الايمان . فاذا اجتباه للايمان فقد حمّله مسؤولية الدفاع عنه بالجهاد . وهذا ما نستوحيه من قوله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا لِبُيُوتِ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ } (الحج / ٧٧-٧٨)

وقد جاء في حديث شريف عن أمير المؤمنين عليه السلام : " الجهاد عماد الدين ، ومنهاج السعداء " . (١)

ونستوحي من هذه البصيرة ؛ ان الأمة الاسلامية لا تعيش لذاتها ، ولا تعمل لسعادة ابناءها فقط ، وانما هي تتصدى لاشاعة الخير واقامة العدل ونشر راية السلام في العالم .. ولا يتسنى لها ذلك إلا بالجهاد . وهذه من أبعاد اجتنابها وجعلها شاهدة على الناس ، حيث قال سبحانه : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } (البقرة / ١٤٣)

وقال سبحانه : { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا لِبُيُوتِ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ } ( الحج / ٧٨)

والشهادة تعني القيمومة على الحق والعدل ، حيث يقول سبحانه في آية كريمة : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } (النساء / ١٣٥)

(١) ميزان الحكمة / ج ٢ / ص ١٢٤ عن غرر الحكم .

فاقامة القسط ، والتصدي للظالم ، والدفاع عن المظلوم ، من أبعاد الشهادة على الناس. وقد أمر الله سبحانه بالقتال من أجل المستضعفين ، فقال تعالى : { وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا } (النساء/٧٥)

وقوام الشهادة الجهاد في سبيل الله ، وهو لا يتحقق إلا بما يلي :  
أولاً : التعبئة الروحية ، حيث يتجاوز كل فرد واقعه الشخصي وواقع طائفته وأمته الى الاهتمام بالناس جميعاً . وهكذا يستعد للتضحية بمصالحه ومصالح امته ، من اجل اقامة القسط والسلام في العالم .

ثانياً : الاعداد المستمر الذي أمر به الله سبحانه ، حيث قال : { وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ } (الانفال/٦٠)

فالأمة المقتدرة اقتصادياً ، والمجهزة تسليحياً ، والمعدة تدريباً ، والمرابطة على خط المواجهة ، هي التي تستطيع ان تتصدى للشهادة على اقامة العدالة في الأرض

ثالثاً : الوحدة الواعية القائمة على اساس الاحساس بالمسؤولية ، والاعتصام بالله ، والتمحور حول كتاب الله وحول رسول الله وخلفاءه بالحق ؛ انها شرط لاحتمال مسؤولية الدفاع عن دين الله ، وعن العدل في الأرض .

دال : تحييط بكل ابن انثى النار مالم يتق ويخلصه الله بفضلته من العذاب ؛ وبالذات اولئك الذين عاشوا فترة من عمرهم في الضلال ، وارتكبوا الخطايا ، وأيدوا الظلمة ، وكانوا وقوداً لفتنة الطغاة .. وقد دلنا ربنا الرحمن الى تجارة نتجينا من عذاب أليم ؛ هي الايمان بالله والرسول والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس . من هنا ترى المؤمنين الصادقين يشناقون الى الجهاد لكي ينجيهم الرب من العذاب

، ولعله تختم لهم بالشهادة . وقد قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : " أما بعد ؛ فان الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة اوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة . (١)

### ٣٨٨٨٨ / حق الجهاد .

( الحج / ٧٨ ) ، (الفرقان / ٥٢) ؛ الجهاد في سبيل الله حق جهاده ، وجهاد الكفار والمنافقين جهاداً كبيراً ، والصبر على الجهاد ؛ كل هذه فرائض في القرآن ، فماذا تعني ؟

ألف : في الانسان طاقات شتى ، وقد فضل الرب سبحانه كل انسان بطاقات وكفاءات خاصة ، وهو بصير بنفسه . فاذا استقرغ جهده وفجر طاقاته ، فانه قد جاهد في الله حق جهاده ، لان الله سبحانه قال - بعد ان امر بذلك - : { هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ } (الحج / ٧٨) .

وقال سبحانه : { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } (البقرة/٢٨٦)

ان الجهاد مواجهة وصراع مع طرف ، ولاريب ان كل من يدخل الصراع يبذل قصارى جهده ليكسب الجولة . فعلى المؤمن ان يبذل - هو الآخر - قصارى الجهد في ذلك . وقد جاء في تفسير الآية ٧٨ من سورة الحج ما يلي :

اكثر المفسرين حملوا الجهاد هاهنا على جميع أعمال الطاعة ، وقالوا : حق الجهاد ان يكون بنية صادقة خالصة لله تعالى . وقال السري : هو ان يطاع فلا يعصى . وقال الضحاك : معناه جاهدوا بالسيف من كفر بالله ، وان كانوا الالباء

(١) نهج البلاغة / الخطبة رقم ٢٧ .

والابناء . وروي عن عبد الله بن المبارك ، انه قال : هو مجاهدة الهوى والنفس  
(١).

والواقع ؛ إن كل هذه المعاني يمكن ان تشملها الآية ، لان الجهاد الحق الذي يليق  
بمقام العبد العارف بربه لا يكون محدوداً بحدود خاصة .  
وهذا يعني ؛ ان المؤمن يتفجر نشاطاً وحنوفاً في كل بعد، وعلى امتداد حياته  
المباركة.

باء : القرآن كتاب جهاد ، لانه منهج شامل للحياة ، وهو يفيض قوة وحكمة  
وتحدياً للمناهج الجاهلية . وحينما يحمل المؤمنون القرآن يجاهدون به الأعداء  
جهاداً كبيراً وشاملاً ؛ جهاداً بالكلمة الطيبة ، وبالكلمة الصاعقة ، وبالعامل الدائب ،  
وبالاعداد الشامل ، وبالصراع المسلح .. إنه جهاد كبير .

ونستوحي من هذه البصيرة ما يلي :

أولاً : ضرورة شمولية الرؤية عند المجاهد ، فلا يرى جانباً دون آخر من آفاق  
الصراع ، فالصراع الثقافي والاعلامي ، الى جنب الكفاح السياسي والاجتماعي ،  
الى جنب النضال المسلح بكل أبعاده .. كل ذلك يجب ان يكون ضمن خطط  
المجاهد .

ثانياً : ضرورة الاهتداء بالوحي ، واستنطاق آيات الذكر في كل أبعاد الصراع ،  
حتى لا يفسق المجاهد عن حدود الدين ، ولا يشط عن سبيل الهدى .

ثالثاً : لان أبعاد الجهاد مختلفة، فان المؤمن يجاهد بكل ما أوتي من طاقة؛ جهاداً  
بالتفكر

المنهجي وابداع الخطط السليمة، جهاداً ببذل المال والانفاق مما لديه، جهاداً بالكلمة  
والقلم وسائر وسائل الاعلام، جهاداً بالعلاقات الاجتماعية، وحتى يجاهد بدمه فإنه  
فوق كل بر.

---

(١) تفسير مجمع البيان / ج ٧ / ص ٩٧ .

٤٨٨٨ / حزب الله .

(لقمان / ١٥) ، (الانفال / ٧٥) ، (المائدة / ٥٤) ، (الانفال / ٧٤) ؛ لكي تنتظم صفوف المجاهدين وتتلاحم فئاتهم ، حتى يحظوا بحب الله سبحانه القائل : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُومٌ } (الصف/٤) . لا بد ان يتدرج المؤمنون عبر درجات متسامية ، درجة فوق درجة ، حتى يشكلوا - في نهاية المطاف - حزب الله وجنده واوليائه الذين وعدهم بالنصر والفوز والفلاح . وفيما يلي اجمال هذا التدرج ، ثم تفصيله :

- أ - الانتماء الى سبيل من أناب الى الله ، بعيداً عن علاقات الاسرة والعشيرة .
- ب - الهجرة الى صفوف المجاهدين ، بعيداً عن علاقات القوم والوطن .
- ج - البراءة من اعداء الدين ، واعلان ذلك صراحة .
- د - النزيل عن الخوالب (ذوي الطول) ، وعن المغرورين باعمالهم الظاهرية (مثل عمارة المساجد وسقاية الناس) .
- هـ - التمايز عن القاعدين - غير أولي الضرر - .
- ز - الانصهار في بوتقة حزب الله بعلاقة الحب الالهي ، والتشاور والتبشير ، ثم التواصي والتلاحم معهم .

وفيما يلي بعض التفصيل :

٨٨٨٨ ألف : الانتماء الأول .

أول الانتماء الى خط الجهاد ، النزائل عن تأثيرات المحيط العائلي . فمن كان حبه لوالديه وابناءه ، واخوانه وزوجته .. اعظم من حبه لله وانتماه الى دينه ، ومن ايمانه بالرسول ، ومن الجهاد في سبيل الله ، فعليه ان يتربص حتى يأتي الله بأمره .

ومن هنا فإن الله سبحانه يأمر المؤمن باتباع سبيل من أناب ، بعد ان ينهاه

عن

الاستسلام لضغط العائلة ، فيقول سبحانه : { وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (لقمان / ١٥)

ومن أناب ؛ هم الذين عادوا الى حظيرة الايمان بعد ابتعادهم ، هم ومجتمعهم واسرهم عنها . وانما الاتباع لسبيلهم هو القبول بنهجهم المغاير لمناهج المجتمع الجاهلي . ومنهجهم هو البراءة من الطاغوت ومؤيديه ، ومن ثقافته وانظمته ، واتخاذ نهج المواجهة ضده بدل الاستسلام له .

وهذا الانتماء لا ينتزع المجاهد من محيطه العائلي انتزاعاً كلياً ، ( إلا في ظروف المواجهة الحادة ) ، بل يجعل ارتباطه بالمحور الجهادي هو الأصل ، فمنه يستمد ثقافته ويستلم قراراته . بينما يظل عضواً في عائلته نافعاً ، يحسن اليهم ، ويتعاون معهم في أمورهم الحياتية ، مالم يتناقض مع منهجه الجهادي . بل يسعى لاقناعهم بالانتماء الى النهج الجهادي ، ولا ييأس من ذلك ، فعسى الله ان يهديهم الى السبيل الصحيح .

ويجدد بنا ان نستمع هنا الى حديث شريف مأثور عن الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام ، حيث قال : " برّ الوالدين من حسن معرفة العبد بالله ، إذ لا عبادة اسرع بلوغاً بصاحبها الى رضا الله تعالى من حرمة الوالدين المسلمين لوجه الله ، لان حق الوالدين مشتق من حق الله تعالى إذا كانا على منهاج الدين والسنة . ولا يكونان يمنعان الولد من طاعة الله الى معصيته ، ومن اليقين الى الشك ، ومن الزهد الى الدنيا ، ولا يدعوانه الى خلاف ذلك . فاذا كانا كذلك فمعصيتهما طاعة ، وطاعتها معصية . (١)

~~~~~  
باء : الهجرة والنصرة

دار الاسلام هي التي يجتمع فيها المسلمون من أهلها والمهاجرين اليها ، وحقوقهم فيها متساوية . فهم أمة واحدة ، وكيان سياسي واحد . وليس لسائر

---

(١) نور الثقلين / ج ٤ / ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

المسلمين المتناثرين في آفاق الأرض حق في هذا الكيان ، حتى يهاجروا الى دار الاسلام . فان هاجروا بعد تكونها ، وجاهدوا مع المسلمين فيها ، فهم والسابقون اليها سواء في حقوقهم . وللسابقين فضل المبادرة .

وهذا الانتماء الديني يشكل هوية المسلم السياسية ، التي تتقدم على انتماءاته العرقية والقومية والاقليمية جميعاً . يقول ربنا سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرْتُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (الانفال / ٧٢)

وعند التدبر في كلمة { أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } نفقه عمق العلاقة التي تتكون في دار الاسلام بين أهل الدار والمهاجرين ، شريطة الايواء والنصرة من قبل أهل الدار ، كما الهجرة من قبل سائر المسلمين . أما إذا لم يهاجر المسلم فلا ولاية له ، ولا حقوق سياسية او اقتصادية .

بلى ؛ باعتباره مسلماً ينبغي ان يُنصر إذا استنصر اخوانه في الدين لكي يدروا عنه الأخطار المتوجهة إليه بسبب انتمائه الديني . ولكن مصالح الأمة الاسلامية المتواجدة في دار الاسلام هي الأهم . فلو أبرم المسلمون ميثاقاً مع دولة أخرى وفقاً لمصالح الأمة ، ثم تعرض المسلمون في تلك الدولة الى مضايقات ، واستنصروا المسلمين ، فلا ينبغي نقض الميثاق والتورط في حرب مع تلك الدولة ، مما يعرض كيان الأمة الى خطر .

ونتلو في آية كريمة قوله سبحانه : { وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (الحشر/٩)

ونستوحي من هذه الآية ؛ وجوب الاندماج الروحي بين أهل الدار وبين المهاجرين ، لتكوين نواة الأمة الاسلامية الواحدة التي تتجاوز الفوارق العرقية والقومية وما أشبهه .

بلى ؛ في إطار الأمة الواحدة تبقى للرحم ولايته ، حيث ان اولي الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله .

ويحذر ربنا سبحانه من أي انتماء آخر مواز للانتماء الرسالي ، فيقول ربنا سبحانه : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (التوبة / ١٦) وهكذا لا يجوز أن يتخذ المسلم أية وليجة ، (ولاية دخيلة وغريبة عن الولاء الأصلي). فالولاء الأصلي يجب ان يكون لله وللرسول وللمؤمنين ، وليس لجهة قومية أو اقليمية او فئوية معارضة .

جيم : البراءة من الأعداء

البراءة من اعداء الله ، شرط الولاية لله وللرسول . فالقلب لا يحتمل ولاعين ، وليس لكل انسان إلا قلب واحد . قال الله سبحانه : { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (المجادلة / ٢٢)

وهكذا يقتضي الانتماء الى خط الرسالة تطهير القلب من سائر الوان الانتماء ، حتى الانتماء الأسري المعارض لولاية الله سبحانه .

وقد نهى القرآن اتخاذ اعداء الله واعداء الرسول اولياء والقاء المودة اليهم ، لانهم كفروا بما جاء المؤمنين من الحق ، ولانهم اخرجوهم من بلادهم . فالعدو هو المخالف لقيمك ولمصالحك ، قال الله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ

يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي  
وَإِبْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ  
يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ { (المتحنة / ١)

وهكذا تعتبر ازدواجية الولاء من أخطر أمراض المجتمع . وعلينا محاربتها بكل  
قوة . وهي محور النفاق ، وجذر الفساد السياسي ، وعلّة الضعف .

~~~~~  
دال : الانفصال عن المتخلفين

التخلف عن الجهاد هو المعارض للخط الجهادي الذي يعتمد على ثروته ،  
ويبرر تقاعسه ببعض الأعمال الظاهرية ، ويحاول ان يخدع الناس بقيادية دوره  
بسبب تلك الأعمال .

وقد كان فريق من المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله قد قعدوا  
عن الجهاد خلاف رسول الله ، (الذي أمرهم بالجهاد وجاهد بنفسه) . وكانت علّة  
تخلفهم ، كراهية الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله . وقد اشاعوا تبريراً لفعلهم ،  
فنهوا الناس عن القتال بزعم شدة الحرّ .

وكان من المسلمين ايضاً طائفة من الاثرياء ، كانوا يستأذنون رسول الله بان  
يسمح لهم بالعودة مع النساء .

ومثل هذه الجماعات المتقاعسة عن الجهاد ، هم في الواقع عقبة في طريق  
النهضة . وعلى المجاهدين ان يتزيلوا عنهم ، بالألّ يسمعوا لأعدارهم التي يحاولون  
بها منعهم عن مواصلة المسيرة .

وهناك الكثير من المتقاعسين في الأمة يبررون واقعهم باشاعة الأفكار السلبية

حول الجهاد والمجاهدين ، وقد أشارت الآيات القرآنية الى بعضها ، مثل قولهم : {  
فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ {  
(التوبة / ٨١) او قولهم { وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ  
مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ { (الاعراف/ ١٦٤) او

قولهم : { وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطْفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا  
ءَامِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }  
(القصص / ٥٧) وقول بعضهم : { قَالُوا أَنْوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ } (الشعراء  
/ ١١١) وكان البعض يقول : { الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا  
قُلْ فَأَدْرَعُوا عَنِ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (آل عمران / ١٦٨)

ومن هذه الافكار التبريرية ذات الأثر السلبي الكبير ، مباحات هؤلاء (وكثير  
منهم مترفون) ببعض الخدمات الاجتماعية الظاهرة ؛ مثل عمارة المساجد وسقاية  
الناس ، حيث يقول سبحانه : { أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَالْعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ  
ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي  
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ  
وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } (التوبة / ١٩ - ٢٠)

وقد جاء في الحديث الشريف ؛ ان علياً عليه السلام قال للعباس : يا عم ألا  
تهاجر ؟ ألا تلحق برسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : أأست في اعظم من  
الهجرة ؟ أعمر المسجد الحرام وأسقي حاج بيت الله .. فنزل : { اجعلتم سقاية  
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر } (١)

الجهاد هو المعيار الصادق ، لان فيه تحدياً كبيراً للارادة ومواجهة للشهوات  
والاهواء . أما بناء مسجد هنا او مستوصف هناك ، فانه يكون من أسهل الأمور  
لمن يملك الملايين او يتسلط على امكانات الدولة . وهكذا طبع نسخ من القرآن ، او  
اعطاء بضعة دراهم للفقراء ..

من هنا ينبغي ان نميز ابدأ بين المجاهدين ، وبين المرئيين والمتكلفين والمتخلفين  
عن الجهاد الواجب .

هـاء : التمايز عن القاعدين

---

(١) نور الثقلين / ج ٢ / ص ١٩٤ .

والقاعدون - بدورهم - فنتان ؛ فئة هم اولوا الضرر ، كالأعمى والمريض . اما  
الفئة الثانية فهم الذين يشتغلون في سائر أمور البلاد ، كالفلاح في أرضه ،  
والمحترف في محله ، والعامل في مصنعه ، والمهندس والطبيب ومن أشبهه .. وقد  
فضّل الله سبحانه المجاهدين على القاعدين ، إذ قال تعالى : { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ  
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ  
فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ  
الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا } (النساء / ٩٥)

في ظل العزة والكرامة والاستقلال تكون لكل انسان قيمته ، اما عند فقدها فلا  
قيمة لأحد . ومن هنا فان الدفاع عنها أهم من كل شيء ، وأسمى من كل قيمة .  
فاذا كان النظام السياسي فاسداً او محكوماً بقوة اجنبية ، فان كل حركة وكل فرد  
وكل خير في الأمة يكون في خدمة ذلك النظام الفاسد ، أو لأقل يكون غير مفيد .  
وهكذا جاء في الحديث المعروف : إذا فسد السلطان فسد الزمان . وقال الله سبحانه :  
{ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا  
تَدْمِيرًا } (الاسراء / ١٦)

وقد فسرت هذه الآية بقيادة المترفين ، التي تنتهي الى عذاب الله .  
ومن هنا فان الذين يجاهدون من اجل انقاذ الأمة من النظام الفاسد ، او الذين  
يحافظون على النظام السياسي الصالح ، انهم يحافظون على كل قيم المجتمع ،  
وعلى حرمان الناس جميعاً .. وفي ظلهم يكون كل جهد نافعاً ومفيداً .  
وهكذا تجد كل فرد يعمل من أجل نفسه ، بينما المجاهد يسعى من أجل الآخرين .  
وهكذا فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً .  
ومن هذه البصيرة ، نستوحي الحقائق التالية :

١ - على المجتمع ان يخدم المجاهدين ، وان يفضلهم على سائر الناس في  
القضايا السياسية . فاذا اراد الناس اختيار شخص لادارة البلد ، فان الافضل انتخابه  
من صفوف المجاهدين .

٢- على الدولة تخصيص جزء هام من موارد البلاد الاقتصادية للمجاهدين . وقد عدد في الكتاب مصارف الحقوق الشرعية ، وجاء في مقدمتها : "سبيل الله" . واطهر مصاديق هذه الكلمة ، القضايا الجهادية .

٣- وعلى الدولة سن تشريعات خاصة بالمجاهدين ؛ مثلاً تقديمهم على سائر الناس في الحياة السياسية ، وتخصيصهم لميزات اقتصادية حسب الظروف المحيطة بالبلد .

٤- كما ينبغي ان يحترم المجتمع المجاهدين في سائر الشؤون الاجتماعية ؛ مثل تقديم الدعم لهم عند الحاجة ، وتفضيلهم في الضمان الاجتماعي ، وفي الزواج ، وحتى في المجالس ، وما أشبه ..

٥- على المجاهدين انفسهم المحافظة على وحدتهم ، وألا يسمحوا للخلافات الاجتماعية ان تخرق صفوفهم وتقسّمهم على بعضهم ، فتسقط هيبتهم وتذهب ريحهم وعزتهم .

~~~~~  
واو : الصف الجهادي

الانصهار في بوتقة الجهاد ، هو الشرط الأهم لتشكيل وحدة الصف الجهادي ، وتسامي المجاهدين الى درجة الانتماء الى حزب الله ، حيث أسمى درجات التكامل في التجمع الايماني والجهادي . قال الله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (المائدة / ٥٤)

إن المجتمع المسلم قد يتعرض لفتن كبيرة ، وينهار امامها في وادي الارتداد عن قيم الوحي ، وتعاليم الكتاب والسنة . وهناك تقتضي المشيئة الالهية تكون حزب الله ، من قوم يتسمون بالصفات التالية :

أولاً : ان الله يحبهم . ولا يحب الله الشخص لذاته ، بل لتكامل الصفات الحسنة فيه من الايمان والعمل الصالح .. وحين يحب الله احداً ، تحبه ملائكته وأوليائه ، ويسخر له ما في السماء والأرض لانها مطيعة لله .

ثانياً : وهم يحبون الله ، ويشعرون بان الله متفضل عليهم ، وان عليهم شكر ربهم بالعباءة وبالصلاة والزكاة والجهاد . وحين يصلون ويزكون ويجاهدون ، فان عطاءهم هذا ليس جبراً عليهم وإكراهاً ، بل طوعاً واختياراً ، لانه نابع من حبهم لله .

ثالثاً : ولان علاقتهم بالله هي علاقة حب، وهي ارفع درجات الانسجام والتوافق، فانهم يحبون بعضهم ويتساهلون في علاقاتهم ؛ حتى يزعم الناظر اليهم من بعيد ان الواحد منهم عبد للآخرين في علاقة التواضع والايثار والابتعاد عن الذاتيات . فهم أدلة على المؤمنين .

رابعاً : اما علاقتهم مع الكفار ، فهي علاقة المنعة والتحدي . فهم أعزة عليهم ، صامدون أمامهم ، غير متأثرين بافكارهم ، وغير خائفين منهم .

خامساً : ونشاط المجتمع المسلم مكثف ، ويتحدى الصعوبات الداخلية والخارجية . فهم ابدأ يجاهدون في سبيل الله ضد سلبياتهم الداخلية ، وضد الاعداء الخارجيين .

سادساً : ان سلوكهم لا يتأثر بما يقوله الآخرون ، بل بما تمليه عليهم افكارهم السليمة وبصائرهم النافذة . لذلك فان الاشاعات لاتنال من جهادهم .

## ^^^ في رحاب الأحاديث

- ١/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " أفضل جهاد أمتي انتظار الفرج " .(١)
- ٢/ قال الامام الصادق عليه السلام : " الجهاد أفضل الأشياء بعد الفرائض " .(٢)

---

(١) بحار الأنوار / ج ٧٤ / ص ١٤١ .  
(٢) ميزان الحكمة / ج ٢ / ص ١٢٥ ، عن وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٧ .

٣/ إن رجلاً أتى جبلاً ليعبد الله فيه ، فجاء به أهله الى الرسول صلى الله عليه وآله فنهاه عن ذلك ، وقال : " ان صبر المسلم في بعض مواطن الجهاد يوماً واحداً خير له من عبادة أربعين سنة " . (١)

٤/ قال الامام علي عليه السلام : " زكاة البدن الجهاد والصيام " . (٢)

٥/ قال الامام علي عليه السلام : " زكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله " . (٣)

٦/ قال الامام الصادق عليه السلام : " الجهاد واجب مع امام عادل " . (٤)

٧/ قال الامام علي عليه السلام : " أول من جاهد في سبيل الله ابراهيم عليه السلام أغارت الروم عن ناحية فيها لوط عليه السلام فأسروه ، فبلغ ذلك ابراهيم ففر فاستنقذه من أيديهم . وهو أول من عمل الرايات " . (٥)

٨/ سئل أمير المؤمنين علي عليه السلام عن النفقة في الجهاد اذا لزم او استحب . فقال : " أما إذا لزم الجهاد بأن لا يكون بازاء الكافرين من ينوب عن ساير المسلمين ، فالنفقة هناك الدرهم بسبعمئة ألف . فأما المستحب الذي هو قصد الرجل وقد ناب عليه من سبعة واستغنى عنه فالدرهم بسبعمئة حسنة ، كل حسنة خير من الدنيا وما فيها مائة ألف مرة " . (٦)

٩/ قال الامام علي عليه السلام : " جاهدوا في سبيل الله بأيديكم ، فان لم تقدرُوا

فجاهدوا بألسنتكم ، فان لم تقدرُوا فجاهدوا بقلوبكم " . (٧)

١٠/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " حملة القرآن عرفاء أهل الجنة ،

والمجاهدون في الله تعالى قواد أهل الجنة ، والرسول سادات أهل الجنة " . (٨)

---

(١) ميزان الحكمة / ج ٢ / ص ١٢٥ عن مستدرك الوسائل / ج ٢ / ص ٢٤٥ .

(٢) المصدر عن غرر الحكم .

(٣) المصدر عن غرر الحكم .

(٤) المصدر عن وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٣٥ .

(٥) المصدر / ص ١٢٨ عن مستدرك الوسائل / ج ٢ / ص ٢٦٦ .

(٦) بحار الأنوار / ج ٩٧ / ص ٥٧ .

(٧) المصدر / ص ٤٩ .

(٨) المصدر / ص ١٥ .

١١ / قال الامام علي عليه السلام : " لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا يؤمن على الحكم ولا ينفذ في الفياء أمر الله عز وجل ، فانه ان مات في ذلك كان معيناً لعدونا في حبس حقنا والاشاطة بدمائنا وميتته ميتة جاهلية " .(١)

١٢ / قال أمير المؤمنين عليه السلام : " عليكم بالجهاد في سبيل الله بأموالكم وانفسكم، فانما يجاهد في سبيل الله رجلان ؛ امام هدى ، أو مطيع له مقتد بهداه " .(٢)

١٣ / قال الامام علي عليه السلام : " ليس على العبيد جهاد ما استغني عنهم ، ولا على النساء جهاد ، ولا على من لم يبلغ الحلم " .(٣)

١٤ / قال الامام علي عليه السلام : " عليكم بالجهاد في سبيل الله مع كل امام عدل ، فان الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة " .(٤)

١٥ / قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " أفضل الجهاد من أصبح لايهم بظلم أحد " .(٥)

١٦ / قال الامام علي عليه السلام : " جهاد النفس مهر الجنة " .(٦)

١٧ / قال الامام الكاظم عليه السلام : " جاهد نفسك لتردها عن هواها ، فانه واجب عليك كجهاد عدوك " .(٧)

١٨ / قال الامام علي عليه السلام : " جاهد نفسك ، وقدم توبتك ، تفز بطاعة ربك " .(٨)

---

(١) المصدر / ص ٢١ .

(٢) المصدر / ص ٢٤ .

(٣) المصدر / ص ٤٩ .

(٤) المصدر / ص ٥٠ .

(٥) بحار الأنوار / ج ٧٢ / ص ٣١٤ .

(٦) ميزان الحكمة / ج ٢ / ص ١٣٩ عن غرر الحكم .

(٧) بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٣١٥ .

(٨) ميزان الحكمة / ج ٢ / ص ١٣٩ عن غرر الحكم .

١٩/ قال الامام علي عليه السلام : " أفضل الجهاد جهاد النفس عن الهوى ،  
وفطامها عن لذات الدنيا ". (١)

٢٠/ قال الامام علي عليه السلام : " لا فضيلة كالجهاد ، ولا جهاد كمجاهدة  
الهوى ". (٢)

٢١/ قال أمير المؤمنين عليه السلام : " فرض الله الايمان تطهيراً من الشرك ،  
والصلاة تنزيهاً عن الكبر ، والزكاة تسبيحاً للرزق ، والصيام ابتلاءً لاختلاص  
الخلق ، والحج تقربة للدين ، والجهاد عزاً للاسلام .. ". (٣)

---

(١) ميزان الحكمة / ج ٢ / ص ١٤١ عن غرر الحكم .  
(٢) بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ١٦٥ .  
(٣) نهج البلاغة / حكمة رقم ٢٥٢ .

## ٨٨ القتال

### ٨٨٨ اولاً : بين القتال والايمن

تمهيد :

القتال فريضة الهية ، ويعكس مدى ايمان الانسان بالعقائد الاساسية للدين ؛ أي الايمان بالله وبالرسول واليوم الآخر . وكما ان القتال هو ميراث الايمان ، كذلك الايمان يزداد بالقتال في سبيل الله . وهذا ما نستلهمه من آيات الذكر التالية :

١/ عندما يأمر الرسول بالقتال ضد الفئات المنافة ، فان طاعته تدل على مدى ايمان الأمة بالله وبالرسول وباليوم الآخر . (نلك لان القتال الداخلي أصعب من قتال الاعداء الخارجيين). ومن هنا فان الله سبحانه وعد الذين يطيعون الرسول في مثل هذا القتال بالأجر العظيم وبالهداية ، (كما انه سبحانه بين انه أشد تنبيهاً) . قال الله تعالى : { وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ ائْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنْبِيهُاً \* وَإِذَا لَاتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيماً \* وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } (النساء / ٦٦-٦٨)

ولعل السبب في هداية الله سبحانه للمقاتل المؤمن ؛ ان كثيراً من اسباب الضلالة تعود الى حب الذات وحب الشهوات . فاذا تجاوز المؤمن حب ذاته (هوى النفس) انقضت عن بصيرته اغشية الشك ، وحب الريب ، ورأى الحقائق باذن الله سبحانه .

٢/ وكما القتال في سبيل الله دليل الايمان بالله، كذلك التقاعس عنه دليل الرضا بالحياة

الدنيا من الآخرة ، (كما هو دليل الاستجابة لجواذب الأرض المادية دون بواعث القيم المعنوية) . قال الله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِنْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ \* إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (التوبة / ٣٨-٣٩)

وفي الفصول القادمة آيات تدل على مدى علاقة الايمان بالقتال في سبيل الله .  
وقد جاء في السنة الشريفة عن أمير المؤمنين عليه السلام : " الايمان أربعة أركان ؛ الصبر واليقين والعدل والجهاد " . (١)

## ٨٨٨٨ الركن الأول : بواعث القتال

ما الذي يدعو المؤمنين الى القتال في سبيل الله ؟

الحقائق التالية تبعث المؤمنين الى القتال :

أ/ الايمان باليوم الآخر ايماناً صادقاً مستقراً ، ايماناً يجعل المؤمن يبيع الدنيا بالآخرة ، والنفس الفانية بالجنة الباقية . والقتال وسيلة بلوغ هذه الدرجة .

ب/ الموت نهاية كل حي ، وهو يهدد حياة كل فرد دائماً ، ويفر منه البشر أبداً . والمؤمن يلغي الموت بالشهادة ، لانه يعلم أن الخلود في الدنيا مستحيل . ولكن حياة الشهادة ممكنة فيختارها ، والقتال يوفر فرصة الشهادة .

ج/ والمؤمن يفزع أبداً من خطاياها ، ويبحث عن ضمانته للمغفرة ، والله يوفر هذه الضمانة بالشهادة .

د/ والقتال في سبيل الله- يمحص القلب ، ويطهره من الشك والنفاق . ومن هنا يختاره المؤمنون الصادقون .

هذا مجمل القول في بواعث القتال ، واليكم التفصيل :

(١) مستدرك الوسائل / ج ٢ / ص ٢٤٤ / ابواب جهاد العدو / الباب ١ / ح ٢٧ .

ألف : شراء الجنة بالأنفس والأموال

حين تدفع قدراً من المال لتشتري قطعة أرض من مالكها، كيف تتعامل مع الألف دينار؟ أليس تقطع علاقتك بها ، وتنتظر صاحب الأرض متى يطالبك بها لتدفعها اليه ؟ وهكذا حين اشترى ربنا من المؤمنين ما خولهم في الدنيا من مال ونفس ، ووعدهم الجنة وعد الصدق، فانك -ان كنت أنت المؤمن البائع- لا ترى لنفسك الحق في التصرف في نفسك او مالك ، لأنك قد بعته الى الله بأفضل ثمن وهو الجنة . ومن هنا يزداد شوقك الى الجنة كل لحظة ، لأنك قد امتلكتها بفضل الله . ولأن القتال في سبيل الله قد يوفر لك فرصة الشهادة ، وأداء ما بعته واستلام ما اشتريته ، فان المؤمن اشوق مايكون اليه . وان الله هو أوفى من وعد ، لأنه غني حميد ، مالك الجنان الواسعة التي عرضها السموات والأرض . قال الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (التوبة 111)

وقد زخرت أحاديث النبي وآله عليه وعليهم صلوات الله وسلامه ، بمعاني رقيقة في ثواب المقاتلين في سبيل الله والشهداء ، حيث بينت انهم قواد أهل الجنة ، وان من ختم له بالجهاد دخل الجنة . وان خيول الغزاة في الدنيا هي خيولهم في الجنة . وفيما يلي نتلو عليك طائفة مختارة من هذه الأحاديث :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " حملة القرآن عرفاء أهل الجنة ، والمجاهدون في سبيل الله قوادها ، والرسول سادة أهل الجنة " . (١)

وروي عن أبي ذر في حديث ، انه ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال في مرض وفاته : " ومن ختم له بجهاد في سبيل الله ولو قدر فواق ناقة دخل الجنة " . (١)

(١) مستدرك الوسائل / ابواب جهاد العدو / الباب ١ / ح ١ .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : " خيول الغزاة في الدنيا هي خيولهم في الجنة" (٢).

^^^^^باء : الشهداء احياء عند ربهم

هناك فرق بين من يقتل ومن يموت ، فالشهيد حي والميت فان .  
والشهداء احياء بحياة الرسالة التي سقوها بدمائهم ، فاذا بكل قطرة دم اريقت حول شجرة الرسالة ، تحولت الى غصن اخضر وثمره نافعة . تحولت الى عدالة تنتفع ملايين البشر ، وحرية وكرامة وحياء . وهم احياء ، لان ذكرهم خالد في الناس . وهم احياء ، لان الله يعطي ارواحهم الطاهرة قدرة وعلماً ، فاذا بهم يرزقون عند ربهم . اما الأموات فان ارواحهم قد تنتزع منها القدرة والعلم ، وتعتقل في زنازة الجهل والضعف والظلام .

حياة الشهداء حافلة بالنعمة المادية والمعنوية ، إذ انهم يرزقون عند ربهم . وهم لايزالون في فرح وشكر وبشارة ، كلما وجدوا قتيلاً في سبيل الله التحق بهم ، زادهم انساً وكرامة . قال الله تعالى : { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ \* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (آل عمران / ١٦٩-١٧٠)

ان المؤمنين الذين لم يلحقوا بالشهداء ، هم اداة البشارة للشهداء ، لعلم الشهداء بان اولئك سوف يقدمون على حياة فاضلة ؛ حياة لا خوف فيها ولا حزن ، ولذلك فهم يفرحون بالمؤمنين . وقد جاء في الحديث أن الشهيد تمنى العودة الى الدنيا ليقاتل مرة أخرى - في سبيل الله - .

روي عن النبي صلى الله عليه وآله ، أنه قال لجابر : " ان الله لم يكلم احداً إلا من وراء حجاب ، وكلم اباك مواجهاً . فقال له : سلني اعطك . قال : أسألك ان

(١) المصدر / ح ٥ .

(٢) المصدر / ح ١٠ .

تردني الى الدنيا حتى اجاهد مرة أخرى ، فاقتل . فقال : انا لا أردُّ أحدًا الى الدنيا ،  
 سلني غيرها . قال : اخبر الاحياء بما نحن فيه من الثواب حتى يجتهدوا في الجهاد  
 لعلمهم يقتلون ، فيجئون الينا . فقال تعالى : انا رسولك الى المؤمنين . فانزل : { وَلَا  
 تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا } (١) .  
 وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً ، يقول : " ان فوق كل برّ برّ ، حتى يقتل الرجل  
 شهيداً

في سبيله . وفوق كل ذي عقوق عقوق ، حتى يقتل الرجل احد والديه " (٢) .  
 عن جابر ، عن ابي جعفر عليه السلام قال : " أتى رجل رسول الله صلى الله  
 عليه وآله فقال : اني راغب نشيط في الجهاد . قال : فجاهد في سبيل الله ، فانك ان  
 تقتل كنت حياً عند الله ترزق ، وان متّ فقد وقع اجرک على الله ، وان رجعت  
 خرجت من الذنوب الى الله . هذا تفسير { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
 أَمْواتًا } (٣) ."

#### جيم : المجد الاجتماعي

اول الصبر ، الرضا النفسي بالجهاد . وجعل القرآن المجاهدين في سبيل الله في  
 قمة المجد الاجتماعي ، ليشجع الباقين على المسير في دربهم . وهكذا نهى عباده  
 ان يقولوا للمقتولين في سبيل الله انهم اموات ، بل هم احياء . احياء لان القتل قد  
 نقلهم من حياة الى حياة ؛ من حياة الجسد الى حياة الروح ؛ من الحياة الظاهرية الى  
 الحياة الحقيقية . فلم تكن الشهادة إلا باباً دخلوا منه الى رضوان الله . واحياء لانهم  
 وفروا فرصة الحياة للوف من الناس . قال الله تعالى : { وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي  
 سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أحياءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ } (البقرة / ١٥٤)

(١) مستدرک الوسائل / ابواب جهاد العدو / الباب ١ / ح ١٦ .

(٢) مستدرک الوسائل / ابواب جهاد العدو / الباب ١ / ح ٨ .

(٣) المصدر / ح ١٣ .

ان الكرامة حياة ، والحرية حياة ، والعيش السعيد حياة ، ومن يموت في سبيل هذه المبادئ الدينية فهو حي في تلك المبادئ .

وان امة تكرم شهداءها وتحيي ذكراهم وتجعلهم احياء بينها ، هي امة لا تموت . ومن هنا فقد ذكرتنا الأحاديث ان الشهداء هم خير الناس ، وأن الله يرفع المجاهد في سبيله .

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : " خير الناس رجل حبس نفسه في سبيل الله يجاهد اعدائه ، يلتمس الموت او القتل في مصافه " . (١)  
وعنه صلى الله عليه وآله قال : " يرفع الله المجاهد في سبيله على غيره مائة درجة في

الجنة ، ما بين كلّ درجتين كما بين السماء والأرض " . (٢)

#### النجاة من النار

١/ اننا كبشر نتعرض لضغوط الشهوات ، وقد نسقط ونكتسب السيئات . فاذا ادركنا الموت فان تلك السيئات تلاحقنا ، وتتحول هناك الى عذاب شديد . اما إذا قتلنا في سبيل الله فان الشهادة تمحي الذنوب كلها . وطوبى لمن مات طاهراً من الذنوب ، انه يدخل الجنة بغير حساب . قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُنُكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ } (الصف/١٠) .

وقد أكد الحديث الشريف هذه البصيرة ، حيث نقرأ عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : بينما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يخطب الناس ويحضّهم على الجهاد ، اذ قام إليه شاب ، فقال : يا أمير المؤمنين اخبرني عن فضل الغزاة في سبيل الله ؟

(١) المصدر / ح ٣٦ .

(٢) مستدرک الوسائل / ابواب جهاد العدو / الباب ١ / ح ٣٩ .

فقال علي عليه السلام : كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وآله على ناقته العضاء ، ونحن قافلون من غزوة ذات السلاسل ، فسألته عما سألتني عنه ، فقال : ان الغزاة إذا همّوا بالغزو كتب الله لهم براءة من النار ، فإذا تجهزوا لغزوهم باهى الله تعالى بهم الملائكة ، فاذا ودّعهم اهلهم بكت عليهم الحيطان والبيوت ، ويخرجون من ذنوبهم كما تخرج الحية من سلخها ، ويوكّل الله عز وجل بكل رجل منهم أربعين ألف ملك يحفظونه من بين أيديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، ولا يعملون حسنة إلاّ ضعفت له ، ويكتب له كل يوم عبادة ألف رجل يعبدون الله ألف سنة ، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً ، اليوم مثل عمر الدنيا . وإذا صاروا بحضرة عدوّهم انقطع علم أهل الدنيا عن ثواب الله اياهم ، واذا برزوا لعدوّهم واشرعت الاسنة وفوّقت السهام وتقدّم الرجل الى الرجل ، حفّتهم الملائكة بأجنحتهم ، ويدعون الله تعالى لهم بالنصر والتنشيت ، ونادى منادي : الجنة تحت ظلال السيوف . فتكون الطعنة والضربة أهون على الشهيد من شرب الماء البارد في اليوم الصائف . وإذا زال الشهيد من فرسه بطعنة او بضربة لم يصل الى الارض حتى يبعث الله عز وجل زوجته من الحور العين قتبشّره بما أعدّ الله عز وجل له من الكرامة ، فاذا وصل الى الأرض تقول له : مرحباً بالروح الطيبة التي خرجت من البدن الطيب . ابشر فان لك مالا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . ويقول الله عز وجل : انا خليفته في أهله ، ومن ارضاهم فقد ارضاني ، ومن اسخطهم فقد اسخطني . ويجعل الله روحه في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث تشاء ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي الى قناديل من ذهب معلّقة بالعرش ، ويعطى الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس ، سلوك كل غرفة ما بين صنعاء والشام ، يملأ نورها ما بين الخافقين ، في كلّ غرفة سبعون باباً ، على كل باب ستور مسبلة ، في كل غرفة سبعون خيمة ، في كل خيمة سبعون سريراً من ذهب قوائمه الدرّ والزبرجد مرصوفة بغضبان الزمرد

، على كل سرير اربعون فراشاً ، غلط كل فراش اربعون ذراعاً ، على كل فراش سبعون زوجاً من الحور العين عرباً أتراباً " (١)

٢/ حينما جعل المؤمنون اعظم أهدافهم النجاة من العذاب وألّا يخزوا يوم القيامة ، استجاب الله لهم . ولكنه فرض عليهم شروطاً ؛ ابرزها الهجرة ، وهي الانفصال الفكري والعملي من الجاهلية . ويستلزم هذا الانفصال التحدي والصراع ، وبالتالي الخروج من بلاد الجاهلية ، وتحمل انواع الأذى من الاغتراب والفقر والذل . بيد ان كل ذلك يدفعهم لتنظيم انفسهم ، والاستعداد للعودة الى بلادهم بالقتال . وهدف الجيش من القتال - عادة - هو الانتصار ، بيد ان هدف المؤمنين كجنود هو الشهادة ، لذلك فهم مستبسلون في ذات الله .

ان هذا هو شرط الله على المؤمنين ، الذي لو وفوا به آتاهم اجرهم بالكامل ، وبالتساوي بين الذكر والأنثى ، وأدخلهم الجنة جزاءً حسناً من عند الله . قال الله سبحانه : { فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ

حُسْنُ الثَّوَابِ } (آل عمران / ١٩٥)

ان الشهيد يغتسل بدمه ، فاذا به طاهر من الذنوب ويدخل الجنة بغير حساب . وقد ذكرت الرواية المأثورة عن علي عليه السلام انه قال : " عليكم بالجهاد في سبيل الله مع كل امام عادل ، فان الجهاد باب من أبواب الجنة " . (٢)

٣/ الأمة المسلمة تتميز بالاستقامة على الحق والتضحية رغم صعوبتها ، وهاهو القتال مفروض عليها ، بالرغم من انه مكروه للانسان . قال الله تعالى : { كُتِبَ

(١) مستدرك الوسائل / ابواب جهاد العدو / الباب ١ / ح ١٥ .  
(٢) مستدرك الوسائل / ابواب جهاد العدو / الباب ١ / ح ٣٠ .

عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ { (البقرة/٢١٦)

الحق هو محور الانسان الرسالي والأمة المؤمنة ، لا الحب والكره المجريدين ، ذلك لان الحق ينفع الانسان والباطل يضره ، بالرغم من ان النفس قد تميل الى الباطل وتزعم انه اصلح لها . والله هو الذي يحدد الحق ، اما الناس فهم لا يعلمونه دائماً ، لانهم محجوبون عنه بالشهوات التي تزين لهم الباطل وتصوره حقاً لهم . وقد بينت السنة الشريفة ثواب المجاهدين ، إذ جاء عن النبي صلى الله عليه وآله ، انه قال : " كل حسنة بني آدم تحصيها الملائكة ، إلا حسنة المجاهدين ، فانهم يعجزون عن علم ثوابها " . (١)

ورأى صلى الله عليه وآله رجلاً يدعو : اللهم اني أسألك خير ما تسأل ، فاعطني افضل ما تعطي . فقال صلى الله عليه وآله : ان استجيب لك اهريق دمك في سبيل الله . وقال صلى الله عليه وآله : ان لي حرقتين اثنتين ؛ الفقر والجهاد . وقال صلى الله عليه وآله : غدوة او روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها . وقال صلى الله عليه وآله في حديث : وسياحة امتي الجهاد . وقال صلى الله عليه وآله : ان الله يدفع بمن يجاهد عمّن لا يجاهد . (٢)

عن الامام الصادق ، عن آبائه عليهم السلام قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ثلاثة يشفعون الى الله عز وجل فيشفّعهم ؛ الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء . (٣)

## أهداف القتال

(١) المصدر / ح ١٧ .

(٢) المصدر / ح ٢١ .

(٣) مستدرك الوسائل / ابواب جهاد العدو / الباب ١ / ح ٤٥ .

لماذا يقاتل المسلمون ، وماهي الاهداف السامية التي يناضلون من أجلها ؟  
أ : لمقاومة الفتنة واستعادة الحرية والكرامة والثروة التي يصادرهما الطغاة والظلمة .

ب : دفاعاً عن النفس ضد الطغاة والظلمة ، الذين يريدون استلاب الحرية والكرامة والثروة .

ج : دفاعاً عن المستضعفين الذين يستعينون بهم ، وللقيام بالقسط وللشهادة بالحق .

د : وربما لنشر الدين ، ورفع العقبات التي تعترض حاكمية الدين في الأرض .  
وعن هذه الأهداف العليا نستعرض التفصيل التالي :

~~~~~ ألف : حتى لا تكون فتنة

الملك لله ، والحكم لله ، والله هو الرب ، وله الأمر ، وله الدين . وهكذا لا يجوز لاحد أن يتخذ من دونه اولياء ، وان يشرع حكماً بغير اذنه ، وان يتخذ أرباباً من عباده ، وان ينازعه الدين .

ومن نازع الرب سلطانه فهو طاغوت ، ومن شرع من دون اذنه فقد افتري ، ومن اتخذ من دونه ولياً فقد أشرك .

والهدف الأول للقتال هو حذف الأرباب ، وكسر شوكة الطغاة ، وتحطيم اصنامهم التي تعبد من دون الله . وكان هذا اعظم غايات الانبياء ، حيث دعوا الناس الى عبادة الله وحده . والكفر بالآلهة التي تعبد من دون الله ..

والطغاة حاربوا الانبياء والمؤمنين واخرجوهم من ديارهم وقتلوهم ، وكانت

تلك هي

الفتنة الكبرى .

وهاجر المؤمنون الى ربهم ، الى حيث يعبدون الله وحده ، ونصرهم الله سبحانه . فقاتلوا في سبيل الله ، وكان هدف قتالهم منع الفتنة حتى يكون الدين كله لله ، حتى

لايشرك بالله أحد ؛ لا طاغوت يتجبر في الأرض ، ولا رب يشرع من دون اذنه .  
وان هذه هي قصة الرسالات جميعاً ؛ قصة نوح مع قومه ، قصة ابراهيم مع  
نمرود ، قصة هود وصالح وشعيب مع طغاة الأمم ، وقصة موسى مع فرعون  
وملأه ، وقصة المؤمنين في عهد عيسى مع الطغاة. وهي كذلك قصة المسلمين مع  
قريش على عهد النبي صلى الله عليه وآله .

وإذا أردنا ان نفقه حقيقة حروب النبي صلى الله عليه وآله ، فعلىنا دراسة  
الرسالات الالهية التي يقصها علينا كتاب ربنا . وفي إطار هذه الدراسة نستطيع ان  
نفقه الآيات التي أمرت بالقتال ، حتى لاتكون فتنة ، ويكون الدين لله .

١/ ولقد هبطت الرسالات الالهية على الانبياء بالكلمة الطيبة ، ولكن الأمم قابلتهم  
بالعنف والارهاب . ولولا نصر الله لرسله ، لكثرت فيهم القتل والتهجير . يقول ربنا  
سبحانه : { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ  
لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا  
كُفْرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ } (ابراهيم / ٩)

٢/ وقال تعالى : { وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلْنَا وَلَنصْبِرَنَّ عَلَى  
مَا ءَادَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ \* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ  
مِنَ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مَلْتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ } (ابراهيم /  
١٢-١٣)

٣/ وهكذا كانت دعوة الانبياء عليهم السلام دعوة انذار وتبشير ، ولكن الكفار  
استخدموا العنف ، مما دعا بعض الانبياء الى خوض غمار القتال ، حيث قال  
سبحانه : { وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ \* وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا  
رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ  
} (آل عمران / ١٤٦-١٤٧)

٤/ وكثيراً ما كانت الأمم تقتل الانبياء ، حيث يقول سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ  
بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ  
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } (آل عمران / ٢١)

٥/ ويقول تعالى : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ  
قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتِمُ الْبُاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ  
مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ } (البقرة / ٢١٤)

٦/ وقال سبحانه : { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرِّسْلِ وَعَآئِنَا  
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى  
أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } (البقرة / ٨٧)

٧/ ونستوحى من ذلك أن الكفار كانوا يرهبون الانبياء والمؤمنين بهم بألوان  
الأذى وبالإخراج من الديار وبالقتل . وكان الانبياء عليهم السلام يتوكلون على الله  
في تبليغ الدعوة ، فينصرهم الله اما بهلاك الكفار بعذاب من عنده ، او بأمرهم  
بالقتال ، ثم يؤيدهم بنصره كما نصر سبحانه طالوت وجنوده ضد جالوت ، فقال  
سبحانه : { أَلَمْ تَر إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لِهْمُ  
ابْعَثْ لَنَا مَلَكًا يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا  
قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَنَا فَلَمَّا كُتِبَ  
عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } (البقرة / ٢٤٦)

٨/ ثم قال تعالى : { وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا  
وَتَبَّتْ أَعْدَامُنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ \* فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ  
جَالُوتَ وَعَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ  
بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } (البقرة / ٢٥٠-٢٥١)

٩/ وهذه القصة تكررت في عهد النبي عيسى بن مريم سلام الله عليه ، حيث  
بيّنها ربنا باختصار في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا  
قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ

اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ } (الصف / ١٤)

وهذه القصص تهدينا الى حقائق الصراع الجاري في الأمم الغابرة ، وكيف كانت تتوالى فصولها ومراحلها ابتداءً من دعوة الأنبياء وانتهاءً بانتصار المؤمنين وهزيمة الكفار ، اما بعذاب استيصال (مثل الطوفان والغرق والريح) أو بنصر المؤمنين بعد قتال مرير .

~~~~~  
فصول الصراع في الأمة الاسلامية :

وهذه الفصول تتكرر في الامة المرحومة ، وقد تحولت الى بصائر وتشريعات يفصلها القرآن الحكيم في آيات عديدة ، نقرأها معاً :

١/ بعد انتشار الدعوة وقبول طائفة من الناس لها ، يبدء الفصل الأول من الصراع ، وهو هجرة هؤلاء من بلادهم هرباً من ارهاب الكفار . والهجرة هذه من أهم المفاصل التاريخية، والتي يحدثنا القرآن عنها من وجهين : وجه يمت بالمؤمنين ، حيث أنهم يضحون بوطنهم من أجل دينهم . ووجه يمت بالكفار ، حيث انهم يخرجون طائفة من شعبهم وقومهم من الديار ، لا لشيء إلا لانهم قالوا ربنا الله ..

والهجرة (او الاخراج) لا تتم إلا بعد تعرض المؤمنين للارهاب ، حيث يحاول الكفار التأثير عليهم ليعودوا الى ملتهم ، فلما وجدوا انهم يرفضون ذلك أخذوا يخرجونهم من ديارهم ، (او تراهم هم يخرجون منها بعد تعرضهم للضغط) . ولعل التركيز على الهجرة (او الاخراج) دون القتل ، لان القتل قليل الوقوع . على ان كتاب ربنا قد بين قصة اصحاب الاخدود ، إذ كانت القتل على ما يفعلون بالمؤمنين شهود .

ومن هنا كان الاخراج من البلاد احد ابرز اسباب الحرب ، اذ سرعان ما يحمل المهاجر الذي اخرج من بلاد السلاح ، ليعود الى بلاده منتصراً . قال الله سبحانه :

{ أُنذِرَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ \* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيُنصِرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ { (الحج / ٣٩-٤٠)

وهكذا كان اخراج هؤلاء من بلادهم وتعرضهم للظلم والقتال (محاولة القتل لاعادتهم الى الضلال) ، كان ذلك مقتضياً للاذن لهم بالدفاع عن انفسهم . وفي الآية اشارة الى ان دفع الظلم مبرر للقتال . وفي الآية بيان بضرورة الدفاع عن المقدسات ، حيث انها تنهدم من دون الدفاع عنها من قبل المؤمنين .

٢/ وفي قصة المؤمنين من بني اسرائيل عبرة ، حيث انهم طلبوا من نبيهم ان يعين لهم ملكاً يقاتلون في سبيل الله تحت لوائه ، وبرروا قتالهم بأنهم اخرجوا من ديارهم . قال الله سبحانه : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ { (البقرة/ ٢٤٦)

٣/ وقد أمر الله سبحانه بان يقاتل المؤمنون ، ويخرجوا الكفار من حيث اخرجوهم . قال تعالى : { وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ { (البقرة/ ١٩١)

ونستفيد من الآية ؛ ان اخراج الناس من ديارهم بغية ردهم عن دينهم ، نوع من الفتنة التي هي أشد من القتل . ومن هنا يجوز المبادرة بالقتال لآخماذ نار ، مثل هذه الفتنة .

٤/ ويفصل القرآن الحديث عن هدف الكفار من اخراج المؤمنين من ديارهم ومن قتالهم ، وهو ردهم عن دينهم . (وهو عين الفتنة) ، والفتنة أكبر من القتل .

(وواضح ان دفع الضرر الأكبر يكون بما هو اصغر منه وهو القتل . فالقتال مشروع من أجل المحافظة على الدين ، وعلى حرية قبول الحق) . قال الله سبحانه : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَرَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (البقرة / ٢١٧)

وفي الآية بيان حرمة الارتداد حتى ولو تم بسبب ضغط الكفار ، وضرورة خوض غمار القتال من أجل الدين والاستقامة على الطريق .

٥/ وقد جعل ربنا عز وجل شرط جواز البرّ بالكفار ، ألا يكونوا قد اخرجوا المؤمنين من بلادهم . (مما يهدينا الى ان الكافر الذي يخرج المؤمنين من الديار ، ويمارس بحقهم الفتنة لردّهم الى الجاهلية ، انه لايجوز البرّ به ومودته) . قال الله سبحانه : { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (المتحنة /٨)

٦/ وقد امر ربنا سبحانه بالقتال، حتى تدفع الفتنة ويتحقق الدين الحق . قال الله تعالى : { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ } (البقرة / ١٩٣)

ونستفيد من الآية ؛ ان القتال يستمر الى ان ترتفع الفتنة ، (والتي من مصاديقها اخراج الناس من ديارهم بهدف ردهم عن دينهم ، كما ان اطلاقها يشمل ارباب المؤمنين لردّهم عن الدين بأية وسيلة كانت).

وان الحكم انما هو لله لا لغيره ، من قوم او عنصر او مبدأ او حزب او شخص عالم او جاهل .. غني او فقير او أي اسم آخر . ولذلك لايد من مواجهة كل الوان الحكم الجاهلي غير الالهي ، حتى يعود الحكم الى الله سبحانه ، فيحكم بين عباده

بالحق . وبتعبير آخر ؛ الفتنة هي استخدام القوة للتسلط من قبل البشر ، بينما الدين هو السلطة المشروعة التي هي فقط لله سبحانه .

وان الظلم يبرر العدوان (الدفاع عن النفس بالسلاح) . فمن ظلم يجب محاربتة حتى يؤخذ الحق منه ، (وبالذات ظلم الناس حتى يرددوا عن الدين) .

٧/ الهدف الأسمى للمقاتل المؤمن تحرير نفسه والناس من سلطة الطاغوت وعبادته ، ومن ثم اخلاص الدين لله سبحانه . بينما هدف المقاتل الكافر تكريس سلطة الطاغوت ، وبسط قدرته ، وفرض عبادته على البشر . (والطاغوت رمز للشيطان ، وأوليائه هم اولياء الشيطان الذين يريد اضلال البشر) . وعلى المؤمنين قتال اولياء الشيطان ، (وليعلموا) ان كيد الشيطان كان ضعيفاً . قال الله سبحانه : { الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا ءَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا } (النساء / ٧٦)

ان اول ما ينبغي ان نفعله في مواجهة الطاغوت ، التحرر من خوفه وخشيته ، ومعرفة ان كيده ضعيف ، وان سلطة الطاغوت خلاف سنة الله في الخليقة ، وخلاف فطرة الناس .

٨/ وعندما نظر اولوا الالباب الى آيات الله في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، ودلتهم تلك الآيات الى حسن التدبير وبلاغ الحكمة ، وعرفوا ان الله سبحانه خلق الناس ايضاً بحكمة بالغة وغاية هامة .. فسألوا ربهم ان يقيهم عذاب النار ، وان يغفر ذنوبهم . فاستجاب لهم ربهم ، وبيّن لهم انه لا يضيع عمل عامل منهم . وان الذين هاجروا واخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيل الله وقتلوا وقتلوا يدخلهم الجنة (بفضله . مما يهدينا الى مشروعية او فريضة القتال من بعد الهجرة والايحراج من الديار والتعرض للأذى..). قال سبحانه : { فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ

سَيَاتِهِمْ وَلَا دُخِلْنَهُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ { (آل عمران / ١٩٥)

ولعل الترتيب الزمني في فقرات الهجرة ، هو انهم هاجروا (الى دار الاسلام) ، لانهم اخرجوا من ديارهم . وانما اخرجوا من ديارهم ، لانهم تعرضوا للأذى . وقد تعرضوا للأذى ، لانهم عملوا عملاً صالحاً بعد الايمان بالله . ومن بعد الهجرة قاتلوا ثم قتلوا ، وكفر الله عنهم سيئاتهم وادخلهم الجنة .

~~~~~  
دفاعاً عن الحرمات

القتل اساساً لايجوز إلا قصاصاً او لدرء الفساد ، ولعل منهما الدفاع عن النفس وعن

الحرمات . من هنا فان قاتل المسلمين احد ، وجب عليهم قتاله دفاعاً . اما إذا اعتزلوهم، فلا . ويبدو ان من ذلك قتال الفئة الباغية بعد رفضهم تنفيذ حكم المصالحة .

١/ يحرم قتل الفرد إلا قصاصاً او درءً للفساد . قال الله سبحانه : { مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمُسْرِفُونَ } (المائدة / ٣٢)

٢/ وهذا هو القتل بالحق ، وغيره قتل بالباطل . وقد قال سبحانه : { قُلْ تَعَالَوْا أَنُلِ مَاحَرَمَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرِزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَفْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } (الانعام / ١٥١)

ونستفيد من ذلك ؛ ان القتل الجمعي لايجوز -بطريقة أولى- إلا دفاعاً، او لدرء الفساد. (ومن الفساد الفتنة التي تلونا فيما سبق نصوصاً عنها) . ولعل من القصاص

الدفاع عن النفس عند التعرض للهجوم ، حيث يقول سبحانه : { الشَّهْرُ الْحَرَامُ  
بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتِ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا  
اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } (البقرة/ ١٩٤ )

٣/ وهكذا اذن الله للذين يتعرضون لهجوم بهدف القتل ، اذن الله لهم بالقتال . قال  
الله تعالى : { اُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ } (الحج  
٣٩ /

وفي الآية تحريض على الدفاع ، حيث بيّن ربنا سبحانه ؛ ان الله قادر على  
نصرهم .

٤/ وقد أمر ربنا المؤمنين بقتال الذين يقاتلوهم . قال الله تعالى : { وَقَاتِلُوا فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ \* وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ  
تَقَفْتُمُوهُمْ وَآخِرُ جُوهَرٍ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ  
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ \*  
فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (البقرة / ١٩٠ - ١٩٢ )

ونستفيد من الآيات البصائر التالية :-

ألف : حتى عندما يكون القتال ضد من يقاتل المسلمين ، يجب ان يكون قتالاً في  
سبيل الله . مما يجعل المسلمين مقيدين بحدود الشرع ، ويجعل نواياهم نظيفة من  
الحقد والبغى (والمصلحية وحب التعالي على بعضهم) .

باء : يجب التقيد بحدود الدفاع ، وعدم تجاوز الدفاع المشروع ، وعدم الاعتداء  
على الآخرين ، بحجة بدءهم بالقتال .

جيم : كما ان ذات القتال مقيد بالدفاع ، كذلك تفاصيله . فاخراج الكفار يكون من  
حيث اخرجهم الكفار ، وحرمة المسجد الحرام كذلك مقيدة باحترامهم له ، فان  
نقضوا حرمة بالقتال - عنده - جاز للمسلمين قتالهم عنده ايضاً .

دال : وإذا عاد الكفار والتزموا بحرمة المسجد الحرام (وكذلك بسائر الحرمات)  
، عاد المسلمون ايضاً الى احترامه ، لان الله غفور رحيم .

٥/ ونستفيد من آية كريمة ؛ ان الذين يتركون الدفاع عند وجوبه ، يكونون اقرب الى الكفر يومئذ منهم الى الايمان . قال الله سبحانه : { وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ } (آل عمران/١٦٧)

٦/ عندما بيدء العدو بهجوم شامل (ثقافي عسكري) ، فعلى المسلمين ان يستعدوا لقتاله . قال الله سبحانه : { وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَنْمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ \* أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ فَالَّذِي أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (التوبة / ١٢-١٣)

نستفيد من الآيات في هذا السياق البصائر التالية :

أ : يجب الوفاء بالعهد الذي بين المسلمين والمشركين ، مادام استقام المشركون به .

ب : ان نكث المشركون عهدهم ، جاز قتالهم .

ج : انما القتال يهدف اقامة الدين . ومن هنا فان المفروض قتال أئمة الكفر ، لانهم لا

أيمان لهم ( ولا عهد ولا ذمة ) .

د : دواعي قتال المشركين (وبالذات الأئمة منهم) ، هي نكث العهد (والميثاق الأمني بينهم وبين المؤمنين) ، ومحاولة اخراج الرسول (وتهديد أمن الرسول في بلده) ، والبدء بالقتال.

ويبدو ان كل واحد من هذه الأسباب كافٍ للقتال . فان نكث الأيمان (وبالذات العسكرية منها) سبب مشروع للقتال ، وكذلك تهديد الأمن (وبالذات أمن الدعوة الى الله) ، وأخيراً البدء بالقتال . والله العالم .

٧/ وعند اقتتال طائفتين من المؤمنين يجب على عامة المسلمين السعي للإصلاح بينهما (على اساس امر الله) ، فان بغت (بعد الصلح) احدهما على الأخرى ، فلا بد من القتال ضدها حتى ترجع الى أمر الله (حكمه) ، عندئذ يتوقف القتال. قال الله سبحانه : { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاعَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (الحجرات / ٩)

نستفيد من الآية ؛ ان الدفاع عن أمر الله ضد الفئة الباغية ، سبب مشروع للقتال . وهذا الحكم قريب من حكم قتل الذين يسعون في الأرض فساداً (المحاربين) ، حيث ان الفئة الباغية لاتخضع للاحكام الشرعية التي يجمعها { أَمْرُ اللَّهِ } . فمن أجل اخضاعها ، لا بد من القتال . كما ان هذا الحكم يشبه الحكم الالهي بالقتال لقطع دابر الفتنة (ومنع الظلم) ..

جيم : دفاعاً عن القيم

١/ لقد جعل الله الامة الاسلامية شهداء على الناس ، كما جعل الرسول عليهم شهيداً . قال الله تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ } (البقرة / ١٤٣)

٢/ وقال تعالى : { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا بِيَكُمُ إِِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ } (الحج / ٧٨)

٣/ وقد أمر الله المسلمين ان يكونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله . قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوْ

أُولَئِكَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ  
تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا { (النساء / ١٣٥)  
٤/ وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا  
يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ  
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (المائدة / ٨)

٥/ وهكذا فرض عليهم القتال ، دفاعاً عن المستضعفين . قال الله تعالى : { وَمَا  
لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ  
يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل  
لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا } (النساء / ٧٥)

٦/ وكذلك أوجب عليهم القتال ضد الذين يصدون عن المسجد الحرام ، وما كانوا  
أولياءه . قال الله تعالى : { وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ  
الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّفِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }  
(الانفال / ٣٤)

نستفيد من هذه الآيات الكريمة (وبالتدبير ايضاً في آيات الأمر بالمعروف والنهي  
عن المنكر ، وآيات الدعوة الى الله ، والتبشير والانذار ، نستفيد منها جميعاً)  
البصائر التالية :-

أولاً : شهادة الأمة على الناس تكون بذات الاتجاه الذي تكون عليه شهادة  
الرسول على الأمة . وهي -حسبما يبدو من الآية- الشهادة بالقسط والعدل ، وهي  
مقتضى كون الأمة أمة وسطاً ، لان الوسطية هي العدالة .  
والشهادة بالعدل تكون بالحكم به ، ( وهو حكم الله الذي أراه رسوله ) ،  
وبالدعوة اليه

(وهو مقتضى وحي الله سبحانه) ، وربما باقامته التي أمر الله بها حينما أمر بان  
نكون قوامين بالقسط . ونظير هذا المعنى نستفيدة من سياق آية سورة الحج ، التي

أمر الله تعالى في مطلعها بالجهاد ، ثم بيّن ضرورة شهادة الأمة على الناس . والله العالم .

ثانياً : ومعنى القيام لله ، والقيام بالقسط ، والشهادة لله ؛ هو القيام بأمر الله في القسط والعدل ، ومن مصاديقه - حسب الظاهر - إقامة القسط والشهادة عليه الله سبحانه ، وبالتالي العمل بما يحقق القسط . والله العالم .

ثالثاً : القتال في سبيل الله ولانقاذ المستضعفين واجب ، شريطة ان يطلب المستضعفون ذلك بان يدعو الله ربهم بان يجعل لهم ولياً من عنده ، ويجعل لهم نصيراً . والولي والنصير هما من المؤمنين الذين يقاتلون في سبيل الله .

رابعاً : القتال من أجل تحرير المسجد الحرام (وسائر المقدسات الاسلامية) من ايدي الذين يصدون عنها ، قتال مشروع . لان الله سبحانه بعد ان ذكر ان الله قد يعذبهم لانهم يصدون عن المسجد الحرام ، بالرغم من أنهم ليسوا بأوليائه (في الآية ٣٤ من سورة الانفال) ، أمر بقتالهم (في الآية ٣٩ من سورة الانفال).

وهكذا يمكن ان نستفيد ؛ ان من اهداف القتال ، خلع يد الكفار (والظالمين) عن التحكم بالمسجد الحرام من دون حق . والله العالم .

#### ^^^^دال : من أجل الدين

١/ قتال اليهود والنصارى ، قتال مشروع للأسباب التي سنذكرها انشاء الله ، ولكن الى حين دفعهم للجزية صاغرين . وهذا هو المستفاد من قوله عز وجل : { قَاتِلُوا الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } (التوبة / ٢٩)

ونستوحي من الآية الكريمة؛ ان اليهود والنصارى والمجوس (وربما سائر أهل الكتاب) لم يكونوا مؤمنين حقاً بالله واليوم الآخر، ولذلك شرع الدين قتالهم . أما إذا كانوا كذلك ، فان المفهوم من آيات قرآنية أخرى هو امكانية التعايش معهم ،

كقوله سبحانه: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (آل عمران / ٦٤)

وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة / ٦٢)

وقد مدح الله سبحانه بعضاً من أهل الكتاب ، فقال تعالى: { لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ } (آل عمران / ١١٣)

وقال تعالى: { وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ تَمَنّاً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } (آل عمران / ١٩٩)

٢/ ومن أبرز اسباب القتال مع أهل الكتاب ، انهم يشركون بالله . فهم لا يؤمنون بالله إلهاً واحداً ، ولا يؤمنون باليوم الآخر ، (لأنهم يزعمون ان الله لا يعذبهم فيه إلا اياماً معدودة لانتمائهم الى عزيز ، او المسيح) .

وهذا هو المستفاد من قوله سبحانه: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِنُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } (التوبة / ٣٠)

٣/ ومن الاسباب أنهم لا يحرّمون ما حرّم الله، بل يحرّمون ما حرّم عليهم الاحبار والرهبان، لانهم اتخذوهم ارباباً من دون الله، كما اتخذوا المسيح بن مريم ريباً من دون الله سبحانه. قال الله تعالى: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } (التوبة / ٣١)

٤/ ومن الاسباب أنهم لا يدينون دين الحق ، فتراهم يصدون عن سبيل الله ، ويحاولون اطفاء نور الله بافواههم (وبشبهات يثونها ضد النبي محمد صلى الله عليه وآله ) . قال الله سبحانه : { يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } (التوبة / ٣٢)

٥/ ولعل من الاسباب ايضاً ظلمهم للناس باسم الدين ، وأكل أموال الناس بالباطل . قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } (التوبة / ٣٤)

#### ٨٨٨٨٨ هاء : من اجل الدعوة

هل يجب على امام المسلمين ان يقودهم الى قتال الذين يلوونهم من الكفار كل عام مرة او مرتين ؟ وفي غياب الأئمة المعصومين عليهم السلام هل تنتقل هذه الفريضة الى الفقيه العادل المبسوط اليد ؟

في الاجابة عن السؤال الأول : ذهب اغلب الفقهاء الى وجوب الجهاد الابتدائي على الامام المعصوم ، وعدم وجوبه في عصر الغيبة ، مما يجعل البحث امراً نظرياً .

قال العلامة النجفي في الجواهر : لا خلاف بين المسلمين في وجوبه في الجملة ، بل هو كالضروري خصوصاً بعد الأمر به في الكتاب العزيز في آيات كثيرة .  
ثم قال : فرضه على الكفاية بلا خلاف اجده بيننا ، بل ولا بين غيرنا . ثم قال : يشترط وجود الامام عليه السلام وبسط يده ، او من نصبه للجهاد .  
وأضاف : بل اصل مشروعيته مشروط بذلك فضلاً عن وجوبه .

ثم ذكر : ان المراد من الجهاد هو الذي يكون "ابتداءً" من المسلمين للدعاء الى الاسلام، وهذا هو المشروط بالشروط المزبورة ، والذي وجوبه كفاي . (١)  
ونقل - في موضوع آخر - ؛ الاجماع على اشتراط وجود الامام المعصوم في الجهاد . ولكنه قال : لكن ان تم الاجماع المزبور فذاك ، وإلا أمكن المناقشة فيه بعموم ولاية الفقيه في زمن الغيبة الشاملة لذلك المعتضدة بعموم ادلة الجهاد فترجح على غيرها . (٢)

ويبدو ان الجهاد لا يختص بالجهاد الابتدائي الذي هدفه نشر الدعوة فقط ، بل الجهاد يشمل كل تلك الصور التي بحثنا عنها سلفاً ؛ من مواجهة الفتنة ، والدفاع عن النفس ضد الطاغوت ، وللدفاع عن المستضعفين المسلمين ، وللدفاع عن بلاد المسلمين ضد العدو الداهم ؛ ذلك لأن معاني كلمات القرآن سبقت الفقه ومصطلحاته .

أما اشتراط الولاية الالهية في مشروعية القتال ، فسيأتي الحديث عنه انشاء الله في احكام الجهاد . وسوف نقول ان الأقرب هو امتداد الولاية بعد عصر المعصومين عليهم السلام فيمن يتصدى لها من الفقهاء العدول ، حيث ان فريضة القتال ضد اعداء الدين لا تخص عصراً دون عصراً ، ولا مصرأً دون آخر .  
يبقى الحديث حول أدلة القتال من أجل الدعوة ، الذي لا مبرر له سوى نشر الاسلام ، حيث استدلل له بما يلي :

~~~~~ أولاً : أدلة الجهاد الابتدائي

ألف : الاجماع . ولكن فقهاءنا رحمة الله عليهم حيث اشترطوا وجود الامام المعصوم في مشروعيته ، فان اجماعهم في وجوبه في عصر المعصومين

---

(١) كلمات صاحب الجواهر اخذناها من عدة مواضع من شرحه على الشرائع في باب جهاد العدو فراجع .

(٢) الجواهر / ج ٧ / ص ٤٩٦ / طبعة بيروت .

لا ينسحب الى عصورنا ، على أنه اجماع مستند الى الأدلة الأخرى . فعلينا مراجعة تلك الأدلة ، لنرى مدى حجيتها وظهورها في هذا الرأي .

باء : الآيات القرآنية الظاهرة في وجوب القتال بصورة عامة ، وهي التالية:

١/ مثل قول الله سبحانه : { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (البقرة/ ٢١٦) حيث قال مؤلف موسوعة الجواهر فيها ما يلي : لا ريب ان الأصلي منه (من الجهاد) قتال الكفار ابتداءً على الاسلام ، وهو الذي نزل فيه (وذكر الآية) (١) ثم استدلت بآيات أخرى ، فقال : خصوصاً بعد الأمر به في الكتاب العزيز في آيات كثيرة .

٢/ كقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ

جَهَنَّمَ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ } (التوبة/ ٧٣)

٣/ وقوله تعالى : { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } ( التوبة/ ٢٩)

٤/ وقوله تعالى : { فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخِنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ } (محمد/ ٤)

٥/ وقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعاً } (النساء/ ٧١)

٦/ وقوله تعالى : { فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } (النساء/ ٧٤)

---

(١) الجواهر / ج ٧ / ص ٤٩٢ .

٧/ وقوله تعالى : { فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَآتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ } (التوبة / ٥)

٨/ وقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ } (الأنفال / ٦٥)

وهكذا استدل العلامة النجفي بالآيات التي تليت على وجوب الجهاد ، والذي اعتبر في نص آخر ان الاصيل منه هو القتال على الاسلام ابتداءً . (١)  
ولكن هذه الآيات بحاجة الى دراسة تفسيرها وعلاقتها بسياقاتها من جهة ، وبسائر الآيات القرآنية من جهة ثانية . هذه الدراسة التي وفقنا لها في هذا الفصل بنسبة معينة ، وذلك في أول هذا الموضوع ، ونسأل الله ان يوفقنا للمزيد في البحوث التالية ، وهي لا تدل دلالة صريحة على القتال ابتداءً على الاسلام ، بل اكثرها ظاهرة في أصل وجوب الجهاد او في التحريض عليه . بينما تتكفل سائر النصوص (من آيات وروايات) بتفاصيل أمرها .

وبتعبير آخر ؛ القتال قد كتب على المسلمين ، ولكن متى وكيف ؟ هذا النص لا يتكفل بيانه ، فعلى مراجعة سائر النصوص . كما ان الصيام قد كتب عليهم بقوله سبحانه : { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (البقرة/١٨٣) ، ثم فصلت الآيات الأخرى ما كتب عليهم من الصيام كذلك أمر النبي صلى الله عليه وآله بجهاد الكفار والمنافقين لا يعني بالضرورة قتالهم ، فقد يكون الجهاد بالكلمة او بالهجرة . كما لا يعني ضرورة الجهاد ابتداءً ، خصوصاً بالنسبة الى المنافقين ، حيث اننا نعرف وجود شروط معينة لقتالهم .

بلى ؛ الآية الكريمة حول قتال أهل الكتاب عامة ، وفيها ظهور على القتال الابتدائي . اما قوله سبحانه : { فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا

(١) الجواهر / ج ٧ / ص ٤٩٤ / طبعة بيروت .

أَتَخَنُّمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ } (محمد/٤) فانه بيان لاحكام القتال ، وليس لأصله . وكذلك سائر الآيات التالية .

٩/ وقد استدل بعضهم ايضاً بقوله سبحانه : { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (البقرة/٢٤٤) .

حيث استدل العلامة الطباطبائي في تفسيره بهذه الآية على وجوب الجهاد الابتدائي ، ولكنه رأى ان الهدف من هذا الجهاد ليس سوى نشر الدين ، لا سلطة بعض الناس على بعض .

واضاف ما خلاصته ؛ ان هذا الجهاد بدوره جهاد دفاعي ، لان اتباع الأديان الأخرى كانوا يريدون ابادة المسلمين او الغلبة عليهم . (١) ودلالة الآية بالنظر الى سياقها ليست ظاهرة في ذلك ، لان القرآن الكريم يجمل القول

ثم يفصله . وهذه الآية - فيما يبدو - بيان اجمالي لوجوب الجهاد ، اما التفصيل ففقرءه في قصة بني اسرائيل الذين أخرجوا من ديارهم وابنائهم ، وجعل الله لهم طالوت ملكاً ، وقاتلوا تحت لواءه حتى نصرهم الله .

ذلك لأن الله سبحانه قد بيّن تفصيل القتال مع الكفار في الآيات (٢٤٦) الى (٢٥١) من سورة البقرة ، بعد ان رغب في اقراض الله قرصاً حسناً في الآية (٢٤٥) من سورة البقرة ، وهو بمثابة الجهاد بالمال . وقد بيّن حكمة القتال بقوله سبحانه : { وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } (الحج/٤٠) . فسمّى هذا الفرع من القتال دفاعاً . فهل يبقى للآية الأولى (٢٤٤) من سورة البقرة ، ظهور في الجهاد الابتدائي ؟

(١) الميزان في تفسير القرآن للعلامة محمد حسين الطباطبائي / ج ١ / ص ٢٤٧ .

ثانياً : الأدلة المخالفة للجهاد الابتدائي

ويستدل على عدم وجوب الجهاد الابتدائي بالأدلة التالية :

١- يبيّن ربنا سبحانه في القرآن سنن الذين كانوا من قبلنا ، ويقص علينا ما جرى بين الانبياء والأمم ، وكيف كانت دعوة الانبياء دعوة سلمية ، وبالكلمة الطيبة اللينة ، وبالموعظة الحسنة ، وبالجدال بالتي هي احسن . ولكن ردّ الأمم كان عنيفاً ، حيث كان يتحول بعد التهديد الى الاخراج من البلاد ، والى الرجم (بالكلمات البذيئة) ، والى القتل . وسنن الله في الأولين والآخرين واحدة ، حسب الظاهر .

٢- قال الله سبحانه : { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ } (البقرة / ١٩٣)

نستفيد من الآية ؛ ان غاية القتال قطع دابر الفتنة ، واذا انقطعت فلا عدوان إلا على الظالمين . ويبدو ان الظالمين هم مثيروا الفتن ، والعدوان هنا بمعنى الحرب . فالحرب لا تكون إلا مع الظلمة الذين يعتدون على حقوق الآخرين ويرهبون عباد الله . إذا الحرب انما هي دفاعية (بالمعنى الأوسع لكلمة الدفاع الشامل لمقاومة الظلم) .

وهذه الآية تخصص النصوص الأمرة بالقتال بوجه عام ، مثل قوله سبحانه : {

قَاتِلُوا

الدِّينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } (التوبة / ٢٩)

٣- قال الله تعالى : { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ

انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (الانفال / ٣٩)

ودلالة الآية على انتهاء القتال بانتهاء الفتنة واضحة .

٤- قال الله سبحانه : { وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (الأنفال / ٦١)

والآية وردت في الكفار الذين ينقضون عهدهم ، فانهم يحاربون حتى يجنحوا للسلام . ودلالاتها ظاهرة في ان نهاية الحرب انتهاء سببها من نقض العهد . والله العالم .

٥- قال الله تعالى : { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } (البقرة / ١٩٠)

نستوحي من الآية ؛ ان ابتداء القتال عدوان ، وان الله لا يحب المعتدين .. وسياق الآية ذات دلالة ظاهرة على هذه الحقيقة ، حيث يقول ربنا في آية أخرى : { فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (البقرة/١٩٢) مما نستوحي منه ان انتهاء الكفار من الفتنة يقتضي انتهاء الحرب .

وعلى العموم نستفيد من مجمل الآيات ؛ ان القتال مع الكفار ذات أسباب واضحة ، هي التي استفدناها من الآيات القرآنية التي توجنا الحديث بها . أما القتال بلا سبب فلم نطمئن الى أدلته . والله العالم .

بلى ؛ كانت الحرب في العصور السابقة هي الحالة السائدة ، ولذلك كان المسلمون في حالة حرب دائمة . وربما كان بعض الحكام يشنون الحروب من أجل بسط سلطتهم والحصول على المزيد من الغنائم ، والتي نهى الأئمة المعصومون عليهم السلام منها .

ويمكن ان نستدل على ما سبق بالأحاديث التي وردت في متاركة الترك والحبشة ما تركونا ، مثل :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : تاركوا الترك ما تركوكم ، فان أول من يسلب

أمتي ملكها وما خولها الله لينو قنطور بن كركر وهم الترك . (١)

(١) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٤٢ / ح ٢ .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً انه قال : تاركوا الحبشة ما تركوكم ، فوالذي نفسي بيده لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو الشريعتين . (١)  
وكذلك يمكن ان نستدل على تغيير وجهة الجهاد الاسلامي في أيام حكومة الخلفاء بالحديث التالي :

ج - كتب أبو جعفر (الامام الباقر) عليه السلام في رسالته الى بعض خلفاء بني أمية : ومن ذلك ما ضيّع الجهاد الذي فضله الله عز وجل على الاعمال ، وفضل عامله على العمّال تفضيلاً في الدرجات والمغفرة "والرحمة" ، لانه ظهر به الدين ، وبه يدفع عن الدين ، وبه اشترى الله من المؤمنين انفسهم وأموالهم بالجنة بيعاً مفلحاً منجماً ، اشترط عليهم فيه حفظ الحدود . وأول ذلك الدعاء الى طاعة الله من طاعة العباد ، والى عبادة الله من عبادة العباد ، والى ولاية الله من ولاية العباد . فمن دعى الى الجزية فابى قتل وسبي أهله ، وليس الدعاء من طاعة عبد الى طاعة عبد مثله . ومن أقرّ بالجزية لم يتعد عليه ولم تخفر ذمته ، وكلف دون طاقته ، وكان الفيء للمسلمين عامة غير خاصة ، وان كان قتال وسبي سيّر في ذلك بسيرته ، وعمل فيه في ذلك بسنته من الدين ثم كلف الأعمى والأعرج والذين لا يجدون ما ينفقون على الجهاد بعد عذر الله عز وجل إياهم ويكلف الذين يطيقون ما لا يطيقون ، وانما كان أهل مصر يقاتل من يليه يعدل بينهم في البعوث فذهب ذلك كله ، حتى عاد الناس رجلين : أجير مؤتجر بعد بيع الله ، ومستأجر صاحبه غارم بعد عذر الله ، وذهب الحج وضيع واقتقر الناس . فمن اعوج ممن عوج هذا ، ومن أقوم ممن اقام هذا ؟ فردّ الجهاد الى العباد ، وزاد الجهاد على العباد ان ذلك خطأ عظيم . (٢)

### ٨٨٨٨ الركن الثالث : حكمة الجهاد

(١) المصدر / ح ٣ .  
(٢) المصدر / ص ٦ / ح ٨ .

الدنيا دار ابتلاء ، وقد جعل الله الناس بعضهم فتنة لبعض . ومن ابرز مصاديق هذه الفتنة الحرب ، حيث بينالي المسلمين بالكفار فاذا هم يتمايزون . يتساقط المنافقون على اطراف المسيرة ، وهم أولاً : الذين يفضلون منافعهم المادية على الجهاد (ولا يرون انفسهم جزء من الأمة) . ثانياً : الذين يبحثون عن الرئاسة (ويقولون هل لنا من الأمر شيء) . ويزداد المؤمنون طهراً ونقاءً ، وتتمخض ساحات الجهاد عن الشهداء الذين يصلحون لقيادة الأمة.

١/ الحرب من أشد الفتن التي يتعرض لها البشر ، فيها تلبو سرائر الناس ، وتظهر حقائقهم . وهذه هي من حكم فرض الله القتال على المسلمين . وكان الله قادراً على ان ينتصر من الكفار ، كما انتصر لدينه من عاد وثمود وآل فرعون . ولكن الله يبلو بعض البشر ببعض ، فاذا بالمؤمنين الصادقين يتمايزون عن المنافقين المندسين في صفوفهم . قال الله سبحانه : { فَأَيُّ الْوَيْدِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَنَزَّلْنَا الرَّقَابَ حَتَّى إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَمَا مَنَّأَ بَعْدُ وَإِمْرًا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ } (محمد/٤)

ويتساءل البعض ؛ إذا كان الابتلاء هدف الحرب ، فما هو مصير الشهداء في المعركة ؟

والجواب ؛ ان عملهم محفوظ عند ربهم ، حيث يهديهم ربهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة .

٢/ وأول الابتلاء ظهور حقيقة المنافق الذي يبحث في المعركة عن مصالح ، ولا يرى نفسه جزءاً من الأمة . ومن هنا فاذا اصابته الأمانة مصيبة (لم يرف له جفن ، لانه لا يهتم إلا بنفسه) ، ويحمد الله على أنه لم يشهد المعركة حتى يصاب باضرارها ، (وكان الذين اصابوا ليسوا منه وليس منهم) . وكذلك تراه في المغنم يتحسر ، لانه لم يكن مع المسلمين حتى يغنم شيئاً . (فهو لا يرى إلا نفسه ، ولا

يعيش إلا هم ذاته ) ، وكأنه ليس بينه وبين المسلمين مودة . قال سبحانه : { وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَئِنَ فِإِنْ أَصَابَكُمْ مِصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا \* وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا } (النساء / ٧٢-٧٣)

٣/ وتظهر بالابتلاء في الحرب حقيقة الباحثين عن الرئاسة ، ( وهم الانتهازيون الذين يريدون النصر العاجل على الاعداء ليحصلوا على مكاسب ذاتية ، ولعل الواحد منهم يُصبح رئيساً او قائداً او صاحب شهرة) . ولذلك ترى اعينهم على المكاسب أبداً ، ويقولون هل لنا من الأمر من شيء ؟ ( وهل نصبح شيئاً مذكوراً في نهاية المطاف ؟ وامثال هؤلاء يتهربون من التضحية ، لان من يقتل لا يستفيد من نتائج المعركة) . ويسمي القرآن هذا ظناً من ظنون الجاهلية ، (حيث كان الفرد يبحث عن مكاسبه الذاتية او عن الحميات والعصبيات) . وهكذا كانت الحرب من أجل كشف سريرة هؤلاء ، ولكي يبلغ الصادقون درجاتهم بالشهادة في سبيل الله . قال الله سبحانه : { ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } (آل عمران/ ١٥٤)

ومن أهداف القتال تمحيص ما في القلوب ، لتطهر نفوس المؤمنين من شوائب الشرك والشك والحمية والمصلحية ، وكل الحجب المادية التي تمنعهم من تسلم الدرجات العلى عند ربهم . قال الله سبحانه : { وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ } .

٤/ عندما يدخل المؤمن في خضم الحرب يتعرض لموجات من الفتن المتلاحقة ، حيث يرى نفسه في كل فتنة بين العقل والهوى ، بين رضوان الله ووساوس ابليس ، بين الاقدام في سبيل الله والاحجام عنه اتباعاً لحب النفس .. وعندما يختار

في كل مرة الطريق الصحيح ، فانه يزداد عزمًا وهدى وايماناً ، ويقترب من رضوان الله ونوره . وهكذا يمحّص قلبه ويُطهر من الشوائب .

بينما الكافر في الطرف الآخر يختار محاربة الدين ، وتتماث في قلبه بقايا

الوجدان

ويمحق الى الأبد . قال الله سبحانه : { **وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ** } (آل عمران/ ١٤١)

٥/ وفي الحرب يتفاضل المؤمنون ؛ فيبرز منهم فريق يتدرجون في معارج الايمان والكفاءة الى اسمى درجة ، وينالون بذلك حب واحترام وتقدير المجتمع ، فيصبحون قادة فيه وشهداء عليه . (وهذا النوع من الانتخاب الطبيعي للقيادات أسلم نوع ، حيث لا يجد الانتهازيون سبيلاً الى المراكز القيادية . بعكس سائر الانواع ، كالاقتراع فانه كثيراً ما يسمح لغير الصالحين بالصعود الى المراكز الحساسة فيفسدونها). قال الله سبحانه : { **إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** } (آل عمران / ١٤٠)

وفي الآية تذكير بحقيقة هامة ، هي سنة الصراع في الحياة ، وان القرح يصيب الكفار كما يصيب المسلمين . ولذلك فان على الانسان سواء كان كافراً او مسلماً ، ان يخوض صراعاً ويصاب بقرح ، فليكن قرحه في سبيل الله ليكون عنده مجزياً ومرضياً .

وذكَرت الآية بسنة الهية مهمة ، ألا وهي : ان قيادة الحياة ليست دائمة لهذا الفريق او ذلك ، وانما يداول الله الايام بين الناس . اما لصلاحية هؤلاء وعدم صلاحية اولئك ، واما لامتحان البشر بعضهم ببعض .

## الركن الرابع : الثبات في القتال

الثبات في القتال من أهم اسباب النصر في الحرب ، وقد أمر الله سبحانه به ، كما نهى ربنا عن الفرار من الزحف ، واعتبر ذلك عهداً من عند الله مسؤولاً عنه . وعوامل الثبات ؛ نصر دين الله، وذكر الله كثيراً . وقد انزل الله على عباده المؤمنين الملائكة ليثبتوا قلوبهم، فاطمأنت النفوس حتى غشيهم النعاس أمانة من الله سبحانه .  
١/ اول شروط الانتصار ، هو عقد العزم على الثبات مهما كلف الأمر ، كما قال الامام علي عليه السلام لابنه محمد ابن الحنفية لما اعطاه الراية يوم الجمل : "تزول الجبال ولا تنزل ، عض على ناجذك ، اعر الله جمجمتك ، تد في الأرض قدمك ، ارم ببصرك اقصى القوم ، وعض بصرك ، واعلم ان النصر من عند الله سبحانه " . (١)

ولكن العزم على الثبات بحاجة الى تنمية الارادة وشحن العزم ، وذلك عن طريق تحقيق الشرط الثاني للانتصار ، وهو ذكر الله ذكراً كثيراً . لان ذكر الله يوجه المرء الى أوامره الرشيدة ، والى وعده ووعيده بالثواب او بالعقاب ، والى الآله التي تشكر ، ورضوانه الذي يرجى ، وحبه الذي يتطلع المؤمن الى الشهادة من أجله . قال الله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (الانفال/٤٥)

الفلاح يأتي بالنتيجة بعد شرطي الثبات عند اللقاء ، وذكر الله كثيراً .  
٢/ والثبات يعني عدم تولي الأدبار ، (واستمرار المواجهة الشجاعة مع العدو حتى النصر) . والاستثناء الوحيد لجواز التولي ، هو ان يكون للعودة بقوة أكبر ؛ اما عن طريق اختيار موقع افضل مثل ترك السهل الى الجبل وترك الساحة الى الخندق ، او عن طريق اختيار جماعة يتعاون معهم ضد العدو .  
( ويبدو ان القرآن يذكرنا بأهمية اختيار الموقع المناسب والجماعة المناسبة لمتابعة القتال ، وعدم الاعتماد على نصر الله فقط) . والله يغضب لمن يولي العدو دبره . (وغضب الله قد يتمثل في مضاعفة الخسائر ، او حتى الهزيمة غير

---

(١) نهج البلاغة / خطبة ١١ .

المنتظرة . ذلك ان الاقدام يعجل النصر ويقلل الخسائر) . قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ \* وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } (الانفال / ١٥-١٦)

٣/ والثبات هو عهد الله مع المسلم ، (سواءً عهده في عالم الذر ، أو عند البيعة مع الرسول) .. وهكذا يجب العمل بهذا العهد ، حيث انه عهد مسؤول عند الله سبحانه . قال الله تعالى : { وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا } (الاحزاب/ ١٥)

ويستفاد من الآية ؛ انه ينبغي للقيادة الربانية اخذ العهد من المقاتلين بالثبات، كما حصل

من النبي صلى الله عليه وآله في بيعة الرضوان تحت الشجرة .

٤/ مما يؤكد الثبات في المعارك ، معرفة الانسان بانه لا يستطيع بالفرار الخلاص الى الأبد من الموت او القتل . فلعله يبعده عن ذلك لحظات وایاماً ، ولكنه لن يكون سبباً للبقاء والاستمرار . فما يدفعه المجتمع - وحتى الانسان الفرد - بسبب الهزيمة ، يفوق ما يدفعه بالاستقامة اضعافاً مضاعفة . اذ انه بفراره من المعركة يعطي العدو زحماً من الثقة بالنفس ، فيشجعه على نفسه . قال الله سبحانه : { قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا } (الاحزاب / ١٦)

٥/ ومن عوامل الثبات في المعركة الاستقامة بالله ، (والاعتصام به ، والتوكل عليه) . وحين يتذكر الانسان حالاته السابقة ، وكيف احتاج الى رحمة ربه فدعاه بحقيقة الايمان ، فاسعفه وانقذه من المشاكل . وحين يدرس تاريخ المؤمنين ، وكيف تدخلت قوة الغيب في تأييدهم، يعرف حينئذ ان التوكل على الله سر التغلب على الصعاب . (ويذكر القرآن الأمة الاسلامية بماضيها ، وابرز المعارك الحاسمة فيه

، والتي تتكرر - دوماً - مثيلاتها ؛ مثلاً في معركة بدر حيث استغاث المسلمون فامدهم ربهم بالف من الملائكة ..)

(والاستغاثة - كأى دعاء آخر - تكشف عن ارادة النجاح التي لا تقهرها حتى المشاكل المادية الظاهرة ، كما انها تكشف عن ايمان قوي بان الأمور بيد الله سبحانه) . قال الله سبحانه : { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ } (الانفال / ٩)

٦/ والملائكة من وسائل النصر ، ومن وسائل الثبات في المعركة . وهناك وسائل اخرى يوفرها ربنا اذا شاء ؛ مثلاً في حرب بدر كانت الاعصاب متوترة ، والنفوس ملتبهة هلعاً ، والاجسام تنقل بالاوساخ .. فبرّد الايمان والتوكل افئدة المسلمين ، حتى مالت الى الراحة والنعاس فاستراحت الاعصاب ، واستعدت لمعركة حاسمة في اليوم التالي .

وهكذا حين يتوكل العبد على ربه ، يستريح في ظلال الثقة به وبقدره وقضائه ، فلا يحرق اعصابه ، بل يعيش في كنف امان ربه .

والمؤمنون حقاً هم الذين يزدادون ايماناً في ساعة العسرة ، لان تلك الساعات تكشف

جوهر البشر وطبيعته الكامنة . وهكذا انزل الله على المسلمين من السماء ماء ليطهرهم به، ذلك لان كثيراً من الجراثيم التي يتلوث بها الجو - وتنتقل عبر الهواء او الماء من شخص لآخر - تموت بعد المطر ، فيرتاح منها الجيش الذي تكثر فيه احتمالات الخطر .

وحين يتلطف الجو بماء السماء يسعد الناس ببركات الله، فتطمئن قلوبهم ويذهب عنهم الخوف والتردد، كما تذهب - بالمطر - النجاسة المادية التي تؤثر في النفس ايضاً، وذلك عن طريق الوضوء والغسل . قال الله سبحانه : { إِذْ يُعَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ \* إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ

فَتَّبِعُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ  
وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ { (الانفال / ١١-١٢)

٧/ ويحرض القرآن الذين آمنوا ، واستعدوا لتنفيذ أوامر الرسالة ، وعرفوا قيم  
الحق الذي أنزل من ربهم ؛ يحرضهم على الجهاد في سبيل الله بنصر دينه ،  
ويبشرهم لقاء ذلك بالفتح والثبات . (ونستفيد من ذلك ؛ ان الانتصار للدين من  
عوامل الثبات) . يقول ربنا سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ  
يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } (محمد/٧)

وربما جاء التعبير بنصر "الله" مع ان الله غني عن العالمين ، ليكون شاملاً  
لنصر كل ما يتصل بالايمان بالله ، في كل حقل وفي كل عصر ومصر ، حتى  
يكون المؤمن قوماً لله ، مستعداً للدفاع عن الحق أبداً في مواجهة أي شخص او قوة

وإنما جزاء النصر نصر مثله . فمتى نصرت الله بتطبيق دينه على نفسك وأهلك  
والأقربين منك ومجتمعك ، ودافعت عنه ضد اعداء الله ، فان الله ينصرك بذات  
النسبة . اما إذا اقتصر نصرك على بعض المجالات ، فلا تنتظر نصراً شاملاً .

### ٨٨٨٨ الركن الخامس : المتخلفون عن القتال

لان القتال كره للبشر ، ترى كثيراً من الناس يتخلف عنه ، حتى إذا نزلت سورة  
محكمة وذكر فيها القتال ، رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون الى النبي وكأنه  
غشي عليهم من

الموت ، ولا يثبت فيه إلا المؤمنون .

١/ فالمنافقون يتركون القتال ، وذلك :

ألف : باهمال الاستعداد له .

باء : تراهم يستأذنون النبي (والقيادة الرسالية) لكي لا يحضروا الحرب ، حتى ان بعضهم يقول ائذن لي ولا تفتني ، وقد يستأذن النبي بعضهم .  
جيم : تراهم اذا حضروا المعركة لم يقاتلوا ، بل كانوا كلاً على المؤمنين ، ويقومون باثارة الفتن ويتجسسون للعدو .

دال : اذا اصيب المؤمنون بخسارة او هزيمة تراهم يفرحون .  
٢/ وترى المنافقين يمنعون الناس من القتال ، ويشيعون فيهم ان الوقت صيف فلا تنفروا في الحرّ ، (وامثال هذه الاشاعات) .  
٣/ يستقبل المؤمنون الحقائق بأذن واعية ، وبصائر نافذة من دون حجاب ، وبقلوب طاهرة من الجهالة والعناد والتكبر .

بلى ؛ ان مثل حقائق الرسالة ومثلهم كما الأرض الموات تستقبل زخات الغيث المباركة، فاذا نزلت عليهم سورة وعوها واستعدوا لتنفيذ أحكامها ، وإذا لم تنزل عليهم تراهم يتساءلون أفلا حبيننا بها ، أفلا قربت أعيننا بالنظر الى آيات جديدة؟  
اما الذين في قلوبهم مرض ، فانهم على العكس تماماً . اذ يتخوفون ان تنزل عليهم أوامر جديدة تأمرهم بالقتال مع العدو ، لأنهم لا يملكون الاستعداد الكافي لتطبيق الاحكام. فاذا أنزلت سورة محكمة لا يمكن الجدل فيها ، وامرتهم بالقتال . هناك تبلى حقائق الرجال ، حيث ترى الذين تنطوي قلوبهم على مرض النفاق والشك (ينكفئون على انفسهم)، وينظرون الى النبي (والقيادة الرسالية) نظر الذي غشي عليه من الموت ، من فرط خوفهم .

وهكذا يمتاز المؤمنون عن الذين في قلوبهم مرض ، لأن المؤمنين يثبتون في مختلف الظروف . بينما ترى هؤلاء في حالة من الرعب ، تشبه حالة المحتضر الذي يشخص ببصره فزاعاً ، وهو فاقد لقدرة التركيز . قال الله تعالى : { وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَاِذَا اُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ اِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَاُولٰٓئِكَ لَهُمْ }  
(محمد / ٢٠)

يبدو من آية قرآنية أن الذين في قلوبهم مرض طائفة أخرى غير المنافقين ، حيث يقول الله عز وجل : { لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً } (الاحزاب/٦٠)

أما كلمة { فأولى لهم } فهي كلمة تستخدم في اللعن ، واختلفوا في معناها الدقيق ، هل هو بمعنى : يليه مكروه ، او لهم الويل ، او الموت أولى لهم ؟ ويبدو ان هذه الكلمة تأتي بعد بيان سيئة من سيئاتهم فعلاً او قولاً فيكون معناها ؛ إنهم يستحقون تلك السيئة وهم أحق بها، وأولى من غيرهم. وفي المقام يكون المعنى ؛ ان هذه العاقبة السيئة التي انتهوا اليها من رفضهم لسورة القتال ، يستحقونها لما كان في قلوبهم من مرض . ذلك لأن النفاق والخوف الذي يحول بين الانسان وقتال الأعداء ، جرم كبير وضلالة بعيدة ، لأنه يجبر صاحبه الى الاستسلام للطاغوت ، وفقدان استقلاله أمام الغزاة ، والتنازل عن قيمه وشخصيته خشية بطش الجبارين . وكل من ارتد عن الدين او اتبع الظالمين ، انساق الى مصيره الأسود ، بسبب تلك الامراض الخطيرة التي تمكنت من قلبه.

٤/ يريد البعض ان يكون الجهاد سفرة قريبة او غنيمة حاضرة ، ولو كان كذلك لكان اول المبارزين ، ولكن الجهاد عمل شاق . قال الله سبحانه : { لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفْراً قاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَحَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } (التوبة/٤٢)

القاصد هو السبيل الذي يقصد لقربه وسهولته، بينما الشقة هي المسافة البعيدة او الوعرة التي من الصعب تجاوزها والسير فيها . يتعلل المنافقون على ذلك بانهم لا يقدرون القيام بالاسفار البعيدة ، ولذلك فانهم يحلفون بالله انهم كانوا يخرجون مع المسلمين لو استطاعوا .

وهكذا كل كسول يزعم انه لا يقدر على القيام بأي شيء ، وبهذا يهلك هؤلاء أنفسهم بسبب كسلهم وتقاعسهم عن الجهاد . اذ ان الكسل عن العمل يفقد صاحبه

قدراته ومهاراته ، كما يفقده فوائد العمل ومكاسب الجهد الخارجية . ولكنهم كاذبون ، والله يعلم كذبهم .

٥/ حين تتقاعس طائفة من ابناء المجتمع عن الجهاد والتضحية ، ويشيعون حولهم الافكار السلبية ، يخشى ان يتأثر الآخرون بهم ، لولا قيام الطليعة الواعية باعطاء الناس رؤية واضحة تجاه هذه الطائفة المصلحية التي يجسدها المنافقون في المجتمعات المؤمنة، التي كانت ترضى بالعودة برغم ان القائد الرسالي كان يقود المعركة .

وان قعود امثال هؤلاء - في الوقت الذي يخرج رسول الله للجهاد - دليل على انهم لا يريدون الجهاد ، وان تبريرهم ببعض الأقوال لم يكن سوى غطاء لعودهم ، حيث كانوا يقولون لبعضهم : لاتخرجوا في الصيف .

ولكن السؤال : هل يستطيع المسلم ان يدرء عن نفسه نار جهنم من دون اقتحام ساحات الجهاد ؟

كلا ؛ فالنار أشد حراً من حر الصيف ، والمجاهد يطفئ بالجهاد نار جهنم . (حتى مصاعب الدنيا لن تزول من دون تحمل بعض الصعاب . فاذا هاجمك العدو في أيام الحر او البرد ، فهل تستطيع ان تقول له انتظر الى ايام الربيع او الخريف ، أم ان ذلك مجرد حلم؟)

ان الذين يهربون من المشاكل سوف تتضاعف عليهم المصائب والويلات ، وعليهم ان ينتظروا أياماً حالكة ، فيبكون كثيراً بعد ان ضحكوا قليلاً . قال الله سبحانه : { فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ \* فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \* فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تُخْرَجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَافْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ \* وَلَا تَصَلِّ

عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ } (التوبة/ ٨١-٨٤)

ان المؤمنين الصادقين يبادرون في أيام رخائهم وقدرتهم بالاعداد والعمل الجاد ليوم

الشدة ، وانهم مستعدون لخوض غمار المعركة في أشد الأيام ، لذلك فان اعداءهم يرهبون جانبهم ، وفي ظل القوة يستمرون في حياة أمانة كريمة .

وبعض المنافقين يحاولون العودة الى أحضان العالم الاسلامي ، لا ليكونوا مواطنين صالحين وصادقين ، بل ليستفيدوا من المكاسب بعد ان نصر الله عبادهم المجاهدين ، وليستغلوا نفوذهم المادي ، ويتسلطوا على رقاب المؤمنين ولكن باسم الدين هذه المرة ، كما فعلت بنو أمية في التاريخ الاسلامي . ولكن القرآن يحذر من ذلك ، وحكمته في ذلك قد تكون ؛ ان أيام الشدة امتحنت النفوس المؤمنة فعلاً ، وفرزتهم عن الجماعات الوصولية التي تميل مع القوة اينما مالت ، وتحاول ان تستفيد من كل وضع بما يتناسب وشعارات ذلك الوضع .

واساساً فلسفة الجهاد في الاسلام هي انقاذ الجماهير غير الواعية من شر هذه الجماعات الطفيلية النفعية . لذلك يجب ان تكون القيادة الرسالية حذرة جداً ، فلا تسمح لهؤلاء بالعودة الى الساحة السياسية أبداً . ومن هنا أمر الله النبي بأنه إذا رجع الى طائفة منهم واستأذنوه بالجهاد معه ، فليرفض ، لانهم رضوا بالقعود اول مرة .

٦/ للمنافقين الذين تكشفهم الحرب عدة صفات لابد ان نعرفهم بها :

ألف : ان المنافقين لا يريدون الجهاد بدليل انهم لم يعدوا له عدة ، ولو أرادوا الخروج للحرب لهيأوا وسائله سلفاً . لذلك تبطهم الله ، وسلبهم عزيمتهم ، وجعلهم يقعدون مع الذين لا يملكون قدرة الخروج .

باء : ولو تحاملوا وخرجوا للحرب فانهم لا يريدون الجهاد فعلاً ، ولذلك تراهم يصبحون كلاً على المسلمين .

جيم : وفي ارض المعركة يثير المنافقون الفتنة ، ويفسدون علاقة المؤمنين ببعضهم باثارة الحمية الجاهلية .

دال : وهم - بالتالي - جواسيس و عيون للاعداء على المؤمنين ، والله يعلمهم ويعلم طبيعتهم الظالمة . والدليل على هذه الحقائق تاريخهم السابق ، حيث كانوا - من قبل - يحاولون اثارة هذه النعرات ، وتغيير مسار الاحداث باتجاه مضاد للرسالة، ولكن الله أظهر أمره وهم كارهون .

ومن المنافقين من يقول للرسول : اعطني اذنأ بالتخلف عن المعركة حتى لا اضطر الى ترك أمرك وعصيانك . بينما هذا الاستئذان ذاته عصيان وتخلف عن الواجب ، وان جهنم محيطة بالكافرين . فسواء خرجوا او تخلفوا فانهم في النار ، لانهم أساساً من الكافرين ، والكافر لا يصلح عملاً ولا يفلح مصيراً .

هاء : ومن علامات المنافقين انهم يفرحون كلما يهزم المسلمون ، وبجزنون كلما ينتصرون . ويزعمون ان انفصالهم عن ركب الرسالة دليل على كمال عقلهم وحذرهم ، لانه لم يصيبهم ما أصاب المؤمنين . ويردّهم القرآن حيث يقول ربنا : ان المصائب مكتوبة على الانسان ، ومقدرة من قبل الله سبحانه . والمؤمنون لا يخشون المستقبل لانهم يتوكلون على ربهم ، ونهاية ما يمكن ان يصيب المؤمنين هو القتل في سبيل الله ، وهو احدى الحسنين ، او الانتصار فهو عاقبة حسنى معروفة . بينما المنافقون إما يموتون فيعذبون عند الله ، او يبقون فيعذبون على يد المؤمنين . اذاً الوقت في صالح المؤمنين ، والنهاية لهم على أية حال . قال الله سبحانه : { وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْبَعَاتُهُمْ فَتَبَّتْهُمْ وَقِيلَ أَفَعُدُّوا مَعَ الْقَاعِدِينَ } (التوبة/٤٦)

٧/ في كثير من الاحيان يزعم الانسان انه مؤمن ، بينما قلبه مرتاب يشك في الله واليوم الآخر . والاعمال الصعبة كفيلة بكشف هذا الانسان لنفسه وللآخرين ، والريب ينعكس في عدم القدرة على اتخاذ القرار الحاسم . وهكذا ترى المنافقين

يترددون في ريبهم ويتقاعسون عن الجهاد . قال الله سبحانه : { إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ  
الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ }  
(التوبة/٤٥)

٨/ ان بعض المنافقين يريدون تطويع الدين لشهواتهم واهوائهم ، ويطالبون  
القيادة الدينية بان تسمح لهم بارتكاب بعض المحرمات ، زعماً منهم ان لهم الحق  
في ذلك . ويهددون القيادة بانها لو لم تأذن لهم بمثل ذلك لتركوا الدين ولخالفوا  
أوامر الله ، وتكون الخطيئة على عاتق القيادة التي استصعبت عليهم الأمور . فهل  
هذا صحيح ؟

كلا ؛ اذ ان الدين هو المهيم على تصرفات البشر والقائد لمسيرتهم ، لا  
العكس كما

يريده المنافقون ، وبالتالي يجب ان يتبع الدين لا ان يُتبع . ومن جهة اخرى محاولة  
المنافقين بتطويع الدين لشهواتهم ، ومطالبتهم بالاذن لمخالفة تعاليم الدين . هذه  
المطالبة ذاتها خروج عن الدين وكفر به ، اذ ليس بدين ذلك الذي يتخذ مطية  
لأهواء المنافقين . وهكذا ترى البعض يقول للقيادة الرسالية : ائذن في ترك الجهاد  
لكي لا امتحن امتحاناً صعباً ، ولكن هذا الاستيذان بذاته دليل على سقوطه في  
الفتنة . قال الله سبحانه : { وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائْذِنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا  
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَحِيطةٌ بِالْكَافِرِينَ } (التوبة/٤٩)

ولعل معنى احاطة جهنم بالكافرين ، ان سيئات اعمالهم وما كسبته قلوبهم  
وانفسهم من الرذائل والخطايا هي بذاتها نيران كامنة ، او عقارب وحيات ، وانها  
سوف تظهر في صورة نيران ملتهبة وعقارب لاذعة وحيات لاسعة في يوم القيامة  
. ومادام البشر قد اختار طريقاً منحرفاً ، فان كل أعماله ستكون وبالاً عليه؛ كما اذا  
اتخذ قائد الجيش استراتيجية خاطئة، فان أساليبه وعملياته ستكون كلها باطلة وغير  
نافعة .

٩/ (من فوائد الجهاد والاعمال الصعبة التي يكلف بها المؤمنون ، فرز العناصر المؤمنة المخلصة عن العناصر الكسولة المتجمعة حول الرسالة طمعاً في الجاه والمال . ذلك لان تواجد هؤلاء في مجتمع الرسالة يربك القيادة ويضعف المجتمع . فلا تستطيع القيادة اعطاء اوامر حاسمة لعدم ايمانها بتنفيذها ، كما لا يستطيع المجتمع تنفيذ الخطط الطموحة . وغالباً ما تكون هذه العناصر من شريحة المتملقين ، الذين يشغلون المناصب الحاسمة في المجتمع . فعن طريق تكليفهم بالواجبات الصعبة وعدم قيامهم بها ، يتم تعزيرتهم ومن ثم تصفيتهم . لذلك يعاتب الله رسوله على اعطاء هؤلاء اذنأ بعدم الاشتراك في الجهاد ، حيث كان ذلك الاذن غطاء لعدم كشفهم على واقعهم امام المجتمع . وهكذا) قال الله للرسول لم اذنت لهم (تبيناً لواقعهم الفاسد ، وتذكيراً برحمة النبي صلى الله عليه وآله) . قال الله تعالى :  
**{ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ }**  
(التوبة/٤٣)

١٠/ وهكذا كشف الكتاب واقع الذين يستأذنون لترك المعركة ، وبين واقع الاعراب

الذين لمّا يدخل الايمان في قلوبهم والذين يعرفون ظاهراً من الدين . وهؤلاء جاؤوا الى الرسول صلى الله عليه وآله ليأذن لهم بالانصراف عن الحرب بعد ان انتحلوا عذراً ، وما كانوا يريدون إلا الفرار من الجهاد . لذلك عبر القرآن الحكيم عنهم بالمعذرين ، حيث يبدو من معنى كلمة (المعذر) انه الذي يتكلف عذراً ويختلقه . والهدف من مجيئهم كان الاذن للانصراف ، لا الاستفهام الحقيقي عن واجبهم الديني . وفسر بعض المفسرين هذه الآية بطريقة أخرى ، فقال : الظاهر ان المراد بالمعذرين هم أهل العذر ، كالذي لا يجد نفقة ولا سلاحاً ، بدليل قوله : **{ وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }** (التوبة/٩٠) الآية ، والسياق يدل على ان في الكلام قياساً لاحدى الطائفتين الى الأخرى ، ليظهر به لؤم المنافقين وخستهم وفساد قلوبهم

وشقاء نفوسهم ، حيث ان فريضة الجهاد الدينية والنصرة لله ورسوله ، هيّج لذلك المعذرين من الأعراب ، وجاءوا الى النبي صلى الله عليه وآله يستأذنه ، ولم يؤثر في هؤلاء الكاذبين شيئاً . (١)

أما المكذبون فقد قعدوا عن الحرب دون استئذان ، وذلك بسبب تكذيبهم الله ورسوله . قال الله سبحانه : { وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (التوبة/٩٠)

---

(١) تفسير الميزان / ج ٩ / ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

## ٨٨٨ ثانياً : فقه القتال

تمهيد :

في فقه الآيات نستعرض انشاء الله جملة من أحكام القتال باعتبارها من القضايا الفقهية العامة ، والتي كانت محور بحوث مسهبة سابقاً ، وقد تجددت فيها مسائل كانت بحاجة الى دراسة مقارنة مع القوانين الحديثة المرعية .

ومن هنا فسوف نبحت في ثلاثة عشر ركناً موضوعات الجهاد :

في الركن الأول نبحت عن ضرورة دراسة المجتمع الاسلامي على ضوء المعايير الجهادية ، لان حكمة الحرب هي ابتلاء المجتمع واستخراج معانده وكشف الكفاءات لجعلهم الشهداء والقادة في هذا المجتمع ، وكشف العناصر الضعيفة لاصلاحهم او ابعادهم عن المراكز الحساسة .

وفي الركن الثاني نستعرض احكام التخلف عن القتال وكيفية التعامل مع المتقاعسين عنه .

وفي الركن الثالث نستعرض بتفصيل اسباب مشروعية القتال ، حيث نبين عوامل الحرب في القسم الأول ، ونبين كيف نواجه الطاغوت في القسم الثاني من هذا الركن .

اما الركن الرابع فقد خصص لبيان احكام ذوي الاعذار الذين يسقط عنهم القتال .  
بينما نفصل في الركن الخامس الحديث عن ولاية القتال وقيادته .. وبالذات في  
العصور الراهنة، حيث ننتظر القيادة المعصومة . وفي هذا الركن نتلو الحديث  
الشريف الذي يفصل القول في أمور الجهاد ، وشروط المجاهدين وشروط قاداتهم

..

وفي الركن السادس الى الثامن نتحدث بالترتيب عن القتال المحرم في الأشهر  
الحرم وعند البيت الحرام ، وعن الأسلحة التي تستخدم في المعركة ، وعن احكام  
الهجوم والانسحاب فيها .

وفي الركن التاسع يفصل القول عن الموائيق في الحرب باقسامها ، ومن الاقسام  
العامة المهادنة (اتفاقية السلام) والاجارة والذمام ، واحكام الاقامة في البلاد  
الاسلامية ، واتفاقية التحكيم (ومنها الرجوع الى المحاكم الدولية مثل محكمة  
لاهاي ومجلس الأمن الدولي)، واحكام الجعالة في الحرب .

اما في الاركان الأخيرة ، من العاشرة الى الثالث عشر ، فانها تتناول احكام ما  
بعد المعركة ؛ مثل احكام اسرى الحرب ، واحكام الجزية ، وغنائم الحرب والله  
المستعان .

## ٨٨٨٨ الركن الأول : تحقيق حكمة الابتلاء

١/ لأن حكمة الله في الجهاد الابتلاء ، فان علينا الاستفادة من هذه الحكمة في خضم  
القتال ، وذلك بالوسائل التالية :

أ- رصد الساحة بدقة وبوسائل علمية ، لمعرفة العناصر الجبائنة في أجهزة الدولة  
، ومحاولة اصلاحهم او تبديلهم .

ب- كذلك رصد العناصر الكفوءة لترفيعهم ، وايقال المهام الحساسة اليهم .

ج- وهكذا يجب اختيار الرجال القيايين الذين تفرزهم جبهات الحرب ، ليس فقط للحروب القادمة ، بل لقيادة الأمة في سائر مرافقها الحيوية . لان الرجل الكفوء في الحرب ، هو عادة كفوء في ادارة الحياة .

٢/ من أجل ممارسة الرصد بفاعلية كافية ، فان الجيش بحاجة الى جهاز معلومات دقيق وصالح ، والى تقديم هذه المعلومات بامانة الى القيادة الرشيدة والحكيمة .

٣/ (الانفال /٤٥) ؛ لان الجيش الاسلامي يتمتع بروحية عالية جداً ، تسمو على معنويات العدو سمواً كبيراً . من هنا كان على علماء الدين والمرشدين وسائر القيادات ان يوجهوا الجنود بصورة دائمة الى أهمية الثبات والاستقامة ، وذلك بما يلي :

أ- بتركيز قيمة الثبات وجعلها من أهم محاور التوجيه العسكري ، وجعلها قيمة اساسية .

ب- بتذكير الجنود بالله سبحانه ، وتركيز حب الله في نفوسهم ، وتكثير البرامج الروحية (من صيام وصلاة ودعاء وتوسل وذكر سيرة الأئمة والأولياء وشجاعتهم ومصائبهم وما جرى عليهم في سبيل الله وصبرهم ) .

ج- ينبغي لكل مقاتل ان يديم ذكر الله ، وذكر اسماءه الحسنی ، ونعماءه وآلاءه والاستغفار اليه والاستغائة به .. فان ذلك (سبب الثبات و) الفلاح .

## الركن الثاني : المتخلفون عن القتال

(محمد/٢٠) ، (التوبة/٤٢-٤٣) ، (التوبة/٤٥) ، (التوبة/٤٩) ، (التوبة/٨١)- (٨٤) ، (التوبة/٩٠) ؛ ينبغي للمؤمن ان يحدث نفسه بالغزو في سبيل الله ، ويكون مستعداً للجهاد حتى في أقصى الأرض ، ولا يأبه بالحر والبرد ، ولا يستأذن النبي

(والقائد الرسالي) للتهرب من القتال ، ولا يرتاب في أمر الله . ومن هذه البصيرة نستوحي الاحكام التالية :

١/ كما ان من الواجب الاعداد المادي للقتال ، حيث أمر الله بذلك وقال : { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُّوا لَكُمْ وَعَدُّوا لَكُمْ وَعَدُّوا لَكُمْ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُّوا لَكُمْ وَعَدُّوا لَكُمْ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ } (الانفال/٦٠) ، كذلك يجب الاعداد النفسي (والمعنوي) للقتال ، حيث ينتظر المؤمنون دائماً أمر الله بالجهاد . وقد جاء في حديث نبوي : " من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزاة ، مات ميتة جاهلية " .  
ونقرأ في بعض الزيارات المأثورة "منتظراً لأمركم" . ولعل هذا أحد معاني الانتظار الذي

جاء في الحديث ، انه من أفضل اعمال الأمة المرحومة .

٢/ لا يجوز التمرد على أمر القيادة بالجهاد ، حتى ولو كان القتال في مناطق بعيدة . ولا يجوز التعلل بالمعاذير الكاذبة للفرار من الجهاد ، ومنها الاعتذار عن القتال بعدم معرفة فنونه ، كما لا يجوز التعلل بالحر والبرد .

٣/ المتمرد على القتال يطرد من صفوف المقاتلين . فاذا وقعت حرب أخرى وطالب بالانضمام الى الجيش ، يرفض طلبه ، لانه تمرد أول مرة . وإذا مات المتمرد لا يصلي عليه القائد ولا يقوم على قبره (ليستغفر له) ، لانه فاسق .

٤/ لا يجوز التهرب عن القتال بطرق ملتوية ، مثل استئذان القيادة بعلّة او بأخرى

٥/ لا بد من رصد حركة المنافقين (والعناصر المشبوهة) لكي لا يثيروا الفتن ، ويُشيعوا الوسواس الشيطانية . ذلك لان معنويات الجيش الاسلامي ذات اهمية قصوى . أوليست الحرب الاسلامية حرب دينية ذات غايات الهية ، وان المقاتل يبتغي بجهاده مرضاة ربه ؟ أوليست الدعايات المغرضة ، وبث الاشاعات ، واثارة

الحميات ، قد تفسد هذه النية الخالصة عند المحارب ، وتكون له آثار سلبية كبيرة على نتائج الحرب ؟

ومن هنا كان على القيادة رصد هذه العناصر ، ورصد الاقوال التي تشيع بين المقاتلين ، وكشف مصادرها ، ومواجهة سلبياتها ، ورد شبهاتها .. لكي لا تتفاجأ بفتنة عمياء يبتلى بها الجيش ، مثلما حدث في بعض معارك المسلمين على عهد النبي صلى الله عليه وآله ، حيث اراد عبد الله بن أبي ان يثير الفتنة بين المهاجرين والانصار ، حيث نزل المسلمون بعد معركتهم مع بني المصطلق وانتصارهم عليهم باذن الله ، نزلوا على ماء فتدافع رجل من بني الغفار كان أجيراً عند احد المهاجرين ، ورجل من الانصار . فانتصر بعض المهاجرين لذلك الغفاري وغضب ابن أبي أبي وقال : اما والله لان رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل . يعني بالأعرز نفسه ، وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وآله . ونزلت سورة المنافقون بهذا الشأن ، حيث نقرأ في بعض آياتها :

{ يَفْؤُونَ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (المنافقون/٨)

ونستوحي من هذه البصيرة الاحكام التالية :

ألف : على المسلمين ان ينقلوا الى القيادة ما يجري بينهم ويسألوها رأيها فيه ، ولا يجوز لهم ان يخوضوا في الاشاعات قبل ان يعرفوا وجه الحق فيها . وقد قال ربنا سبحانه : { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا } (النساء/٨٣)

ونستفيد من هذه الآية عدم جواز اذاعة امور الحرب والسلام والأمن والخوف ، من دون مراجعة السلطات الشرعية للسؤال منها والتفقه في حكم تلك الأمور .

باء : على القيادة الاسلامية ان تشكل لدى الحاجة- جهازاً أمنياً لرصد العناصر المشبوهة في الحرب ، وانما تلجأ الى ذلك عندما لا تكفيها التقارير العفوية التي تتلقاها من الجماهير .

جيم : من المهم جداً المحافظة على وحدة صف المقاتلين ، اذ الوحدة عصب النصر في الحرب . وقد قال الله سبحانه : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُيُوتًا مَرْصُومًا } (الصف/٤)

ومن هنا فان القضاء على الفتن الطائفية ، والحميات الجاهلية ، من أهم واجبات القيادة الرسالية في الحرب . والله العالم .

٦/ من الضروري جداً مكافحة حالات التجسس في الحرب الاسلامية، لكي لا يحصل العدو على معلومات عسكرية تخص المسلمين . وقد كان لنا اسوة حسنة برسول الله صلى الله عليه وآله في اتباع السرية في تحركاته الجهادية، وفي مكافحة التجسس. وقصة الرجل الذي تجسس لقريش في فتح مكة مثل واضح لهذه المكافحة، حيث كان الرسول يستعد لفتح مكة، فبعث الرجل بخبر ذلك الى أهلها عبر امرأة، وارسل النبي صلى الله عليه وآله سرية بقيادة الامام علي عليه السلام حيث قبضوا عليها واخذوا الرسالة منها .

ومن سبل رصد الجواسيس ؛ رصد العناصر المناققة التي يسقط فريق منها في شرك الأعداء ويصبحون جواسيس لهم على المسلمين .

والقرآن الحكيم فضح المنافقين ببيان صفتهم ، ومن ابرزها ؛ انهم يفرحون إذا عانى المسلمون من هزيمة او نكبة ، ويسخطون اذا اصاب المسلمون نصراً او فتحاً .

## ٨٨٨٨ الركن الثالث : اسباب مشروعية القتال

(الحج/٣٩-٤٠) ، (البقرة/٢٤٦) ، (البقرة/١٩١) ، (البقرة/٢١٧) ،  
 (المتحنة/٨) ، (النساء/٧٦) ، (آل عمران/١٩٥) ، (المائدة/٣٢) ،  
 (الانعام/١٥١) وغيرها من الآيات .. نستفيد من آيات الذكر الكريمة ؛ ان الفتنة من  
 ابرز اسباب القتال، لان الفتنة اكبر من القتل، والفتنة تتمثل في اخراج الناس من  
 بلادهم ، (كما الآية ١٩١ والآية ٢١٧ / البقرة) . كما تتمثل ايضاً في الصد عن  
 المسجد الحرام (حسبما نستفيد من الآية ٣٩ / الانفال) ، مع ملاحظة الآيات السابقة  
 حول الصد عن المسجد الحرام وهي التي تدعو المؤمنين الى الهجرة ، حيث يقول  
 ربنا سبحانه : { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ  
 رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ } (النحل / ١١٠) (١)

(١) اصل الفتنة -حسبما يبدو- ابتلاء الانسان ، وإظهار حقيقته . ولعل منه قوله سبحانه : {  
 يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارٍ يُفْتَنُونَ } (الذاريات/١٣) ؛ يعني تظهر حقائقهم . هذا في الآخرة ، اما في  
 الدنيا فان حقيقة البشر تظهر بما يلي :  
 أ- بالنعم هل يطغى بها أم يشكر . قال سبحانه : { لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ  
 يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَدًا } (الجن/١٧)  
 ب- وبالأولاد والأموال . قال تعالى : { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ }  
 (التغابن/١٥) ، وبالزوجة . قال عز وجل : { وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ  
 زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ } (طه/١٣١) .  
 ج- والناس يفتنون ببعضهم . قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ  
 الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا }  
 (الفرقان/٢٠)  
 د- والعذاب الالهي فتنة . قال عز وجل : { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَأُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً  
 وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (الانفال/٢٥)  
 هـ- واذى الناس لبعضهم فتنة . قال تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي  
 اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّنَ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ  
 بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ } (العنكبوت/١٠)

وإذا عرفنا أن مجانية الطاغوت واجبة ، اذ قال الله عز وجل : { وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا  
الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ } (الزمر/١٧) ،  
وان الكفر به من التوحيد ، اذ قال الله تعالى : { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ  
مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ  
لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (البقرة/٢٥٦) ، وان الذين كفروا يحاربون في سبيل  
الطاغوت ، حيث قال ربنا عز وجل : { الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ  
كَانَ ضَعِيفًا } (النساء/٧٦) ، وإذا علمنا ان الطغيان هو اكراه الناس على قبول  
سلطة غير سلطان الله، حيث يقول ربنا سبحانه : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى  
كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا  
بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (آل عمران /٦٤)

وهذه الفتنة هي التي يسعى الكفار بها ، صرف المؤمنين عن دينهم ، حيث قال سبحانه :  
فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ  
لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ } (يونس/٨٣) وقال : { وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ  
اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ } (المائدة/٤٩) وقال : { وَإِنْ  
كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا } (الاسراء  
/٧٣) وقال : { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ  
بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } (النحل/١١٠) وقال : { إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ  
يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ } (البروج/١٠) وهي المراد من قوله تعالى :  
وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ  
عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ }  
(البقرة/١٩١) وقوله : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنِ  
سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا  
يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكَ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فِيمَتٌ وَهُوَ  
كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }  
(البقرة/٢١٧) .

ومن التدبر في الآيات نستنتج ان الفتنة التي لا بد من مواجهتها ، هي محاولة اعداء الله  
تضليل الناس عن دين الله بالارهاب (وربما بالترغيب) . وهذا لا يكون إلا بامتلاكهم السلطة ،  
وعلىنا محاربتهم حتى تكسر شوكتهم . والله العالم .

(١) اذا عرفنا كل ذلك نهتدي الى ان مواجهة السلطات الظالمة التي تحكم بالارهاب ، وتفرض هيمنتها على الناس بغير حق ، وتدعو الى عبادة احد من دون الله .. انها من اسباب القتال .

وكثيرة هي الآيات القرآنية التي تفصل القول في هذا النوع من القتال ، ولذلك فان علينا دراسة مسهبة لها ، وذلك من خلال البصائر التالية :

(١) الطغيان هو تجاوز الحد ، مثلاً طغيان الماء يتمثل في تجاوز مجاريه . قال سبحانه : { إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ } (الحاقة/١١) . والانسان يطغى إذا راه استغنى . قال تعالى : { كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ \* أَن رَّءَاهُ اسْتَغْنَى } (العلق/٦-٧) . والطاغية أهلكت ثمود . قال جل وعلا : { فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ } (الحاقة/٥) . وفرعون طغى . قال عز وجل : { أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى } (طه/٢٤) . والطغيان في الميزان تجاوز حده . قال سبحانه : { وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ \* أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ } (الرحمن/٧-٨) . وهكذا نفقه ان الطاغوت هو الانسان الطاعي (الذي يتجاوز حده ، ويحاول فرض هيمنته على الناس) . والطاغوت هو ولي الكفار (قائدهم) . قال سبحانه : { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (البقرة/٢٥٧) . وهكذا ترى الكفار يقاتلون في سبيله . قال عز وجل : { الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا } (النساء/٧٦) . ومن اليهود من اصبح عبد الطاغوت . قال تعالى : { قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُتَوَبِّهًا عِنْدَ اللَّهِ مَنِ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ } (المائدة/٦٠) .

وهكذا الكفر بالطاغوت يمهد الطريق للإيمان بالله سبحانه ، حيث قال ربنا جل وعلا : { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لِأَنَّفْسَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (البقرة/٢٥٦) . كما ان البشرى لمن اجتنب الطاغوت واناب الى الله . قال الله تعالى : { وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَمَن يَبْغِ عِبَادَ اللَّهِ } (الزمر/١٧) . وقد أمر الله باجتناب الطاغوت ، كما أمر بعبادة الله . قال الله تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ } (النحل/٣٦) . والتحاكم الى الطاغوت حرام ، حيث قال الله سبحانه : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } (النساء/٦٠) . وهكذا نستوحى من آيات الذكر ان كل حاكم يطغى في الأرض ، ويتجاوز حدود الله ، ولا يحكم باسم الله وبأمره ، فهو طاغوت .

## ٨٨٨٨٨ ألف : في مواجهة الظالمين

خلق الله البشر من نفس واحدة ، وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا ، واسبغ عليهم من نعمه ما شاء . وجعل لكل واحد منهم حقوقاً ، كما فرض عليه واجبات . وجعل فيما بينهم حدوداً ، فمن اعتدى على غيره فقد بغى عليه وظلمه في حقه . وكان للمظلوم ان ينتصر منه ، وعلى الناس ان يعينوه في استعادة حقه .

هذه هي البصيرة الاساسية التي تعتمد عليها اغلب شرائع الدين ، التي تنظم العلاقة بين بني آدم . قال ربنا سبحانه : { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } (الحديد/ ٢٥)

فالقسط هو غاية شرائع الله ، وعلى الناس ان يقيموه فيما بينهم . والرسل بلّغوا عن الله قواعد القسط عبر كتب الله ، والميزان (الامام والقاضي وادوات التحديد) . والحديد اداة تنفيذه على من لم يسلم به ، والمجاهدون هم المنفذون .

ويتفرع من هذه البصيرة طائفة من الاحكام تتصل بجملة احكام الجهاد ، حيث ان الانسان يدافع عن نفسه وماله وحرماته لكي لا يقع عليه الظلم ، فاذا ظلم انتصر لنفسه حتى يأخذ حقه . وهو كذلك يدافع عن معتقداته الدينية ضد الطغاة والجبابرة ، ويواجه الذين يحاولون فتنته عن دينه . كما انه يدافع عن منافع ومصالحه ، ويدافع عن المظلومين .

وهذه ستة شعب للقتال المشروع الذي تخوضه الأمة في سبيل الله تعالى .

## ٨٨٨٨٨ / عند مواجهة الخطر المباشر

ان للانسان الدفاع عن دينه ونفسه وعرضه وماله ومقدساته .. وهو الدفاع الشرعي الذي فصل الحديث فيه عبر هذه الموسوعة في باب الحصن والاحصان ، وقد تحدث الفقه عنه في مناسبات شتى وبالذات في كتاب الحدود . كما ان المحقق الحلي اشار اليه في باب الجهاد ، حيث قال : وقد تجب المحاربة على

وجه الدفع ، كأن يكون (أي شخص) بين أهل الحرب ويغشاهم عدو يخشى منه على نفسه، فيساعدهم دفعاً عن نفسه، ولا يكون جهاداً. وكذا كل من خشي على نفسه مطلقاً، أو ماله اذا غلبت السلامة. (١)

#### ٢٨٨٨٨٨ / دفع الظلّامة

عند وقوع الظلم يجوز للمظلوم ان ينتصر لنفسه بالقصاص ، وبأخذ الغرامة ، وبالوسائل الأخرى . وقد بيّن الكتاب ان الانتصار من بعد الظلم من صفات المؤمنين ، حيث قال سبحانه : { وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ } (الشورى/٣٩)

وقال سبحانه : { إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ } (الشعراء/٢٢٧)

وهذا الانتصار كما يشمل الفرد نفسه يشمل قومه ، لأن أخذ الحق من الظالم لا يكون بصورة فردية ، ولأن التعاون على البر والتقوى قيمة شرعية ، ولأن ذلك من مصاديق الشهادة لله والقيام بالقسط .

من هنا قال العلامة النجفي في الجواهر ، شرحاً لما قاله المحقق الحلي في الشرائع ، قال : يجب الدفاع على كل من خشي على نفسه مطلقاً أو ماله أو عرضه أو نفس مؤمنة أو مال محترم أو عرض كذلك (محترم) اذا غلب ظن السلامة. (٢)

#### ٣٨٨٨٨٨ / للتمسك بالاسلام والمذهب المختار

من أسمى الحرمات للانسان حرمة دينه ، والتي تشمل حرمة كتابه ورسوله ومسجده . وهذه الحرمة هي محور رسالات الله التي جاءت لتحرر الناس من

(١) شرائع الاسلام كتاب جهاد العدو .

(٢) جواهر الكلام / طبعة النجف الأشرف / ج ٢١ / ص ١٦ .

عبادة الطاغوت والجبوت ، وتدعوهم الى عبادة الله وحده . وقد جاهد الانبياء  
والرَبِّيُّونَ والصَّدِيقُونَ من أجل المحافظة على هذه الحرمه . وانما هاجر المؤمنون  
(واخرجوا من ديارهم) من أجل سلامة دينهم ، وانما قتل من قتل منهم دفاعاً عن  
هذه الحرمه . وقد قال ربنا سبحانه : { الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ  
يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ  
وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ  
لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } (الحج/٤٠)

وقال سبحانه : { فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَعَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ  
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ  
وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } (البقرة/٢٥١)

#### ٤٨٨٨٨٨ / مواجهة الفتنة

حين تتشكل الأمة ، فان حرمتها هي ذات حرمت ابناءها . فمن أراد استلاب  
حرمة الدين منهم ، او المس بمقدساتهم (المساجد) ، او صدهم عن شعائر دينهم  
(الصد عن المسجد الحرام مثلاً) ، او منعهم عن اقامة حدود الدين وشرائعه (عن  
الصلاة والحج مثلاً) ، فان ذلك من الفتنة التي هي أكبر من القتل وأشد من القتل .  
وعلى الأمة ان تهبّ للدفاع عن حرمتها . وهذا من أبرز اسباب القتال في سبيل  
الله سبحانه .

#### ٥٨٨٨٨٨ / مواجهة أعداء الأمة

وهكذا لو تعرضت مصالح الأمة للهجوم ، ومصالح الأمة هي مصالح ابنائها .  
فالنفوس والأموال كما هي محترمة على مستوى الفرد ، كذلك هي محترمة على  
مستوى الأمة . ومن هنا فعلى الأمة أن تدافع عن أرضها وحقوقها ، وعن ابنائها  
والمنتهمين اليها أنى كانوا .

وهكذا أمرنا الله سبحانه ان نقاتل الذين يقاتلوننا ، حيث قال سبحانه : { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُفَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } (البقرة / ١٩٠)

٦٨٨٨٨٨ / دفاعاً عن المظلوم

هل يجب الدفاع عن كل مظلوم في الأرض ، وبالذات إذا استغاث بالمسلمين ؟  
يمكن ان نستشهد بالأدلة التالية على ذلك :

أ- ان ذلك من مصاديق الشهادة التي جعلها الله سبحانه للامة الاسلامية .  
ب- ان الله تعالى أمر المسلمين ان يقوموا بالقسط ، والقسط هو هدف رسالات الله ، وعلى كل مسلم تحقيقه .

ج- انه من الانتصار من الظالم .

د- ان ربنا أمرنا بالقتال من أجل المستضعفين .

وهذه الأدلة ليست بتلك الصراحة والوضوح ، لان الشهادة على الناس لا تستلزم تطبيق القسط ، بل يكفي فيها الدعوة اليه والحكم به . كذلك القيام بالقسط هو تطبيق العدالة في القول والعمل فيما يتصل بالفرد نفسه ، كقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا عَدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (المائدة/٨) .

وهكذا الانتصار انما هو الانتصار للنفس بعد اصابتها بالبغي ، ولا يشمل الانتصار للغير .

والقتال في سبيل الله وللدفاع عن المستضعفين ، قد يفسر بالمستضعفين من المؤمنين ، ولا يدخل في اطلاقه المستضعفون من غيرهم .

وكلمة أخيرة : اثبات مثل هذا الحكم بحاجة الى أدلة ابلغ صراحة وأشد وضوحاً ، وهي التي لم احط بها علماً . (١)

---

(١) في نهاية هذا الفصل سوف نقرأ معاً انشاء الله حديثاً مفصلاً عن اقسام الجهاد ، لعله يصلح مستنداً لهذا الحكم .

بلى ؛ هناك أحاديث شريفة ترعّب في نصرة المظلوم ، نذكر طائفة منها :  
عن أبي عبد الله عليه السلام قال : " قال عيسى بن مريم لبني اسرائيل : لا  
تعينوا الظالم على ظلمه فيبطل فضلكم ". (١)

وعن علي عليه السلام قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وآله : للمسلم على  
أخيه ثلاثون حقاً ، لا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو - الى أن قال - : وينصره  
ظالمًا ومظلومًا ؛ فأما نصرته ظالمًا فيردّه عن ظلمه ، وأما نصرته مظلومًا فيعينه  
على أخذ حقّه ولا يسلمه ولا يخذله ، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه ويكره له  
من الشر ما يكره لنفسه ". (٢)

وعن علي بن الحسين عليهما السلام قال : من قضى لأخيه حاجته ، فبحاجة الله  
بدأ ، وقضى الله له بها مائة حاجة في أحداهن الجنة . ومن نفّس عن أخيه كربة ،  
نفّس الله عنه كرب القيامة بالغاً ما بلغت . ومن اعانته على ظالم له ، أعانته الله على  
اجازة الصراط عند دحض الأقدام . ومن سعى له في حاجة حتى قضاها له فسرّ  
بقضائها فكان كادخال السرور على رسول الله صلى الله عليه وآله ... (٣)

وقال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام : لولا حضور الحاضر ، وقيام  
الحجة بوجود الناصر ، وما أخذ الله من العلماء ألا يقرّوا على كظّة ظالم ، ولا  
سغب مظلوم ، لألقيت حبلها على غاربها ... (٤)

ومن وصايا أمير المؤمنين للحسنين عليهم السلام : كونا للظالم خصماً  
وللمظلوم عوناً . (٥)

وجاء في مواضع المسيح عليه السلام انه قال : بحق اقول لكم : إن الحريق ليقع  
في البيت الواحد فلا يزال ينتقل من بيت الى بيت حتى تحترق بيوت كثيرة ، إلا أن

(١) بحار الأنوار / ج ٧٢ / ص ٣٧٠ / ح ٦ .

(٢) المصدر / ج ٧١ / ص ٢٣٦ / ح ٣٦ .

(٣) المصدر / ص ٣٠٣ - ٣٠٤ / ح ٤٧ .

(٤) ميزان الحكمة / ج ٥ / ص ٦١٠ عن نهج البلاغة / الخطبة ٣ .

(٥) المصدر عن نهج البلاغة / كتاب ٤٧ .

يستترك البيت الأول فيهدم من قواعده فلا تجد فيه النار محلاً . وكذلك الظالم الأول لو أخذ على يديه لم يوجد من بعده امام ظالم فيأتون به ، كما لولم تجد النار في البيت الأول خشباً وألواحاً لم تحرق شيئاً . (١)

#### ٨٨٨٨٨٨ : اجتناب الطاغوت

نفي الانداد والكفر بالالهة التي تعبد من دون الله ، واخلاص الدين لله سبحانه ؛ ان ذلك من حقائق توحيد الله . وانما يتحقق باجتنب الطاغوت والكفر به (والتنمرد على سلطانه) . قال الله سبحانه : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجُبَّتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلاً } (النساء/٥١)

وقال تعالى : { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لِأَنَّهَا لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (البقرة /٢٥٦)

#### ٨٨٨٨٨٨ : منهج الكفر بالطاغوت :

وفيما يلي اشارة الى منهج الكفر بالطاغوت ، ومراحل اجتنابه ، والشرائع التي سنت له في الدين الحنيف .

#### ٨٨٨٨٨٨ /١ التبريء من اعداء الله :

البراءة من اعداء الله وكل المشركين ، و هجرهم والانفصال عنهم عاطفياً ومعاشياً من الخطوات الأولى على هذا الطريق . قال الله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي

(١) ميزان الحكمة / ج ٥ / ص ٦١٠-٦١١ .

سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ  
وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ { (الممتحنة / ١)

٢٨٨٨٨٨ / الدعوة الى الله :

دعوة الناس الى الدين الخالص ، كما فعل ابراهيم عليه السلام. إذ قال الله تعالى  
عنه : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ } (الزخرف/٢٦)

وكما فعل المؤمن الذي يقص علينا دعوته في سورة يس ، إذ يقول تعالى : {  
وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ \* اتَّبِعُوا مَنْ لَا  
يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ \* وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \*  
عَاتَخَذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا  
يُنْقِذُونِ \* إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ \* قِيلَ ادْخُلِ  
الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ \* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ }  
(يس/٢٠-٢٧)

وهذه الدعوة من خصال الانبياء والاصفياء والصدقيين عليهم جميعاً سلام الله  
وصلواته.

٣٨٨٨٨٨ / كتمان الايمان :

وعند فقدان الأمل في الاصلاح ، او شدة الخوف من الطاغوت ، يكتتم المؤمن  
ايمانه كما فعل مؤمن آل فرعون .

أ- حيث يقول ربنا سبحانه : { وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ  
أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ  
كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ  
كَذَّابٌ \* يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ  
جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ } (غافر / ٢٨-

(٢٩

ب- وقال سبحانه : { فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا نُزْيَةً مِّن قَوْمِهِ عَلٰى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ } (يونس/٨٣)

ج- وهذا الوضع هو الأكثر شيوعاً بالنسبة الى المؤمنين ، وهو الذي يسمى بعصر التقية، حيث يقول ربنا سبحانه عن التقية : { لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ } (آل عمران /٢٨)

٤٨٨٨٨٨ / الهجرة :

وإذا لم يكن هناك أمل في التغيير من داخل البلاد ، يهاجر المؤمنون الى دار الاسلام ، أو الى حيث يستطيع المسلم ان يقيم شعائر الدين . والهجرة تهدف أمرين :

الأول : النجاة من العدو ، واقامة شعائر الدين بحرية ، والخلاص من حالة الاستضعاف (الحرية) .

الثاني : الاستعداد للقتال وتحرير البلاد من ايدي الطغاة (التحرير) .

وفيما يلي نوجز الحديث عنهما :

أولاً : النجاة من الاستضعاف (الحرية)

لقد هاجر النبي موسى عليه السلام من مصر باتجاه مدين ، فقال له شعيب بعد ان قص عليه قصصه- : نجوت من القوم الظالمين . ويبين ربنا هذه الواقعة بما يلي :

أ- { وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ \* فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ

السَّبِيلِ \* وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْتَفُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ  
 امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ  
 كَبِيرٌ \* فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ \*  
 فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ  
 لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {  
 (القصص/٢٠-٢٥)

ب- وقد أوجب الله الهجرة للخلاص من فتنة الظالمين ، والنجاة من حالة  
 الاستضعاف التي تجعل الانسان يظلم نفسه بارتكاب المحرمات او ترك الفرائض .  
 قال الله سبحانه : { فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا \* وَمَنْ  
 يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآغَمَاً كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ  
 مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ  
 يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (النساء/٩٩-  
 ١٠٠)

ج- وقال تعالى : { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ  
 { (العنكبوت/٥٦)

د- وقال عز وجل : { وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ  
 اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ } (الحج/٥٨)

ونستفيد من الآيات ؛ ان الهجرة واجبة على من استضعف (وسُلبت حرّيته) ، فلم  
 يقدر على اقامة احكام دينه ؛ سواءً فيما يتصل باقامة شعائره الشخصية(كالصلاة  
 والصيام) ، او الاجتماعية (كالزكاة والخمس) ، او السياسية (كالعدل والاحسان) ،  
 او الجهادية (كالدفاع عن بيضة الاسلام) . وبالتالي يتحقق موضوع الهجرة بوجود  
 استضعاف ، وظلم للنفس ، حيث يقول ربنا سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ  
 ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ

أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا  
(النساء/٩٧) .

وظلم النفس يتحقق بترك أي واجب من واجبات الشريعة . كما يتحقق الاستضعاف بسلب القدرة ، وسلب حرية الإرادة .

وهكذا يعم موضوع الهجرة ، حالات الهجرة من البلاد التي يحكمها الكفار او الظلمة من المتظاهرين بالدين ، ويشمل حتى البلد الذي يحكمه أهل مذهب من مذاهب المسلمين ، ويصادرون حق اصحاب سائر المذاهب . فعلى اتباع تلك المذاهب الهجرة الى حيث يمكنهم تطبيق الدين الصحيح حسب اعتقادهم .

وقد يقال : ان الاستضعاف بذاته قبيح ، لانه ظلم . والذي يقدر على درء الظلم عن نفسه فلا يفعل ، فقد ظلم نفسه . ولان الراضي بالظلم والساكت عليه شريك للظالم ، فان من كان مستضعفاً حتى في شؤون حياته ، وجب عليه الهجرة طلباً للحرية ، وبحثاً عن الكرامة ..

وحسب هذا الأفق الرحيب يكون معنى قوله سبحانه : { ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ } . انهم قبلوا الاستضعاف مع قدرتهم على الهجرة .

وهكذا تكون الهجرة واجبة من أجل الحرية بكل افاقها "الدينية والحياتية" . وكل بلد لا يملك ، عليك ان تهجره الى البلد الذي يملك . أوليس خير البلاد ما حملك؟

وقد حدّد بعض الفقهاء وجوب الهجرة ، بالهجرة من بلاد الشرك فقط . فقال المحقق الحلي : " وتجب المهاجرة عن بلد الشرك على من يضعف عن اظهار شعار الاسلام مع المكنة ، والهجرة باقية مادام الكفر باقياً " . (١)

وقال العلامة النجفي : وعن الشهيد ؛ الحاق بلاد الخلاف (الذي يسيطر عليه أهل مذهب السنة) التي لا يمكن فيها المؤمن (الشيوعي) من اقامة شعار الايمان ، فتجب

---

(١) شرائع الاسلام كتاب الجهاد .

عليه الهجرة مع الامكان الى بلد يتمكن فيها من اقامة ذلك . و اضاف : واستحسنه الكركي . (١)

ولكن المؤلف عاد واستظهر عدم وجوب المهاجرة في زمن الغيبة ، وان تمكن من (الهجرة الى) بلاد يظهر فيها شعار الايمان ، لان الزمان زمان تقية حتى يظهر ولي الأمر روعي له الفداء . (٢)

ولكن الآيات القرآنية ظاهرة في وجوب المهاجرة ، والأدلة التي استظهر منها العلامة النجفي عدم الوجوب، ليست مكافئة لآيات الهجرة من ناحية الظهور إذا تحقق موضوعها. والله العالم .

~~~~~ثانياً : لمقاومة الاستضعاف (التحرير)

بعد ان يستقر المهاجر في دار الايمان والكرامة ، ويجد ولياً من عند الله ونصيراً ، يأذن الله سبحانه بالدفاع عن نفسه ، والقتال من اجل استعادة حقوقه السلبية ، وبرزها ؛ حقه في داره التي اخرج منها بغير حق .

وقد تلونا آيات الذكر التي فصلت الحديث حول هذا النوع من الهجرة ، ونستفيد من تلك الآيات طائفة من التعاليم القيمة لهذه الهجرة :

أ- ان على المهاجر ان يعود الى القيادة الربانية ، ويطلب منها تعيين قائد للقتال ضد الأعداء .

ب- ان يكون المهاجر مستعداً للقتال وما يتطلبه من عطاء ، لكي يستعيد وطنه وأهله . (فارادة القتال ضرورة قصوى لكسب الحرب).

ج- ألا ينظر الى الاعتبارات الثانوية في انتخاب القائد ، وانما يسلم للولاية الالهية ، ويهتم بكفاءة القائد .

د- ان يتمتع بالصبر والتوكل على الله ، (وانتظار الفرج من عند الله سبحانه) .

---

(١) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٣٦-٣٧ .

(٢) المصدر / ص ٣٧ .

هـ- ان يعلم المهاجر ان مقدساته رهينة جهاده ودفاعه المستميت عنها، وإلا فانها تنهدم.

و- ان يعمل تماماً بوصايا الدين واحكامه .

ز- ان يهدف اقامة حكم اسلامي خالص لدى انتصاره على العدو باذن الله تعالى

٥٨٨٨٨٨ / الكفر العملي بالطاغوت :

ربما لا يوفق الناس للهجرة ، وربما لا تكون من المصلحة هجرة القيادات وسائر الناس . ففي مثل هذه الحالات على الناس ان يقوموا بالكفر العملي بالطاغوت . (العصيان المدني). ويتم ذلك في الابعاد المختلفة التالية :

أ- اجتناب افكار الطاغوت وثقافته ، ومقاطعة وسائل دعايته ، وعدم الاستماع اليه .. حيث قال سبحانه : { وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ \* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ } (الزمر/١٧-١٨)

وبالتأمل في السياق القرآني في هذه السورة نستوحي ان من أبرز مصاديق تجنب الطاغوت ؛ عدم الايمان باقواله . ويؤيد هذا التفسير ما جاء في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله : " من استمع الى ناطق فقد عبده ، فان كان الناطق عن الله عز وجل فقد عبد الله ، وان كان الناطق عن ابليس فقد عبد ابليس " . (١)

وهكذا لايجوز تبرير أعمال الظالم ونشر دعاياته في تبرير ظلمه ، حيث جاء في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام : " من عذر ظالماً بظلمه سلط الله عليه من يظلمه ، وإن دعا لم يستجب له ، ولم يأجره الله على ظلامته " . (٢)

(١) بحار الأنوار / ج ٢٦ / ص ٢٣٩ .

(٢) بحار الأنوار / ج ٧٢ / ص ٣٣٢-٣٣٣ .

وكذلك لا يجوز الدعاء للظالم بالبقاء ، (ولعل ذلك يعتبر نوعاً من الدعاية له والتعاون معه) . ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله يقول : "من دعا لظالم بالبقاء فقد أحبّ أن يعصى الله في أرضه". (١)

ب- اجتناب ولاية الطاغوت وطاعته ، وذلك بعدم التسليم له، وعدم قبول أوامره ونواهيه ، فان في طاعته هلاك دين الانسان ودنياه . ومن هنا جاء في حديث مأثور عن الامام الصادق عليه السلام في تفسير قوله سبحانه : { وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ } قال (مخاطباً لأبي بصير) : انتم هم (اي الذين اجتنبوا عبادة الطاغوت) ، ومن اطاع جباراً فقد عبده (٢).

وجاء في حديث آخر عن أبي عبد الله الامام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ } الآية، قال عليه السلام: إنما عنى بذلك أنهم كانوا على نور الإسلام، فلما ان تولّوا كل إمام جائر ليس من الله، خرجوا بولايتهم إياه من نور الإسلام الى ظلمات الكفر، فأوجب الله لهم النار مع الكفار. فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون. (٣)

وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : " الظلمة واعوانهم في النار ". (٤)

وروي ان الامام الرضا عليه السلام قال (في أعمال السلطان): الدخول في اعمالهم، والعون لهم، والسعي في حوائجهم، عدل الكفر. والنظر اليهم على العمدة من الكبائر التي يستحق به النار . (٥)

(١) المصدر / ص ٣٣٤ .

(٢) ميزان الحكمة / ج ٥ / ص ٥٤٣ .

(٣) بحار الأنوار / ج ٨ / ص ٣٦٩ .

(٤) ميزان الحكمة / ج ٥ / ص ٦١١ .

(٥) المصدر / ج ٥ / ص ٦١٢ .

عن ابن أبي يعفور قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أصحابنا فقال له : أصلحك الله ؛ إنه ربما أصاب الرجل منا الضيق أو الشدة فيدعا الى البناء بينيه أو النهر يكرهه او المسناة يصلحها ، فما تقول في ذلك ؟ فقال ابو عبد الله عليه السلام : ما أحبّ أنّي عقدت لهم عقدة ، أو وكيت لهم وكاءً ، وأنّ لي ما بين لابتنيها ؛ لا ولا مدة بقلم . إنّ أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار، حتّى يحكم الله بين العباد . (١)

وقال الامام الصادق عليه السلام : لولا أنّ بني أمية وجدوا من يكتب لهم ، ويجبى لهم الفئى ، ويقاتل عنهم ويشهد جماعتهم ، لما سلبونا حقنا ... (٢)

ج- اجتناب التحاكم الى الطاغوت ، حيث انه جعل في القرآن- بمثابة الايمان به . قال سبحانه : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } (النساء/٦٠)

وجاء في الحديث المشهور عن عمر بن حنظلة والذي اعتمد عليه فقهاؤنا ، انه قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من اصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث ، فتحاكما الى السلطان والى القضاة أيحلّ ذلك ؟

قال عليه السلام: من تحاكم إليهم في حق او باطل ، فانما تحاكم الى الجبت والطاغوت المنهي عنه . وما حكم له به فانما يأخذ سحتنا ، وان كان حقه ثابتاً له ، لانه أخذه بحكم الطاغوت ، وقد أمر الله عزّ وجل ان يكفر به . قال الله عز وجل : { يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ } .

قلت : فكيف يصنعان وقد اختلفا؟ قال : ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا ، وعرف حلالنا وحرامنا ، وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً ، فاني قد

(١) ميزان الحكمة / ج ٥ / ص ٦١٢ .

(٢) المصدر .

جعلته عليكم حاكماً. فاذا حكم بحكم ولم يقبله منه ، فانما بحكم الله استخف ، وعلينا ردّ . والراءد علينا

كالراءد على الله ، وهو على حدّ الشرك بالله .

قلت : فان كان كلّ واحد منهما اختار رجلاً من اصحابنا فرضياً أن يكونا الناظرين في حقهما ، فاختلفا فيما حكما ، فان الحكمين اختلفا في حديثكم ؟ قال : ان الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما ، ولا يلتفت الى ما يحكم به الآخر .

قلت : فانهما عدلان مرضيان عرفا بذلك لايفضل أحدهما صاحبه .

قال : ينظر الى ما كان من روايتهما عنّا في ذلك الذي حكما المجمع عليه بين اصحابك، فيؤخذ به من حكمهما ، ويترك الشاذّ الذي ليس بمشهور عند اصحابك. فان المجمع عليه لا يريب فيه ، فانما الأمور ثلاثة : أمر بين رشده فيتبع ، وأمر بين غيّه فيجتنب، وأمر مشكل يردّ حكمه الى الله عزّ وجلّ والى رسوله صلى الله عليه وآله. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حلال بيّن، وحرام بيّن، وشبهات تتردّ بين ذلك. فمن ترك الشبهات نجا من المحرّمات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرّمات وهلك من حيث لا يعلم .

قلت : فان كان الخبران عنكما مشهورين قد رواهما الثقات عنكم .

قال : ينظر ما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة فيؤخذ به ، ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة .

قلت : جعلت فداك أرايت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنة ، ثم وجدنا أحد الخبرين يوافق العامة والآخر يخالف ، بأيّهما نأخذ من الخبرين ؟

قال : ينظر الى ما هم إليه يميلون ، فان ما خالف العامة ففيه الرشد .

قلت : جعلت فداك فان وافقهم الخبران جميعاً .

قال : انظروا الى ما يميل إليه حكاهم وقضاتهم فاتركوه جانباً وخذوا بغيره .

قلت : فان وافق حكاهم الخبرين جميعاً ؟

قال : اذا كان كذلك فارجه وقف عنده حتى تلقى إمامك ، فان الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات ، والله المرشد " . (١)

د- اجتناب الركون الى الطاغوت ، حيث قال سبحانه : { وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ } (هود/١١٣)

ويشمل الركون اليهم التقرب اليهم، والعمل معهم ، واي لون من الوان التعاون معهم . فقد جاء في الحديث في تحريم التوظيف في دوائر الظلمة :

قال صلى الله عليه وآله : " من تولى خصومة ظالم أو أعان عليها ثم نزل به ملك الموت ، قال له : ابشر بلعنة الله ونار جهنم وبئس المصير " . وقال : " من مدح سلطاناً جابراً وتخفّف وتضعضع له طمعاً فيه ، كان قرينه الى النار " . وقال عليه السلام : من دلّ جابراً على جور ، كان قرين هامان في جهنم " . (٢) وقد جاء في الحديث النبوي : " ان من اعان ظالماً على ظلمه وهو يعلم انه ظالم فقد برئ من الاسلام " . (٣)

وجاء عن الامام الرضا عليه السلام : من أحبّ عاصياً فهو عاص ، ومن أحبّ مطيعاً فهو مطيع ، ومن أعان ظالماً فهو ظالم ، ومن خذل عادلاً فهو خاذل . إنه ليس بين الله وبين أحد قرابة ، ولا ينال أحد ولاية الله إلا بالطاعة . ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لابي عبد المطلب : انتوني بأعمالكم لا بأنسابكم وأحسابكم . قال الله تعالى : { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ \* فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ } . (٤)

(١) بحار الأنوار / ج ١٠١ / ص ٢٦١-٢٦٢ .

(٢) بحار الأنوار / ج ٧٣ / ص ٣٣١ .

(٣) المصدر / ج ٢ / ص ٦٧ .

(٤) المصدر / ج ٧ / ص ٢٤١ / ح ١١ .

وفي حديث آخر عن أبا عبد الله عليه السلام يقول : "من أعان ظالماً على مظلوم لم يزل الله عز وجل عليه ساخطاً ، حتى ينزع عن معونته". (١)

هـ- اجتناب القتال في سبيله . قال الله سبحانه : { وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا } (النساء/٦٦)

ونستفيد من الآية ؛ ان القتال في سبيل الطاغوت بمثابة الكفر ، وقد حرّم الدين الحنيف الرضا بعمل الظالمين ، وتبرير افعالهم .

وهكذا يعزل الطاغوت وأعوانه الظلمة في المجتمع ، بينما يزداد المؤمنون منعة وقوة ، ويتخلصون من فتنة الطاغوت باذن الله تعالى .

ان قوة الطاغوت تكمن في قبول ولايته من قبل ضعفاء النفوس ، وان قوة الناس تكمن في التمرد عليه . فمن أراد المنعة والعزة والكرامة ، فعليه ان يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ، فان الله سبحانه وتعالى يقول : { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لِأَنَّفْسَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (البقرة/٢٥٦).

وليعلم ان اولياء الطاغوت هم عبد الشيطان ، وان كيد الشيطان كان ضعيفاً .

### ٨٨٨٨ الركن الرابع : من يسقط عنه القتال

(التوبة/٩١-٩٢) ، (النساء/٩٥) ؛ لان الله سبحانه منّ على هذه الأمة بالشرعية السمحاء التي لا حرج فيها ، وقال تعالى : { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ

(١) المصدر / ج ٧٢ / ص ٣٧٣ .

وَنِعْمَ النَّصِيرُ { (الحج/ ٧٨) ، فان القتال - كما سائر الفرائض - يسقط عند الحرج . (ومعناه -حسب الظاهر- ان تكون أعماله شاقة على الفرد ، أكثر مما تقتضيه العادة في مثله) . وممثل على ذلك ذكر القرآن الكريم : الضعفاء ، والمرضى ، والذين لا يجدون ما ينفقون . وقد فصلّ الفقه الاسلامي الحديث في ذلك ، ونستعرض ذلك عبر نقاط :

١/ قال المحقق الحلبي في كتاب الشرائع : ويسقط فرض الجهاد باعذار أربعة : العمى ، والمزمن المقعد ، والمرض المانع من الركوب والعدو ، والفقر الذي يعجز معه عن نفقة

طريقه وعياله وثمان سلاحه . ويختلف ذلك بحسب الأحوال . (١) واستشهد العلامة النجفي في جواهر الكلام على ذلك بعد الآيات بالاجماع بقسميه . (٢) ولكنه قال - فيما يرتبط بالمريض - : الظاهر انسياق المتعذر او المتعسر معه الجهاد ، كما هو الغالب دون غيره . (٣)

وعلى هذا فليس كل مريض يسقط عنه الجهاد ، حتى إذا كان مرضه يسيراً ، أو غير مانع له عن القيام بالجهاد . بل حتى لو كان المرض خطيراً - مثل سرطان الجلد - ولكنه لم يكن مانعاً له من القتال ، كان عليه الخروج اليه . ولكن الآية مطلقة ، فكيف قيدها العلامة النجفي ؟

يبدو أن في الآية الكريمة دلالة على ذلك من خلال كلمة "حرج" التي توحى بأن المريض انما يسقط عنه الجهاد إذا كان عليه منه حرج . ويقتضي ذلك تناسب الحكم والموضوع ، حيث يفهم العرف من خطاب الشرع بسقوط الجهاد عن المريض ، انه خاص بالمرض الذي يقعد الانسان عن الجهاد ، كما في الصوم فإنه ساقط عن المريض . ولكن هل من كان به وجع لا يضره الصيام ولا يشق عليه ،

(١) جواهر الكلام / ج ٧ / ص ٤٩٩ / طبعة بيروت .

(٢) المصدر ( وقسما الاجماع المحصل والمنقول) .

(٣) المصدر / ص ٥٠٠ (اي الظاهر ان يتبادر من المريض الذي يعسر عليه الجهاد) .

فهل يسقط عنه الصوم ؟ كلا ؛ إنما المرض المسقط للصوم هو المضر منه او المتعسر معه الصوم .

ويبدو ان الحكمة في سقوط الجهاد عن المريض تتمثل في أمرين :

الأول : عجز المريض عن اداء المهام القتالية .

الثاني : تضرر المريض من الخروج الى القتال بما يتسبب في انتشار مرضه او تباطئ برئه وما أشبه .

وهكذا ينبغي جعل القاعدة الكلية في تحديد نوع المرض ودرجته "قاعدة نفي الحرج" ، والتي يستنبط منها قاعدة " نفي الضرر " ، حيث اشارت آية أخرى اليها بقوله سبحانه : { غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ } ( النساء/٩٥).

٢/ وأول عنوان أسقط الكتاب به الجهاد ، عنوان "الضعفاء" . فمن هم هؤلاء ؟ يبدو ان الطفل الصغير ، والشيخ الكبير يدخلان في هذا العنوان . أما المرأة والعبد فقد يدخلان أيضاً تحت عنوان الضعفاء .

ومن هنا قال المحقق الحلي : فلا يجب (الجهاد) على الصبي ، ولا على المجنون ، ولا على المملوك ، ولا على المرأة ، ولا على الشيخ الهَمَّ . (١) وقد حكى العلامة النجفي عدم الخلاف على ما ذكره . وأضاف فيما يرتبط بالصبي والمجنون ؛ ان الاجماع بقسميه عليه . واعتبر في المختلف ان العبد من الضعفاء ، لانه لايملك . (٢)

ولكن حكي عن الاسكافي ، عدم اشتراط الحرية ، واستدل له بالحديث المرسل التالي:

إن رجلاً جاء الى أمير المؤمنين عليه السلام ليبياعه ، فقال : يا أمير المؤمنين ابسط يدك ابيعك على ان ادعو لك بلساني ، وأنصحك بقلبي ، واجاهد معك ببدي .

---

(١) جواهر الكلام / ج ٧ / ص ٤٩٩ .

(٢) المصدر .

فقال عليه السلام: حرّ أنت أم عبد؟ فقال: عبد. فصفق أمير المؤمنين عليه السلام يده فبايعه. (١)

٣/ واستدل على سقوط الجهاد عن المرأة بالحديث المأثور عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام: كتب الله الجهاد على الرجال والنساء؛ فجهاد الرجل بذل ماله ونفسه حتى يقتل في سبيل الله، وجهاد المرأة ان تصبر على ما ترى من اذى زوجها وغيرته (عشرته). (٢)

وجاء في حديث مأثور عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام ايضاً انه قال: ليس على العبيد جهاد ما استغنوا عنهم، ولا على النساء جهاد، ولا على من لم يبلغ الحلم. (٣)

وروى السيد علي بن طاووس عن الامام الحسين عليه السلام أنه قال: فإن الجهاد مرفوع من النساء. (٤)

ويمكن ان يستدل على سقوط الجهاد عن المرأة بقوله سبحانه: { إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } (التوبة/٩٣)، والخوالف النساء.

والمتفق من سيرة المسلمين عدم قيام النساء بمهمة القتال، ولكن لاتدل هذه السيرة وتلك الأدلة على عدم امكانية فرض القتال عليهن في ظروف خاصة؛ مثل قلة الرجال بالنسبة الى النساء، او على عدم كفاية الرجال في الحرب، وما أشبهه. ويمكن ان يستدل على جواز قتال المرأة، (وفي بعض الأحيان وجوبه كما عند الدفاع) بقوله سبحانه: { فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

(١) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ١٥ / (ابواب جهاد العدو الباب ٤ ح ٣).

(٢) المصدر / ص ١٤ / ح ١.

(٣) مستدرک الوسائل (الطبعة الأولى) ج ٢ / ص ٢٤٥ / الباب ٤ / ح ١.

(٤) المصدر / ص ٢٤٦ / ح ٣.

الأنهارُ ثواباً من عند الله والله عندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ { (آل عمران/ ١٩٥) . وذلك لأن الفاء في قوله { فَالَّذِينَ } تفرّيع على قوله سبحانه { أَنِّي لَا أُضِيعُ } ، وقد ذكرت الأنتى فيمن لا يضيع عملها . والله العالم .

٤/ أما الهمّ الكبير من الرجال ، فسقوط الجهاد عنه يعرف من قوله تعالى : { لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ } (التوبة/ ٩١) ، بل وقوله : { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا } (النساء/ ٩٥)

ومن هنا فانما يسقط الجهاد عن الشيخ إذا ضعف عن القتال . أما إذا قوي عليه ، فإنه يجب عليه ، لانه ليس بضعيف . والله العالم .

٥/ وقد اسقطوا الجهاد عن الأعمى والأعرج والمزمن .. والواقع ان مثل هؤلاء هم من اولي الضرر ، ومن الضعفاء ، بل ومن المرضى في وجه . ويلحق بهم كل من يضعف عن القتال ، حتى ولو ضعف في واقعة معينة . مثلاً ؛ إذا وقعت حرب الكترونية في بلد اسلامي ، فالجاهلون بها هم من مصاديق الضعفاء ، لأنهم لا يحسنون هذا النوع من القتال . فلا يجب عليهم ، حتى ولو احسنوا نوعاً آخر من القتال ..

وهكذا لو كانت حاجة المعركة الى رجال اشداء ، فالآخرون هم بالنسبة الى تلك الحرب هم من الضعفاء .

ومن هنا نعرف ان كلمة الضعفاء تتبع المتغيرات في صدقها او عدم صدقها على حالات معينة . وعلى الفقهاء في كل عصر ومصر ، وبالنسبة الى كل حالة أن يستنبطوا حكم المفردات المختلفة من هذه الكلمة ومن غيرها في أبعاد الضعف المسقط للجهاد .

٦/ اما بالنسبة الى الفقر فقد اعترف المحقق الحلبي انه يختلف حسب الحالات ،  
فقال : والفقر الذي يعجز معه عن نفقة طريقه وعياله وعن سلاحه . (١)  
وشرح العلامة النجفي هذه الكلمة بقوله : وأما عدم وجدان النفقة ، فهو مختلف  
بحسب أحوال الشخص بالنسبة الى ما يحتاج اليه من النفقة له ولعياله ، وما يحتاج  
اليه من السلاح من سيف وفرس وسهام ورمح وغير ذلك . فان من الناس من  
يحسن الضرب بالسهم خاصة فيعتبر في حقه ، ومنهم من يحسنه بالسيف فيعتبر في  
حقه ، ومنهم من يعتاد النفقة الواسعة وهو من أهلها فتعتبر في حقه . وهكذا .. (٢)  
وقال المحقق الحلبي : وإذا بذل للمعسر ما يحتاج اليه وجب . (٣) وقال العلامة  
النجفي عن ذلك : بلا خلاف أجده فيه ، كما اعترف في المسالك ، لصدق الوجدان  
حينئذ ، فيندرج في ادلة الوجوب كتاباً لسنة . (٤).  
وقال المحقق الحلبي : ومن عجز عنه بنفسه وكان موسراً ، وجب اقامة غيره .  
وقيل يستحب ، وهو أشبه . (٥)  
وعلق العلامة النجفي على هذه الفقرة (وهو أشبه) بقوله بأصول المذهب  
وقواعده التي منها اصل البراءة . (٦)  
والواقع ان الجهاد بالمال كالجهاد بالنفوس مأمور به . أما كيفية الجهاد بالمال ،  
ومقدار ما يجب ، ومقدار ما يندب منه .. فإنه من شؤون الحرب المتغيرة التي  
تنظمها ولايتها الشرعية .

---

(١) جواهر الكلام / ص ٤٩٩ .

(٢) المصدر / ص ٥٠٠ .

(٣) المصدر / ص ٥٠٣ .

(٤) المصدر .

(٥) المصدر .

(٦) المصدر .

وقال المحقق الحلي : ولو كان قادراً فجهز غيره ، سقط عنه ما لم يتعين عليه .  
(١) وعلق العلامة النجفي على الحكم بقوله : بلا خلاف أجده فيه . بل عن المنتهى  
نسبته الى علمائنا مؤذناً بدعوى الأجماع . (٢)

وقد استدل على هذا الحكم بالحديث المأثور عن الامام الصادق عليه السلام : ان  
علياً عليه السلام سئل عن اجعال الغزو . فقال : لا بأس به ان يغزو الرجل عن  
الرجل ، ويأخذ منه الجعل . (٣)

وهذا الحكم فرع امكانية الاستئجار على الواجب الكفائي . ونحن نرى جوازه  
مطلقاً ، لأنه ترغيب في المبادرة . علماً بأن المبادرة غير واجبة على الأجير . فلو  
اعطى موسر لمعسر المال لكي يبادر الى غسل ميت او دفنه ، كانت الاجارة  
صحيحة ، لانها اجارة على عمل صحيح يتمثل في المبادرة الى القيام بالواجب  
الكفائي . والله العالم .

٧/ مسؤولية القاعدين عن الجهاد تتمثل - حسبما نستوحيه من الآية الكريمة - في  
أمرين :

أ- في النصيحة لله وللرسول ، وألاً يكون عذره الذي يقدمونه للرسول (وللقيادة  
الربانية من بعده) غير كافٍ ، لأن الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره .  
ومن النصيحة نصر المقاتلين بالكلمة الطيبة ، وألاً يصبحوا عيوناً او آذاناً للاعداء  
وللمنافقين .

ب- في الاحسان الذي قد يكون بتجهيز المجاهدين بالسلاح والعتاد والمؤن ،  
حيث جاء في الحديث النبوي : من جهّز غازياً كان له كمثل أجره . (٤) وقد يكون  
بمد يد العون المادي والمعنوي الى أسر المجاهدين ، فقد روي عن أبي عبد الله

---

(١) جواهر الكلام / ص ٥٠٥ .

(٢) المصدر .

(٣) وسائل الشريعة / ج ١١ / ص ٢٢ / الباب ٨ / ح ١ .

(٤) عن كنز العمال / ج ٢ / ص ٢٥٤ / الرقم ٥٤١٩ .

(الامام الصادق) عليه السلام انه قال : ثلاثة دعوتهم مستجابة ؛ احدهم الغازي في سبيل الله فانظروا كيف تخلفونه . (١)

وروي عنه ايضاً ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : من بلغ رسالة غاز كان كمن اعتق رقبة وهو شريكه في ثواب غزوته . (٢)  
وقد يكون في حفظ الغزاة في أهلهم وكف الأذى عنهم ، حيث جاء في الأثر المروي عن الامام الصادق عليه السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : من اغتاب مؤمناً غازياً وآذاه وخلفه في أهله بسوء ، نصب له يوم القيامة فيستغرق حسناته ثم يركس في النار ، إذا كان الغازي في طاعة الله عز وجل . (٣)

### الركن الخامس : ولاية القتال

ولاية القتال للرسول صلى الله عليه وآله ، وللقيادة الربانية من بعده) في كل مراحلها ؛ مثل اعلان الحرب وتعبئة الجيش وحشد الجنود ، وتعيين المقاتلين والاذن لبعضهم بالقتال وبيان ميعاده ، وتحديد موقع المعركة ومواقع القتال ، وبالذات فيما يتصل بقيادة القتال وتقسيم الغنائم .  
وفيما يلي نستعرض باذن الله تعالى هذه المراحل ، ونبين - باذن الله - مدى صلاحية الأولياء من بعد الرسول ، وطبيعة صفاتهم :

### الاعلان الحرب / ١٨٨٨٨٨

- 
- (١) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ١٣ / كتاب الجهاد / الباب ٣ / ح ١ .  
(٢) المصدر / ص ١٤ / ح ٢ .  
(٣) المصدر / ح ٣ .

نستفيد من آيات الكتاب ؛ اختصاص حق اعلان الحرب ، وتعبئة الناس للقتال  
بالنبي

(وأوصيائه بحق) . والأدلة التي تهدينا الى هذه الحقيقة نوعان :

أولاً : دليل عام نهدي به الى أن الحكم للنبي، باعتبار ان الحرب من ابرز شؤون  
الحكم. قال الله سبحانه : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ  
ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا  
{ (النساء/٦٤)

وهذه الآية تهدي الى محورية طاعة الرسول وولايته ، وبعدها تأتي آيات تهدينا  
الى تفصيل ذلك ، حيث تذكر القضاء مثلاً للطاعة ، حيث يقول سبحانه : { فَلَا  
وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا  
قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } (النساء/٦٥)

ثم تهدي الآية التي بعدها الى القتال باعتباره مصداقاً بارزاً للحكومة ،  
وموضوعاً اساسياً لطاعة الرسول ، حيث يقول سبحانه : { وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ  
اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا  
يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا } (النساء/٦٦)

وبعد بيان هذين المصداقين يعود السياق القرآني الى بيان فضيلة الطاعة ، حيث  
يقول سبحانه : { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ  
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } (النساء/٦٩)  
وهكذا بالتفكر في هذه الآيات الكريمة ، نفقه ابعاد الطاعة للرسول في القضاء  
وفي القتال .

ثانياً : دليل يخص القتال ، حيث يتلو الكتاب علينا آيات القتال في سورة النساء  
من الآية (٧١-٧٦) حيث تبين وجوب النفر ثبات او جميعاً ، وتوبخ المتخلفين عن  
القتال ، وتبشر المقاتلين في سبيل الله ، وتشرح غايات القتال وأهداف المؤمنين من  
القتال ، وهدف الكفار منه . ثم يقول سبحانه : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا

أَيْدِيكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَعَاثُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ  
يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا  
أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ  
فَتِيلًا ۝ (النساء/٧٧)

ونستفيد من الآية البصائر التالية :

أ- عند النهي عن القتال والأمر بكف الأيدي ، يجب التوقف عن القتال والقيام  
بالفرائض الأساسية للشريعة ، التي هي مسؤولية المسلم في السلم ؛ مثل إقامة  
الصلاة وإيتاء الزكاة ..

ب- عند الأمر بالقتال يجب النفر اليه ، وعدم خشية أحد سوى الله .

ج- لأن الآية لم تبين شقاً ثالثاً في موضوع القتال ، يرتبط بما اذا لم يكن هناك  
أمر به ولا نهى عنه ، فاننا نستفيد أنه لا يوجد هذا الشق ، لأنه لا بد للدين من كلمة  
في أمر القتال ؛ اما الأمر به ، او النهي عنه .

وبعد معالجة القرآن للعقد النفسية التي تمنع الأفراد من المبادرة الى القتال ؛ مثل  
خوف الموت ، وخشية المصائب بعدئذ .. يقول ربنا سبحانه : { مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ  
فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝ (النساء/٨٠)

وبعد بيان حقيقة الطاعة ، وضرورة ان تكون طاعة في السر والعلن ، يأمر  
القرآن بالتدبير في آياته ، ثم يقول : { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ  
أَدَّعَوْا بِهٖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ  
مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ (النساء/٨٣)

ونستفيد من الآية البصائر التالية :

أ- أن أي أمر (مهم) يتصل بالأمن (في السلم) ، او بالخوف (في أوقات الحرب)  
، لا بد ان يرد الى حكم الله والرسول ، والى أولي الأمر .

ب- ان اولي الأمر (الذين يصلحون لهذه المهمة ، هم الذين) يستبطنون حكم الأمر . (ومعنى الاستنباط ؛ استخراج الحكم من اصول الفقه العامة ، وقواعد الشريعة الاساسية) .

ثم يقول ربنا سبحانه : { فَقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ الْإِنْفُسَ وَحَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً } (النساء/٨٤)

ونستفيد من الآية ؛ ان النبي صلى الله عليه وآله (والقيادة الربانية) يسبق بنفسه الناس الى ما يأمرهم به من قتال الأعداء ، وأنه ليس مسؤولاً عن الآخرين ، ولكنه يحرضهم على القتال . وان الله سبحانه هو الذي يكف بأس الذين كفروا ان شاء . والتحريض هو احد مهام القيادة الميدانية للقتال .

#### تنظيم صفوف المقاتلين /٢٨٨٨٨٨

وإذا كان أمر القتال بيد الرسول ، فان أمر التعبئة وتنظيم القوات ونصب القيادات وتحديد شروط المقاتلين كل ذلك بيده ايضاً ، لانها جميعاً من الشئون الاساسية للقتال . وهكذا نستوحي من آيات الذكر؛ أن النبي صلى الله عليه وآله هو الذي كان يأذن لمن شاء بان يلتحق به ، كما كان يأذن لبعضهم بالانصراف . قال الله سبحانه : { وَإِذَا أَنْزَلْتُمْ سُورَةَ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ } (التوبة/٨٦)

وقال الله سبحانه : { فَإِنْ رَجَعْتَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُواكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ } (التوبة/٨٣)

وقال الله سبحانه : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَنْزَلْنَا مِنْ سَمَوَاتِنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَتَلَوَّنَهَا بِالنُّورِ { (النور/٦٢)

وهكذا نستفيد من مجموع الآيات ؛ أن الاذن بالقتال يجب ان يصدر لكل العناصر المشتركة، كما الاذن بالانصراف. وهذا الاذن يستدعي الاذن بالقتال في جبهة معينة، او ضمن سرية خاصة، او في تشكيلات محددة، لانها جميعاً ترجع حقيقة الى الاذن بالقتال ذاته .

### ٣٨٨٨٨ / القيادة الميدانية

قيادة المعارك وتحديد مواقعها وساعاتها واسلحتها ، هي الاخرى من شؤون الحرب التي تعود الى القيادة الربانية .

أ- وقد كان النبي صلى الله عليه وآله يقود المعارك ، وقد قال الله سبحانه : { وَإِذْ عَدُوٌّ مِنْ أَهْلِكَ تَبَوَّأُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ { (آل عمران/١٢١)

ب- وكان النبي صلى الله عليه وآله يدعو المقاتلين للثبات في المعركة ، حيث قال سبحانه : { إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَعِمُمْ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ { (آل عمران/١٥٣)

ج- ومن هنا قام الأعداء بنشر اكدوبة قتل النبي ، فقال سبحانه : { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ { (آل عمران/١٤٤)

د- وكما النبي ، كذلك سائر الأنبياء والرييون قادوا المعارك ، حيث قال الله سبحانه : { وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ { (آل عمران/١٤٦)

هـ- ولقد أراد النبي موسى عليه السلام قيادة قومه في قتال الأعداء ، ولكن بني اسرائيل أبوا . قال الله عن ذلك : { قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } (المائدة/٢٤)

و- كما قام النبي داود عليه السلام بقتل جالوت ، كبير مقاتلي الكفار ، وهكذا أتاه الله الملك . قال سبحانه : { فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَعَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } (البقرة/٢٥١)

وجاء في السنة : ان النبي ابراهيم عليه السلام قاتل الكفار الذين كانوا قد أسروا لوطاً فانقذه منهم .

#### ٤٨٨٨٨٨ / القتال في العصور الراهنة

هل تنتقل صلاحيات الولاية الالهية بعد المعصومين عليهم السلام الى أحد ، وكيف ؟

للجواب عن هذا السؤال، لابد ان نعرف ان الجهاد نوعان؛ جهاد ابتدائي، و جهاد دفاعي.

ولكل واحد منهما بحوثه الخاصة .

#### ٨٨٨٨٨٨ ألف : الولاية في الجهاد الابتدائي

فيما يتصل بالحرب الرسالية التي تهدف ابلاغ الدعوة الالهية ، والتي تسمى بالجهاد الابتدائي ، يرى أكثر الفقهاء أن امرها يخص المعصومين عليهم السلام فقط . بينما يرى البعض ان الفقيه الجامع للشرائط يجوز له التصدي لهذه المهمة ايضاً .

قال العلامة النجفي في موسوعته الفقهية الجواهر : لا خلاف بيننا ، بل الاجماع بقسميه عليه ، في انه انما يجب (الجهاد) على الوجه المزبور بشرط وجود الامام

عليه السلام وبسط يده او من نصبه للجهاد ، ولو بتعميم ولايته له ولغيره في قطر من الاقطار ، بل اصل مشروعيته مشروط بذلك فضلاً عن وجوبه . (١)  
وقد قال المحقق الحلي في ذلك : بشرط وجود الامام عليه السلام او من نصبه للجهاد . (٢)

ولكن العلامة النجفي عم حكم الولاية فقال بعد ان تلا روايات كثيرة تدل على اشتراط الجهاد (الابتدائي) بوجود الامام ، قال : بل في المسالك وغيرها عدم الاكتفاء بنائب (الامام في عصر) الغيبة (اي العلماء) ، فلا يجوز له توليه . بل في الرياض نفى علم الخلاف فيه ، (٣) حاكياً له (أي لعدم الخلاف) عن ظاهر المنتهى وصريح الغنية إلا من أحمد في الأول ، قال : وظاهرهما الاجماع مضافاً الى ما سمعته من النصوص المعتبرة (التي اشترطت) وجود الامام . (٤)  
واضاف العلامة النجفي : لكن ان تم الاجماع المزبور فذاك ، وإلا أمكن المناقشة فيه

بعموم ولاية الفقيه في زمن الغيبة الشاملة لذلك المعتضدة بعموم ادلة الجهاد فترجح على غيرها . (٥)  
وقد حكي عن آية الله الخوئي قدس سره ، أنه يرى امكانية الجهاد الابتدائي في عصر الغيبة .

هذا وقد سبق الحديث منا ، بان الجهاد الابتدائي بحاجة الى ادلة اضافية لم نعثر عليها ، ولكن اذا ثبت ان الجهاد الابتدائي واجب او مشروع ، فان اشتراطه بحضور الامام المعصوم يعتبر نسخاً لادلته من الكتاب والسنة . وبيان لهذه الحقيقة

---

(١) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ١١ / الطبعة الثانية .

(٢) المصدر .

(٣) أي قال السيد في كتاب الرياض : لا أعلم خلافاً بين الفقهاء أنه لايجوز للعلماء التصدي للجهاد الابتدائي .

(٤) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ١٣-١٤ .

(٥) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ١٤ .

إن المعصوم عليه السلام هو المتكفل بأمر الدعوة المسلحة دون غيره ، إلا أنه قد اشارت الرواية المفصلة التي سوف نستعرضها انشاء الله الى ان حكم الله في الأولين والآخرين واحد .

أما النصوص التي استشهد بها على اشتراط الامام المعصوم عليه السلام ، فمع التدبر فيها وفي سائر الأدلة قد يستوحى منها أنها في مقام نفي قيادة خلفاء الجور . والنص الجامع الذي يفسر سائر النصوص ، والذي يدل متنه على صحته ، بالإضافة الى سنده الحسن ، وبالإضافة الى نقله في امهات كتب الحديث ؛ إن هذا النص هو النص المحكم الذي يجب ان يرد اليه متشابه النصوص ، وقد استدل الامام فيه بعدة من الآيات الشريفة التي هي بذاتها كافية دلالة على الموضوع . ونحن نستعرض النص بتفصيله ثم نستنتج منه البصائر والاحكام الشرعية ، والنص كما يلي : (١)

الامام الصادق عليه السلام يبين احكام الجهاد :

عن أبي عمرو الزهري "الزبيدي" ، عن أبي عبد الله (الامام الصادق) عليه السلام قال : قلت له : اخبرني عن الدعاء الى الله والجهاد في سبيله ، أهو لقوم لا يحلّ إلا لهم ولا يقوم به إلا من كان منهم ، أم هو مباح لكلّ من وحّد الله عز وجل وآمن برسوله صلى الله عليه وآله ؟ ومن كان كذا فله أن يدعو إلى الله عز وجل وإلى طاعته وأن يجاهد في سبيل الله ؟  
الدعوة خاصة برجال :

فقال : ذلك لقوم لا يحلّ إلا لهم ، ولا يقوم لك به إلا من كان منهم . فقلت : من أولئك ؟ فقال : من قام بشرائط الله عز وجل في القتال والجهاد على المجاهدين فهو المأذون له في الدعاء الى الله عز وجل ، ومن لم يكن قائماً بشرائط الله عز وجل

---

(١) لأن هذا الحديث الشريف مفصل ويبين احكاماً هامة ومختلفة ، فقد اخترنا لكل فقرة منه عنواناً ليسهل الاطلاع عليه ، وواضح ان هذه العناوين ليست من متن الحديث .

في الجهاد على المجاهدين فليس بمأذون له في الجهاد والدعاء الى الله حتى يحكم في نفسه بما أخذ الله عليه من شرائط الجهاد . قلت : بين لي يرحمك الله .  
من هم الدعوة:

فقال : ان الله عز وجل أخبر في كتابه الدعاء اليه ، ووصف الدعوة اليه ، فجعل ذلك لهم درجات يعرف بعضها بعضاً ، ويستدل ببعضها على بعض . فأخبر أنه تبارك وتعالى أول من دعا الى نفسه ودعا الى طاعته واتباع أمره ، فبدأ بنفسه فقال : { وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ، ثم تنبأ برسوله فقال : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } يعني القرآن . ولم يكن داعياً الى الله عز وجل من خالف أمر الله ويدعو اليه بغير ما أمر في كتابه الذي أمر أن لا يدعى إلا به . وقال في نبيّه صلى الله عليه وآله { وَإِنَّكَ لَنَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } يقول : تدعو ، ثم تلت بالدعاء اليه بكتابه أيضاً ، فقال تبارك وتعالى : { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ } أي يدعو { وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ } . ثم ذكر من أذن له في الدعاء اليه بعده وبعد رسوله في كتابه ، فقال : { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } . ثم أخبر عن هذه الأمة وممن هي ، وأنها من ذرية ابراهيم وذرية اسماعيل من سكان الحرم ممن لم يعبدوا غير الله قط ، الذين وجبت لهم الدعوة ؛ دعوة ابراهيم واسماعيل من أهل المسجد الذين أخبر عنهم في كتابه أنه أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، الذين وصفناهم قبل هذه في صفة أمة ابراهيم الذين عناهم الله تبارك وتعالى في قوله : { ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي } . يعني أول من اتبعه على الايمان به والتصديق له بما جاء به من عند الله عز وجل من الأمة التي بعث فيها ومنها واليها قبل الخلق ممن لم يشرك بالله قط ، ولم يلبس ايمانه بظلم ، وهو الشرك .

شروط الدعوة والمجاهدين :

ثم ذكر اتباع نبيّه صلى الله عليه وآله ، واتباع هذه الأمة التي وصفها في كتابه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلها داعية اليه ، وأذن له في الدعاء اليه ، فقال : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } ثم وصف اتباع نبيّه صلى الله عليه وآله من المؤمنين ، فقال عز وجل : { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا } الآية . وقال : { يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ } يعني اولئك المؤمنين . وقال : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ } ثم حلاهم ووصفهم كيلا يطمع في اللحاق بهم إلا من كان منهم ، فقال فيما حلاهم به ووصفهم : { الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ } الى قوله : { أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ \* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } . وقال في صفتهم وحليتهم أيضاً : { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ } وذكر (الامام عليه السلام تمام) الآيتين . ثم أخبر أنه اشترى من هؤلاء المؤمنين ومن كان على مثل صفتهم ، أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن . ثم ذكر وفاءهم له بعهدته ومبايعته ، فقال : { وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } . فلما نزلت هذه الآية : { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ } قام رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : أرأيتك يا نبي الله الرجل يأخذ سيفه فيقاتل حتى يقتل إلا أنه يقترب من هذه المحارم أشهيد هو ؟ فأنزل الله عز وجل على رسوله { التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ } وذكر (الامام عليه السلام تمام) الآية . فبشر الله المجاهدين من المؤمنين الذين هذه صفتهم وحليتهم بالشهادة والجنة ، وقال : التائبون من الذنوب ، العابدون الذين لا يعبدون إلا الله ولا يشركون به شيئاً ، الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال في الشدة والرخاء السائحون وهم الصائمون ، الراكعون الساجدون وهم الذين يواظبون على الصلوات الخمس والحافظون لها والمحافظون عليها في ركوعها وسجودها وفي الخشوع فيها وفي

أوقاتها ، الأمرون بالمعروف بعد ذلك ، والعاملون به والناهون عن المنكر والمنتهون عنه . قال : فبشر من قتل وهو قائم بهذه الشروط بالشهادة والجنة . ثم أخبر تبارك وتعالى أنه لم يأمر بالقتال إلا اصحاب هذه الشروط ، فقال عز وجل : { **أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ \* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ** } .

~~~~~  
المؤمنون هم ورثة الأرض :

وذلك ان جميع ما بين السماء والأرض لله عز وجل ، ولرسوله صلى الله عليه وآله ، ولأتباعهم من المؤمنين من أهل هذه الصفة . فما كان عن الدنيا في أيدي المشركين والكفار والظلمة والفجار من أهل الخلاف لرسول الله صلى الله عليه وآله والمولي عن طاعتها مما كان في أيديهم ظلما فيه المؤمنين من أهل هذه الصفات وغلبوهم على ما أفاء الله على رسوله ، فهو حقهم أفاء الله عليهم وردّه اليهم . وإنما كان معنى الفيء كل ما صار الى المشركين ثم رجع مما كان غلب عليه أو فيه فما رجع الى مكانه من قول او فعل فقد فاء مثل قول الله عز وجل : { **لِلَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصًا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** } أي رجعوا . ثم قال : { **وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** } . وقال : { **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ** } أي ترجع { **فَإِنْ فَاءَتْ** } أي رجعت { **فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا** } بالعدل { **وَأَفْسِطُوا** } **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِطِينَ** } يعني بقوله تفيء ترجع . فذلك الدليل على أن الفيء كل راجع الى مكان قد كان عليه او فيه ، ويقال للشمس إذا زالت قد فاءت الشمس حين يفيء الفيء عند رجوع الشمس الى زوالها ، وكذلك ما أفاء الله على المؤمنين من الكفار فانما هي حقوق المؤمنين رجعت اليهم بعد ظلم الكفار إياهم ، فذلك قوله : { **أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا** } . ما كان المؤمنون أحق به منهم ، وإنما أذن للمؤمنين الذين قاموا بشرائط الايمان التي وصفناها ، وذلك أنه لا يكون مأذونا له في القتال حتى يكون مظلوماً ، ولا يكون

مظلوماً حتى يكون مؤمناً ، ولا يكون مؤمناً حتى يكون قائماً بشرائط الايمان التي اشترط الله عز وجل على المؤمنين والمجاهدين . فاذا تكاملت فيه شرائط الله عز وجل كان مؤمناً ، وإذا كان مؤمناً كان مظلوماً ، وإذا كان مظلوماً كان مأذوناً له في الجهاد ، لقول الله عز وجل : { اٰذِنَ لِلَّذِيْنَ يُقَاتِلُوْنَ بِاَنَّهُمْ ظَلَمُوْا وَاِنَّ اللّٰهَ عَلٰى نَصْرِهِمْ لَقَدِيْرٌ } .

^^^^^الظالم يجاهد ولا يجاهد :

وإن لم يكن مستكماً لشرائط الايمان ، فهو ظالم ممن يبغى ويجب جهاده حتى يتوب . وليس مثله مأذوناً له في الجهاد والدعاء إلى الله عز وجل ، لأنه ليس من المؤمنين المظلومين الذين أذن لهم في القرآن في القتال . فلما نزلت هذه الآية { اٰذِنَ لِلَّذِيْنَ يُقَاتِلُوْنَ بِاَنَّهُمْ ظَلَمُوْا } في المهاجرين الذين أخرجهم أهل مكة من ديارهم وأموالهم أحلّ لهم جهادهم بظلمهم إياهم ، وأذن لهم في القتال ، فقلت : فهذه نزلت في المهاجرين بظلم مشركي أهل مكة لهم ، فما بالهم في قتالهم كسرى وقيصر ومن دونهم من مشركي قبائل العرب؟

^^^^^جواز القتال للمؤمنين الصادقين :

فقال: لو كان إنما أذن في قتال من ظلمهم من أهل مكة فقط لم يكن لهم إلى قتال جموع كسرى وقيصر وغير أهل مكة من قبائل العرب سبيل ، لأن الذين ظلموهم غيرهم، وإنما أذن لهم في قتال من ظلمهم من أهل مكة لاخراجهم إياهم من ديارهم وأموالهم بغير حق . ولو كانت الآية إنما عنت المهاجرين الذين ظلمهم أهل مكة ، كانت الآية مرتفعة الفرض عمّن بعدهم إذا لم يبق من الظالمين والمظلومين أحد ، وكان فرضها مرفوعاً عن الناس بعدهم إذا لم يبق من الظالمين والمظلومين أحد . وليس كما ظننت ولا كما ذكرت، لكن المهاجرين ظلموا من جهتين : ظلمهم أهل مكة باخراجهم من ديارهم وأموالهم فقاتلوهم بأذن الله لهم في ذلك ، وظلمهم كسرى وقيصر ومن كان دونهم من قبائل العرب والعجم بما كان في أيديهم مما كان المؤمنون أحقّ به منهم ، فقد قاتلوهم بأذن الله عز وجل لهم في ذلك . وبحجة هذه

الآية يقاتل مؤمنو كلِّ زمان ، وإنما أذن الله عز وجل للمؤمنين الذين قاموا بما وصف الله عز وجل من الشرائط التي شرطها الله عز وجل على المؤمنين في الايمان والجهاد ومن كان قائماً بتلك الشرائط فهو مؤمن وهو مظلوم ومأذون له في الجهاد بذلك المعنى .

^^^^ لايجوز للظالم الجهاد :

ومن كان على خلاف ذلك فهو ظالم وليس من المظلومين ، وليس بمأذون له في القتال ، ولا بالنهي عن المنكر والأمر بالمعروف ، لأنه ليس من أهل ذلك . ولا مأذون له في الدعاء الى الله عز وجل ، لأنه ليس يجاهد مثله ، وأمر بدعائه الى الله . ولا يكون مجاهداً من قد أمر المؤمنون بجهاده وخطر الجهاد عليه ومنعه منه ، ولا يكون داعياً الى الله عز وجل من أمر بدعائه مثله الى التوبة والحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يأمر بالمعروف من قد أمر ان يؤمر به ، ولا ينهى عن المنكر من قد أمر أن ينهى عنه .

^^^^ حكم الله في الأولين والآخرين واحد :

فمن كانت قد تمت فيه شرائط الله عز وجل التي وصف بها أهلها من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وهو مظلوم ، فهو مأذون له في الجهاد كما أذن لهم في الجهاد ، لأن حكم الله عز وجل في الأولين والآخرين وفرائضه عليهم سواء إلا من علة او حادث يكون ، والأولون والآخرين أيضاً في منع الحوادث شركاء ، والفرائض عليهم واحدة . يسأل الآخرون من أداء الفرائض عما يسأل عنه الأولون ، ويحاسبون عما به يحاسبون . ومن لم يكن على صفة من أذن الله له في الجهاد من المؤمنين ، فليس من أهل الجهاد ، وليس بمأذون له فيه حتى يفىء بما شرط الله عز وجل . فاذا تكاملت فيه شرائط الله عز وجل على المؤمنين والمجاهدين ، فهو من المأذونين لهم في الجهاد . فليتنق الله عز وجل عبد ، ولا يغتر بالأمانى التي نهى الله عز وجل عنها من هذه الأحاديث الكاذبة على الله التي يكذبها القرآن ، ويتبرأ منها ومن حملتها ورواتها .

^^^^^ الاحتكام الى القرآن قبل الجهاد :

ولا يقدم على الله عز وجل بشبهة لا يعذر بها ، فانه ليس وراء المتعرض للقتل في سبيل الله منزلة يؤتى الله من قبلها ، وهي غاية الأعمال في عظم قدرها . فليحكم امرؤ لنفسه ، وليرها كتاب الله عز وجل ويعرضها عليه ، فانه لا احد أعلم بالمرء من نفسه ، فان وجدها قائمة بما شرط الله عليه في الجهاد فليقدم على الجهاد .

^^^^^ تزكية النفس قبل جهاد العدو :

وان علم تقصيراً فليصلحها وليقمها على ما فرض الله تعالى عليها من الجهاد، ثم ليقدم بها وهي طاهرة مطهرة من كل دنس يحول بينها وبين جهادها. ولسنا نقول لمن أراد الجهاد وهو على خلاف ما وصفنا من شرائط الله عز وجل على المؤمنين والمجاهدين : لا تجاهدوا ، ولكن نقول : قد علمناكم ما شرط الله عز وجل على أهل الجهاد الذين بايعهم واشتري منهم أنفسهم وأموالهم بالجنان. فليصلح امرؤ ما علم من نفسه من تقصير عن ذلك، وليعرضها على شرائط الله عز وجل ، فان رأى أنه قد وفي بها وتكاملت فيه فانه ممن أذن الله عز وجل له في الجهاد ، وإن أبى إلا أن يكون مجاهداً على ما فيه من الاصرار على المعاصي والمحارم . والاقدام على الجهاد بالتحبيب والعمى ، والقنوم على الله عز وجل بالجهل والروايات الكاذبة ، فلقد لعمرى جاء الأثر فيمن فعل هذا الفعل ان الله تعالى ينصر هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم . فليثق الله عز وجل امرؤ وليحذر ان يكون منهم ، فقد بين لكم ولا عذر لكم بعد البيان في الجهل ، ولا قوة إلا بالله ، وحسبنا الله عليه توكلنا وإليه المصير . (١)

ومثل هذا النص الشريف أحاديث أخرى ، يؤكد كل نص منها جانباً او أكثر من بصائر هذا الحديث ، والتي نختصرها فيما يلي :

ان الدعوة الى الله والجهاد في سبيله ، خاصة بمن تتوافر فيه شروطها التالية :  
أ- الايمان بالله وعدم الشرك به أبداً ، (وهذا يتحقق في المعصومين) .

(١) وسائل الشيعة ج ١١ / ص ٢٣ - ٢٨ / ابواب جهاد العدو - الباب ٩ / ح ١ .

ب- او اتباع الرسول ، بأن يكون من الذين وصفهم الله بالشدة على الكفار والتراحم فيما بينهم ، والتبتل الى الله بالركوع والسجود ، وان يكون من الذين نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، وان يكون من المؤمنين الذين قد أفلحوا بخشوعهم في الصلاة ، وادائهم للزكاة ووفائهم بالعهد ، خصوصاً عهدهم مع الله ورسوله .

ج- وهكذا اذن لمثل هؤلاء بالقتال، وهم الذين ان مكنهم الله في الأرض اقاموا الصلاة  
وآتوا الزكاة .

د- والمؤمن حقاً هو الذي جعل الله له ما في السموات والارض ، وحينما سلب ماله اصبح مظلوماً . ويحق للمظلوم ان يطالب بحقه بالقتال ، ويكون ما يأخذه من الكفار فيئاً ؛ أي مالاً يرجع اليه .

هـ- ان مؤمني كل زمان يقاتلون الكفار بحجة هذه الآية ايضاً، حيث يقول ربنا سبحانه: { **أَنْ لِّلَّذِينَ يُفَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** } (الحج/٣٩) لأنهم قد ظلموا حقهم . و انما يجوز للمؤمنين دون غيرهم ذلك ، لانهم المظلومون حقاً . لان حكم الله في الأولين والآخرين واحد ، وفرائضه عليهم سواء ، إلا من علة او حادث يكون .

وهكذا أكد الامام عليه السلام على استمرار فريضة الجهاد على مؤمني كل زمان ، إذا تكاملت فيهم صفات الايمان المذكورة في الكتاب الكريم . وبهذا يستدل على بقاء حكم الجهاد وعدم نسخه بعد عصر المعصومين عليهم السلام .

وكلمة اخيرة حول هذا الحديث الكريم ؛ أنه لم يحدّد أمر الجهاد بالفقيه الولي ، وانما اطلقه لكل المؤمنين . فهل هذا يعني امكانية الجهاد لكل شخص من المؤمنين ؟

ربما يقال لا ، لان الحديث لم يكن في صدد بيان أمر الجهاد من كل النواحي ، بل فقط من ناحية عدم جوازه لكل الناس . اما شروطه الأخرى ، فان سائر الأدلة التي استعرضنا بعضاً منها في هذا الفصل هي الكفيلة ببيانها . والله العالم .  
على ان الحديث يخص - حسبما يبدو - مسألة الجهاد الابتدائي الذي يسمى بجهاد الدعوة إن قلنا به ، اما جهاد الدفاع فلا .

~~~~~  
بء : جهاد الدفاع

قال المحقق الحلبي في كتابه "شرائع الاسلام" : وقد تجب المحاربة على وجه الدفع ، كأن يكون بين أهل الحرب ويغشاهم عدو يخشى منه على نفسه ، فيساعدهم دفعاً عن نفسه ، ولا يكون جهاداً . (١)

ولكن العلامة النجفي خالفه في ذلك بقوله : قد يقال بجريان الاحكام المزبورة عليه (أي احكام الجهاد)، إذا كان مع امام عادل عليه السلام او منصوبه وإن كان هو دفاعاً ايضاً ، لكنه مع ذلك هو جهاد كما وقع لرسول الله صلى الله عليه وآله لما دهم المشركون الى المدينة . (٢) واطلاق المصنف وغيره نفي الجهاد عنه انما هو مع عدم وجود الامام العادل عليه السلام ولا منصوبه . فهو - حينئذ ليس إلا دفاعاً - . (٣)

ولكي تتوضح حقائق الدفاع واحكامه ، لا بد ان نميّز بين اقسامه :

١/ الدفاع عن النفس دفاعاً ذاتياً .

مثل ذلك ان يهجم عليك معتد ، فتدافع عن نفسك بصدده ؛ لا فرق ان يكون خطره على نفسك او على عرضك او على مالك او على حرمة من حرمتك . وقد سبق جواز ذلك ، وبيّنا بعض احكامه في فصل الاحصان .

---

(١) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ١٤-١٥ / الطبعة الثانية .

(٢) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ١٥ .

(٣) المصدر .

## ٢ / الدفاع عن النفس دفاعاً جمعياً .

ومثله ان يكون المرء في أرض فيهجم عليها العدو . فهو يدافع عن نفسه ليس إلا ، لكنه قد ينظم هذا الدفاع ضمن اطار الدفاع الجمعي . وهذا الفرض هو الذي ذكره في الشرائع . وجاءت رواية في حكمه ، عن طلحة بن زيد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن رجل دخل أرض الحرب بأمان فغز القوم الذين دخل عليهم قوم آخرون . قال : على المسلم أن يمنع نفسه ويقاوم عن حكم الله وحكم رسوله . وأما أن يقاتل الكفار على حكم الجور وسنتهم ، فلا يحل له ذلك . (١)

## ٣ / الدفاع عن المسلمين وحرمتهم .

ومثله تعرض اقلية مسلمة للابادة ، حيث يجب على المسلمين ان يهرعوا لمساعدتهم . وهذا هو الذي استفاده المفسرون من قوله سبحانه : { وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ

الظَّالِمِ أَهْلِهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا } (النساء/٧٥) . ويعتبر بعض فقهاء القانون هذا النوع من الدفاع دفاعاً مشروعاً ، لان قيمة كل بلد انما هي بمدى بسط العدل فيه . فاذا انعدم العدل فيه بالنسبة الى اتباع بلد آخر (من الاقليات) ، انعدمت قيمة ذلك البلد ، وسقطت حرمتها ، وجاز الهجوم عليها . (٢)

واعتبر بعضهم هذا الدفاع مشروعاً ، لانه نوع من الدفاع عن النفس . (٣) وقد سبق الحديث عن هذا النوع من الدفاع ، وبيننا مشروعيته . ويبدو ان مشروعية هذا النوع من الدفاع لا تتنافى مع اشراطه ببعض القيود ، مثل ألا تكون

(١) وسائل الشريعة / ج ١١ / ص ٢٠-٢١ / الباب ٦ / ح ٣ .

(٢) هايد " توسل به زور " در روابط بين الملل حميد حيدري / ص ٨١ .

(٣) والداك ، باوت ومك نر راجع المصدر .

الحرب ذات ضرر أكبر على المسلمين من الخسارة التي تلحق بهم وبكرامتهم .  
والله العالم .

واشترط بعض فقهاء القانون لجواز التدخل العسكري لانقاذ اتباع البلد ، ان  
يكون الخطر عليهم يهدد أمن الدولة المتبوعة ، وان يكون متناسباً لحجم الحرب .  
(١)

#### ٤/ الدفاع عن الوطن الاسلامي .

مثله تعرض الدولة الاسلامية لهجوم عسكري من قبل الأعداء ، بحيث خشي  
على بيضة الاسلام، فيجب الدفاع. ويعتبر العلامة النائيني بيضة الاسلام التي يجب  
الدفاع عنها : الوطن الاسلامي . ولكن يبدو ان التعبير الفقهي "بيضة الاسلام"  
اكثر دقة من الوطن الاسلامي ، إذ هو يعني اصل الاسلام . ومعنى تعرضه  
للخطر ، تهديد الوجود الاسلامي والكيان الاسلامي للخطر ، مما يحمل في طياته  
معنى الخطر الكبير .

وقد جاء في الحديث المروي عن يونس قال : سأل أبا الحسن عليه السلام رجل  
وأنا حاضر ، فقلت له : جعلت فداك إن رجلاً من مواليك بلغه أن رجلاً يعطى سيفاً  
وقوساً في سبيل الله فأتاه فأخذهما منه ثم لقيه أصحابه فاخبروه أن السبيل مع هؤلاء  
لا يجوز ، وأمره بردهما . قال : فليفعل . قال : قد طلب الرجل فلم يجده . وقيل له  
: قد قضى الرجل . قال : فليرابط ولا يقاتل . قال : مثل قزوين وعسقلان والديلم  
وما أشبه هذه الثغور . فقال : نعم . قال : يجاهد ؟ قال : لا ، إلا أن يخاف على دار  
المسلمين . أرأيتك لو ان الروم دخلوا على المسلمين لم ينبغ لهم أن يمنعوهم . قال :  
يرابط ولا يقاتل ، وان خاف على بيضة الاسلام والمسلمين قاتل فيكون قتاله لنفسه  
ليس للسلطان ، لأن في دروس الاسلام دروس نكر محمد صلى الله عليه وآله .  
(٢)

(١) المصدر عن كتاب تنبيه الأمة وتنزيه الملة ص ٧ .  
(٢) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ١٩-٢٠ / ابواب الجهاد / الباب ٦ / ح ٢ .

ونستفيد من هذا الحديث ان الخوف على دار الاسلام جاء مثلاً للخوف عن بيضة الاسلام . ولكن في فقرة تالية اضيف الى بيضة الاسلام بيضة المسلمين ، والتعبير به اشمل من بيضة الاسلام . فقد لا يكون الخطر على دار الاسلام ، ولكن يكون على المسلمين .

وأنى كان فان هذا التعبير ليس محور النصوص القرآنية ، مما يجعلنا في غنى عن البحث حوله .

بلى ؛ التعبير القرآني هو الذي سبق وان تحدثنا عنه في بحث غايات القتال من الاخراج من الديار والاموال ، وقد استوحينا منه جواز الحرب من أجل المحافظة على الاستقلال في مقابل أي تهديد . فالدفاع عن حرمة الانسان (وحرية) في مقابل كل قوة معتدية ، دفاع جائز ، وانه يمكن ان يكون في سبيل الله إذا كانت النية خالصة .

بين الدفاع والجهاد :

هل تجري احكام الجهاد على الدفاع ؟

سبق وان نقلنا عن المحقق الحلي رأيه في أن الدفاع ليس جهاداً ، بينما اعتبر العلامة النجفي الدفاع جهاداً عندما يكون بأمره الامام العادل ، لا في غير هذه الحالة . ولكنه قال : - بل ظاهر غير واحد كون الدفاع عن بيضة الاسلام مع هجوم العدو - ولو في زمن الغيبة - من الجهاد ، لاطلاق الأدلة ، واختصاص النواهي بالجهاد ابتداءً للدعاء الى الاسلام من دون امام عادل او منصوبه ، بخلاف المفروض الذي هو من الجهاد من دون اشتراط حضور الامام ولا منصوبه ولا اذنهما في زمان بسط اليد ، والأصل بقاؤه على حاله . (١)

---

(١) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ١٥ / الطبعة الثانية .

وقد ذهب أغلب الفقهاء الى عدم اشتراط الدفاع باذن الفقيه ، إلا ان بعضهم جعل قيادة هذا النوع من الحرب بيد الفقيه الجامع للشرائط . ( ١ )  
ولكن يبدو ان كلام اغلب الفقهاء في عدم اشتراط اذن الفقيه اعم من عدم وجوب استيذانه . فهو في مقابل وجوب اذن الامام المعصوم في الجهاد الابتدائي ، اذ امر الجهاد الابتدائي بيد الانسان ، ويمكن تركه لحين استيذان الامام . بينما الدفاع ليس كذلك ، لان أمره بيد العدو المهاجم . ولكن لا يعني ذلك المبادرة بالحرب من دون الرجوع الى الفقيه المبسوط اليد عند امكانه ، خصوصاً عند من يرى بالولاية المطلقة للفقيه حسب استفادته من الأدلة .

ومن هنا فان علينا ان نفرق بين أمرين :

أ- ضرورة التمسك بولاية الفقيه عند توفرها في كل أمر اجتماعي ، وفي الحرب الدفاعية ايضاً .

ب- عدم اشتراط اذن الولاية في الدفاع . فالدفاع واجب على أي حال ، والولاية واجب آخر .

وهكذا يجب الرجوع الى الولاية عند الامكان في تنظيم الدفاع ، وذلك للدلالة التالية :

أ- الأدلة التي استعرضناها في ضرورة القيادة الربانية في أمور القتال لا تخص الجهاد الابتدائي ، بل تشمل الدفاعي ايضاً . خصوصاً وإن تقسيم القتال الى نوعي الابتدائي والدفاعي لا نجده في آيات الكتاب ، بل ولا في نصوص الروايات إلا لبيان بعض الاحكام الثانوية . وقد سبق أن اكثر انواع القتال هي الدفاعية بالمعنى الأوسع للدفاع ، فكيف نخصص احكامه بالقتال الابتدائي (جهاد الدعوة) وهو القسم النادر ان كان ؟

---

(١) عن شرح التبصرة / للمحقق اغا ضياء العراقي ج ٤ / ص ٣٨٥ (نقلأ من كتاب "توسل به زور" ) .

ب- عموم او اطلاق الادلة التي استفاد منها الفقهاء ، ولاية الفقيه في الأمور التي ترتبط بتنظيم المجتمع وقيادة شؤنه العامة . ولا ريب ان القتال ولو كان دفاعياً ، من أبرز مصاديق تلك الشؤون .

ج- ان للقتال - ولو كان دفاعياً - احكامه التي سوف نستعرض طائفة منها في المستقبل انشاء الله ، ومنها ما سبق ، وان معرفة تلك الاحكام وتطبيقها على موضوعاتها المتغيرة والمختلفة بحاجة الى بصيرة فقهية ، قلما يستطيع حتى الفقهاء الحصول عليها . (والدليل على ذلك مدى اختلافهم في فروع الدفاع) ، فكيف بالعوام ؟

بهذه الأدلة نستطيع ان نستدل على ولاية الفقيه على شؤون القتال بانواعه . ولكن ذلك لا يعني توقف القتال الدفاعي عليها ، واشتراطه بها . والله العالم .

## ٨٨٨٨ الركن السادس : القتال في الأشهر الحرم ، وفي الحرم

٨٨٨٨ ألف / القتال في الأشهر الحرم :

(البقرة / ٢١٤) ، (البقرة / ١٩٠) ، (التوبة / ٥) ؛ هل يحرم القتال بوجه مطلق في الأشهر الحرم التي هي : ذو القعدة وذو الحجة ومحرم وشهر رجب ؟ قال المحقق الحلي : ويحرم الغزو في الأشهر الحرم ، إلا ان يبدء الخصم ، او يكون ممن لا يرى للأشهر حرمة . (١)

وقال العلامة النجفي : إن اصحابنا قالوا إن تحريم القتال في الأشهر الحرم باق الى الان لم ينسخ في حق من يرى للأشهر الحرم حرمة للاصل . وأما من لا يرى لها حرمة فانه يجوز قتاله فيها . وذهب جماعة من الجمهور (علماء السنة) الى انهما (القتال في الأشهر الحرم وفي الحرم) منسوختان . (٢)

(١) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٣٢ / الطبعة الثانية .

(٢) المصدر / ص ٣٣ .

ولكي نستوضح هذه المسألة لابد ان نستعرض اولاً أدلة حرمة هذه الأشهر ،  
وهي الآيات التي أشرنا اليها سلفاً ، بالاضافة الى قوله سبحانه : { إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ  
عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ  
حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا  
يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } (التوبة/٣٦)

وقول الله سبحانه : { إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ  
عَامًا

وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤَاطِطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءِ  
أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } (التوبة/٣٧)

فان من معنى حرمة الأشهر ، حرمة القتال فيها . وقد نهى ربنا سبحانه من ان  
نظلم انفسنا فيها (بانتهاك حرمتها او بنسيئها وزحقتها الى غيرها) .  
والآية الثانية نهت عن تغيير الأشهر ، حيث كان الجاهليون يزحلقون شهراً  
محرمًا ليتسنى لهم القتال فيه ، فيقولون : أن محرم هذه السنة قد اصبح في صفر ،  
وان صفر اصبح محرماً .

والنهي عن ذلك يدل على حرمتها ، وحرمتها تدل على حرمة القتال فيها .

وقد استثنى ربنا سبحانه عن ذلك موردين :

الأول : مورد الفتنة ، حيث قال سبحانه : { وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ  
وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ  
الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلَكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ }  
(البقرة/١٩١)

الثاني : مورد القصاص ، حيث قال سبحانه : { وَالْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ }  
(البقرة/١٩٤)

وقد ورد في الحديث المأثور استثناء آخر ، هو ألا يرى العدو حرمة لهذه الأشهر .  
ولكن هذا المورد يعود بالتالي الى المورد الثاني ، وهو ان الحرمان قصاص .

فاذا لم ير العدو حرمة هذا الشهر ، فهو لا يحترمه بالطبع مما يسوِّغ عدم حرمة قصاصاً .

عن العلاء بن الفضيل قال : سألته عن المشركين ايتديهم المسلمون بالقتال في الشهر الحرام ؟ فقال : إذا كان المشركون يبتدونهم باستحلاله ثم رأى المسلمون انهم يظهرون عليهم فيه ، وذلك قول الله عز وجل { الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ } (البقرة/ ١٩٤) . والروم في هذا بمنزلة المشركين ، لأنهم لم يعرفوا للشهر الحرام حرمة ولا حقاً ، فهم يبتدون بالقتال فيه . وكان المشركون يرون له حقاً وحرمة ، فاستحلوه فاستحلّ منهم ، وأهل البغي يبتدون بالقتال .  
(١)

ويبقى سؤال : ماهي الفتنة هنا ؟

والجواب : ان الحرمات التي لا بد من المحافظة عليها تنظر اليها كحرمة واحدة . فاذا انتهك العدو (مشركون من قريش مثلاً) حرمة المسجد الحرام ، واخرجوا أهله منه ، بالرغم من أنه حرمة معترف بها عندهم ، فلا يحق لهم مطالبة المسلمين بالمحافظة على حرمة الشهر الحرام ، لان الحرمات قصاص . ومن هنا فلو افترضنا ان العدو قام بهجوم صاعق في الاسبوع الأخير من شهر شوال ، واحتل اراضي المسلمين ، ثم لما أهل شهر ذي القعدة الحرام أعلن وقف اطلاق النار ، واحتتمى بحرمة هذا الشهر . فهل يتركه المسلمون يتنهأ بنصره ؟ كلاً ؛ بل يجوز لهم رد عدوانه ، انطلاقاً من ان الفتنة أكبر من القتل . والله العالم

وكلمة أخيرة ؛ يبدو من هذه الآية : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَرَالُونَ يِقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتِطَاعُوا وَمَنْ يَرُدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ

(١) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٥٢ / الباب ٢٢ / ح ١ .

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (البقرة/ ٢١٧) ان  
الحكمة في حرمة الأشهر المعينة تأمين سفر الحجاج الى البيت الحرام ، وذلك  
لقوله سبحانه : { وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } .

وهكذا يظهر ذلك من قوله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ  
لَكُمْ بِهَيْمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا  
يُرِيدُ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا  
الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ  
فَأَصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا  
وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ  
شَدِيدُ الْعِقَابِ } (المائدة / ٢-١)

فاذا كانت بلاد القتال لا ترتبط بالحج ، ولا يؤثر القتال فيها على حركة الحجاج ،  
فهل تبقى حرمة الأشهر بقوتها ؟

يعتمد الجواب عن هذا السؤال على معرفة ان هذه الحكمة هي الحكمة الوحيدة  
لحرمة

الأشهر ، أم ان هناك حكماً أخرى ، خصوصاً وان القرآن الكريم قال : { إِنَّ عِدَّةَ  
الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا  
أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا  
يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } (التوبة/ ٣٦)

وهكذا ارتبط عدد الأشهر وحرمة بعضها بالسنة الالهية في خلق السموات  
والأرض ، وبالدين القيم . فكيف يجوز خرقها ؟

ولعل السنة الالهية قد قضت بايجاد زمن أمن ومكان أمن ، لكي تتوفر للمقاتلين  
فرصة التفكير الجدي في السلام ، كما يتوفر للمصلحين فرصة العمل من أجل  
السلام .

وعلى أية حال فاننا بحاجة الى المزيد من الدراسة والبحث في موضوع الأشهر الحرم ، والله المستعان .

#### ^^^^بء / القتال في البلد الحرام :

(البقرة/١٨٧) ؛ قال المحقق الحلي فيما يتصل بحرمة القتال في الحرم : ويجوز القتال في الحرم ، وقد كان محرماً فَنسخ . (١) ومثل المحقق غيره من العلماء الذين تعرضوا للمسألة . بينما لم يتعرض لها طائفة منهم ، مثل ابي الصلاح في الكافي الذي تعرض فقط عن القتال في الأشهر الحرم . (٢) وكذلك الشيخ الطوسي في النهاية ، (٣) وهكذا ابن البراج في المذهب . (٤)

أما الراوندي في فقه القرآن فقد قال : وقيل (إن قوله تعالى) { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ } (الأنفال/٣٩) ، ناسخة للآية الأولى التي تضمنت النهي عن القتال عند المسجد الحرام حتى يبدأوا بالقتال . لأنه اوجب قتالهم على كل حال حتى يدخلوا في الاسلام ، (لان الله يقول) { حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ } (البقرة/١٩١) ، أي حيث وجدتموهم في حل او حرم ، وقوله تعالى : { مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُ } (البقرة/١٩١) أي من مكة ، وقد فعل رسول الله لمن لم يسلم منهم يوم الفتح . (٥)

وعلى أي حال ، فالدليل على حرمة المسجد الحرام ما يلي :

أولاً : عموم واطلاق أدلة حرمة الحرم . إذ ان من ابعاد معنى الحرمة ؛ حرمة القتال في هذا البلد . وذلك مثل قوله سبحانه : { فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَللّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } (آل عمران /٩٧) .

(١) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٣٣ / الطبعة الثانية .

(٢) سلسلة الينابيع الفقهية / ج ٩ / ص ٣٨ .

(٣) المصدر / ص ٥١-٥٢ .

(٤) المصدر / ص ٨٤ .

(٥) سلسلة الينابيع الفقهية / ج ٩ / ص ١١٨ .

وقوله عز وجل : { حَرَمًا ءَامِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ } (العنكبوت/٦٧) .  
وقوله سبحانه : { وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ } (المائدة/٢) .  
وقال تعالى : { وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ  
مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ  
السُّجُودِ } (البقرة/١٢٥) .

ثانياً : خصوص قوله سبحانه : { وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ  
أَخْرَجُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ  
فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ \* فَإِن انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }  
(البقرة/١٩١-١٩٢) .

ثالثاً : جملة الأحاديث التي استفاضت حول حرمة المسجد الحرام ، وحرمة  
رواده من البشر والحيوان ، وحتى حرمة النباتات فيه . انها جميعاً سالمة من  
التخصيص او النسخ إلا ما سبق ، وان نقلناه عن الراوندي في فقه الآيات ، حيث  
نسب النسخ الى قيل .

وحكى في الجواهر عن الكنز ما يدل على انه مستند القول بالنسخ ، حيث ان  
الفقيه السبزواري استند ايضاً بذلك على النسخ ، (١) فقال حكاية عن الكنز ما يلي  
: هذه الآية (البقرة/١٨٧) ناسخة لكل آية فيها امر بالموادعة او الكف عن القتال ،  
كقوله : { وَدَعِ أَذَاهُمْ } (الاحزاب/٤٨) ، وقوله : { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ }  
(الكافرون/٦) ، وامثاله . لان حيث للمكان ، أي في أي مكان ادركتموهم من حل  
او حرم ، وكان القتال في الحرم محرماً ثم نسخ بهذه الآية وأمثالها . فصدرها ناسخ  
بعجزها . (٢)

ولنا ملاحظات على ما قال :

أولاً : ان كلام الكنز ليس حجة بذاته ، لولم يستند الى حجة .

(١) مهذب الاحكام / ج ١٥ / ص ٢٤ / طبعة النجف الاشرف .

(٢) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٣٤ .

ثانياً : إن عموم الأمر بالقتال يخصص بحرمة القتال في الحرم ، وليس العكس . وهذا هو المعتمد عند الفقهاء في الأصول ، فكيف ولماذا انعكس ؟ وإذا فتحنا باب نسخ الأوامر الخاصة بالأوامر العامة ، فإنه يستلزم انشاء فقه جديد . وهكذا نرى ان آيات حرمة الحرم محكمة ، وعلينا العمل بها ، وصيانة حرم الله من كل خوف ، وحياطته بكل أمن ، والله المستعان .

### ٨٨٨٨ الركن السابع : أسلحة القتال

قال الله سبحانه : { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ } (الانفال/٦٠)

وقال تعالى : { فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مِنْهَا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَى صَرْحَهُمْ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيُنذِرَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِيْنَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ } (محمد/٤)

نستفيد من هذه الآيات وآيات أخرى؛ ان تحقيق النصر واجب بكل الاسلحة الممكنة، وان القتل من وسائل الحرب التي لا غنى عنه. ولكن هناك بصائر نستوحىها من النصوص الشرعية ، نذكرها فيما يلي :

١/ ان الحرب حالة غير طبيعية ، وكذلك ما تحتوي عليها الحرب من عمليات الابداء والتخريب .. وذلك لان الله سبحانه خلق الخلق ليرحمهم ، لا ليعذبهم . وقد سميت الحرب بالاعتداء ، حتى الجائر منها ، حيث قال سبحانه : { فَمَنْ اَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } (البقرة/١٩٤)

وقد جعلت الغايات التي من أجلها يحارب المؤمنون ، جعلت غاية للحرب (بمعنى انتهاء الحرب عند بلوغها) ، حيث قال سبحانه : { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ } (البقرة/١٩٣) ، { حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ } (التوبة/٢٩) ، { فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ } (البقرة/١٩٣) .

ويستفاد من هذه الآيات ؛ ان الحرب وسيلة مشروعة لتحقيق هدف ، فاذا تحقق انتفت شرعيتها .

وكما الحرب ذاتها وسيلة شرعية محدودة باسبابها واهدافها ، كذلك حقائق الحرب . فالقتل والتخريب والافساد وما أشبه .. انما هي محدودة بقدر الاسباب والغايات . فلو أمكن الانتصار بقتل مائة ، اقتصر عليهم ، ولا يسرف في قتل ألف ، لان الحرب تنتهي عند قتل مائة . فلماذا الزيادة ، أولم يقل ربنا سبحانه : { فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ } (البقرة/١٩٣) ؟

وكذلك لو ان العدو يستسلم باحتلال قسم من اراضيه او ضرب قسم من منشآته ، اكتفي بذلك القسم .

٢/ استخدام اسلحة الدمار الشامل (الذرية والكيمياوية والجرثومية) لايجوز اذا كانت الدولة الاسلامية قد وقعت على معاهدة منع انتشارها ، لان العهود محترمة عند الدين ولا يجوز انتهاكها إلا إذا انتهاكها العدو ، حيث قال سبحانه : { فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ } (التوبة/٧) . (١)

٣/ إذا لم تكن الدولة قد التزمت بميثاق حول اسلحة الدمار ، فان استخدامها حرام إذا

كانت غير ضرورية ، وكانت الاسلحة التقليدية تكفي مؤنتها . وذلك لما سبق وان بينا بأن علينا الاكتفاء بأقل قدر ممكن من الدمار والقتل في الحرب .

٤/ أما عند الضرورة ، فقد قال المحقق الحلي : ويجوز محاربة العدو بالحصار ، ومنع السابلة دخولاً وخروجاً ، وبالمناجيق وهدم الحصون والبيوت ، وكلما

(١) سوف نبحت - انشاء الله - احترام العهود والمواثيق في فصل لاحق .

يرجى به الفتح . ويكره قطع الاشجار ، ورمي النار وتسليط المياه إلا مع الضرورة . ويحرم القاء السم ، وقيل يكره وهو أشبه . فان لم يمكن الفتح إلا به جاز . (١)  
وحكي عن الشهيد في كتابه الدروس ، حرمة قتل المشركين بمنع الماء مع الاختيار . (٢)

وجاء في أحاديث النهي عن قطع الاشجار إلا عند الاضطرار ، انه روي عن الامام الصادق عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد ان يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم يقول : سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ، لا تغلوا ولا تمتلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة ولا تقطعوا شجراً إلا ان تضطروا إليها ، وأيما رجل من أدنى المسلمين او افضلهم نظر الى احد من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله ، فان تبعكم فأخوكم في الدين ، وإن أبى فأبلغوه مأمنه ، واستعينوا بالله . (٣)  
اما القاء السم ، فقد روي النهي عنه في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : نهى رسول الله صلى الله عليه وآله ان يلقي السم في بلاد المشركين . (٤)

وأما استخدام سائر الاسلحة ، فقد جاء في الحديث التالي حكمه ؛ عن حفص بن غياث قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن مدينة من مدائن الحرب ، هل يجوز أن يرسل عليها الماء او تحرق بالنار او ترمى بالمنجنيق حتى يقتلوا ومنهم النساء والصبيان والشيخ الكبير والأسارى من المسلمين والتجار ؟ فقال : يفعل ذلك بهم ولا يمسك عنهم لهؤلاء ، ولا دية عليهم للمسلمين ، ولا كفارة الحديث . (٥)  
وحسب القواعد الفقهية ومدى استفادتنا منها نفصل القول فيما يلي :

---

(١) جواهر الكلام ج ٢١ / ص ٦٥ .

(٢) المصدر / ص ٦٦ .

(٣) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٤٣ / الباب ١٥ / ح ٢ .

(٤) المصدر / ص ٤٦ / الباب ١٦ / ح ١ .

(٥) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٤٦ / الباب ١٦ / ح ٢ .

أ- أي عمل يؤدي الى اضعاف العدو ولا يسبب فساداً عريضاً (مثل قتل الابرياء وهدم الحياة) ، فإنه جائز .

ب- عند توقف الفتح يجوز كل عمل ، واستخدام كل سلاح على إشكال في اسلحة الدمار الشامل ، حيث ينبغي تقييم الأمر من قبل الفقهاء والخبراء في كل حالة معينة لمعرفة مدى ضرورة الفتح ، وقياسها بمدى الفساد الذي يحدثه استخدام تلك الأسلحة .

ج- واما مع عدم الضرورة ، فان كل سلاح يؤدي الى قتل الابرياء وهدم المدن ، ينبغي تجنبه . وإن كان خبر حفص بن غياث السابق قد سوَّغ استخدام مثل هذه الاسلحة ، إلا ان حمل هذا الحديث على حالة توقف الفتح افضل من تخصيص القواعد العامة . ولعله من هنا قال المحقق الحلي بعد بيان جواز استخدام هذه الاسلحة ، قال : وكلما يرجى به الفتح . ويبدو ان في كلام هذا نوعاً من تعليل الجواز بانه انما يجوز ذلك لأنه سبيل الفتح ، والله العالم .

هـ/ النصر أعظم اهداف الحرب ، وآيات الذكر قد ذكّرنا باهداف الحرب ، وتحقيق تلك الأهداف يتوقف على النصر . قال الله سبحانه : { وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } (الصف/١٣) ، وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } (محمد/٧) ، وقال تعالى : { وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ } (الشورى/٣٩) .

ومن هنا فما يتوقف عليه النصر يجب استخدامه ، حتى ولو كان في الحالات العادية غير جائز . مثلاً من الواضح انه لايجوز الافساد في الأرض ، لان الله تعالى يقول : { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا } (الاعراف/٨٥) . وقد يكون الافساد قطع الاشجار ، ولكن ذلك يجوز في الحرب عند توقف النصر عليه ، حيث يقول سبحانه : { مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ } (الحشر/٥) .

ونستوحي من قوله سبحانه : { وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ } ؛ انه اذا كان هزيمة الفاسقين متوقفة على قطع الاشجار جاز ، والله العالم .  
ومن هنا قال المحقق الحلي : ولو تترسوا بالنساء والصبيان منهم ، كف عنهم ، إلا في حال التحام الحرب . وكذا لو تترسوا بالأسارى من المسلمين وإن قتل الاسير ، إذا لم يمكن جهادهم إلا بذلك . (١)  
وهكذا يعتمد جواز قتلهم على توقف الفتح على ذلك ، او على عدم امكان تجنب قتالهم من دون ذلك ، كما في حال التحام الحرب .  
بلى ؛ استنتى العلامة النجفي من ذلك القاء السم ، واستظهر عدم جوازه حتى إذا توقف النصر عليه ، فقال : بل قد يتوقف في الجواز في الأول (اي القاء السم) ، وإن توقف الفتح عليه لاطلاق الخبر المزبور (وهو الخبر الذي نهى عن القاء السم) .  
وقد سبق ان استخدام مثل هذا السلاح يجب ان يخضع لتقييم دقيق ، لكي يعرف مدى اهمية الفتح بالنسبة الى ضرر استخدام هذا السلاح . فان كان الفتح ضرورياً (كأن يخشى على بيضة الاسلام مع عدمه) ، جاز استخدامه .

## الركن الثامن : الهجوم والانسحاب في المعركة

قال الله سبحانه : { وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } (الانفال/١٦)  
نستفيد من الآية ومن آيات أخرى ؛ حرمة التولي وقد سبق الحديث عنها ، إلا ان المتحرف للقتال والمتحيز الى فئة لا يعتبران متولين من القتال .  
ومن هنا نستفيد البصائر التالية :

(١) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٦٨-٦٩ .

١/ يجوز الانسحاب الذي يكون لمصلحة الحرب، والذي يسمى بالانسحاب التكتيكي. ومن حقايقه :

أ- البحث عن وضع جغرافي للحرب ؛ مثل سفح جبل ، او عمق غابة ، او مخالفة قرص الشمس ، او موافقة حركة الريح ، او الاحتماء بخندق او ساتر او خط دفاعي ، ومنه العودة الى الحصن او القلعة للاحتماء بهما .

ب- الاحتماء بمقاتلين يزيدون الفرد قوة مادية او معنوية، ومنه الاحتماء بمظلة دفاعية؛ مثل مدى المدفعية ، او حماية صاروخية ، او حماية جوية .

ج- الانسحاب لترتيب وضعه التسليحي او التزود بالوقود والمؤن . فلو عاد من المعركة ليحصل على ماء او غذاء او معدات او لاصلاح سلاحه العاطب او تبديله بافضل منه .. كل ذلك يعتبر من التحرف للقتال ولا يعتبر تولىاً . ولذلك قال المحقق الحلبي بعد ان بيّن حرمة الفرار ، قال : إلاّ لمتحرف كطالب سعة ، او موارد المياه ، او استنبار الشمس ، او تسوية لامته ، او متحيزاً الى فئة قليلة كانت او كثيرة .  
(١)

٢/ يجوز الخروج من المعركة إذا انعدمت قدرته القتالية ، بحيث كان بقاؤه غير نافع أبداً . ومن حقايقه :

أ- ان ينفذ عتاده او مؤننه ، بحيث لايرجو المدد او النجدة .  
ب- اذا جرح جراحة بالغة او مرض مرضاً شديداً او انهك عن القتال ، بحيث اضحى كلاً على رفاق السلاح ، فله ان ينسحب ؛ إلاّ إذا كان في انسحابه مفسدة ، كبث الوهن ، وشياع الفشل في صفوف الجيش الاسلامي .

ومن هنا قال المحقق الحلبي : لو تجدد العذر بعد اقتحام الحرب ، لم يسقط فرضه على تردد ، إلاّ مع العجز عن القيام به . (٢)

(١) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٥٨- ٥٩ .

(٢) المصدر / ص ٢٦ .

وقال الشهيد الثاني : لو تجدد العذر بعد اقتحام الحرب ، فإن كان (العذر) خارجاً كرجوع الأبوين (عن اذنهم له ، كأن يأمرانه بالعودة من الجبهة) ، و (مثل) رجوع صاحب الدين ، لم يعتبر رجوعه (وانما عليه الاستمرار) لعموم الأدلة الدالة على الثبات حينئذٍ . وإن كان (العذر) ذاتياً كالمرض والعمى والاقعاد ، ففي السقوط (اي سقوط القتال عليه) قولان ، اقربهما ذلك (اي السقوط) لعدم القدرة التي هي شرط الوجوب . وقال ابن الجنيدي: يجب الثبات هنا ايضاً ، وهو ضعيف . (١)

ج- قال المحقق الحلي : ولا يجوز الفرار إذا كان العدو على الضعف أو أقل . (٢) ثم قال : وان كان المسلمون اقل من ذلك لم يجب الثبات ، ولو غلب على الظن السلامة استحب . (٣)

وقد قال ربنا سبحانه : { **الْأَمْتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ** } (الانفال/ ١٦) وقد وردت في تفسير الآية الرواية التالية ، حيث جاء عن الامام الصادق عليه السلام في حديث طويل ، قال : ان الله عز وجل فرض على المؤمن في أول الأمر ان يقاتل عشرة من المشركين ليس له ان يولى وجهه عنهم ، ومن ولاهم يومئذٍ دبره فقد تبوأ مقعده من النار . ثم حولهم عن حالهم رحمة منه لهم ، فصار الرجل منهم عليه ان يقاتل رجلين من المشركين تخفيفاً من الله عز وجل ، فنسخ الرجلان العشرة . (٤)

ويستفاد من الآية ؛ ان حكمة نسخ الحكم (من مواجهة الواحد لعشرة الى مقابلة الواحد لاثنتين) هو تحول المسلمين من حالة القوة المعنوية الى حالة الضعف . وهذا يعني ان المعيار هو مدى قوة المسلمين او ضعفهم ، واما العدو فهو معيار في الأغلب ، والمراد ببيان دور القوة المعنوية في ادارة القتال .

(١) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٢٦ .

(٢) المصدر / ص ٥٦ .

(٣) المصدر / ص ٦٣ .

(٤) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٦٣ / الباب ٢٧ / ح ٢ .

ومن هنا قال (العلامة) الفاضل : وفي جواز فرار مائة بطل من المسلمين من مأتين وواحد من ضعفاء الكفار اشكال ، (لان هناك دليلين مختلفين ؛ احدهما دليل امكان الفرار إذا اخذنا بعين الاعتبار ظاهر النص ) من مراعاة العدد . (ولكن ادلة وجوب الثبات مطلقة، وهي تدل على معيارية القدرة على المواجهة) ، ومن (ضرورة) المقاومة لو ثبتوا . و(اما دليل) العدد (فانه ليس دليلاً مطلقاً ، لان العدد) مراعى مع تقارب الاوصاف . وكذا الاشكال في عكسه ، وهو فرار مائة من ضعفاء المسلمين من مائة وتسع وتسعين من ابطال الكفار . فان راعينا (حرفية النص و) صورة العدد لم يجز ، وإلا جاز . (١)

والواقع ان الذي يؤثر في مصير المعارك جملة عوامل :

أ- السلاح والعتاد وما أشبه من المتغيرات .

ب- التدريب والقوة البدنية وما أشبه .

ج- المعنويات والقوة الروحية .

والآية الكريمة في صدد بيان تأثير العامل الثالث ، وهذا لايعنى الغاء سائر العوامل . فعلياً أخذ كل العوامل بنظر الاعتبار ، ثم تقييم الوضع والافتاء بجواز او حرمة الفرار .

و خلاصة المعيار ؛ تقييم القوة والضعف من جميع الابعاد ، فان كان الجيش من القوة بحيث يرجى بها الفتح ، فعليه ان يقاوم ولا يأبه بخور العزيمة . ولكن إذا علم القادة بأن جيشهم ضعيف الى درجة تكون هزيمتهم مؤكدة ، فان بإمكانهم الانسحاب . وقد يكون الانسحاب واجباً حسب تفصيل سياأتي انشاء الله ، على ان نأخذ بعين الاعتبار الروح المعنوية التي يبعثها ايمان الجندي بالله واستعداده للشهادة في سبيل الله . وهذا كله ما نستفيدة من كلمة "الضعف" التي جاءت في النصوص . والله العالم .

---

(١) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٦٣ .

د- قال المحقق الحلي قدس سره : وإذا غلب العطب ، قيل يجب الانصراف ،  
وقيل يستحب وهو أشبه . (١)  
وينبغي ان تقسم المسألة شطرين :  
أولاً : عند رجاء فائدة عسكرية من الاستقامة .  
ثانياً : عند عدم رجاء ذلك .

فاذا كان يرجى فائدة، ارتبط وجوب الثبات بطبيعة تلك الفائدة. فمثلاً قد يقرر  
انسحاب

الجيش الى الخطوط الخلفية ، ويحتاج الى حماية للانسحاب . فالذين يتطوعون او  
يختارون للحماية يجب عليهم الثبات حتى ولو ابعدوا عن اخرهم ، لانهم دون ذلك  
يعرضون كل الجيش للهزيمة . مثلما وقع للمرابطين في الثغر على عهد رسول الله  
صلى الله عليه وآله في حرب أحد ، حيث كان عليهم الثبات حتى ولو انهزم  
المسلمون ، ولكن بعضهم ترك موقعه فعرض جيش الاسلام لهزيمة نكراء ، حيث  
استشهد سيد الشهداء حمزة سلام الله عليه .

وإذا لم تكن هناك أية فائدة من استمرار القتال غير الشهادة ؛ فقد قال الشيخ  
الطوسي في كتابه "المبسوط" : فان غلب على ظنه انه يُغلب ويهلك ، فالأولى ان  
له الانصراف . وقيل إنه يجب عليه الانصراف . وكذلك القول فيمن قصده رجل ،  
فغلب على ظنه إنه ان ثبت له قتله ، فعليه الهرب . (٢)

واستدل في الجواهر على وجوب الانصراف (والانسحاب) بما يلي : لوجوب  
حفظ النفس وحرمة التعرير بها . (٣)

---

(١) المصدر / ص ٦٣-٦٤ .

(٢) سلسلة البناييع الفقهية / ج ٣١ / ص ٧٩ .

(٣) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٦٤ .

واضاف في موضع آخر ، وهو يستدل على رجحان الانصراف باعتبار حصول البقاء  
(واستمرار الحياة عبر الانسحاب) الذي هو سبب لكثير من العبادات والطاعات  
والمبرات . (١)

ولكنه ذهب بالتالي- الى القول بجواز الثبات، بل استحبابه. واستدل على ذلك  
بقوله : ما يستفاد من الكتاب والسنة من الترغيب في الشهادة ، ومن كون النصر  
باذن الله ، وغير ذلك (من الأدلة) مما يكون اقل مراتبه الجواز ، ولعل المتجه  
الندب ، ضرورة ظهور الأدلة في رجحانه . (٢)

إلا ان المسألة بحاجة الى المزيد من التحقيق ، حيث ان الحياة هي هدف الشريعة  
، وهي قيمة متسامية ، والتنازل عن هذه القيمة انما يجوز لتحقيق غاية سامية ،  
ومن دونها يستبعد جواز التعزير بها ، وقد قال سبحانه : { وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى  
التَّهْلُكَةِ } (البقرة/١٩٥) .

واوامر الثبات ، والنصوص المرعية في الشهادة متصرفة عن مثل هذا المورد ،  
والله العالم .

## الركن التاسع : الموثيق والعهود

من أبرز مصاديق التقوى في القتال ، احترام الموثيق والوفاء بالعهود . وقد  
بيّنت آيات الذكر واحاديث السنة حرمان العهود في جملة واحدة ، كما فصلت  
القول في حقائق عديدة ، وضربت فيها الأمثال . ونحن - تبعاً لما استوحيناه منها -  
نستعرض الحديث باذن الله في قسمين :

## القسم الأول : حرمة العهد في القتال

---

(١) المصدر .

(٢) المصدر .

نستهدي بالآية الرابعة من سورة التوبة ؛ الحقائق التالية :

أ- حرمة العهد المبرم مع المشركين، إن هم التزموا بكافة بنود العهد ولم ينقصوا منه شيئاً، ولم يعينوا احداً من الأعداء على المسلمين. كما نستوحي ان العهد مع المشركين عهد محدود بمدة، وهذا يؤيد القول المشهور بين فقهاءنا الذي يحرم المعاهدة الابدية مع المشركين .

ب- ونستفيد من ذات الآية وآيات أخرى ؛ امكانية اقامة علاقات طيبة مع الكفار ، حتى المشركين منهم إذا اقتضت مصلحة المسلمين ذلك . وانه ليست الحرب هي السمة الوحيدة بين الأمة الاسلامية وسائر الشعوب او الدول ، وقد قال سبحانه : { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (الممتحنة/٨)

ج- وبما أن هذه العلاقة السلمية قائمة على اساس المعاهدة والميثاق ، فان أمرها بيد القيادة الشرعية ؛ فهي التي تقرر بنود الاتفاقية ومدتها مع الاهتمام بمصالح المسلمين وعزة الدين الحنيف .

د- ومن ذلك قبول الدولة الاسلامية بالمواثيق الدولية التي انتظمت اليوم في محور الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها ، والتي تحافظ - في الأغلب - على القيم المثلى للدين ، ولا تختلف بوجه عام مع مصالح المسلمين . بلى ؛ هناك بعض المواثيق التي يجب اصلاحها ؛ مثل حق النقض (الفيتو) الذي تستخدمه الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن ضد مصالح المسلمين في كثير من الاحيان . فعلى الأمة الاسلامية ان تسعى جاهدة لاصلاح ذلك وأمثاله . إلا ان وجود بعض المواد الخاطئة ضمن الاتفاقات الدولية لا يعني مخالفتها ، لانها من حيث العموم تحقق أهم مصالح الأمة ؛ وهو الأمن والتعاون الدوليين . أما الأمن فانه من أشد ضرورات الانسانية والمسلمين منهم ، في ظل أسلحة الدمار الشامل التي لو استخدمت لأخذت الأرض وما عليها . وأما التعاون فانه ايضاً في مصلحة البشرية

والمسلمين بالذات ، وهو تحقيق لمبدء التعارف (الاعتراف المتبادل) ، انطلاقاً من قوله سبحانه : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (الحجرات/١٣)

ذ- ويستفاد من الآية الأولى من سورة التوبة ؛ امكانية فسخ العهد (إذا كان من بنوده ذلك ، او إذا لم يف الطرف الآخر بالتزاماته) ، ولكن يجب اعلام الطرف الثاني بالفسخ ، وربما اعطائه مهلة لكي لايعتبر ذلك خيانة بالنسبة اليه . وقد قال سبحانه : { وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ } (الأنفال/٥٨)

ر- ومن ذلك أنه إذا استجار أحد بالمسلمين ، فإنهم يجبروه حتى يسمع كلام الله، فان لم يقتنع أبلغوه مأمنه ثم نابذوه العداة، كما قال سبحانه : { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ } (التوبة/٦)

وقال الفقهاء ان شبهة الامان (والذي هو نوع من العهد) تقتضي اعادة الفرد الى مأمنه . وقد جاء في الحديث المأثور عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال : لو ان قوماً حاصروا مدينة فسألوهم الأمان ، فقالوا : لا ، فظنوا أنهم قالوا : نعم ، فنزلوا اليهم كانوا آمنين . (١)

وهذا يدل على مدى الاهتمام بالعهد .

ز- يعتبر قبول مشروع السلام المقترح من قبل العدو او من قبل طرف محايد ، ومن ثم الوفاء به ، يعتبر كل ذلك من أخطر القرارات وأشدّها وطأً على القيادة السياسية . إذ يحتمل ان يستغل العدو الأمن الذي توفره له اتفاقية السلام للاستعداد للحرب ثم الانقضاض على المسلمين على غفلة .. من هنا أمر الله سبحانه نبيّه بالتوكل على الله عند قبول السلم ، فقال تعالى : { وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (الانفال/٦١)

(١) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٥٠ / الباب ٢٠ / ح ٤ .

وقد عبرت آية كريمة عن الالتزام بالعهد في الحرب بكلمة الاستقامة التي توحى بصعوبته البالغة . قال تعالى : { فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ } (التوبة/٧) و- وقد اهتم الدين بالعهد الى درجة نهى عن الحرب مع أهل الغدر ضد من غدر به . وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام ، حيث قال (الراوي) : سألته عن قريتين من أهل الحرب لكلّ واحدة منهما ملك على حدة اقتتلوا ثم اصطلحوا ، ثم إنّ أحد الملكين غدر بصاحبه فجاء الى المسلمين فصالحهم على أن يغزوا تلك المدينة . فقال أبو عبد الله عليه السلام : لا ينبغي للمسلمين ان يغدروا ولا يأمرؤا بالغدر ، ولا يقاتلوا مع الذين غدروا ، ولكنهم يقاتلون المشركين حيث وجدوهم ، ولا يجوز عليهم ما عاهد عليه الكفار . (١)

عن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يجيء كل غادر بامام يوم القيامة مائلاً شدقه حتى يدخل النار . (٢) وروى الأصمغ بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم وهو يخطب على المنبر بالكوفة : أيها الناس لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس ، إلا أنّ لكلّ غدره فجرة ، ولكل فجرة كفره . الا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار . (٣)

#### القسم الثاني : حقائق العهد

للعهد في القتال وفي العلاقات الدولية مصاديق وحقائق مختلفة ، وهي :

١- ميثاق الصلح (عدم الاعتداء)، ويسمى المهادنة .

٢- الاجارة والذمام .

٣- الاقامة .

٤- التحكيم

(١) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٥١ / الباب ٢١ / ح ١ .

(٢) المصدر / ص ٥١-٥٢ / الباب ٢١ / ح ٢ .

(٣) المصدر / ص ٥٢ / الباب ٢١ / ح ٣ .

أ~~~~~ أولاً : المهادنة

(التوبة/٤) ، (التوبة/٧) ، (الانفال/٦١-٦٢) ، (الممتحنة/٨-٩) ؛ نستفيد من هذه الآيات ضرورة احترام الميثاق الذي يتعهد به المسلمون للكفار ، مادام الطرف الآخر يحترمه . وتبصرنا الآيات بالحقائق الآتية :

أ- يجب الوفاء بالعهد مادام الطرف الثاني ملتزماً به .  
ب- يجوز ابرام العهد مع المشركين الى مدة معلومة .  
ج- العهد عند المسجد الحرام أشد .  
د- إن العدو إذا جنح للسلم (واختاره على الحرب) ، فعلى المسلمين قبول ذلك والتوكل على الله .

هـ- على الرسول التوكل على الله عند ابرام الصلح مع العدو .  
ونستفيد من هذه الحقائق ومن بصائر أخرى ذكرت في أي الذكر وفي السنة ، المسائل الشرعية التالية :

أ~~~~~ ألف : جواز المهادنة عند قلة المسلمين

قال المحقق الحلي في كتابه الشرائع : المهادنة وهي المعاهدة على ترك الحرب مدة معينة ، وهي جائزة إذا تضمنت مصلحة المسلمين ، إما لقلتهم عن المقاومة او لما يحصل

به الاستظهار (١) او لرجاء الدخول في الاسلام مع التربص . (٢)  
وقال العلامة النجفي في كتابه الجواهر تعليقاً على كلام المحقق : بلا خلاف أجد فيه ، بل الاجماع بقسميه (منقولاً ومحصلاً) عليه . ثم تلا الآيات القرآنية التي

(١) أي بهدف تقوية أنفسهم لمعركة قادمة .

(٢) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٢٩٣ / الطبعة الثانية .

تلونها أنفأ . واستشهد كذلك بفعل النبي مع كفار قريش ، حيث هادتهم وصالحهم .  
(١)

واحتتمل أن يكون الجواز في كلام المحقق ، بمعنى عدم الحرمة مما لا يتنافى والوجوب، واستدل عليه بما دل على وجوب حفظ النفس و (حفظ) الاسلام من عقل ونقل . (٢) ثم قال : ربما فصل بين الضرورة والمصلحة ، فأوجبها في الأول وجوزها في الثاني، ولا بأس به . (٣)

أقول : ان اتخاذ قرار الهدنة من قبل القيادة الشرعية يعتمد على دراسة العديد من العوامل المتغيرة . والقيادة لايجوز لها اتباع الهوى والعواطف فيما يتصل بمصالح المسلمين وقيم الدين الحنيف ، ولذلك فلو رأى المصلحة في الهدنة وجب عليه اعلانها ؛ إلا ان يحتار بين المصالح المتضاربة ، فيجوز له ان يتحرى الحقيقة قدر المستطاع فيختار واحداً . وهذا فرض نادر ، ولكنه إذا وقع فهو من باب الاختيار في التزام . والله العالم .

بأهههههه : هل تجوز الهدنة مع القوة

قال المحقق : ومتى ارتفع ذلك (٤) وكان في المسلمين قوة على الخصم لم تجز (٥) (المهادنة) . واستدل في الجواهر على ذلك بقوله : لعموم الأمر بقتلهم مع الامكان في الكتاب والسنة (٦) . واطاف : (و) ما كان يوصي به النبي صلى الله عليه وآله امراء السرايا من الأمر بالمنابذة معهم إلا مع الاسلام او الجزية من أهلها . وختم استدلاله بقول الله سبحانه : { فَإِذَا انسلَخَ الأشهُرُ الحُرْمُ فَأَقْتُلُوا المُشْرِكِينَ

---

(١) المصدر .

(٢) المصدر / ص ٢٩٥ .

(٣) المصدر / ص ٢٩٦ .

(٤) أي اسباب جواز الهدنة .

(٥) المصدر / ص ٢٩٦ .

(٦) المصدر .

حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ { (التوبة/٥) ، وقوله سبحانه : { فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ  
وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ } (محمد/٣٥)

وهناك أدلة على جواز المهادنة ، وهي التالية :

١- الآية التي تليت أنفاً من سورة الممتحنة (الآية/٨-٩) ، فبالرغم من أن مطلع  
السورة يأمر المؤمنين بالبراءة من اعداء الله وألّا يلقوا اليهم بالمودة ، إلّا أن الآيتين  
(٨-٩) تدلان على استثناء المسالمين من الكفار الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين  
ولم يخرجوهم من ديارهم . ويزداد القول وضوحاً في الآية (٩) ، حيث يعبر  
القرآن الكريم بحرف الحصر ويقول : { إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ  
(الممتحنة/٩) .

وفي الآية (١) اشارة الى هذه البصيرة ، حيث قال سبحانه في بيان سبب البراءة  
منهم : { يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ } (الممتحنة/١) .

فالبراءة واجبة على المؤمنين فقط من اولئك الكفار الذين يحاربونهم على دينهم .  
٢- وقد سبق الحديث حول الجهاد الابتدائي ، وقلنا ان آيات الكتاب لاتدل عليه  
دلالة واضحة ، انما آيات الجهاد وآيات القتال تدور اكثرها حول محور محاربة  
الكفار الذين يبدعون المسلمين بالاعتداء ، كقوله سبحانه : { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } (البقرة/١٩٠)

٣- بما ان أكثر الفقهاء الامامية لا يرون الجهاد الابتدائي في عصر الغيبة الذي  
يسمى ايضاً بايام الهدنة ، فان الكف عن القتال في هذا العصر- إلّا دفاعاً - هو ذلك  
السلم الذي نسميه بالهدنة .

٤- آيات القتال التي استدل بها في الجواهر مخصصة بحالة الجنوح للسلم التي  
ذكرت في القرآن الكريم : { وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا } (الانفال/٦١) ، وكذلك  
قوله سبحانه : { فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ } (محمد/٣٥) ، حيث ان الدعوة الى  
السلم من موقع الوهن هي التي نهت عنها الآية ، لا السلم مطلقاً . ويحتمل قوياً ان  
يكون نهي القرآن عن الدعوة الى السلم بعد الاقتتال خوفاً وجبناً ، وطلباً للراحة ،

حيث جاءت هذه الآية في سياق مواجهة الكفار الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله ، وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى (محمد/٣٢) . ومواجهة الكفار الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله (محمد/٣٤) . ثم قال ربنا سبحانه : { فَلَا تَهْنُؤُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ } .

أما وصايا الرسول لأمرء السرايا والأدلة الأخرى التي تدل على عدم قبول الجزية من غير أهل الكتاب ، فانما هي في الأعداء الذين يحاربون المسلمين . أما أهل الهدنة فلا ، بدليل ان الرسول صالح كفار مكة عشر سنين ولم يكونوا من أهل الكتاب عشر سنين ، وذلك في صلح الحديبية . فكيف نوفق بين ذلك وبين آيات القتال؟

من هنا نحتمل صحة القول ، بأن حالة السلم هي العلاقة الأولية بين المسلمين وبين سائر الشعوب ، وأما الحرب فان لها اسبابها المعينة التي لو تحققت وجب على المسلمين خوضها ، وإلا فلا . والله المستعان .

ومن هنا نرجح ما ذكره المحقق الحلي بقوله : وهل تجوز (المهادنة) أكثر من أربعة اشهر؟ قيل: لا ، لقوله تعالى : { فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ } . وقيل نعم لقوله تعالى : { وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا } . والوجه مراعاة الأصلح . (١) .

وهذا القول هو اختيار جمع من الفقهاء ، حيث قال العلامة النجفي تعليقا عليه : كما في المنتهى والمسالك وحاشية الكركي ومحكي التحرير والقواعد . (٢) واضاف المحقق الحلي : ولا تصح الى مدة مجهولة ولا مطلقا إلا ان يشترط الامام عليه السلام لنفسه الخيار في النقض متى شاء . (٣)

---

(١) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٢٩٨ .

(٢) المصدر .

(٣) المصدر / ص ٢٩٩ .

واستدل على ذلك العلامة النجفي فقال : لا أجد فيه خلافاً بينهم (بين الفقهاء) في المستثنى ، والمستثنى منه الذي هو مقتضى الأصل بعد ظهور المفسدة في ذلك .  
(١) واذاف : وخصوص الحديث النبوي المروي من طرق العامة، انه لما فتح خيبر عنوةً بقي

حصن فصالحوه على ان يقرهم ما أقرهم الله ، فقال لهم نقركم ما شئنا . (٢)  
وما ذكره جيد ، ولكن ينبغي اضافة حالات الضرورة التي قد تكون الاساس في الصراعات العسكرية . فاذا اقتضت الضرورة شيئاً ، فان الأمور المحظورة تصبح مباحة . والله العالم .

جيم : عدم اعادة النساء المهاجرات

قال المحقق الحلبي : لو وقعت الهدنة على ما لا يجوز فعله ، لم يجب الوفاء ؛ مثل التظاهر بالمناكير، واعداء من يهاجر من النساء ؛ فلو هاجرت وتحقق اسلامها لم تعد ، ولكن يعاد عن زوجها ما سلم اليها من مهر خاصة . (٣)

وينبغي ان نفصل القول بين حالات الضرورة ، فان لها احكامها ، والحالات العادية . فلا يجوز القبول بأي شرط مخالف لنصوص الشرع ، إلا ان يكون ما يشترطه المسلمون على العدو في مقابل ذلك أهم ؛ مثلاً إذا كان الأعداء يتسللون الى بلاد الاسلام ويعيثون فساداً ، فقرر امام المسلمين الهدنة مع العدو لضبط حدودها في مقابل عدم قبول انتقال بعض المسلمين من بلاد الاعداء الى دار الاسلام . فاذا كانت المصلحة تقتضي ذلك صح الشرط . وهكذا روي ان النبي صلى الله عليه وآله ردّ أبا بصير الى المشركين بعد ان رجع اليه . (٤)

بلى ؛ قد نصت الآية الكريمة على عدم جواز ردّ النساء المهاجرات ، حيث قال سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ

(١) المصدر .

(٢) المصدر عن سنن البيهقي / ج ٩ / ص ٢٢٤ .

(٣) جوهر الكلام / ص ٣٠٠ و ص ٣٠٣ .

(٤) المصدر / ص ٣٠٢ عن سيرة ابن هشام القسم الثاني ص ٣٢٣ .

أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِمْ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ  
وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَعَاقِبَةُ مَا أُنْفِقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا  
عَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَأَلُوا مَا أُنْفِقْتُمْ وَلَيْسَ أَلْوَابًا  
أُنْفِقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ { (الممتحنة/ ١٠) .

قال في الجواهر : وفي المروي من طرق العامة " ان ام كلثوم بنت عقبة بن أبي  
معيط جاءت مسلمة ، فجاء اخوها يطلبانها ، فانزل الله تعالى الآية ( التي تليت من  
سورة الممتحنة) . وقال النبي صلى الله عليه وآله : " ان الله منع عن الصلح في  
النساء " . (١)

ويبقى السؤال ؛ ماهو معيار الشرط المخالف للدين الذي لا يجوز تجاوزه في  
الهدنة من قبل امام المسلمين إلا في حالات الضرورة يتبين الجواب بما يلي ؛ ان  
من الأمور ماهو موسّع مثل حقوق المسلمين ومصالح الدفاع عنهم ، فأمر ذلك الى  
الامام ، ينظر ماهو الأهم فيقدمه على ماهو المهم . ومن الأمور ما هو مضيق ؛  
مثل احكام الله ، كعدم جواز ارجاع النساء المهاجرات الى أزواجهن الكفار . وعلى  
القيادة السياسية ألا تتهاون في مثل ذلك إلا عند الضرورة . وقد أشار الأسكافي الى  
ذلك بقوله : ولا نختار لأحد إذا كان مختاراً غير مضطر ان يشترط في عقد ولا  
صلح يعقده ، مالا يبيح الدين عقده مما هو محظور . وقد قال رسول الله صلى الله  
عليه وآله : ما كان عن شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ولم يجر ولا عليه (٢)  
وقد روي ان ثقيف سألت رسول الله صلى الله عليه وآله : أن لا يركعوا ولا يسجدوا  
وان يتمتعوا باللات سنة من غير ان يعبدوها ، فلم يجيبهم رسول الله صلى الله عليه  
وآله الى ذلك . (٣)

~~~~~  
دال : اعادة الرجال المهاجرين

(١) جوهر الكلام / ص ٣٠٠ عن سيرة ابن هشام القسم الثاني ص ٣٢٥ .  
(٢) وسائل الشيعة / ابواب المهور / الباب ٣٨ / الحديث ٢ مع الاختلاف كما في المصدر  
ص ٣٠٢ .  
(٣) جوهر الكلام / ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

قال المحقق الحلي : وأما إعادة الرجال ، فمن أمن عليه الفتنة بكثرة العشيرة وما مائل ذلك من اسباب القوة ، جاز اعادته ، وإلا منعوا منه . (١) ولو شرط في الهدنة إعادة الرجال مطلقاً ، قيل : يبطل الصلح ، لأنه كما يتناول من يؤمن افتتانه ، يتناول من لا يؤمن . (٢)

وقد استدل في الجواهر على هذه الأحكام بالاجماع ، وقال : كون الحكم مفروغاً منه بين من تعرض له على وجه يظهر منه كونه من المسلمات . (٣) وقد استدل الفقيه السبزواري بان إعادة الرجال مع خشية الفتنة تسبب اثباتهم على الكفر ، وهو حرام . (٤)

واستدل المرجع الشيرازي على ذلك بالقرآن فقال : يجب انقاذ المسلمة والمسلم والمستضعف ، رجلاً وأمرأة وطفلاً من بلاد الكفر ، إذا كانوا في خطر وتمكن من ذلك . قال الله تعالى { وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ } (النساء/٧٥) واضاف : وفي الحديث : " من نادى يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم " . (٥)

ولكن حرمة إعادة الرجال ، انما هي من القضايا التي يمكن التفاهم حولها في عقد الهدنة ، وليست مثل حرمة إعادة النساء ، التي لا يصار اليها إلا عند الضرورة القصوى .

بلى ؛ يمكن للمسلمين اضافة شروط معينة من أجل تخفيف الوطأ على الرجال ؛ مثل اشتراط عدم تعريضهم لأذى . وقد جاء في التاريخ ان المشركين اشترطوا على رسول الله في صلح الحديبية ألا يقبل من جاءه مسلماً ، فلما قدم اليه ابو بصير مسلماً أرسل أهل مكة رجلين الى النبي صلى الله عليه وآله في طلبه فخلى النبي

(١) المصدر / ص ٣٠٨ .

(٢) المصدر / ص ٣١٠ .

(٣) جوهر الكلام / ص ٣١٠ .

(٤) مهذب الأحكام / ج ١٥ / ص ١٢١ .

(٥) موسوعة الفقه / ج ٤٨ / ص ١١٩ .

بينه وبينهم ، وقال له : لا يصلح في ديننا الغدر وقد علمت ما عاهدناهم عليه ، ولعل الله ان يجعل لك فرجاً ومخرجاً . فلما رجع مع الرجلين قتل احدهما وهرب الثاني ثم رجع ابو بصير الى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله قد ارضى الله نمتك، وقد ردني الله اليك وانجاني الله منهم. فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وآله ولم يلمه، بل قال : ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال . (١) فلما سمع أبو بصير لحق بساحل البحر وانحاز اليه ابو جندل بن سهيل ومن معه من المستضعفين بمكة ، فجعلوا لا يمرّ عير لقريش إلا عرضوا لها فأخذوها وقتلوا من معها . فأرسلت قريش الى النبي صلى الله عليه وآله تناشده الله والرحم ان يضمّمهم اليه ، ولا يرد اليهم أحداً جاء . ففعل النبي صلى الله عليه وآله ذلك . (٢)

وهذا الحديث يعتبر سابقة هامة في أمر الصلح بين المسلمين واعداءهم ، وبالذات فيما يتصل بقوى المعارضة الداخلية التي تتشكل في صفوف الأعداء . فأفضل طريقة للتعامل معها هي ما نجده في هذه القصة التاريخية ، حيث ان الرسول لم يعرض الدولة الاسلامية الفتية لخطر الحرب من أجل سلامة أبي بصير وبضعة أفراد من المسلمين الجدد . ولكنه في ذات الوقت لم يعاقبهم على معارضتهم الذاتية لكفار قريش ، مما دفعهم بالتالي الى الاعتماد على الله ، ثم على مواهبهم الذاتية وتكوين قوة عسكرية على ساحل البحر تهدد تجارة قريش ، مما دعا كفار قريش الى ان يطلبوا من الرسول قبولهم في دولته . فالعلاقة بين الدولة الاسلامية وبين القوى المعارضة من المسلمين في صفوف الكفار قد تتفكك من أجل مصلحة الدولة ، وقد يكون ذلك في صالح المعارضة ايضاً ، اذ انها تعتمد آنئذ على نفسها وتصبح قوة مستقلة تنفع المسلمين في نهاية المطاف .. والله المستعان .

هـ٨٨٨٨٨ : من احكام الهدنة

---

(١) لعل هذه الكلمة كانت ذات دلالة على شجاعة الشخص ، ففهم منها تحريض النبي له بان يقاوم الكفار بنفسه ، او كانت كلمة عتاب بأن الرجل سوف يشعل حرباً .  
(٢) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٣٠٩ عن سيرة ابن هشام القسم الثاني ص ٣٢٣ .

(النساء/٩٠) ، (النساء/٩٢) ، (الانفال/٧٢) ؛ نستفيد من الآيات الكريمة ؛ وجوب الوفاء بالمواثيق التي بين المسلمين واعداءهم ، في الوفاء بحقوقهم كاملة ، وذلك في الموارد التالية التي يمكن ان نعتبرها مثلاً لسائر المصاديق التالية التي تدخل ضمن عموم الوفاء بالميثاق الذي أمرنا به في الكتاب والسنة :

أ- قد يقتل المنافق الذي لا يهاجر ، ويتولى (فلا يخضع للقيادة الشرعية ، بل يتمرد عليها ويناهضها) . ولكن إذا كان هذا المنافق ذات صلة بقوم (معاهدين) بينهم وبين المسلمين ميثاق ، فانهم لا يطاردون ولا يقتلون . ونستوحي من ذلك ان المعاهد محترم الدم ، وتجري عليه أحكام خاصة حسب الميثاق .

ب- اعطاء الدية لأهل المقتول خطأ ، ولو كانوا كفاراً ، باعتبار ان اشتراكهم في الميثاق مع المسلمين جعل دماءهم محترمة .

ونستفيد من الآية ؛ ضرورة اعطاء دية الاعضاء اليهم ايضاً ، بل دفع كل غرامة تكون لمسلم عند الاعتداء عليهم من قبل بعض المسلمين .

ج- يجب نصر المؤمنين الذين يعيشون في بلاد الكفر ، ان هم استنصروا المسلمين . ولكن إذا كانت بين المسلمين وبين تلك البلاد معاهدة (عدم الاعتداء) ، فلا يجوز نقض المعاهدة .

ونستفيد من هذه البصيرة ؛ ان أمن الوطن الاسلامي هام جداً ، وقد يكون أعظم حرمة من أمن الأقلية المسلمة في البلاد الاجنبية . ومن هنا فلورأت القيادة الشرعية للأمة ، أن اقامة علاقات السلام مع الدولة الكذائية أهم من مصالح المسلمين المعارضين من ابناء تلك الدولة ، فإنها لا تدافع عنهم عند استغاثتهم ، ولعل الله يجعل لهم مخرجاً .

د- وقد سبق الحديث حول رد المهر الى الزوج إذا كان من الكفار المعاهدين وهاجرت زوجته الى المسلمين ، كما جاء في القرآن الكريم . كما سبق الحديث

حول اعادة المهاجرين من الرجال وعدم حمايتهم إذا اشترط في الميثاق ، اقتداءً بسيرة الرسول صلى الله عليه وآله .

من كل هذه المصاديق الخاصة في المعاهدة ؛ نعرف مدى ضرورة الوفاء بالميثاق وبنوده، حتى ولو خالفت احكاماً أولية مثل ملاحقة المنافق او نصرة المسلم المستضعف او عدم اعطاء الدية لأهل المقتول إذا كانوا كفاراً أو ما اشبهه . فإن حكم الميثاق حكم ثانوي يتقدم على الأحكام الأولية ، إذا كانت في الميثاق - اساساً - مصلحة عليا او ضرورة قاهرة . والله العالم .

~~~~~ او : احكام الهدنة والظروف المتغيرة

تختلف ظروف انشاء المعاهدة مع الأعداء ، مما يؤثر في اختلاف طبيعة هذه المعاهدة :

أ- فقد تكون المعاهدة بين طرفين متكافئين ، لا يجدون في الحرب وسيلة لتحقيق أهدافها .

ب- وقد تكون المعاهدة بين الطرف الاسلامي المنتصر ، والعدو المغلوب على أمره .

ج- وقد تكون بين طرف قاهر والطرف الاسلامي المنهزم . والسابقة التي يضرب بها المثل للقسم الأول تتمثل في صلح الحديبية ، حيث يبدو كل من المسلمين وكفار قريش متكافئين من الناحية العسكرية في الظاهر . وقد كانت شروط النبي صلى الله عليه وآله في هذه المعاهدة صرفة ، حيث قبل ببعض الشروط التي رأى بعض المسلمين أنها كانت غير متناسبة مع قوتهم المتنامية . ولكنهم كانوا خاطئين إذ ان هدف المعاهدة ليس فقط كسر شوكة العدو ، وانما قد يكون الهدف استمالة لتحقيق قيم الأمة العليا .

أما السابقة التاريخية التي مثلت القسم الثاني ؛ فقد كانت في اتفاقية الصلح بين المسلمين وبين بعض اليهود ، الذين نقضوا عهدهم مع الرسول وتآمروا على سلامة المسلمين في حرب الأحزاب . وبعد انتهاء محاصرة المدينة من قبل

الأحزاب وعودة قريش وحلفاءهم ، فوجئ هؤلاء بالقوة الاسلامية تحاصر قلاعهم وتستفرد بهم فاعترفوا بالهزيمة وقبلوا بمبدء التحكيم . وكانت النتيجة قتل بعضهم، وجلاء بعضهم، وامتلاك ثرواتهم . فهنا ترى المعاهدة ذات صبغة تأديبية .

واما القسم الثالث فنجده في معاهدة الامام الحسن عليه السلام مع معاوية فيما سمي بصلح الامام الحسن عليه السلام ، حيث ان الحرب انتهت بسلمة معاوية على البلاد الاسلامية بعد قبوله بمعاهدة الصلح التي كانت قاسية على الفئة المؤمنة ، مما جعل بعضهم يعترضون عليها ، ولكنها كانت ضرورية في تلك الظروف . ومن هنا فان على القيادة الشرعية تقييم الظروف المحيطة بانشاء معاهدة الصلح لتنظيم بنودها حسب الأولويات الممكنة . ولكن هناك بعض البصائر التي ينبغي وعيها في هذا الحقل :

أولاً : على القيادة الشرعية دراسة الأهداف والقيم العليا للرسالة الالهية ، الى جانب اعتبار المصالح السياسية للأمة الاسلامية . ومن هنا فاذا كانت الغلبة للمسلمين فلا يفرضوا على الطرف الآخر شروطاً قاسية ينفروهم عن الدخول في الدين الحنيف ، ويثير فيهم العداوة الدفينة . وإن لنا في سيرة النبي الكريم في أهل مكة بعد فتحها ، وسيرة الامام امير المؤمنين بعد حرب البصرة ، اسوة حسنة حيث انهما عفيا عن الأعداء . حتى قال الشاعر فيهم وفي اعدائهم :

ملكنا فكان العفو مناسجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح

وفي العصور المتأخرة ، وبالذات في القرن التاسع عشر الميلادي ، كانت المعاهدات تتضمن شروطاً قاسية ضد الدول المقهورة ، حيث كانت تتطوي على التعسف . وقد اتفق الأطراف في معاهدة ورساي دفع غرامة حربية قدرها (٧٠٠) مليار فرانك ذهبي ، مما كان سبباً لردود أفعال سلبية . (١)

---

(١) راجع البروفسور شارل رسو في كتابه المترجم الى الفارسية تحت عنوان "حقوق مخاصمات مسلحانه" أي قوانين الصراع المسلح ج ١ / ص ٢٣٠ .

ولعل أهم أسباب الحرب العالمية الثانية ؛ كان روح الانتقام التي سادت معاهدات الصلح بعد الحرب العالمية الأولى . بينما كانت روح التسامح التي أبدتها النبي والامام علي بعد فتح مكة وفتح البصرة ، كانت سبباً لانتشار الاسلام ، ولعدم القسوة في الحروب الداخلية التي نشبت بين المسلمين .

ثانياً : إذا كانت الغلبة للاعداء ، فعلى القيادة الاسلامية ان تنظم معاهدة الصلح بحيث تؤمن الحد الممكن من المصالح الاسلامية الأهم فالأهم ، وبالذات المحافظة على كيان الأمة (بيضة الاسلام) . وإنما نجد في معاهدة الصلح بين الامام الحسن السبط عليه السلام ومعاوية بنأ حول حماية شيعة الامام علي عليه السلام من بطش السلطة .

زء : حكم المواثيق الدولية الراهنة

بعد الحرب العالمية الثانية التي انتهت في عام ١٩٤٥ ، حيث خُفّت ورائها دماراً شاملاً في انحاء مختلفة من العالم (المانيا - اليابان مثلاً) ، وبعد تطوير اسلحة الدمار الشامل الذي ينذر استخدامها بفساد عريض للكرة الأرضية برمتها ، وبعد جهود حثيثة من قبل حكماء العالم لمعالجة اسباب اشتعال الحروب ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً .. بعد كل ذلك انشأت جمعية الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن الدولي ، ومنظمة التجارة العالمية ، ومنظمات عالمية شتى .. ووقعت دول العالم تبعاً لذلك على مواثيق عديدة ، هدفها منع اشتعال الحروب ومنع انتشارها لو اشتعلت ومنع استمرارها، ثم احتواء ما أمكن من آثارها .

وبالرغم من أن هذه المواثيق لم تتبين فاعليتها خلال العقود الماضية ، اذ نشبت عشرات الحروب الاقليمية ، وكان دمارها من حيث المجموع فضيعاً ومريعاً . كما ان سباق التسلح الذي هو حرب فعلية ضد اقتصاد العالم لم يتوقف أبداً ، إلا أن فائدة هذه المواثيق ليست خفية ، فاننا لو تصورنا العالم من دونها ومن دون المعاهدات الدولية المحدودة (مثل اتفاقية سالت بين امريكا وروسيا ، ومثل المواثيق الكثيرة بين

دول اتحاد اوربا) ، اقول : لو تصورنا العالم من دونها ، لرأيناها غابة تتطاير فيها الأسلحة الذرية والكيميائية البالغة التدمير .

من هنا فان على المسلمين ان يقوموا بما يلي :

أولاً : دعم هذه المعاهدات والالتزام بها ، وحمل دول العالم على التقيد بها .  
ثانياً : تطوير هذه المواثيق بما يجعلها أكثر فاعلية وقدرة على كبح جماح الحروب ، وردّ اعتداء الناس بعضهم على بعض ، وتحويل العالم الى روضة سلام وحب وتعاون .

ثالثاً : اصلاح هذه المواثيق بما ينفع الأمة الاسلامية ، وبالذات في وضع أنظمة لحماية السلام أكثر فاعلية ، لكي لا تأتي عصابات صهيون ويغتصبوا فلسطين ، ولكي لا يهجم صدام حسين على ايران ثم على الكويت بلا رادع ، ولكي لا تنشب حروب اهلية في كثير من مناطق افريقيا وفي افغانستان وغيرها .

لقد أن الأوان لعلماء المسلمين وحكامهم لكي يبلغوا الى العالم كلمات الوحي المضيفة التي تنقذ البشرية من شرور انفسهم ، كقوله سبحانه : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (الحجرات/١٣)

وعليهم ان يساهموا بجدية في اجتثاث جذور الاعتداء والظلم ، وفي تطوير انظمة الاحتواء والكبح ؛ مثل اشاعة روح التعاون والتنافس على الخيرات ، وتشكيل جمعيات السلم ، وتكثيف اللقاءات العالمية التي تساهم في التعارف ، وتكثير المنظمات الاقليمية والدولية للتعاون ، والتي تحتوي الروح العسكرية تاريخية تبدلها بروح الصلح والصفاء . والله المستعان .

٨٨٨٨٨٨٨٨٨٨ : احكام الاجارة والذمام

(التوبة/٦) ؛ نستفيد من الآية جواز اعطاء الذمام للكفار بهدف تبليغهم الدعوة ، وان الواجب الوفاء لهم بالذمة واعادتهم الى مأمَنهم .

والذمة (كما يعرف من لفظها) مصداق للعهد الذي يجب الوفاء به ، وهو يشبه الميثاق في جوهره واحكامه . ولكنه قد يختلف عنه في مدته عادة ، حيث ان عقد الذمة قد يكون عهداً قصير المدة ، محدود الأجل . كما انه قد يختلف عنه في موضوعه ، حيث ان الذمة قد تعطى لفرد واحد او أهل حصن او قرية وما أشبهه .. وفيما يلي نستعرض جملة احكام الذمام :

~~~~~ ألف : شروط العاقد

قال المحقق الحلبي : اما العاقد (الذي يعطي الأمان) فلا بد ان يكون بالغاً عاقلاً مختاراً ، ويستوي في ذلك الحرّ والمملوك والذكر والأنثى . (١)  
وعلق العلامة النجفي في الجواهر على صلاحية المملوك والأنثى لاعطاء الذمام، فقال : بلا خلاف . كما اعترف به في المنتهى في الأخير (الأنثى) ونسبه فيه ايضاً الى علمائنا ، واكثر أهل العلم في العبد . وقد جاء في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام ، إن علياً أجاز أمان عبد مملوك لأهل حصن من الحصون ، وقال : هو من المؤمنين . (٢)

وجاء في الحديث عن اجارة أمان المرأة ؛ ان ام هاني (اخت الامام علي عليه السلام) قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله : يا رسول الله ؛ اني اجرت أحمائي واغلقت عليهم الباب ، وإن ابن أمي (تعني الامام امير المؤمنين عليه السلام) أراد قتلهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : قد اجرنا من اجرت يا أم هاني ، انما يجبر على المسلمين ادناهم . (٣)

ولاريب ان كلمة المسلم تشمل العبد المسلم ، كما تشمل الأنثى . وبذلك تشملهما الأدلة العامة التي اجازت أمان المسلمين على بعضهم . فقد جاء في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد ان يبعث

(١) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٩٤-٩٥ .

(٢) وسائل الشريعة / ج ١١ / ص ٥٠ / الباب ٢٠ / ح ٢ .

(٣) جواهر الكلام عن المنتقى من اخبار المصطفى ج ٢ / ص ٨١٤ .

سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ، ثم يقول : سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، لا تغلوا ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها . وأيّما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر الى أحد من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله ، فان تبعكم فأخوكم في الدين ، وإن أبى فأبلغوه مأمناً ، واستعينوا بالله . (١)

وقد اشتهر الحديث النبوي الشريف الذي رواه السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : ما معنى قول النبي صلى الله عليه وآله يسعى بذمتهم أدناهم؟ قال : لو ان جيشاً من المسلمين حاصروا قوماً من المشركين فأشرف رجل فقال : أعطوني الأمان حتى ألقى صاحبكم وأناظره ، فأعطاه أدناهم الأمان ، وجب على أفضلهم الوفاء به . (٢)

~~~~~  
بإاء : حكم من دخل بشبهة الأمان

قال المحقق : ولو أذم المراهق أو المجنون لم ينعقد ، لكن يعاد الى مأمناً . وكذا كل حربي دخل دار الاسلام بشبهة الأمان ، كأن يسمع لفظاً فيعتقده أماناً ، أو يصحب رفقةً فيتوهمها أماناً . (٣)

وقال العلامة النجفي تعقيباً وشرحاً : أو يشتمل عقد الأمان على شرط فاسد ، ولكن لا يعلم المشرك افساده (للعقد وان امانه باطل ، فيدخل بلاد المسلمين بشبهة الأمان) . أو نحو ذلك (من الشبهات التي قد يدخل بها الكفار بلاد المسلمين) بلا خلاف أجده فيه ، كما اعترف به في المنتهى . (٤)

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٤٣ / الباب ١٥ / ح ٢ .  
(٢) المصدر / ص ٤٩ / الباب ٢٠ / ح ١ .  
(٣) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٩٦ .  
(٤) المصدر / ص ٩٥ .

وقد جاء في الخبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لو أن قوماً حاصروا مدينة فسألوهم الأمان فقالوا : لا ، فظنوا انهم قالوا : نعم ، فنزلوا إليهم ، كانوا آمنين .  
(١)

وهذا الحديث يشمل بفحواه كل من دخل بشبهة الأمان . فان أمان فرد بالشبهة أقل من أمان حصن بها .

إلا أننا يجب ان نتأكد من ذلك ، اما لو ادعى أحد أنه دخل البلاد بالشبهة ولم تكن لديه أدلة كافية على ذلك ، لم يقبل منه . وقد روي في كتاب دعائم الاسلام عن الامام علي عليه السلام انه قال : إذا ظفرتم برجل من أهل الحرب ، فان زعم انه رسول اليكم ، فان عرف ذلك وجاء بما يدل عليه ، فلا سبيل لكم عليه حتى يبلغ رسالته ويرجع الى اصحابه . وان لم تجدوا على قوله دليلاً فلا تقبلوا . (٢)

جيم<sup>٨٨٨٨</sup> : عبارات الأمان

قال المحقق : واما العبارة فهو ان يقول : أمنتك او أجرتك او انت في ذمة الاسلام . وكذا كل لفظ دلّ على هذا المعنى صريحاً ، وكذا كل كناية علم بها ذلك من قصد العقائد . ولو قال : لا بأس عليك أو لا تخف ، لم يكن ذماماً مالم ينضم اليه ما يدلّ على الأمان . (٣)

بلى ؛ وكل اشارة تدل عليه دلالة واضحة ، فلقد نادى هاتف عن النبي صلى الله عليه وآله أنه : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن اغلق عليه بابه فهو آمن .  
(٤)

وفي الحديث المأثور عن دعائم الاسلام ، عن الامام الصادق عليه السلام ، انه قال : الأمان جائز بأي لسان كان . وجاء في حديث آخر عن الامام أمير المؤمنين

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٥٠ / الباب ٢٠ / ح ٤ .  
(٢) مستدرک الوسائل / الباب ٣٧ / ح ٢ .  
(٣) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٩٩ .  
(٤) المصدر عن وسائل الشيعة / الباب ٥ / ح ٢ .

عليه السلام ، انه قال : اذا أوى احد من المسلمين او أشار بالأمان الى احد من  
المشركين فنزل على ذلك ، فهو أمان . (١)

علماً بان اساس العقد - أي عقد كان - فهو انعقاد النية والتعهد من الجانبين ، وهو  
حاصل في المقام . وانما التعبير عنه فهو اظهار لما في القلب من النية والارادة .  
على ان الأمان ليس عقداً بالمعنى المفهوم من العقد ، وانما هو عهد من قبل المتعهد  
سواءً رضي به المتعهد له ام لا ، ولا يحتاج العهد الى لفظ خاص . بلى ؛ يجب ان  
نعرف تحققه وبأي طريقة حصلت لنا المعرفة كفى .

دال : صلاحية الفرد في اعطاء الامان

قال المحقق الحلي : ويجوز ان يذم الواحد من المسلمين لاحاد من اهل الحرب ،  
ولا يذم عاماً ولا لأهل اقليم . وهل يذم لقرية او حصن ؟ قيل : نعم ، كما أجاز علي  
عليه الصلاة والسلام نمام واحد لحصن من الحصون . وقيل : لا ، وهو الأشبه .  
وفعل علي عليه السلام قضية في واقعة ، فلا يتعدى . (٢)

واستدل في الجواهر على رأي المحقق بقوله : لاصالة عدم ترتب الأثر ، فيبقى  
عموم تقبل المشركين بحاله . (٣) ثم علق عليه بقوله : ولكن فيه (اشكال يتمثل بما  
يلي : أولاً : ان الأصل (الذي استدل به على عدم نمام فرد لقوم) مقطوع  
بالاطلاق السابق . (فاطلاق أدلة الذمام يشمل نمام الفرد لقوم ، كما يشمل نمام  
الفرد لفرد) . وازاف : والمحكي عن علي عليه السلام ماهو كالتعليل العام ، (فهو  
ليس مجرد قضية في واقعة) . ومنه أخذ عمر بن الخطاب فيما رواه الجمهور عن  
فضل بن يزيد الرقاشي قال : جهز عمر بن الخطاب جيشاً فكنت فيه ، فحضرنا  
موضعاً فرأينا ان نستفتحه اليوم ، وجعلنا نقبل ونروح فبقي عبد منا فراطنهم  
وراطنوه ، فكتب لهم الأمان في صحيفة وشدها على سهم فرمى بها اليهم ،

(١) مستدرک الوسائل / الباب ١٨ / ح ٦٠٥ .

(٢) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٩٦ .

(٣) المصدر .

فأخذوها وخرجوا . فكتب الى عمر بن الخطاب بذلك ، فقال : العبد المسلم رجل من المسلمين ذمته ذمتهم . (١) فالمتجه إلحاق القرية الصغيرة والقافلة القليلة بالاحاد . (٢)

والواقع ؛ ان ادلة الذمام مطلقة وشاملة حتى لاعطاء فرد من المسلمين الأمان لجيش من الأعداء . ولكن مثل هذا الاطلاق لا يؤبه به ، لانه ليس في مقام البيان من كل الجهات . من هنا فعلينا ان نعود الى الأدلة العامة التي تشرع العهد ، مثل قوله سبحانه : { وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا } (الانعام/١٥٢) .

وهذه الأدلة ظاهرة في صحة العهد ممن له صلاحيته ؛ فالعهد هو التزام الانسان بما يمكنه ان يلتزم به ، ولأن صلاحية الفرد للالتزام بالعهد غير واضحة الحدود في أدلة الذمام الخاصة ، ولأن أمور الحرب ترتبط بقيادتها الشرعية ، فالأقرب جعل صلاحية اعطاء الأمان بيد القيادة العسكرية . فقد يجوز لفرد ان يذم لفرد ، وقد لا يكون من المصلحة ذلك إلا باذن القيادة ، وقد يجعل لقيادة كل موقع قدر معين من الصلاحية وما أشبهه .

هههههه : وقت اعطاء الامان

قال المحقق : وأما وقته فقبل الأسر ، ولو اشرف جيش الاسلام على الظهور فاستنذم الخصم جاز مع نظر المصلحة . (٣)

واستدل العلامة النجفي على ذلك بالاجماع ، فقال : بلا خلاف أجده فيه . فلا يجوز لاحاد المسلمين بعده ، بل في المنتهى نسبة ذلك الى علمائنا والشافعي وأكثر أهل العلم . (٤)

واستدل على ذلك بان ادلة الذمام ظاهرة في غير الحال المزبور ، (أي بعد الأسر) . (١)

(١) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٩٦-٩٧ .

(٢) المصدر .

(٣) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ١٠٠ .

(٤) المصدر .

واضاف : وأمان زينب زوجها ابا العاص بن الربيع بعد الأسر ، انما صح  
 لاجازة النبي صلى الله عليه وآله ضرورة أن له الأمان بعد الأسر . (٢)

ومثل أمان زينب أمان أم هاني (اخت الامام علي عليه السلام) لاثنتين من  
 المشركين في فتح مكة ، حسبما تروي ذلك كتب السير والسير ، حيث تقول : لما كان  
 يوم الفتح دخل عليها حموان لها فاستجارا بها ، وقالا : نحن في جوارك ؟ فقالت : نعم  
 انتما في جوارى . قالت ام هاني : فهما عندي اذ دخل عليّ (رجلاً) فارساً مدججاً في  
 الحديد لا أعرفه ، فقلت له : انا بنت عم رسول الله صلى الله عليه وآله . قالت : فكف  
 عني واسفر عن وجهه ، فاذا علي فاعتنقته وسلمت عليه ، ونظر اليهما فشهّر السيف  
 عليهما . قلت : اخي من بين الناس يصنع بي هذا ؟! قالت : وألقيت عليهما ثوباً ،  
 وقال : تجيرين المشركين ، وحلت دونهما ؟! فقلت : والله لتبدأن بي قبلهما ، فخرج  
 ولم يكد . فاغلقت عليهما بيتاً ، وقلت : لاتخافا ، وذهبت الى خباء رسول الله بالبطحاء  
 فلم أجده ، ووجدت فيه فاطمة عليها السلام فقلت : ماذا لقيت من ابن أمي علي عليه  
 السلام ، فكانت أشد عليّ من زوجها . وقالت عليها السلام : تجيرين المشركين ؟! قالت  
 : الى ان طلع رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه رهجة الغبار ، فقال صلى الله  
 عليه وآله وقال : مرحباً فاختة ام هاني وعليه ثوب واحد . فقلت : ماذا لقيت من ابن  
 أمي علي عليه السلام ، فقال رسول الله : ما كان ذلك ، قد آمنّا من أمنت ، وأجرنا من  
 أجرت . ثم امرت فاطمة عليها السلام فسكبت له غسلاً ، فاغتسل ثم صلّى ثمان  
 ركعات في ثوب واحد ملتحفاً به ، وذلك ضحى في فتح مكة . (٣)

وهكذا قال الفقيه السبزواري (قدس سره) : ولو قلنا بالجواز (جواز الأمان) حتى  
 بعد الأسر ان اقتضت المصلحة ذلك لغيرها ايضاً ، كان حسناً . (٤)

(١) المصدر .

(٢) المصدر .

(٣) مهذب الأحكام / ج ١٥ / ص ٦٠-٦١ عن المغازي للواقدي ج ٢ / ص ٨٣٠ .

(٤) المصدر .

أقول : اقتضاء المصلحة وعدمها ترتبط بالظروف المتغيرة . ولأن قضايا الحرب متشابكة والمؤثرات فيها كثيرة ، فالأولى جعل كل هذه المسائل مرتبطة بنظر القيادات الشرعية للحرب ، لكي تضع الأنظمة المناسبة لكل ظرف من الظروف . والله العالم .

### ٨٨٨٨٨٨ ثالثاً : احكام الاقامة في دار الاسلام

من احكام المعاهدة ؛ مسائل الاقامة بدار الاسلام ، حيث يتعهد الحاكم المسلم باحترام كافة حقوق المقيم- في البلاد الاسلامية- ، وذلك بعد الاذن له . ولان هذا العهد يدخل ضمن العهود التي يجب الوفاء بها شرعاً ، فان على المسلمين الوفاء بالتزاماتهم كاملة .

٨٨٨٨٨٨ ألف : مسوغات الاقامة

- واسباب الاقامة كثيرة ، مثل :
- أ- اقامة الرسل والسفراء .
  - ب- اقامة التجار والصناعيين .
  - ج- اقامة الطلبة والاساتذة والخبراء .
  - د- اقامة المهاجرين من الكفار الى البلاد الاسلامية طلباً للرزق ، او للحرية ، او للأمن في ظل الدولة الاسلامية .
  - هـ- اقامة المعاهدين العسكريين الذين يريدون الدفاع عن البلاد الاسلامية ضمن اتفاقيات دفاع مشترك .
  - و- اقامة السواح والباحثين عن الحقيقة .
- وما الى ذلك من الاسباب التي تدعو الدولة الاسلامية اعطاء التأشيرة للكفار بالدخول في دار الاسلام بهدف الزيارة او الاقامة المؤقتة او الدائمة .

ومعلوم أن اسباب الإقامة ستكون ذات أثر في تنظيم اتفاقية المعاهدة . فالتأشيرة التي تمنح للسفراء تختلف عن التي تمنح لطلبة العلم ، او للتجار .. وشروط الإقامة للسفير تختلف عنها للتاجر او المتعلم او ما أشبهه .  
وللإقامة في البلاد الإسلامية احكام أخرى ذكرها الفقهاء .

~~~~~  
باء : احترام المقيم للقوانين

على المقيم بدار الاسلام الالتزام بكافة الانظمة المرعية فيها ، سواءً التي تتصل باحترام مشاعر المسلمين وعدم التظاهر بالمنكرات، او التي ترتبط بالقضاء والمعاقبة على الجرائم.

~~~~~  
جيم : حرمان المقيم

للمقيم بدار الاسلام حرمة الكاملة ؛ فدمه وعرضه وماله وسائر حقوقه محترمة ، ولا يجوز لأحد الاعتداء عليها ، والقضاء الاسلامي مسؤول عن ملاحقة المعتدين او المتهمين بالاعتداء عليه . إلا ان احترام متعلقات الفرد تابعة لحرمة مأمّنهم ، لانه لا ذنب لهم . اما ثروته فقد ذكر كثير من الفقهاء أنها تبقى ذات حرمة . فقد قال المحقق الحلي : وإن عقد الحربي لنفسه الأمان ليسكن في دار الاسلام دخل ماله تبعاً ، ولو التحق بدار الحرب للاستيطان انتقض امانه لنفسه دون ماله .  
(١)

واستدل العلامة النجفي على ذلك بقوله : (لانه) ثبت الأمان له (للمال) ولم ينتقض بما انتقض به أمان النفس فيستصحب ، ولا ينافي ذلك تبعية المال للنفس ضرورة اقتضائها ثبوت الأمان له ، لا دوران امانه على امانها . (٢)  
ولكن يبدو ان حرمة مال الشخص تالية لحرمة هو ، وإلا فليس للمال بذاته حرمة ، لا ابتداءً ولا استدامة . ولذلك فقد اعترف المحقق الحلي وغيره ؛ بانه لو

---

(١) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ١٠٤ .  
(٢) المصدر .

مات او قتل، انتقض الأمان في المال ايضاً إذا لم يكن له وارث مسلم ، وصار فيئاً ويختص به الامام . (١)

وكذلك قال المحقق الحلي : ولو أسره المسلمون (اي بعد ان التحق بدار الحرب واشترك في المعركة ضد المسلمين) فاسترق ، مُلِكَ ماله تبعاً لرقبته . (٢)  
ومن هنا فان المال (عند تحرره من ملكية الفرد) يصبح كسائر أموال الحربي ، حيث ذهب صاحب كتاب الجواهر الى انه يصير ملكاً لمن في يده المال ، حيث قال : لكونه مال حربي قد استولى عليه . (٣)

اما المحقق الحلي فقد ذهب - كما قرأنا آنفاً - الى انه يصير فيئاً ، واستدل على ذلك بقوله : لأنه لم يوجف عليه (٤) (بخيل ولا ركاب) .

وكلام الجواهر أشبه عندي ، لأن موضوع الفيئ هو الغنيمة التي لا توجب عليها ، وهذا المال ليس غنيمة . والله العالم .

دال : تأشيرة الدخول أمان

تقوم تأشيرات الدخول اليوم بدور اتفاقات الهدنة المؤقتة السابقة . وعلينا احترامها سواء فيما يرتبط بالمحافظة التامة على حقوق المسافرين والمقيمين في بلادنا ، او بالنسبة الى احترامنا للأنظمة التي نزرورها عبر تأشيرات الدخول السياحية او التجارية او الدراسية او غيرها .

من هنا قال المحقق الحلي : ولو دخل المسلم دار الحرب مستأمناً فسرق ، وجب اعادته ، سواء كان صاحبه في دار الاسلام او دار الحرب . (٥)

ذلك لان من يدخل داراً او بلداً بأمان من أهلها ، فانه يتعهد ضمناً بعدم الخيانة . فاذا سرق فقد خان ، والخيانة لاتجوز حتى بالنسبة الى الكافر الحربي .

(١) المصدر .

(٢) المصدر / ص ١٠٥ .

(٣) المصدر .

(٤) المصدر / ص ١٠٤ .

(٥) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ١٠٧ .

هـاء : حرمة العقود مع الحربي

واسترسالاً مع أحكام الأقامة ، قال المحقق الحلي : ولو اسلم الحربي وفي ذمته مهر ، لم يكن لزوجته مطالبته به ولا لو ارثتها . (١)  
واستدل الشهيد على ذلك في كتابه "المسالك" قائلاً : حيث ان اسلم الزوج قبلها أوجب استيلاءه على ما أمكنه من مالها الذي من جملته المهر ، وكلما استولى عليه يملكه كغيره من أموال أهل الحرب . (٢) وعلق العلامة النجفي عليه قائلاً : ومقتضاه أن الحكم كذلك في سائر الديون ، وإن كان ثمن مبيع . (٣)  
ولكن هناك قول بالتفصيل بين الديون التي بذمة الحربي الذي يسلم ؛ بين الأموال التي يستولي عليها الحربي من أموال نظرائه الحربيين بالغضب والاتلاف او النهب والسرقه ، وبين ما استولى عليها بالعقد والعهد . فالذي يسقط منها بعد اسلامه عن ذمته القسم الأول ، لان الاسلام يجب ما قبله ، ولأن أموال الحربي لا حرمة لها ، كما لا حرمة لدمه وعرضه . أما القسم الثاني فلا يسقط من ذمته لأنه تعهد بها ، وما تعهد بها الفرد واجب الوفاء حتى الى الحربي . ومن هنا يكون المهر من هذا النوع ، حيث أن الزوج تعهد لزوجته به فكيف يحنت بعهد ولا يفي به .  
وكذلك الوديعة والامانة و ثمن المعاملات المختلفة وما أشبهه .

رابعاً : اتفاقية التحكيم

ومن حقائق العهد الذي قد يقع بين طرفي الصراع (المسلمين واعداءهم) ؛ اتفاقية التحكيم . وتحدث عنها في عدة اقسام :

(١) المصدر / ص ١٠٨ .

(٢) المصدر .

(٣) المصدر .

ألف: شروط الحاكم

اشترط الفقهاء في الحاكم الذي يتفق الطرفان الرجوع اليه جملة شروط ، فقال المحقق الحلي : يجوز ان يعقد العهد على حكم الامام عليه السلام او غيره ممن نصبه للحكم ، ويراعى في الحاكم كمال العقل والاسلام والعدالة . وهل تراعى الذكورة والحرية ؟ قيل نعم ، وفيه تردد . (١)

وقد يضاف الى ذلك ، فقهه وكفاءته لما اختير له من الحكومة . إلا أن هذه الشروط قد لا يوافق عليها الطرف الآخر ، وقد تقتضي المصلحة القبول بما يقترحونه من أجل وقف الحرب .

باء: شرعية التحكيم

وشرعية التحكيم مستندة الى شرعية العهد والميثاق ، وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله لما حاصر بني قريظة ، رضوا بان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فاجابهم صلى الله عليه وآله الى ذلك ، فحكم عليهم بقتل رجالهم وسبي ذراريهم . فقال له النبي صلى الله عليه وآله : لقد حكمت بما حكم الله تعالى به فوق سبعة أرفة ؛ أي سبع سماوات . (٢)

ومعروفة واقعة التحكيم في حرب الصفين ، حيث رفض الامام أمير المؤمنين التحكيم أولاً ، ثم قبله بعد اصرار الناس عليه . كما رفض الحاكم المعين من قبل الناس أولاً ، ثم قبله . وكل ذلك يهدينا الى أن ظروف الحرب ومتغيراتها تتحكم كثيراً في قراراتها .

بلى ؛ ينبغي ان نضع الثوابت من الاحكام التي يجب التقيد بها قدر المستطاع ، اما عند الضرورة فالأمر مختلف . ولعله لذلك كانت وصية النبي صلى الله عليه وآله وأله لأمر السرايا ان ينزل العدو على حكمه ، لا على حكم الله . فقد جاء في

---

(١) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ١١٠-١١٢ .  
(٢) المصدر ص ١١٠-١١١ نقلاً عن سيرة ابن هشام القسم الثاني ص ٢٤٠ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٨٨ .

الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن النبي صلى الله عليه وآله كان إذا بعث أميراً له على سرية ، أمره بتقوى الله عز وجل في خاصة نفسه ثم في أصحابه عامة . ثم يقول : اغز بسم الله وفي سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا متبتلاً في شاهر ، ولا تحرقوا النخل ، ولا تغرقوه بالماء ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تحرقوا زرعاً لأنكم لاتدرون لعلكم تحتاجون إليه ، ولا تعفروا من البهائم يؤكل لحمه إلا ما لا بد لكم من أكله . وإذا لقيتم عدوا للمسلمين فادعوهم إلى إحدى ثلاث ، فإن هم اجابوكم إليها فاقبلوا منهم وكفوا عنهم : وادعوهم إلى الاسلام فإن دخلوا فيه فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ، وادعوهم إلى الهجرة بعد الاسلام فإن فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ، وإن ابوا ان يهاجروا واختاروا ديارهم وابوا ان يدخلوا في دار الهجرة كانوا بمنزلة اعراب المؤمنين يجرى عليهم ما يجري على اعراب المؤمنين ، ولا يجري لهم في الفئ ولا في القسمة شيئاً إلا ان يهاجروا في سبيل الله . فان ابوا هاتين فادعوهم إلى إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون ، فان اعطوا الجزية فاقبل منهم وكف عنهم ، وإن ابوا فاستعن بالله عز وجل عليهم وجاهدهم في الله حق جهاده . وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك على ان ينزلوا على حكم الله عز وجل فلا تنزل بهم ، ولكن انزلهم على حكمكم ثم اقض فيهم بعد ما شئتم . فانكم إن انزلتموهم على حكم الله لم تدروا تصيبوا حكم الله فيهم ام لا . وإذا حاصرت أهل حصن فان آذنوك على ان تنزلهم على نمة الله وذمة رسوله فلا تنزلهم ، ولكن انزلهم على نمةكم وذمم آبائكم واخوانكم ، فانكم ان تخفروا نمةكم وذمم آبائكم واخوانكم كان ايسر عليكم يوم القيامة من ان تخفروا ذمة الله وذمة رسوله صلى

الله عليه وآله . (١)

جيم : المحاكم الدولية

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٤٣ / الباب ١٥ / ح ٣ .

وقد انشأت في الوقت الراهن محكمة دولية باسم محكمة لاهاي ومنظمات دولية وإقليمية ، من شأنها التدخل في الخصومات ومحاولة فصلها ؛ مثل مجلس الأمن الدولي ، ومجلس التعاون الأوربي ، ومنظمة المؤتمر الاسلامي ، وجامعة الدولة العربية ، ومنظمة الوحدة الافريقية ..

ولا بأس بالرجوع اليها عند اقتضاء المصلحة العليا للأمة ، ذلك خصوصاً إذا كان القرار النهائي بيد القيادة الشرعية للأمة . والله العالم .

وقد قال المحقق : ويجوز ان يستند الحكم الى اثنين او اكثر ، فلو مات احدهم بطل حكم الباقيين . (١) واذاف : ويتبع ما يحكم به الحاكم إلا ان يكون منافياً لوضع الشرع . (٢)

وهذا مما لا خلاف فيه ولا اشكال ، ولكن ينبغي ان يضاف الى ذلك شرط ان يكون ما يحكم به موافقاً لمصالح الأمة .

#### ^^^^^ خامساً : احكام الجعالة في الحرب

تعني الجعالة ما يضعها قيادة الجيش لمن يقوم بعمل متميز ينفع الحرب ؛ مثل ان يدلّه على عورات العدو واسراره ، او يضع له خطة عسكرية ناجحة للفتح ، او يقتحم حصناً او يهدم خطأً دفاعياً او ما أشبهه .

١/ والجعالة عقد يجب الوفاء به ، وقد قال المحقق الحلي : يجوز لوالي الجيش جعل الجعائل لمن يدلّه على مصلحة ، كالتنبيه على عورة القلعة وطريق البلد الخفي . (٣)

---

(١) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ١١٤ .

(٢) المصدر .

(٣) المصدر / ص ١١٨ .

ولكن المحقق اشترط في الجعالة ان تكون معلومة بطريقة او بأخرى ، فقال :  
وإن كانت الجعالة من ماله ديناً ، اشترط كونها معلومة الوصف والقدر . وإن كانت  
عيناً ، فلا بد ان تكون مشاهدة او موصوفة . وإن كانت من مال الغنيمة ، جاز ان  
تكون مجهولة كجارية وثوب . (١)

واستدلها على ضرورة كونها معلومة بما قاله الفقيه السبزواري : لاعتبار ذلك  
في كل قرار معاملي عند الفقهاء ، بل العقلاء . ولكنه اضاف : نعم اغتفر في  
الجعالة من الجعالة في الجملة ، مالم يغتفر في غيرها . (٢)

ولكن هذا المبنى العقلائي لا يصلح دليلاً ، لأن مقاصد العقلاء تختلف في أمور  
معاشهم ، وقد يتوافقون فيما بينهم على أمر مجهول . بلى ؛ إن لم تكن الجعالة  
معلومة ، فقد لا تشجع احداً للاقدام على العمل المطلوب .

ويؤيد ما قلناه استثناء ما يحصل من الغنيمة ، حيث لا يضر ان يكون مجهولاً ،  
حيث ذكر في الجواهر دليلاً على هذا الاستثناء : للحاجة ، ولأن النبي صلى الله  
عليه وآله قد جعل للسرية من الجيش الثلث او الربع من الغنيمة المجهولة ، بل في  
المنتهى لا نعلم فيه خلافاً . (٣)

٢/ واليوم حيث تعقدت أنظمة الحروب ، وضعت القيادات جملة من اللوائح  
القانونية حول الخدمات المتميزة ، مثل ترقية الرتب العسكرية ، واعطاء الاجازات  
المطولة ، ودفع الجوائز النقدية وما أشبه . وهذه تعتبر من الجعالة وتقوم بدور  
اساسي في تفصيل دور احاد الأمة في الحرب ، وهو المطلوب ؛ إذ ان الحرب  
مسؤولية كبيرة ، ولا تستطيع الجهات العسكرية تحملها بمفردها .

---

(١) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ١١٨ .

(٢) مهذب الاحكام / ج ١٥ / ص ٦٩ .

(٣) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ١١٨ .

## الركن العاشر : أسرى الحرب

(محمد/٤) ، (الانفال/٦٨) ، (الانفال/٧٠-٧١) ؛ نستفيد من الآيات القرآنية البصائر التالية :

### ألف : متى يؤخذ الأسير

١- إنه لايجوز الاهتمام بالأسر قبل ان تضع الحرب اوزارها ، حيث كان بعض المسلمين يطمعون في الفداء - الذي هو بدل التحرير- فيبادرون بأخذ الأسرى ، وربما تسبب ذلك في الهزيمة ؛ كالذي حصل في حرب احد ، حيث نزل بعض المسلمين من الثغر الذي أرسدوا فيه ، فالتف العدو عليهم ووقعت الهزيمة في صفوف المسلمين . ولعل الحديث التالي ناظر الى هذه الحالة ، حيث روى طلحة بن زيد ، انه قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : كان أبي يقول : ان للحرب حكيم إذا كانت الحرب قائمة ولم يثخن أهلها ، فكل أسير أخذ في تلك الحال ، فان الامام فيه بالخيار إن شاء ضرب عنقه ، وإن شاء قطع يده ورجله من خلاف بغير حسم ثم يتركه يتشطح في دمه حتى يموت . (١)

٢- بعد الاثخان حيث يتراكم القتلى والجرحى ويشرف المسلمون على الانتصار ، هناك تبدأ عملية شد الوثاق وتقييد الأيدي والاعناق .

### باء : حكم الأسرى

وبعد الأسر إما يمن على الأسرى الموثوقين باطلاق سراحهم ، واما يفدون أنفسهم ببعض المال لقاء حريتهم المستردة . وقد جاء في السنة اضافة خيار آخر هو استرقاقهم ، حيث جاء في الحديث السابق الذي ذكرنا صدره آنفاً ، (عن طلحة بن زيد عن الامام الصادق عليه السلام انه قال) : والحكم الآخر إذا وضعت

(١) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٥٣ / الباب ٢٣ / ح ١ .

الحرب أوزارها واثخن أهلها ، فكل أسير أخذ على تلك الحال فكان في أيديهم ، فالإمام عليه السلام فيه بالخيار ؛ ان شاء منّ عليهم فإرسلهم ، وإن شاء فآداهم انفسهم ، وان شاء استعبدهم فصاروا عبيداً . (١)

وهكذا روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه نهى عن قتل النساء والولدان ، وكان يسترقهم إذا سباهم .

### جيم : اصلاح الأسرى

الحرب الإسلامية ليست انتقامية ، ولا هي عنصرية ، ولا هي من أجل غنائم الدنيا ، بل هي حرب مقدسة ، هدفها المحافظة على حرية الإنسان وكرامته . ولذلك فإن النظرة الى العدو ليست نظرة حقد وعصبية ، وإنما نظرة الى الإنسان المنحرف الذي يجب السعي نحو نجاته من انحرافه . ولذلك فإن القرآن الكريم يأمر النبي صلى الله عليه وآله أن يسعى نحو اصلاح الأسرى ، ليكونوا مواطنين محترمين في النظام الإيماني الجديد ، وذلك عبر بيان الحقائق التالية لهم :

١- باعتبار الأسير يشعر بالانكسار، ويحس بالخسارة، فأول ما يقال للأسير يهدف جبر انكساره النفسي، وبانه لو اصلح نيته أتاه الله أفضل مما أخذ منه . وبتعبير آخر؛ توجيه نظره الى المستقبل ، وتحريره من دوامة الماضي، وتزويده بشحنة من الأمل والتطلع.

٢- ولأن الأسير يحس بالندامة لقيامه بحرب ظالمة ضد المسلمين ، فإن ما يقال له يهدف نجاته من عقدة الذنب وتأميله بالمغفرة ، لأن الله غفور رحيم .

٣- ولأن المسلمين يخشون من خيانة الأسير ، وان يؤمن ظاهراً ثم يخون ، فإن القرآن الكريم يأمر بالتوكل على الله في أمرهم ، ويهدف ذلك تحرير المسلمين من خوف خيانة الأسرى لهم .

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٥٣ / الباب ٢٣ / ح ١ .

## ~~~~~دال : وصايا الاسلام في الأسرى

عندما نراجع السيرة العطرة للرسول الكريم الذي أمر القرآن الحكيم باتخاذ أسوة حسنة،

فإننا نجد تجلياً لروح الاسلام في النظر الى الاسرى ، وفي التعامل الانساني الرفيع معهم . وقد اختصر الدكتور العميد الركن محمد ظاهر وتر جانباً من سيرة النبي في الأسرى ، نقلاً عن كتب السير، فقال : الأسرى هم المقاتلون ، او من في حكمهم من جيش العدو الذين يقعون في قبضة الجيش وهم أحياء .

واضاف : والاسير إما ان يقتل او يفتدى بالمال او بالأسرى او يمن عليه ، وذلك حسب ما تقتضيه المصلحة العليا .

وقد أمر الرسول العربي بقتل عقبة بن معيط ، والنضر بن الحارث اثر معركة بدر ، وعمر بن الجمعي - الشاعر الجاهلي - اثر واقعة احد ، وبني قريضة اثر حصارهم . (١)

اقول : قصة بني قريضة من القصص التاريخية التي يجب التحقيق فيها ، حسب رأي بعض المحققين . اما قتل الآخرين فيظهر من بعض التفاصيل التي سنذكرها انشاء الله انهم كانوا مجرمي حرب حسب تعبيرنا ، وقد تم قتل آحاد من الأسرى فقط . وقال المؤلف : وقدم بعض أسارى بدر الفداء ، فمن لم يملك المال يعلم عشرة من غلمان المدينة . وفدى الاسيرين الذين اسرا في سرية عبد الله بن جحش ، وتبادل الأسرى مع قريش اثر معاهدة صلح الحديبية . (٢)

وقال : ومن على ابن عزة الجمحي لفقره ، وعلى ابي العاص بن الربيع ، وعلى غيره من اسرى بدر ، وعلى اسر بني المصطلق . (٣)

---

(١) الادارة العسكرية في حروب الرسول محمد صلى الله عليه وآله / ص ٢٨٨ .

(٢) المصدر .

(٣) المصدر .

واضاف : لقد عامل الرسول العربي صلى الله عليه وآله معاملة فيها رفق ورحمة وعناية وانسانية ، فقد اوصى بهم خيراً ، وعفا عنهم حين ظفر بهم ، وارخى وثاق احدهم حين سمع انينه . كان نتيجة هذه المعاملة للأسرى ان دخل اغلبهم في الاسلام ، رغبة منهم في هذا الدين الجديد .  
لقد كان الأسير يوثق وتحجز حرите ، ويوضع في مكان تتوافر فيه العناية والشروط

الصحية ، حيث كان يسجن في المسجد ، او في بيوت الجند الذين يوزع عليهم الأسرى ، او في بيت واحد مجتمعين . ويتبع هذا الاجراء منع هؤلاء من الهرب ، وذلك لان المنازل كانت غير معدة للسجن ، وبامكان الأسير الهرب في أية لحظة عند عدم وثاقه .

لقد حض القرآن الكريم على أحكام الأسير ، واوصى الرسول صلى الله عليه وآله باطعامه ، وأثر الجند الأسرى على انفسهم في الأكل . فكان عزير بن عمير (الأسير) يأكل الخبز وأطايب الأطعمة ، اما الذين أسروه فيأكلون التمر وما تبقى . كما كان القائد العام يستجيب لطلب أحد الأسرى بالأكل والاحسان اليه ، ويطلب من الصحابة جمع الطعام لتقديمه لتمامة ، فيقدمون له اللبن والطعام الشهي . وكذلك فان الأسير كان يكسى الكساء المناسب ، إذ اعطى القائد العام العباس قميصاً ، واعطى سفاتة بنت حاتم الطائي كسوة ونفقة ومنّ عليها .

وكان لا يستكره الأسير على الأدلاء بالمعلومات العسكرية المحظورة ، ويضغط عليه او يضربه ان ادلى بمعلومات كاذبة قاصداً بها خداع الجيش الاسلامي . ولا يضربه ابداً وإن لم يدل على اسرار العدو ، فان ادلى بها فمن نفسه . (١)  
وقد استقى المؤلف معلوماته من حشد من كتب الحديث والسير والتاريخ ، ولكننا لم نجد ضرورة لاثباتها هنا .

---

(١) الادارة العسكرية في حروب الرسول محمد صلى الله عليه وآله / ص ٢٨٨ - ٢٩٠ .

وقد وصف القرآن الكريم أكرم عباده باطعام الأسير ، فقال تعالى : { وَيُطْعَمُونَ  
الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا \* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ  
جَزَاءً وَلَا شُكُورًا } (الانسان/٨-٩)

والآية تدل أولاً على حسن الايثار بالنسبة الى الأسير ، بحيث يكون الفرد جائعاً  
ومحبباً للطعام ، ولكنه يقدمه للأسير . كما تدل على ان العمل يقرب الى الله سبحانه  
، حيث انهم قالوا انما نطعمكم لوجه الله .

ومعلوم ان الآية المباركة نزلت في اهل بيت الرسالة ؛ فاطمة الزهراء وبعلمها  
أمير المؤمنين وسبطا الرسالة الحسن والحسين ، على النبي وعليهم جميعاً صلوات  
الله وسلامه.

وجاء في الحديث عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ؛ ان علي بن ابي طالب عليهم  
السلام خرج يوقظ الناس لصلاة الصبح ، فضربه عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله  
بالسيف على رأسه ، فوقع على ركبتيه واخذه فالتزمه حتى اخذه الناس . وحمل  
علي عليه السلام حتى افاق ، ثم قال للحسن والحسين عليهما السلام : احبسوا هذا  
الأسير واطعموه واسقوه واحسنوا أساره . (١)

وعن الشيخ البكري في حديث وفاة الامام علي عليه السلام ، عن لوط بن يحيى  
، عن اشياخه قال : ثم التقت عليه السلام الى ولده الحسن عليه السلام وقال : ارفق  
يا ولدي بأسيرك وارحمه وأحسن اليه واشفق عليه . (الى ان قال) فلما افاق ناوله  
الحسن عليه السلام قعباً من لبن وشرب منه قليلاً ثم نحاه عن فمه ، وقال : احملوه  
الى اسيركم . ثم قال للحسن عليه السلام : بحقّي عليك يا بنيّ إلا ما طيبتم مطعمه  
ومشربه وارفقوا به الى حين موتي ، وتطعمه ممّا تأكل وتسقيه ممّا تشرب حتى  
تكون اكرم منه . (٢)

(١) مستدرک الوسائل / ج ٢ / ص ٢٥٧ / الباب ٣٠ / ح ١ .

(٢) المصدر / ص ٢٥٨ / ح ٢ .

ترى كيف كانت وصية الامام عليه السلام بالنسبة الى قاتله الذي كان أسيراً عند ولده؟

وجاء في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال : ينبغي ان يطعم الأسير ويسقى ويرفق به ، وان اريد به القتل . (١)

ومن هنا اعتبر الاسلام ان نفقة الأسير الذي توطن في البلاد الاسلامية حتى كبر وعجز، انها توفر من بيت المال . فقد روي عن محمد بن أبي حمزة ، عن رجل بلغ به أمير المؤمنين عليه السلام قال : مر شيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : ما هذا ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين ؛ نصراني . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه . أنفقوا عليه من بيت المال . (٢)

وجاء في حديث شريف ؛ النهي عن قتل الأسير ، حيث روي عن علي بن الحسين

عليهما السلام قال : إذا أخذت أسيراً فعجز عن المشي ولم يكن معك محمل ، فأرسله ولا تقتله ، فانك لاتدري ما حكم الامام فيه . وقال : الاسير إذا أسلم فقد حقن دمه وصار فيناً . (٣)

وقد أطلق الامام علي عليه السلام اسراه بصفين ، إلا بعضاً منهم . فقد جاء في الحديث عن الشعبي قال : لما أسر علي عليه السلام الأسرى يوم صفين فخلّى سبيلهم ؛ أتوا معاوية ، وقد كان عمرو بن العاص يقول للأسرى أسّرهم معاوية إقتلهم ، فما شعروا إلا بأسراهم قد خلّى سبيلهم علي عليه السلام . فقال معاوية : يا عمر لو أطعناك في هؤلاء الأسرى لوقعنا في قبيح من الأمر . الا ترى قد خلّى سبيل أسرانا ؟ فأمر بتخلية من في يديه من اسرى علي عليه السلام . وقد كان علي

(١) المصدر / ح ٣ .

(٢) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٤٩ / الباب ١٩ / ح ١ .

(٣) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٥٣-٥٤ / الباب ٢٣ / ح ٢ .

عليه السلام اذا أخذ اسيراً من أهل الشام خلى سبيله ، إلا ان يكون قد قتل من اصحابه احداً فيقتله به ، فاذا خلى سبيله فان عاد الثانية قتلته ولم يخلّ سبيله . (١)

ومن خاتمة هذا الحديث نعرف لماذا قتل الامام أمير المؤمنين بعض الأسرى . والحديث الثاني يوضح ذلك ، حيث جاء عن علي عليه السلام انه أتى باسير يوم الصّفين فقال : لا تقتلني يا أمير المؤمنين . فقال : افيك خير ، اتبايع ؟ قال : نعم . قال : للذي جاء به لك سلاحه وخلي سبيله . واته عمّار بأسير فقتله . (٢)

وهكذا فعل النبي صلى الله عليه وآله ، حيث قتل بعض الأسرى لما ارتكبوه من جرائم كبيرة ، بينما من على بعضهم وفادى بعضاً .

ولاريب ان جملة ممارسات خاطئة قد وقعت في التاريخ الاسلامي في العصور المتأخرة ، إلا ان روح التشريع الاسلامي فيما يتصل بالأسرى تمثلت في المعاملة الانسانية في الأغلب ، مما دفع اغلبهم الى قبول الاسلام والدفاع عنه ، والاندماج مع الحضارة الاسلامية ، ذلك لان الاسلام في حقيقته كان بعيداً عن التمييز العرقي والقومي والطبقي . ومن هنا فان نظرة الناس الى الأسير كانت نظرة سليمة في مجملها ، وهي اعتباره اخاً في الدين او نظيراً في الخلق .

وإذا عرفنا ان هذه المعاملة كانت قبل خمسة عشر قرناً ، حيث كان العالم غارقاً في ظلمات التمييز ، نعرف المعنى الحقيقي لهذه المعاملة الانسانية . وفيما يلي سوف نقرأ انشاء الله وضع اسرى الحرب في القرون السابقة ، بل وحتى في القرن الراهن .

#### هـاء : قصة الأسرى في التاريخ

الأسرى كانوا ابشع ضحايا الحروب في العصور الغابرة ، حيث كان يقود المنتصر حس الانتقام ونشوة النصر الى الحاق كل الوان الأذى والاهانة بهم ..

(١) مستدرك الوسائل / ج ٢ / ص ٢٥١ / الباب ٢١ / ح ٤ .

(٢) المصدر / ح ٢ .

فالأسير - في ظنهم - كان مملوكاً حقيقة لأسره ، يفعل به ما يشاء . وقد بلغت القسوة باليونان القديمة درجة كانوا يفقدون الأسير بصره ، (١) وفي الحروب الصليبية قامت الدول المتاجرة بالدين المسيحي بأفطع الأعمال بالنسبة الى الأسرى المسلمين .

وبالرغم من جهود الحكماء والمصلحين الرامية الى اعطاء الاسارة صفة قانونية منذ الحرب الداخلية في امريكا ، حيث اصدر الرئيس الأمريكي قراراً يمنع الحاق أي اذى بالاسرى ، (٢) فان وضع الأسير الحربي لم يتحسن كثيراً ، حيث قتل في الجنوب (٢٤٠٠٠) امريكي شمالي ، وقتل في الشمال (٢٦٠٠٠) اسير امريكي جنوبي . (٣)

واستمرت الجهود المضنية لتحسين وضع الأسرى في اوربا في مؤتمر بروكسل عام ١٨٧٤م ، ثم كانت قرارات لاهاي التي تفررت بتاريخ ١٨/١٠/١٩٠٧م ، ثم ميثاق جنيف الذي اتفقوا عليه بتاريخ ٢٧/١/١٩٢٩م . وكان من المفروض ان يكون هذا الميثاق هو الحاكم على وضع الأسرى في الحرب العالمية الثانية ، إلا أن عدداً محدوداً من الأسرى استفادوا منه في تلك الحرب . فمن أصل ١٢ مليون أسير استفاد من الميثاق ٤ ملايين منهم فقط . (٤)

ومن هنا فقد كانت ارقام الضحايا من بين الأسرى في تلك الحرب فظيعة ، حيث مات او فقد حوالي مليون وثلاثمائة وواحد وعشرين ألف (١/٣٢١/٠٠٠) أسير الماني كانوا عند الاتحاد السوفياتي ، من مجموع (٣/٧٣٠/٠٠٠) أسير . ومات او فقد (٦٣/٠٠٠) أسير ايطالي ، من مجموع (٧٥/٠٠٠) . وفقد او مات (١٥٠/٠٠٠) أسير ياباني من مجموع (٦١٥/٠٠٠) . اما اسرى الحرب الروس

---

(١) حقوق جنك / ص ١٣٨ .

(٢) وذلك بتاريخ ٢٤ / ابريل / ١٨٦٣ (راجع حقوق مخاصمات مسلحانه ص ١٠٠) .

(٣) المصدر .

(٤) حقوق جنك / ص ١٣٩ .

عند الالمان فقد مات منهم مليونان وثلاثمائة ألف على أثر الاصابة بمرض التيفوئيد . ومن مجموع (٤٦/٠٠٠) أسير من الدول الحليفة عند اليابان فقد (١٦/٠٠٠) منهم . (١)

وحتى في الحروب التي اشتعلت بعد الحرب الكونية الثانية وحتى اليوم ، (حرب كوريا - حرب فيتنام - الحرب الهندية الباكستانية - الحروب العربية الاسرائيلية - الحرب العراقية الايرانية ، وغيرها ) لم تطبق موثيق الأسرى بجدية كافية ، ولم تنزل روح الانتقام هي السائدة في التعامل مع أسرى الحرب ، حتى ان نظام بغداد قام باعدام الاف الأسرى الايرانيين بصورة فجعية ، وذلك بعد هزيمته في بعض المعارك .

ومن هذه النبذة التاريخية نعرف مدى عظمة الاسلام وقدرته على ضبط النوازع البشرية الشريرة ، حيث ان التاريخ لا يذكر معاملة انسانية عالية مع الأسرى كما كان في العهد الأول من حكم الاسلام . وكلما تدنى مستوى الالتزام بالدين ، كلما زادت القسوة في التعامل مع الأسرى .

#### ^^^^^ او : حكمة الاسترقاق

ومن هذا السرد التاريخي نعرف حكمة الاسترقاق في عهد النبي صلى الله عليه وآله ، حيث كان يقوم المسلمون بالمحافظة على الأسرى ، بحيث يقوم كل مسلم بالمحافظة على فرد او افراد منهم لقاء خدمة يسديها الأسير لهم . علماً بأن واقع العبودية في الاسلام يختلف جذرياً عن واقعها الذي كان شائعاً في القرون الوسطى، خصوصاً في البلاد الغربية. إذ ان واقع العبودية كان نوعاً من الكفالة والهيمنة والصلة العملية بين العبد وبين سيده ، (كما هو شائع في كثير من بلاد العالم من كفالة المواطن للأجنبي) . ومن هنا فان العبد كان يمتلك كافة الحقوق المدنية التي يملكها الحر ، باستثناء بعض الحقوق التي تقتضيها حالته الاجتماعية

(١) راجع حقوق مخاصمات مسلحانه /ص ١٠٠-١٠١ .

(بصفته أجنبياً) . ونحن نرى اليوم ايضاً ، ان كثيراً من التشريعات الحديثة تستثني طائفة من البشر عن الحقوق المدنية ؛ مثل تشريعات الهجرة والاقامة في امريكا بالنسبة الى الوافدين .

#### ٨٨٨٨٨٨ زاء : الموائيق الدولية بشأن الأسرى

وأنى كان فقد وقّعت دول العالم على جملة اتفاقات فيما بينهم تقضي بعدم الحاق الأذى بالأسرى والمحافظة عليهم لحين اعادتهم الى بلادهم بعد انتهاء الحرب .  
(١)

ولان الدولة الاسلامية من مصلحتها مثل هذه الاتفاقات ، فانها توقع عليها وتلتزم بموائيقها .

وتعتمد هذه الموائيق على فكرة هامة ؛ هي ان اخذ الأسرى ليس عملاً قمعياً ضد العدو، وإنما هو عمل وقائي بالنسبة الى عدو ألقى سلاحه ؛ (٢) هدفه منع العدو من استخدام الأسير - مرة أخرى - في العمليات الحربية .  
وأبرز ما في هذه الموائيق ، هي :

١- تحديد حرية الأسير الحربي ، بأنه الذي كان يشترك في العمليات الحربية بصورة رسمية ولو كان متطوعاً .

٢- على الأسرى اتباع قوانين وقرارات الدولة الأسيرة ، ( وليس الذين أسروهم مباشرة ) .

---

(١) منذ ميثاق عام ١٨٧٤ الميثاق الذي سمّي بـ (اعلان بروكسل) وارتبط بندان منه (٢٣-٢٤) بوضع الأسرى ، وميثاق جنيف لعام (١٩٢٩) الذي جرى التوقيع عليه حتى عام ١٩٨٥ من قبل ١٥٧ دولة ، مرت حالة الأسرى القانونية بمراحل عديدة . وقد فشلت المحاولات الكثيرة التي بذلت لتحسين أوضاعهم . واليوم حيث يحتوي الميثاق الأخير على ١٥٠ مادة بشأن حقوق الأسرى ، إلا ان الكثير من هذه المواد القانونية تعتبر مجرد تمنيات حلوة عند رجال القانون او عند رجال الصليب الأحمر الدولي وغيره من المؤسسات الدولية . (راجع كتاب "حقوق جنك" -بالفارسية- تأليف محمد رضا ضيائي بيكدلي ، طباعة جامعة العلامة الطباطبائي في طهران لعام ١٩٩٤ م ، ص ١٣٩)  
(٢) راجع المصدر السابق .

- ٣- على الدولة الأسيرة معاملة الأسرى معاملة انسانية في كل الظروف ،  
وتتجنب المعاملة غير الانسانية ؛ مثل القسوة (والتعذيب الجسدي او الروحي)  
والتهديد والاهانة ، واللامبالاة التي تهدد حياتهم أو سلامتهم . وفي غير هذه الحالة  
تتحمل تلك الدولة تبعات أعمالها .
- ٤- على الدولة الأسيرة المحافظة على حياة الأسرى بنقلهم بعيداً عن ساحات  
القتال ، وعدم استخدامهم دروعاً بشرية . ويقوم ضابط بحماية الأسرى في  
المعسكرات ، ونفقاتهم على الدولة الأسيرة .
- ٥- على الأسير الكشف عن اسمه واسم عائلته ورتبته العسكرية وتاريخ ولادته  
ورقم هويته ، وليس أي شيء آخر من حياته . ولا يجوز اجبار الأسرى على تقديم  
معلومات حربية او غيرها .
- ٦- على الدولة الأسيرة اخبار دولة الأسير باسماء من عندها من الأسرى .
- ٧- يجب ان توفر الدولة الغذاء والدواء والمأوى وسائر الامكانيات المعاشية  
للأسرى .
- وقد أكدت الاتفاقات على الغذاء الكافي والمتنوع ، وعلى الوسائل الصحية .  
ولدى وفاة الأسير في ظروف غامضة ، لابد من اجراء التحقيق اللازم بشأنه .
- ٨- بالنسبة الى تشغيل الأسرى ؛ أكد الميثاق على ممنوعية تشغيلهم فيما يتصل  
بالقوات المسلحة ، او في الاشغال المضرة ، او ذات الخطورة .
- وقد حدد الميثاق اعمالاً معينة ؛ مثل الزراعة والصناعات المنتجة والتعدين  
والمعامل ، ولا بد من اعطائهم اجورهم بالعدل .
- ٩- يحترم مال الأسرى الشخصي ، ولا يصادر غير الأسلحة منهم .
- ١٠- لايجوز منع المساعدات عن الأسرى ، سواءً تلك التي تصلهم عبر الأفراد  
او المؤسسات او الدول .
- ١١- لا بد من السماح للأسرى باقامة شعائرهم الدينية .

- ١٢- لابد من السماح للأسرى بالمراسلة (والمكاتبة) ، وذلك بعد استقرارهم في المخيمات .
- ١٣- لايجوز اخذ الأسرى كرهائن لتحقيق اهداف سياسية .
- ١٤- يجوز للأسرى ممارسة حقوقهم المدنية ؛ مثل عقد الزواج والطلاق وحق الوصية .
- ١٥- يجوز للأسرى تقديم الشكاوى المرتبطة بأوضاعهم الى المصادر القضائية في الدولة الأسرة ، أو الى الدول الحامية لهم .
- ١٦- يجوز للدولة الأسرة منع الأسرى من الفرار ، وقد تلجأ الى السلاح كحل أخير لمنع فرارهم . كما ان الأسير يجازى عند ارتكابه الجرائم .
- ١٧- يجوز لدولة الأسرى ان تعين دولة محايدة لحماية أسراها ، شريطة قبول الدولة الأسرة ذلك .
- ١٨- يحق للجنة الصليب الأحمر الدولي ان تقوم بدور الدولة الحامية في رعاية أسرى الحرب في سائر الدول .
- ١٩- يمكن إنهاء حالات الأسر بالموت ، او بمبادلة الأسرى ، او بجرح الأسير او مرضه ، او انتهاء حالة الصراع .
- ٢٠- يجب على الدولة الأسرة اعادة الأسرى فور انتهاء الصراع الفعّال .. (قد يكون بعد ستة اشهر الى عامين من انتهاء العمليات العسكرية) . (١)
- وهذه البنود التي وردت في المواثيق الدولية ، قد لا يتفق بعضها مع ما هو معروف لدينا من احكام الأسرى ، إلا ان روحها موافقة مع نظرة الاسلام الى الأسير باعتباره انساناً محترم الحقوق . وعلى الدولة الاسلامية التي وقّعت على هذه المواثيق احترامها ، ومطالبة الأعداء باحترامها .

## ٨٨٨٨ الركن الحادي عشر : احكام الجزية

---

(١) اعتمدنا في ترجمة ونقل خلاصة ميثاق الأسرى من كتاب حقوق جنك ص ١٣٩-١٥١ .

(التوبة/٢٩) ؛ من خلال التدبر في الآية الكريمة نتفقه طبيعة العلاقة مع أهل الكتاب ، حيث يمكن التعايش معهم شريطة قبولهم بحاكمية الاسلام ؛ والتي تتمثل في اعطاء الجزية ، وفي ان يكون هذا العطاء عن يد وهم صاغرون ، مما يشجعهم على التحول الى الدين الاسلامي . وفي ذلك نقرأ في الأحاديث الشريفة ما يوضح اكثر فأكثر طبيعة هذه العلاقة .

أ/ عن بعض اصحابنا قال : سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المجوس أكان لهم نبي ؟ فقال : نعم . اما بلغك كتاب رسول الله الى أهل مكة أسلموا وإلا نابتكم بحرب . فكتبوا الى النبي صلى الله عليه وآله ، أن خذ منا الجزية ودعنا على عبادة الاوثان . فكتب اليهم النبي صلى الله عليه وآله : أني لست آخذ الجزية إلا من أهل الكتاب . فكتبوا اليه يريدون بذلك تكذيبه : زعمت أنك لا تأخذ الجزية إلا من أهل الكتاب ، ثم أخذت الجزية من مجوس هجر . فكتب اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله : ان المجوس كان لهم نبي فقتلوه ، وكتاب أحرقوه ؛ أتاهم نبيهم بكتابهم في اثني عشر ألف جلد ثور . (١)

ب/ عن زرارة قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما حد الجزية على أهل الكتاب، وهل عليهم في ذلك شيء موظف (اي محدد) لا ينبغي أن يجوز إلى غيره ؟ فقال : ذلك إلى الامام ، يأخذ من كل إنسان منهم ما شاء على قدر ماله ، وما يطيق . إنما هم قوم فدوا انفسهم من أن يستعبدوا أو يقتلوا . فالجزية تؤخذ منهم على قدر ما يطيقون له أن يأخذهم به حتى يسلموا ، فان الله قال : { حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } . وكيف يكون صاغراً وهو لا يكثرث لما يؤخذ منه ، حتى لا يجد ذلاً لما أخذ منه فيألم لذلك فيسلم ؟ (٢)

ج/ عن اسماعيل بن الفضل الهاشمي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل

(١) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٩٦ / الباب ٤٩ / ح ١ .

(٢) المصدر / ص ١١٣-١١٤ / الباب ٦٨ / ح ١ .

اكثرى أرضاً من أرض أهل الذمّة من الخراج وأهلها كارهون ، وإنما يقبلها السلطان بعجز أهلها عنها أو غير عجز ؟ فقال : إذا عجز أربابها عنها فلك ان تأخذها إلا ان يضاروا ، وإن اعطيتهم شيئاً فسخت انفسهم بها لكم فخذوها . ( ١ )  
د/ وروي عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام أنه استعمل رجلاً على عكبر ، فقال له على رؤوس الأنام (اي في مشهد من الناس) : لا تدعن لهم درهماً من الخراج ، وشدد عليه القول . ثم قال له : أتعني عند انتصاف النهار ؟ فأتاه فقال : اني كنت قد امرتك بأمر واني اتقدم اليك الآن ، فان عصيتني نزعك ؛ لا تبيعن لهم في خراجهم حماراً ولا بقرة ولا كسوة شتاء ولا صيف ، ارفق بهم . ( ٢ )  
ومن هذه البصائر نستلهم احكام أهل الذمة ، وهي التالية :

- ١- يقر أهل الكتاب على دينهم في البلاد الاسلامية إذا التزموا بشروط الذمة ، التي منها اعطاء الجزية .
- ٢- أهل الكتاب هم اليهود والنصارى والمجوس . ولو قيل بشمول الصفة لكل من آمن بالله سبحانه وانتمى الى كتاب سماوي ، لكان أشبه .
- ٣- تؤخذ الجزية من الرجال دون الاطفال والنساء ومن غلب على أمره ؛ كالمعتوه والمجنون . ولا تؤخذ ممن لا يجد ثمنها ، لا حالاً و مستقبلاً .
- ٤- ومقدار الجزية وموضعها من الرؤوس او الأموال ، وطريقة اداها موكول الى الامام .
- ٥- تصرف الجزية في مصالح المسلمين .
- ٦- يعتبر قبول اعطاء الجزية أحد شروط الذمة ، وهو دليل قبول القوم للسلطة الاسلامية ، ولأحكام الدين العامة .

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ١٢١ / الباب ٧٢ / ح ٤ .  
(٢) عن كتاب الأموال لابي عبيد القاسم بن سلام ص ٤٤ الرقم ١١٦ - راجع الجواهر/ ج ٢١ / ص ٢٤٠ .

- ٧- ويشترط في الذمة ايضاً ؛ ألا يهددوا أمن البلاد باعلان الحرب على المسلمين ، او التآمر مع اعدائهم وما أشبهه ، مما يخالف روح اتفاقية الذمة .
- ٨- وقد يشترط عليهم ألا يؤذوا المسلمين بنشر الفساد بينهم ، واشاعة الفواحش . فانه لو اشترط ذلك عليهم في عقد الذمة فلم يلتزموا به حل قتالهم ، وان لم يشترط جرت بحق مجرميهم احكام الدين من اقامة الحدود والتعزيرات .
- ٩- وينبغي ان يشترط على أهل الذمة ألا يتظاهروا بالمنكرات ؛ مثل شرب الخمر وأكل لحم الخنزير والتعاطي بالربا وممارسة القمار والتجاهر بالزنا وتبرج نساءهم بزينة وما اشبهه .. فلو اشترط عليهم وخالفوا الشرط انتقضت ذمتهم .
- ١٠ - كما ينبغي اشتراط عدم احداث كنيسة او بيعة .
- ١١ - بل ينبغي اشتراط ما يرغبهم في قبول الاسلام ، والاندماج مع المجتمع المسلم حسبما يراه الامام . وقد بين ابن الجنيدي من كبار فقهاءنا الأقدمين جملة من الشروط التي ينبغي ادراجها في الذمة ، وهي جيدة ، شريطة ان يراها امام المسلمين في منفعة الأمة . قال رحمه الله : واختار ان يشترط عليهم - عند عقد الذمة لهم - : ان لا يظهروا سباً لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا أحد من أنبياء الله وملائكته ، ولا سب أحد من المسلمين أحد من الانبياء ، ولا يظهروا شركهم في عيسى والعزير ، ولا يرعون خنزيراً في شيء من امصار المسلمين ، ولا يمثلوا ببهيمة ولا يذبحوها إلا من حيث نص لهم في كتبهم على مذبحةا ، ولا يقربوها حصنهم ولا لشيء من المخلوقات ، ولا يربو مسلماً ، ولا يعاملوه في بيع ولا اجارة ولا مساقاة ولا مزارعة معاملة لا تجوز للمسلمين ، ولا يسقوا مسلماً خمراً ، ولا يطعموه محرماً ، ولا يقاتلوا مسلماً ، ولا يعانون باغياً ، ولا ينقلوا أخبار المسلمين الى اعدائهم ، ولا يدلّوا على عوراتهم ، ولا يحيوا من (الاراضي في ) بلاد المسلمين شيئاً إلا باذن واليهيم .
- ١٢ - ميثاق الذمة من صلاحية الامام الحق . اما الذمة التي يتعهد بها الامام الجائر ، فان القبول بها او ردّها يرتبط بطبيعة قبول او رد سائر احكامها . والولي

الفقيه هو المرجع في ذلك ، فقد يقر ما تقرره السلطة الجائرة تقية او مصلحة ، وقد يرده كلياً او جزئياً .

١٣ - لا يدخل أهل الذمة المسجدين الشريفين ، بل سائر المساجد . ولا يدخلون الحرمين (مكة والمدينة) ، ولا يسكنون الحجاز على المشهور .

### ٨٨٨٨ الركن الثاني عشر : قتال أهل البغي

قال الله تعالى : { وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا \* وَإِذًا لَأَتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا } (النساء/٦٦-٦٧)

وقال تعالى : { الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا } (النساء/٧٦)

وقال تعالى : { وَإِنْ طَانَفْتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ تِ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (الحجرات/٩)

نستوحي من الآية الأولى ؛ امكانية القتال الداخلي ، وأنه من القتال الصعب الذي لا يحتمله إلا المؤمنون حقاً .

ونستفيد من الآية الثانية ؛ فرض التصدي لأولياء الطاغوت وقتالهم ، والبيعة هم من أولياء الطاغوت .

وتدل الآية الثالثة على وجوب قتال الذين يبغون بعد الصلح . ونستفيد من هذه الآية ؛ ضرورة المبادرة بالاصلاح بين الطوائف المتقاتلة من المؤمنين ، ثم قتال الذين يرفضونه .

وقال الله سبحانه : { لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً } (الاحزاب/٦٠)

ونستلهم من الآية ؛ وجوب محاربة المنافقين إذا لم ينتهوا من اذاهم ، فيدل على قتال البغاة بطريقة أولى لانهم من اخطر فرق المنافقين .

وفي هذا المنحى استفاضت الأحاديث الشريفة التي نستعرض بعضها :

أ- جاء في حديث مفصل عن حفص بن غياث ، عن ابي عبد الله (الامام الصادق) عليه السلام قال: سألت رجل أبي عن حروب أمير المؤمنين ، وكان السائل من محبينا . فقال له ابو جعفر : بعث الله محمداً بخمسة أسياف ... الى ان قال : وأما السيف المكفوف ، فسيف على أهل البغي والتأويل . قال الله عز وجل { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ } (الحجرات/٩)

فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان منكم من يقاتل بعدي على التأويل ، كما قاتلت على التنزيل . فسئل النبي من هو ؟ فقال خاصف النعل ، ويعني امير المؤمنين عليه السلام . فقال عمار بن ياسر : قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ثلاثاً وهذه الرابعة ، والله لو ضربونا حتى يبلغونا المسعفات من هجر ، لعلمنا اننا على الحق وانهم على الباطل . وكانت السيرة فيهم من أمير المؤمنين عليه السلام ما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل مكة يوم فتح مكة ، فانه لم يسب لهم ذرية . وقال : من اغلق بابه فهو آمن ، ومن ألقى سلاحه " او دخل دار أبي سفيان " فهو آمن . وكذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام يوم البصرة ، نادى : لا تسبوا لهم ذرية ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تتبعوا مديراً ، ومن اغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن . (١)

ب- في حديث عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه ان أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر في كل موطن لقينا فيه عدونا فيقول : لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم ، فانكم بحمد الله على حجة ، وترككم اياهم حتى يبدأوكم حجة أخرى لكم . فاذا هزمتموهم

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ١٨ / الباب ٥ / ح ٢ .

فلا تقتلوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل .  
(١)

ج- عن حفص بن غياث قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الطائفتين من المؤمنين احدهما باغية ، والأخرى عادلة ، فهزمت الباغية العادلة . قال : ليس لأهل العدل أن يتبعوا مدبراً ، ولا يقتلوا أسيراً ، ولا يجهّزوا على جريح . وهذا إذا لم يبق من أهل البغي أحد ، ولم يكن فئة يرجعون إليها ، فإذا كانت لهم فئة يرجعون إليها فإن أسيرهم يقتل ، ومدبرهم يتبع ، وجريحهم يجهب عليه . (٢)

د- عن أبي بكر الحضرمي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لسيرة علي عليه

السلام في أهل البصرة كانت خيراً لشيئته مما طلعت عليه الشمس . إنه علم أن للقوم دولة ، فلو سباهم لسببت شيعته . قلت : فأخبرني عن القائم عليه السلام يسير بسيرته ؟ قال : لا . إن علياً عليه السلام سار فيهم باليمن لما علم من دولتهم ، وإن القائم يسير فيهم بخلاف تلك السيرة لأنه لا دولة لهم . (٣)

و- عن عبد الله بن سليمان قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن الناس يروون أن علياً عليه السلام قتل أهل البصرة وترك أموالهم . فقال : إن دار الشرك يحلّ ما فيها ، وإن دار الاسلام لا يحلّ ما فيها . فقال : إن علياً عليه السلام إنما منّ عليهم كما منّ رسول الله صلى الله عليه وآله على أهل مكة ، وإنما ترك علي عليه السلام لأنه كان يعلم أنه سيكون له شيعة ، وإنّ دولة الباطل ستظهر عليهم ، فأراد أن يقتدى به في شيعته . وقد رأيت آثار ذلك ، هوذا يسار في الناس بسيرة علي عليه السلام . ولو قتل علي عليه السلام أهل البصرة جميعاً وأخذ أموالهم لكان ذلك له حلالاً ، لكنّه منّ عليهم ليمنّ على شيعته من بعده . (٤)

(١) المصدر / ص ٦٩ / الباب ٣٣ / ح ١ .

(٢) المصدر / ص ٥٤-٥٥ / الباب ٢٤ / ح ١ .

(٣) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٥٦-٥٧ / الباب ٢٥ / ح ١ .

(٤) المصدر / ص ٥٨-٥٩ / الباب ٢٥ / ح ٦ .

ر- عن جعفر عن أبيه قال : ذكرت الحرورية عند علي عليه السلام فقال : إن خرجوا على إمام عادل أو جماعة فقاتلوهم ، وإن خرجوا على إمام جائر فلا تقاتلوهم فإن لهم في ذلك عقلاً . (١)

ز- عن الفضل بن شاذان ، عن الرضا عليه السلام في حديث طويل قال : فلا يحلّ قتل أحد من النصاب والكفار في دار التقية ، إلا قاتل أو ساع في فساد ، وذلك إذا لم تخف على نفسك وعلى أصحابك . (٢)

ح- عن جعفر ، عن أبيه أن علياً عليه السلام لم يكن ينسب أحداً من أهل حربته إلى الشرك ولا إلى النفاق ، ولكنه كان يقول : هم إخواننا بغوا علينا . (٣)  
ومن هذه الأحاديث والآيات التي سبقتها نتفقه الأحكام التالية :

١/ من شعب الجهاد قتال الخارج على الإمام العادل إذا ندب إليه ، والتخلف عنه من الذنوب الكبيرة .

٢/ وجوب هذا القتال على الكفاية . فإذا قام به من فيه غنى ، سقط عن الباقيين ما لم يستنهضه الإمام على التعيين .

٣/ أحكام القتال في هذه الحرب هي أحكامه في سائر الحروب ، إلى أن تضع الحرب أوزارها ، فتختلف الأحكام حسبما يأتي .

٤/ يجب السعي نحو اصلاح الفئة الباغية قبل قتالهم ، بل ينبغي استنفاد كل الطرق السلمية ، من أجل تجنب اهراق دماء المسلمين .

٥/ ويجب قتال الباغين حتى يفيئوا إلى حكم الله أو يجمعوا ، وإذا كانت لهم فئة يرجعون إليها جاز الاجهاز على جريحهم واتباع مدبرهم وقتل أسيرهم ، وإلا فإن الهدف قمعهم فلا نحتاج إلى اتباع المنهزم منهم أو قتل جريحهم واسيرهم .

---

(١) المصدر / ص ٦٠ / الباب ٢٦ / ح ٣ .

(٢) المصدر / ص ٦٢ / الباب ٢٦ / ح ٩ .

(٣) المصدر / ح ١٠ .

٦/ يعامل البغاة بعد انتهاء الحرب معهم معاملة المسلمين ، فيطلق أسراهم ولا تسبى نساءهم وذراريهم ، وترد اليهم أموالهم سواء التي استولى عليها الجيش او لم يستولوا عليها ، وسواء المنقولة منها وغيرها .

### ٨٨٨٨ الركن الثالث عشر : غنائم الحرب

(الانفال/٦٩) ، (الفتح/١٩-٢٠) ، (الفتح/١٥) ، (النساء/٩٤) ، (الانفال/٤١) ؛ نستفيد من آيات الكتاب ؛ ان الغنائم الحربية حلال طيب (للمسلمين) ، حتى ولو كانت كثيرة . وان الغنائم للمقاتلين وليست للمتخلفين عن القتال . ولكن لايجوز ان يجعل هدف الحرب عرض الدنيا ، لان عند الله مغام كثيرة . ولا بد من استخراج خمس الغنائم لله وللرسول ولذي القربى .  
وقد فصلت السنة الشريفة القول في الغنائم تفصيلاً مفيداً ، إلا ان ارتباط الحرب

بالتغيرات الكثيرة جعلنا بحاجة الى المزيد من التدبير في الكتاب والسنة لاستنباط احكامها . وفيما يلي بعض التفصيل في ذلك :

### ٨٨٨٨٨ ألف : ماهي الغنيمة الحربية

نستلهم معنى الغنيمة من قوله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } (النساء/٩٤) ، حيث ان الغنيمة هي التي يستولي عليها الجيش الاسلامي بعد المعركة (حين يثخن في الأرض) . ولكن الآية (١٥) من سورة الفتح قد تهدينا الى ان الغنيمة هي التي يستولي عليها الجيش بالحرب ،

وليس بالضرورة بعد الاثخان . وهذا التعريف يميّز الغنيمة عن السلب والنهب ،  
لأنهما يقعان عند الخصام .

وقد عرّف العلامة النجفي الغنيمة الحربية بما يلي : ما أخذته الفئة المجاهدة  
بالقهر والغلبة والحرب وايجاف الخيل والركاب . (١)

وهذا التعريف متشابه مع التعريف الذي نجده عند بعض فقهاء العامة ، حيث  
جاء فيه : الغنيمة هي ما أخذ من أموال أهل الحرب عنوة بطريق القهر والغلبة .  
(٢)

وقد عرّف القانون الغنائم الحربية بما يلي : كل الأموال المنقولة للعدو التي تقع  
بيد قوات الخصم في حالة الحرب ، والأموال التي يستفاد منها بطريقة ما من أجل  
الاهداف العسكرية . (٣) ولكن القانون الايراني الذي أقره مجلس الشورى  
الاسلامي بتاريخ ٢٢/١٠/٦٦ هجري شمسي يعتبر الغنيمة ؛ كل أموال دولة العدو  
(المحاربة للجمهورية الاسلامية) ومنتجاته وآلياته ووسائل النقل . (٤)

مما يوسع مفهوم الغنيمة ، اكثر من القوانين الدولية ، حيث لا يشترط ان تكون  
تلك الأموال مما يستفاد منها في دعم المجهود الحربي .

ونستفيد من حديث شريف : ان الغنيمة التي تقسم بين المقاتلة ، انما هي التي  
حواسها العسكر . فقد جاء في حديث عن الامام الصادق عليه السلام قال : انما  
تضرب السهام على ما حوى العسكر . (٥)

وجاء في حديث مفصل آخر عن الامام أبي الحسن عليه السلام انه قال : وليس  
لمن قاتل شيء من الأرضين ولا ما غلبوا عليه إلا ما احتوى عليه العسكر . (٦)

---

(١) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ١٤٧ .

(٢) الادارة العسكرية ص ٢٨٥ عن الزحيلي في كتابه الفقه الاسلامي وأدلته ٤٥٥/٦ .

(٣) حقوق جنك / ص ٢٢٢ .

(٤) المصدر / ص ٢٢٣ .

(٥) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٨٦ / الباب ٤١ / ح ٧ .

(٦) المصدر / ص ٨٥ / ح ٢ .

وبالرغم من ان للأراضي التي يغلب عليها الجيش أحكام خاصة في الفقه الاسلامي ، إلا انها لا تعتبر من الغنيمة على الظاهر ، وانما لقانون الأراضي حكم اداري يرتبط بالاستيلاء عليها وعلى بلاد العدو ، ولذلك فانه لم يشر في احاديثنا الى اخراج الخمس من تلك الأراضي . دعنا نتأمل بعض فقرات الحديث التالي الذي روينا صدرها آنفاً ، والحديث مروى عن الامام أبي الحسن عليه السلام قال : والأرضون التي أخذت عنوة بخيل او ركاب فهي موقوفة متروكة في يدي من يعمرها ويحييها ، ويقوم عليها على ما صالحهم الوالي على قدر طاقتهم من الحق (الخراج) ؛ النصف او الثلث او الثلثين على قد ما يكون لهم صلاحاً ولا يضرهم . (١)

ومن هنا نستطيع ان نقول في تعريف الغنيمة انها : الأموال التي حواها العسكر (وسيطر عليها المقاتلون في الحرب) او التي كانت تستخدم في الحرب . أما ممتلكات الناس (غير المحاربين) فانها ليست من الغنائم الحربية ، بل لها احكامها الخاصة . وهذا ما نجده ايضاً في ميثاق لاهاي (المادة ٤٦ و ٤٨) ، حيث جاء فيها: تعتبر الغنيمة في المعارك البرية ؛ كل الأموال والاشياء المنقولة التابعة للعدو ، شريطة ان تكون مملوكة للدولة وللمؤسسات التابعة لها. ولا يجوز اغتنام الأموال والممتلكات الخصوصية، إلا في حالات خاصة ترتبط بضرورات حربية . (٢)

والضرورات الحربية تشمل حالات ضرب الحصار على العدو . ولقد سبق الحديث عن جواز محاصرة العدو بهدف الضغط عليه ، وما يحصل عليه المجاهدون من المتاع في هذا السبيل يعتبر غنيمة ايضاً . والتاريخ يحدثنا عن أول غنيمة حصل عليها المسلمون ، حيث كانت من هذا النوع . يقول الدكتور ظاهر وتر:

---

(١) المصدر .  
(٢) حقوق جنك / ص ٢٢٣ .

وأول غنيمة حصلت في الاسلام كانت في السنة التي شرع فيها القتال ، وهي السنة الثانية للهجرة النبوية ، حيث بعث الرسول عبد الله بن جحش في ثمانية رجال ، ودفع اليهم كتاباً وأمرهم ان يسيروا يومين وبعدها يفضوا الكتاب ويسيروا لما أمرهم- وهذا من باب الأسرار العسكرية - فسارت السرية كما أمرت ، وبعد فتح الكتاب كان الأمر بالسير لترصد عير قریش بنخلة ، فترصدها المسلمون وداهموها ، وغنموا القافلة كاملة . (١)

ومن باب الضرورات العسكرية جرى العرف الدولي الى السماح بالاستيلاء على الممتلكات المحمولة بحراً ، حتى ولو كانت شخصية وغير حربية . وفي ذلك يقول البروفسور شارل رسو : الممتلكات الخاصة التي كانت تحترم في المعارك البرية حسب القواعد ، لم تكن محترمة في المعارك البحرية بأي وجه . حيث اعتبر حقاً قانونياً ذلك العرف القديم القاضي بمصادرة الأموال الشخصية ، وقد برر ذلك بان الطريقة الوحيدة لتحطيم مقاومة العدو تتمثل في محاصرته البحرية ، حيث لاتستطيع اية دولة في استمرار حياتها من دون الطرق البحرية . (٢)

وهكذا ترى ان القاعدة الحقوقية التي اعتمدها الناس في حق مصادرة الأموال الشخصية في المعارك البحرية ، هي ذاتها القاعدة الحقوقية التي تبرر محاصرة العدو من البر . ومن هنا فانا نرى انه لايمكن ان يلجأ أحد الى ذلك ، إلا بضرورة عسكرية ، سواء في البرّ او البحر . أما السماح باغتنام الأموال الشخصية في البحر دون البرّ لانه كان عرفاً قديماً ، او لأن دولة بحرية كبرى مثل بريطانيا اجازت ذلك تاريخياً ، فاننا لا نستطيع قبوله .

وقد استثنى القانون الدولي جملة سفن بحرية عن قاعدة الاغتنام ؛ مثل سفن الدولة التي تقوم بأعمال غير تجارية ، والتي تحمل طرود بريديّة ، وسفن الصيد ،

---

(١) الادارة العسكرية في حروب الرسول محمد صلى الله عليه وآله ص ٢٨٥ عن السهيلي في كتابه الروض الانف في تفسير السيرة النبوية ص ٢٢/٣ وما بعدها .  
(٢) حقوق مخصصات مسلحانه (بالفارسية) ترجمة الدكتور هنجي ج ١ / ص ٣١٤ .

والسفن التي تقوم بخدمات صغيرة محلية ، والسفن التي تقوم بدور علمي (مختبرات بحرية مثلاً) او دينية والمستشفيات العائمة ، والسفن التي تملك اذناً بالعبور ، والسفن التي تنقل الجرحى والأسرى او تقوم بانقاذ غرقى المعركة البحرية (والتي عادة تبحر تحت علم الصليب الأحمر الدولي) ، والسفن التي تقوم باخلاء المدنيين ، والسفن التي نصت اتفاقية لاهاي لعام ١٩٥٤ بحمايتها لحملها اموال (ثروات) ثقافية ، وسفن المختبرات (١) .

والواقع ان كثيراً من هذه القوانين الحربية دعت اليها ضرورات ، واحترامها يخفف من آلام الحرب واطارها . ومادام الآخرون يحترمون هذه القوانين فعلياً ايضاً احترامها لانها تنفع الجميع . ولان الحرب بذاتها ليست قاعدة وانما هي شذوذ ، بينما السلم هو القاعدة . فكلما استطعنا التقليل من انتشار الحرب كان أقرب . ومن هنا فاننا نرى ضرورة التوقيع على مثل هذه المواثيق ، والله المستعان .

~~~~~  
باء : متى يجوز الاغتنام

أول وقت يمكن أخذ الغنائم فيه ، بداية المعركة . ولكن يبدو من آية قرآنية أن أخذ الغنائم مشروط بانتهاء المعركة . قال الله سبحانه : { فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (الانفال/٦٩)

فان هدف اولئك القوم من المبادرة الى أخذ الأسرى كان - فيما يبدو - الحصول على غنائم الحرب من ذلك ، لأن القرآن الكريم يتعرض في أكثر من مناسبة الى هذه القضية ، كقوله تعالى : { سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يُفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا } (الفتح/١٥)

واضافة الى ان قوله سبحانه في الآية الأولى { تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } ظاهره الغنائم وما أشبه مثل الفدية .

---

(١) راجع حقوق جنك ص ٢٢٧-٢٢٨ .

وعموماً يستفاد من آيات القرآن ؛ ان البحث عن المغنم كان من أهداف المنافقين والأعراب ، كما كانت الغنائم غاية الحروب في الجاهلية . فجاء الاسلام ليجعل غاية الحرب انتشار دين الله ، وينهى عن الغاية المادية للحروب المتمثلة في الغنائم . وهذا ما نستفيده من قوله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } (النساء/ ٩٤)

إذا كانوا من قبل ان يمتن الله عليهم بالاسلام يغيرون على بعضهم ابتغاء عرض الدنيا وهي المغنم ، فلما من الله عليهم كان عليهم ان يقبلوا اسلام من القى اليهم السلم ، ولا يقولوا له إنه ليس مؤمناً (لانه أسلم خشية السيف) ، لأن خلفية هذا القول هو البحث عن المغنم .

ومن هذه البصائر نستلهم ؛ ان وقت أخذ الغنائم انما بعد الانتهاء من الحرب . ولكن سيرة الرسول صلى الله عليه وآله تتنافى مع هذه النظرية ، إذ انه أرسل سرية الى بطن نخلة لاعتراض قافلة قريش التجارية ، كما انه صلى الله عليه وآله اراد في حرب بدر اعتراض عير قريش فجاءه فغيرها ، ف وقعت المعركة الأولى بين الاسلام واعداءه . فهل كانت سيرة الرسول منافية لأوامر القرآن ؟

كلاً ؛ انما يختلف الأمر ، فان ضرب الحصار على العدو (وهو هدف حملة بطن نخلة ، والهدف الظاهر لحركة المسلمين نحو بدر ) مختلف عن أخذ الغنائم في المعركة . فان الأول يهدف اساساً اخذ الغنائم ، بينما الثاني يهدف كسر شوكة العدو وتحطيم قوته العسكرية . فاذا نشبت المعركة ، فلا بد من الانتظار حتى تتخذ الأرض ، ثم يبدؤن بأخذ

الأسرى وجمع الغنائم . والمسألة بحاجة الى المزيد من البحث . وفي القوانين الحربية الحديثة ، حددوا جواز أخذ الغنائم البحرية بوقت الخصام الفعال ؛ أي حالة الحرب الفعلية . إلا انه قد لا تكون هناك اية معركة ، ولكن يكون

هناك حصار بحري فقط . وبتعبير آخر ؛ يكون وجه الخصام هو أخذ الغنائم .  
فكيف نفسر عدم جواز أخذ الغنائم حينئذ ؟  
الجواب : ان الأمر مختلف ، إذ ان الحصار البحري بذاته غير مسوّغ عندهم مع  
عدم اعلان الحرب ، وعند عدم وجود مجوّز من مجلس الأمن الدولي على ذلك  
(كما في الحصار البحري ضد العراق بعد حرب الخليج الثانية) .

#### جيم : كيف تؤخذ الغنيمة

ليست هناك مشاكل عملية في أخذ الغنائم في المعارك البرية والجوية ، بينما نجد  
الأمر مختلفاً في المعارك البحرية ، إذ ان ضرب حصار بحري على دولة يستلزم  
قضايا معقدة ؛ منها حق تفتيش السفن العابرة في المنطقة ، ومنها سفن تعود ملكيتها  
لدول لا دخل لها في الحرب ، ومنها طريقة اجراء هذا التفتيش ( مثل انذارها اولاً  
بطلقة مدفع او ما أشبهه) ، ومنها الجهة التي يجوز لها التوقيف والتفتيش ( حيث  
اشترطوا كونه عسكرياً ) ، ومنها طريقة تفتيشها ثم قيادتها الى موانئ معينة او  
اغراقها بعد اخلاءها من طاقمها .

وهذه المسائل وغيرها مما اتفق عليها العالم تعتبر ذات فائدة للدولة الاسلامية  
ايضاً ، وهي تتسجم مع النظرة العامة التي استوحيناها من الدين تجاه الحرب ،  
حيث ينبغي تقليل خسائرها واضرارها ما أمكن . ومن هنا فان احترامها عند  
احترام العدو لها يبدو مفيداً ، بل ولازماً ، خصوصاً عند توقيع الميثاق المرتبط بها  
من قبل الدولة الاسلامية .

#### دال : القضاء في الغنائم الحربية

مشى العرف الدولي الحديث الى تشكيل محكمة وطنية في كل دولة تدخل حرباً ،  
للنظر في الغنائم والحكم بان مالاً معيناً يعتبر غنيمة حربية ام لا . وقد بدء هذا  
العرف في بريطانيا في العقد الثاني من القرن السادس عشر ، حيث تشكلت

وترسمت المحكمة العليا لغنائم الحرب ، والتي أصبحت احكامها سابقة قضائية في سائر المحاكم المشابهة ، حيث كان العرف يقضي تخويل صلاحية هذه المحكمة الى أميرال البحرية . وفي اواخر القرن الماضي جرت محاولات لتدويل محكمة الغنائم ، حيث قدم مشروع ميثاق في لاهاي في سنة ١٩٠٧ ولكنه لم يوقع عليه ، وبقيت محاكم الغنائم ذات صبغة وطنية ولكنها تتأثر بالقوانين الدولية . (١)

وفي الجمهورية الاسلامية الايرانية تشكلت هذه المحكمة في وزارة العدل ، وهي تحت اشراف رئيس القوة القضائية ، وهي المخولة بالبت في دعاوي الغنائم ، وبالذات فيما يتصل بالأموال الراجعة للدول المحايدة والتي ضبظت بيد القوات الايرانية . فالمحكمة تنظر في مدى علاقتها بالحرب وامكانية مصادرتها كغنيمة حربية ام لا . (٢)

وتشكل هذه المحكمة يخدم العدالة ، ويتوافق مع القيم التي نستلهمها من الذكر الحكيم والسنة الشريفة ، وذلك لان كل دعوى قضائية يجب ان تبت فيها محكمة ذات صلاحية . وتخصيص محكمة بأمر ذات متغيرات معينة يخدم دقة الحكم وعدالة القضاء ، مثل تشكيل محكمة للعسكريين ، واخرى للجرائم الكبيرة ، وثالثة لجنح القاصرين وما أشبه . وهكذا نستوحي من مجمل هذه البصائر أهمية تشكيل مثل هذه المحكمة التي لا بد من خضوعها لاحكام الاسلام ، ولمقتضيات العدل الالهي في الظروف المتغيرة ، والله الموفق .

#### هـ : لمن الغنائم الحربية

ليس في القرآن الكريم بيان تفصيلي عن مصرف الغنائم ، وانما القرآن قد أمر باخراج الخمس منها ، ثم احل الغنائم وجعلها طيباً للمسلمين . ولكن السنة الشريفة جرت بتقسيم الغنائم بين المقاتلين بعد الخمس ، وحددت للفارس سهمين وللراجل

(١) راجع حقوق جنك / ص ٢٣٤ .

(٢) راجع المصدر ص ٢٣٦ .

سهماً . فهل تجري هذه السنة في الأوضاع الراهنة ، حيث تتحمل الدولة كل نفقات الحرب ، ولا يقوم الفرس بدور يذكر فيها ؟

لم أجد نصاً واضحاً في ذلك ، ولكن نجد اشارات في النصوص تهدينا الى حكمة جعل الخمس او حكمة تقسيم الغنائم بين المقاتلين ، نستطيع ان نستفيد منها ؛ ان بعض الاحكام كانت تطبيقاتاً للآيات القرآنية العامة ، واستخدام ولائي لصلاحيات القيادة . فباعتبار النبي صلى الله عليه وآله قائداً للحرب ، رأى المصلحة في تقسيم الغنائم بهذه الطريقة . كما انه بذات الاعتبار اختار هذا الموقع للمعركة دون غيره . ومن هنا فانها ليست تشريعاً الى الأبد ، ولكن الاحتياط يقتضي التصالح بين المقاتلين والدولة في هذه العصور على الغنائم، وذلك قبل او بعد المعارك . وطريقة ذلك ان تشترط الدولة على كل مقاتل تريد الدولة الصفر عليه ، ان يوقع على عقد بالتنازل عن حقوقه المحتملة في الغنائم لقاء ما تبذله الدولة له من النفقات ومن السلاح والعتاد .

والاشارات التي تهدينا الى ذلك هي :

١- ان رسول الله صلى الله عليه وآله صالح الأعراب على عدم اعطائهم من الغنيمة شيء ، وكان يرضخ لهم . فقد جاء في حديث عن الامام الصادق عليه السلام : ان رسول الله صالح الأعراب على ان يدعهم في ديارهم ولا يهاجروا ، على أنه ان دهمهم - من عدوه- دهم ان يستنفرهم فيقاتل بهم ، وليس لهم في القسمة نصيب . (١)

وذلك يدل على ان أمر الغنيمة بيد الرسول ، وليس كل مقاتل يسهم له ، بل قد يصلح المقاتل على عدم اعطائه السهم .

٢- كان الرسول ينقل النساء ولا يسهم لهن ، حيث جاء في حديث سماعة عن أحدهما (الامام الباقر او الامام الصادق عليهما السلام) : ان رسول الله خرج

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٨٦ / الباب ٤١ / ح ٣ .

بالنساء في الحرب يداون الجرحى ، ولم يقسّم لهن من الفيء شيئاً ، ولكنه نفلهن .  
(١)

فهذا يدل على ان أمر الغنيمة كان بيد الرسول ، حيث يأخذ منها شيئاً للنساء ،  
لاشتراكهن في دعم المعركة .

٣- وكان الامام علي عليه السلام يسهم للمولود في المعركة مع انه لم يقاتل ،  
حيث جاء في الحديث المروي عن الامام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم  
السلام ؛ ان علياً عليه السلام قال : اذا ولد المولود في أرض الحرب ، قسّم له ممّا  
افاء الله عليهم . (٢)

٤- يضاعف سهم الفارس عندما يكون عنده أكثر من فرس ، فقد جاء في الحديث  
المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام : إذا كان مع الرجل افراس في الغزو ، لم  
يسهم له إلا لفرسين منها . (٣)

وفي بعض الأحاديث ، ان سهم صاحب الفرس ثلاثة ، بينما نجد في بعض  
الاحاديث ان سهمه اثنان . فقد جاء في الحديث : ان علياً عليه السلام كان يسهم  
للفارس ثلاثة أسهم ، سهمين لفرسه وسهماً له ، ويجعل للراجل سهماً . (٤)

وفي بعض الاحاديث انه يسهم له سهمان ، وللراجل سهم ، حيث روى حفص  
بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام : انه سأله عن سرية كانوا في سفينة فقاتلوا  
وغنموا وفيهم من معه الفرس ، وإنما قاتلوهم في السفينة ، ولم يركب صاحب  
الفرس فرسه ، كيف تقسم الغنيمة بينهم ؟ فقال : للفارس سهمان ، وللراجل سهم .  
قلت : ولم يركبوا ولم يقاتلوا على أفراسهم . قال : رأيت لو كانوا في عسكر فتقدّم  
الرجالة فقاتلوا فغنموا كيف اقسّم بينهم ؟ ألم اجعل للفارس سهمين وللراجل سهماً ،  
وهم الذين غنموا دون الفرسان ؟ قلت : فهل يجوز للامام ان ينفل ؟ فقال له : ان

(١) المصدر / ح ٦ .

(٢) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٨٧ / ح ٨ .

(٣) المصدر / ص ٨٨ / الباب ٤٢ / ح ١ .

(٤) المصدر / ص ٨٩ / ح ٣ .

ينفل قبل القتال ، فاما بعد القتال والغنيمة فلا يجوز ذلك ، لأن الغنيمة قد أحرزت .  
(١)

وقد حمل المحدث الحر العاملي روايات الأسهم الثلاثة للفرس على ان يكون للفرس اكثر من فرس . (٢) ولكن يمكن حملها على ان قرار السهم بيد وليّ الحرب .  
والله العالم .

وقد ذهب أكثر الطائفة الى ان للفرس سهمين ، وحملوا اخبار الثلاثة على التقية . (٣)  
وعلى أي حال فالصلح على الغنائم خير مخرج في هذه الأيام ، والله العالم .

---

(١) المصدر / ص ٧٩ / الباب ٣٨ / ح ١ .

(٢) المصدر / ص ٧٩ .

(٣) جواهر الكلام / ج ٢١ / ص ٢٠١ .



# ^ اتباع الاحسن

## ^^ الكلمة الطيبة

١/ الكلمة حلة الفكرة ، والكلمة الطيبة تعبير عن الفكرة الطيبة . وهي التي تعبر عن الحق ، وتهدف الاصلاح ، وتثير نوازع الخير في النفوس ، وتجبر كسر النفس . والكلمة الطيبة هي القول الثابت ، والقول السديد ، والقول الميسور ، والقول اللين ، والقول المعروف ، والقول الكريم . وهذه الاقسام تشترك - فيما يبدو - في ميزة الحق والحسن ؛ فالمحتوى حق ، والاسلوب جميل . قال الله تعالى : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا } (ابراهيم / ٢٤ - ٢٥)

٢/ وكذلك يقول الله سبحانه : { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } (ابراهيم / ٢٧)

والقول الثابت - هو الذي يثبت المؤمن على الحق - كالدعوة الى الله ، والتذكيرة به ، والتوصية بالحق ، وتعليم الفقه ، وما اشبهه ..

٣ / وعند الشهادة يجب ان يقول الانسان القول الحق ، وكذلك عند اعطاء حق الناس . فلا يلوي لسانه بالباطل ، ليحسبه الناس حقا ، وما هو بالحق . ولعل ذلك

هو المراد من قول الله سبحانه : { وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا } (النساء / ٩)  
٤/ وقال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا } (الاحزاب/٧٠)

ويبدو ان القول السديد هنا ، هو الذي يرغب في طاعة الرسول ، ولا يكون سبباً لأذاه .

٥/ وعلى الانسان ان يحترم والديه وذوي قربه ، ويؤتيهم حقهم . فاذا لم يجد ما يعطيهم من المال ، فلا أقل يقدم لهم كلمة طيبة فيها وعد او دعاء او دلالة الى موضع الخير . ( فاذا سأله احد معروفاً ، وهو لا يملك شيئاً ، فليقل - مثلاً - : اذا انعم عليّ فسوف اعطيك ، او الله يعطيك ، او اذهب الى فلان فسوف يعطيك انشاء الله ) .

قال الله تعالى : { وَإِمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا } (الاسراء / ٢٨)

٦/ ومن اقسام الكلمة الطيبة ؛ القول اللين . (ففي النصيحة والتذكرة بالحق خشونة ، فاذا قال الانسان قولاً ليناً ، طابت النفس به). وهكذا أمر الله موسى وهارون عليهما السلام ان يقولوا لفرعون قولاً ليناً ، لعله يتذكر او يخشى (بما في محتوى القول من التوجيه الى الله والانذار بعذابه) . قال الله سبحانه : { فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } (طه / ٤٤)

٧/ والواجب هو اختيار الكلام المعروف الذي تقبله الطباع ، (وبتعبير آخر العرف العام). وبالذات في الكلام مع اولئك الذين يشعرون بنقص في حياتهم ؛ مثل السفهاء ، الذين يقول عنهم ربنا : { وَلَا تَوُتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا } (النساء / ٥)  
فالسفيه بحاجة الى القول المعروف ، لكي لا يتألم . فإنه بشر بالرغم من سفاخته ، ومن حقه ان يعيش بكرامة .

٨/ وعند الحديث عن الذين يحضرون القسمة وليس لهم حظ ، فينبغي ان يرزقوا منه ، وينبغي ان يقال لهم قولاً معروفاً . فلا تتال من شخصيتهم ، ( لانهم ارادوا ما لا يحق لهم ، او طلبوا ما لم يفرض لهم من حصة ) .  
اذن ؛ القول المعروف لابد أن يأتي في ظرف قد يستدعي قولاً غير معروف (كالسب

والاهانة) ، والقرآن يؤدبنا بان نقول في تلك المواقع قولاً معروفاً .  
والقول المعروف قيمة تتصل بقيمة كرامة الانسان وشرفه ، فإذا كان فيه نقص كالسفه او اتسم بلجاجة ، فعلينا ألا نطرده او نسيه ، بل نجبر كسره بالقول المعروف ، حيث يقول ربنا سبحانه : { وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا } (النساء / ٨ )

٩/ وكذلك امر الله بالقول المعروف عند الطاعة، حيث تصعب على البعض الطاعة ، فإذا بهم يتأفون منها بالرغم من ممارستهم لها . فأمر الله بالقول المعروف عند الطاعة ، في قوله : { طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلُوّٰٓصِدَقُوا لِلَّهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ } (محمد / ٢١ )

١٠/ واذا خيرنا بين عمل خير معه كلمة خبيثة ، او كلمة طيبة من دون عمل ؛ فالثاني أولى ، (لان الكلمة الطيبة سوف تصنع واقعاً سليماً ينتج المزيد من اعمال الخير) . قال الله تعالى : { قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ } (البقرة/ ٢٦٣ )

١١/ والقول المعروف مطلوب ايضاً في العلاقة بين الرجل والمرأة . فاذا اختلف الرجل بامرأة لا تحل له ، فإن عليهما ألا يتحدثا بما يخالف الشرع . قال الله سبحانه : { وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَنَدُكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا } (البقرة / ٢٣٥ /

١٢/ ولما بيّن القرآن الآداب التي ينبغي لنساء النبي الالتزام بها ، أمرهن بالقول المعروف . فقال الله سبحانه : { يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيْنَ فَلَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا } ( الاحزاب / ٣٢ )

ونستفيد من الآية الكريمة ؛ ان القول المعروف هو الذي لا يثير القلوب المريضة ، بينما القول غير المعروف هو مثل الخضوع بالقول او الغنج في الحديث او الدلال . وهكذا يصبح جمال القول هنا قبحاً ، لان فيه اثاراً سلبية .  
١٣/ وهكذا أمر الله بان يقول الولد لوالديه قولاً كريماً ، يحفظ كرامة الابوين ، ولا

يكون فيه نهر ولا تأفف ، ولا ينم عن ضجر . قال الله سبحانه : { فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا } ( الاسراء / ٢٣ )

## ^^ بصائر من الآيات

- ١/ الكلمة الطيبة ؛ هي القول المعروف ، والقول الثابت ، والقول السديد ، والقول الميسور ، والقول اللين ، والقول الكريم . وتشترك هذه الحقائق في أن الكلمة الطيبة هي القول الحق محتواه ، والحسن مظهره .
- ٢/ والقول الثابت هو الذي يثبت ايمان المستمع ، كالتذكرة بالله واليوم الآخر ، والتركية والتعليم .
- ٣/ والقول السديد الذي لايلوي صاحبه لسانه بالباطل ليحسبه المستمع حقاً ، بل يشهد بالحق شهادة صريحة .
- ٤/ والقول الميسور الذي يجبر كسر المنع ، كالدعاء بالخير لمن يعرض عنه .
- ٥/ والقول اللين الذي يجعل الدعوة مقبولة عند المستمع ، لتتم الحجة عليه .

- ٦/ والقول المعروف الذي يحافظ على كرامة الانسان . فإذا كان السفيه محروماً عن التصرف في ماله ، فلا يحرم عن حقه في الكرامة . كذلك الذي يحضر القسمة ولا نصيب له فيها ، فلا يقال له كلاماً بذيئاً إذا طالب بما لا يحق له .
- ٧/ والقول المعروف عند الطاعة ، يتمثل في عدم التناجي بمعصية القيادة ، وعدم التأفف من صعوبة الاطاعة ، وما أشبهه .
- ٨/ والقول المعروف عند الانفاق ، يتمثل في عدم المن والأذى .
- ٩/ والقول المعروف عند ذكر النساء او لقاءهن ما يؤدي الى الحلال ، لا الفاحشة .
- ١٠/ والقول المعروف عند النساء ، يتمثل في عدم الخضوع للرجال بالقول .
- ١١/ والقول الكريم الذي ينبغي للولد ان يواجه والديه به ، هو الذي لا تأفف فيه ولا نهر ، بل يحتوي على احترام والديه بالمستطاع .
- فقهاء الآيات

١/ (النساء / ٦) ، (الأحزاب / ٩٠) ، (الاسراء / ٢٨) ؛ يجب ان يقول الانسان قولاً سديداً لا خلل فيه ولا شبهة ، ولا يلوي لسانه به ليثير الشبهات وليتهرب من الشهادة بالحق . ونستفيد من هذه البصيرة الاحكام التالية :

ألف / ان على المسلم ألا يتجاوز قوله حدود الشرع والعقل ؛ فلا يقول باطلاً ، ولا يقول كلاماً متشابهاً . وهذا يصدق في الشهادة للايتام بأموالهم ، حتى لا تؤكل عن دون حق . وتقوى الله في الايتام يعني التزام حدود الله فيهم عملاً ، والقول السديد فيهم الالتزام بحدود الله فيهم قولاً . (١)

باء / وعند خطاب اليتامى ، ينبغي ألا ينهرهم ، وألا يكسر خاطرهم .

(١) قال العلامة الطبرسي (ره) في تفسير آية النساء : قولاً سديداً ؛ أي مصيباً عدلاً موافقاً للشرع والحق . وقيل انه يريد قولاً لا خلل فيه . وقيل معناه : فليخاطبوا اليتامى بخطاب حسن وقول جميل (مجمع البيان / ج ٣ / ص ١٢) .

جيم / والقول السديد في اليتامى ، ألا يوصي بأكثر من الثلث ، حتى يحرمهم من الأثر .

دال / والقول السديد عدم التناجي بمعصية الرسول في الجلسات الخاصة ، ولا معصية خلفاء الرسول ، وكل قيادة دينية . وتلك عادة سيئة كانت عند بني اسرائيل ، حيث كانوا يأذون رسولهم . وهي كذلك عادة المنافقين ، التي يجب على المؤمنين الانتهاء عنها والتناهي منها . (١)

هاء / والقول السديد في العلاقات الاجتماعية ، يتمثل في قول الحق بالنسبة الى الآخرين ، دون اجحاف حقهم او بخس لأشيائهم او اثاره النعرات ضدهم ، وبالتالي مخالفة الحق في الحديث عنهم .

زاء / اذا لم يجد الانسان حقوق ذوي القربى أو حق من له حق عليه من غيرهم ، فعليه ان يقول لهم قولاً ميسوراً ، كأن يعدهم وعداً حسناً ، او يقول لهم كما كان الرسول صلى الله عليه وآله يقول : " يرزقنا الله واياكم من فضله " . (٢)

٢ / (البقرة / ٢٣٥) ، (الأحزاب / ٣٢) ؛ على الرجل والأنثى ان يقولوا لبعضهما قولاً معروفاً ، بعيداً عن اثاره الشهوة الحرام . فإن الكلام قد يصبح باباً الى الفاحشة ، والعياذ بالله . وإذا صلحت النية ، وطهر القلب ، خرجت الكلمة الطيبة التي لاتخالف الدين . بينما الذي في قلبه مرض يثير بكلماته الشهوة ، وهي - بدورها - قد تدعو الى الحرام . ومن هنا نهى الدين المرأة من الخضوع بالقول . وهو حسب المفسرين : كلام المرأة الراغب في الرجل . ونهى الرجل من ان يواعد المرأة سراً ، فيقول في حديثه معها ما يخالف المعروف ، كأن يثيرها ثم يطلب منها الفاحشة .

## ٨٨ في رحاب الأحاديث

(١) قال المفسر المعروف مقاتل ، في تفسير آية الأحزاب : هذا يتصل بالنهي عن الايذاء ؛ أي قولوا قولاً صواباً ، ولا تنسبوا رسول الله الى ما لا يجمل ولا يليق به . (مجمع البيان / ج ٨ / ص ٣٧٣) .

(٢) مجمع البيان / ج ٦ / ص ٤١١ .

١/ روي عن علي بن الحسين عليهما السلام انه قال : " القول الحسن يثري المال ، وينمي الرزق ، وينسي في الأجل ، ويحبب إلى الأهل ، ويدخل الجنة " .

(١)

٢/ في تفسير قوله تعالى { وقولوا للناس حسناً } قال الامام عليه السلام : " قولوا للناس كلهم حسناً ، مؤمنهم ومخالفهم . أما المؤمنون فييسط لهم وجهه وبشره ، وأما المخالفون فيكلمهم بالمداراة لاجتنابهم . فإن يبأس من ذلك ، يكفُ شرورهم عن نفسه وإخوانه المؤمنين " . (٢)

٣/ عن سليمان بن مهران قال : دخلت على الصادق وعنده نفر من الشيعة ، فسمعتة وهو يقول : " معاشر الشيعة ؛ كونوا لنا زيناً ، ولا تكونوا علينا شيناً . قولوا للناس حسناً ،

واحفظوا ألسنتكم ، وكفّوها عن الفضول وقبيح القول " . (٣)

٤/ وجاء عن الامام أبي عبد الله عليه السلام ، انه قال : " إذا أفلتت من أحدكم كلمة جفاء يخاف منها على نفسه ، فليتبعتها بكلمة تعجب منها تحفظ عليه وتنسى تلك " . (٤)

٥/ قال أمير المؤمنين عليه السلام : " ثلاث من أبواب البرّ ؛ سخاء النفس ، وطيب الكلام ، والصبر على الأذى " . (٥)

٦/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " والذي نفسي بيده ؛ ما أنفق الناس من نفقة أحبّ من قول الخير " . (٦)

(١) بحار الأنوار / ج ٦٨ / ص ٣١٠ / ح ١ .

(٢) المصدر / ص ٣٠٩ / ح (تفسير) .

(٣) بحار الأنوار / ج ٦٨ / ص ٣١٠ / ح ٣ .

(٤) المصدر / ص ٣١١ / ح ٦ .

(٥) المصدر / ح ٧ .

(٦) المصدر / ح ٨ .

٧/ وعن أبي محمد عليه السلام قال : " قلب الأحمق في فمه ، وفم الحكيم في قلبه " . (١)

٨/ عن محمد بن سليمان رفعه قال : أخذ رجل بلجام دابة رسول الله ، فقال : يا رسول الله ؛ أيُّ الأعمال أفضل ؟ فقال : " إطعام الطعام ، وإطياب الكلام " . (٢)

٩/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " رحم الله عبداً قال خيراً فغنم ، او سكت على سوء فسلم " . (٣)

---

(١) المصدر / ص ٣١٢ / ح ١١ .

(٢) المصدر / ح ١٢ .

(٣) المصدر / ح ١٠ .

## ^^ القول الحسن

١/ حين تكون العلاقة بين الناس، علاقة العطاء والايثاء، تكون قيمة الاحسان سائدة بينهم عملياً ، وقيمة الكلمة الطيبة جارية بينهم قولياً . والصلة بين الاحسان والقول الحسن، هي صلة العطاء؛ فكلاهما بذل وانفاق واداء حق. فاذا كانت حاجة الفرد تقتضي الانفاق، فان كرامته تقتضي الاحترام بالكلمة الطيبة . دعنا نتدبر في قول ربنا سبحانه : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَعَاءُ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ } ( البقرة / ٨٣ ) .

ترى كيف أصبح القول للناس حسناً ، مرادفاً للاحسان الى الوالدين وذوي القربى؟  
٢/ والقول الحسن، هو الذي لا يثير الحزازات بين الناس؛ هو كلام يستحسنه الناس المخاطبين . فربما كانت كلمة عندك حسنة ، وعند من تخاطبه سيئة . فعليك ان تتجنبها، لانها تنزغ بينك وبينه . قال الله سبحانه : { وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا } ( الاسراء / ٥٣ ) .

ولان في الكلام حسن واحسن ، فلا بد ان ننتخب الاحسن أنى استطعنا الى ذلك سبيلاً . وهذا يعني ضرورة التفكير في اختيار الكلمات قبل القاءها الى الناس . وقد جاء في الحديث المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام: "من لم يرع في كلام، أظهر

هجره". (١)

(١) موسوعة بحار الأنوار / ج ٦٨ / ص ٣١١ / ح ٤ .

وجاء في حديث آخر مروى عن سليمان بن مهران، قال: دخلت على الصادق عليه السلام ؛ وعنده نفر من الشيعة، فسمعتة وهو يقول: "معاشر الشيعة؛ كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً. قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم، وكفوا عن الفضول وقبيح القول". (١)

٣/ ومن احسن الكلمات الدعاء الى الله سبحانه ، والشهادة بالاسلام . ( فمن اذعن تسليمه للحق ، اطمئن إليه الناس، وعرفوا انهم سوف يسلمون من يده ولسانه. أليس يتبع الحق، ولا يتجاوزة الى باطل ؟ ) قال الله سبحانه : { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } ( فصلت / ٣٣ ) .

## ٨٨ بصائر الآيات

- ١/ القول الحسن، من الاحسان الى الناس .
- ٢/ وعلينا ان نختار أحسن القول، لكي لاينزغ الشيطان بيننا .
- ٣/ ومن القول الحسن الدعوة الى الله ، والشهادة بالاسلام والتسليم .

## ٨٨ فقه الآيات

( البقرة / ٨٣ ) و ( الاسراء / ٥٣ ) ؛ فيما يتصل بالعلاقة بين المؤمنين، علينا ان نتجنب ما يثير الحمية الجاهلية، او اثاره العصبية، او أي شيء يفسد العلاقة. فاذا علم الانسان ان العلاقة تفسد بكلمة هجر او نداء او ما أشبه، فعليه ان يتجنبها .  
واما فيما يرتبط بالعلاقة مع الفاسقين، فان كانت الحكمة تقتضي الكلمة الحسنی، فعلينا

---

(١) المصدر / ص ٣١٠ / ح ٣ .

انتخابها في مخاطبتهم. ولكن اذا اقتضت الحكمة غير ذلك، كالغلظة معهم بهدف نهيهم عن منكرهم، فانها لازمة.

## ^^ في رحاب الأحاديث

- ١/ جاء في الحديث المأثور عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام، انه قال: " ثلاث من أبواب البر؛ سقاء النفس، وطيب الكلام، والصبر على الاذى". (١)
- ٢/ وعن النبي صلى الله عليه وآله، انه قال: "والذي نفسي بيده؛ ما أنفق الناس من نفقة احب من قول الخير". (٢)
- ٣/ وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (الامام الصادق عليه السلام)، قال: سمعته يقول: "اتقوا الله ولا تحملوا الناس على اکتافکم. ان الله يقول في كتابه: (وقولوا للناس حسناً)". (٣)

---

(١) بحار الأنوار / ج ٦٨ / ص ٣١١ / ح ٧ .

(٢) المصدر / ح ٨ .

(٣) المصدر / ص ٣١٣ / ح ١٦ .

## ^^ الجهر بالقول السيء

١ / الكلمة الطيبة تنبعث من قلب مؤمن ، وتزرع في المجتمع الثقة والأمل . بينما الكلمة الخبيثة تبعث اليأس وتفرق بين الناس . والله لا يحب الكلمة السيئة ، إلا إذا كانت في مواجهة ظالم. قال الله تعالى : { لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً } ( النساء / ٤٨ ) .

٢ / وفيما يتصل بالظلم ؛ ذكّرنا الله تعالى ، بأنه لا سبيل على من ظلم ، حيث قال الله سبحانه : { وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ } (الشورى / ٤١) .

٣ / كما انه جعل جزاء سيئة، سيئة مثلها. (وهكذا نفقه حدود الجهر بالسوء من القول، انه يجب ان يكون في درجة الظلم، لا أكثر). قال الله سبحانه : { وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ \* وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } ( الشورى / ٣٩ - ٤٠ ) .

ومن هنا لايجوز ان يتجاوز المظلوم حدوده في فحش الظالم والجهر بالسوء، فيتحول الى ظالم مثله او الى اظلم منه. وقد جاء في الحديث عن سماعة قال : دخلت على ابي عبد الله (الامام الصادق عليه السلام) فقال لي مبتدئاً: "يا سماعة؛ ما هذا الذي كان بينك وبين جمالك؟! إياك ان تكون فحاشاً او صحابياً او لعاناً". فقلت: والله لقد كان ذلك، إنه ظلمني. فقال: "إن كان ظلمك، لقد أريبت عليه. (١) إن هذا ليس من فعالي، ولا أمر به شيعتي. استغفر ربك ولا تعد". قلت: استغفر الله، ولا أعود". (٢) .

(١) أريبت إذا أخذت أكثر مما أعطيت .

(٢) الاصول الكافي / ج ٢ / ص ٣٢٦ / ح ١٤ .

٤/ ومن الجهر بالسوء سبّ الالهة التي تعبد من دون الله، لان ذلك يجعل المشركين يسيئون الله عدواً بغير علم ، لأنهم قد زين لهم عملهم فتراهم يقصدون الالهة. وإذا اسأنا الحديث عنها، يسيئون الأدب الى رب العزة. قال الله تعالى : { وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ( الانعام / ١٠٨ ) .

## ^^ بصائر الآيات

١/ الكلمة البذيئة لا يحبها الله سبحانه، إلا إذا ظلم الشخص فاراد ان ينتصر لنفسه بذلك .  
٢/ ولا سبيل على من ظلم فانتصر ، ولكن شريطة ان يرد السيئة بسيئة مثلها .  
اما اذا عفا واصلح، فان اجره على الله سبحانه .

## ^^ فقه الآيات

١/ ( النساء / ١٤٨ ) و ( الانعام / ١٠٨ ) ؛ لابد ان يتجنب المسلم الفحش والبذاء ، فانه انتهاك لحرمة الناس وظلم لهم . ولذلك يجوز ذلك لمن ظلم، لان الحرمان قصاص ، ولان جزاء سيئة سيئة مثلها ، ولان من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم .  
٢/ والله سبحانه اذن للمظلوم ان ينتصر ممن ظلمه ، شريطة ألا يعتدي . وهكذا لايجوز سبّ الالهة المزيفة التي تدعى من دون الله، واثارة مشاعر المشركين، مما تؤدي الى سبهم الله سبحانه .. وحكمة ذلك تقتضي النهي عن أي سب، او أي كلام يؤدي الى كلام بذيء من قبل الكفار والمشركين تجاه المقدسات الدينية .

ونستفيد من هذه البصائر ؛ ان على المتكلم ان يتفكر قبل القاء حديثه في مختلف ابعاد كلامه، حتى لا يتسبب في خطيئة او معضلة .

## ^^ في رحاب الاحاديث

١/ عن سليم بن قيس ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله حرّم الجنّة على كل فحّاش بذيء ، قليل الحياء ، لا يبالي ما قال ولا ما قيل له. فانك إن فتّشته، لم تجده إلاّ لغية او شرك شيطان. فقيل : يا رسول الله؛ وفي الناس شرك شيطان ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اما تقرأ قول الله عز وجل: "وشاركهم في الأموال والأولاد". (١)

٢/ عن أبي جعفر عليه السلام قال: "إن الله يبغض الفاحش المتفحّش". (٢)

٣/ عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "ان الفحش لو كان مثلاً لكان مثالاً لسوء". (٣)

٤/ عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "إنّ من شرّ عباد الله، من تكره مجالسته لفحشه". (٤)

٥/ قال أبو عبد الله عليه السلام: "إنّ الفحش والبذاء والسلطة من النفاق". (٥)

٦/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "ما كان الفحش في شيء قطّ إلاّ شأنه ، ولا كان الحياء في شيء قطّ إلاّ زانه". (٦)

(١) الاصول من الكافي / ج ٢ / ص ٣٢٣ / ح ٣ .

(٢) المصدر / ص ٣٢٤ / ح ٤ .

(٣) المصدر / ص ٣٢٤ / ح ٦ .

(٤) المصدر / ص ٣٢٥ / ح ٨ .

(٥) المصدر / ص ٣٢٥ / ح ١٠ .

(٦) مستدرک الوسائل / ج ١٢ / ص ٨٠ / ح ٣ .

٧/ عن جابر ، عن ابي جعفر عليه السلام ، في قوله تعالى: { وَقُولُوا لِلنَّاسِ  
حُسْنًا } قال: " قولوا للناس احسن ما تحبون ان يقال لكم ، فان الله يبغض اللعان  
السباب الطعان على المؤمنين ، المتفحش السائل الملحف". (١)

٨/ وعن النبي صلى الله عليه وآله ، قال : "أربعة يزيد عذابهم على عذاب أهل  
النار ؛ - الى ان قال - ورجل يستلذ الرفث والفحش ، فيسيل من فيه قيح ودم". (٢)

٩/ عن هشام بن الحكم قال : قال الكاظم عليه السلام: "ان الله حرّم الجنة على  
كل فاحش بذيء، قليل الحياء، لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه". (٣)

---

(١) المصدر / ص ٨٢ / ح ٦ .

(٢) المصدر / ص ٨٢ / ح ١٠ .

(٣) المصدر / ص ٨٣ / ح ١ .

## ^^ السؤال (١)

من ابواب المعرفة السؤال ، وقيمته ناشئة من قيمة العلم ، لانه السبيل اليه .  
والقرآن هدى للسائلين الباحثين ، وقد أمر القرآن بالسؤال في موضوعات مختلفة ،  
وحدد مواصفات من نسأله ، وبين متى نسأل ، وكيف نسأل .

### ^^ آيات للسائلين :

١ / في قصة يوسف ويعقوب عليهما السلام ، وما مرّا به من ابتلاء عظيم ، عبر  
كثيرة . ولكن السائلين هم الذين يستفيدون من هذه العبر ، (لانهم يبحثون عنها .  
ومن لا يبحث عن معرفة ، كيف يمكنه ان يبلغها؟) قال الله تعالى : { لَقَدْ كَانَ فِي  
يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ } ( يوسف / ٧ ) .

٢ / وهكذا نعرف قيمة السؤال ، لانها ناشئة من قيمة الآية التي هي مفتاح  
المعرفة . قال الله سبحانه : { وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيَّ مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكْنَا فِيهَا وَقَدَّرْنَا فِيهَا  
أَفْوَاطَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ } (فصلت/ ١٠) .

٣ / وقد أمر الله النبي صلى الله عليه وآله بالسؤال من بني اسرائيل ، كم اتاهم الله  
من

آية بيّنة . وواضح ان القرآن نزل بصيغة " اياك اعني واسمعي يا جارة " ، فعليه  
ان يقوم كل فرد بمثل هذا السؤال . ولعله سؤال ينتهي الى ادانة اولئك الذين كفروا  
بآيات الله . قال الله تعالى : { سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ  
يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } ( البقرة / ٢١١ ) .

---

(١) تبصرة : يتعلق هذا البحث بحقل المعرفة بصورة رئيسية ، وانما يتصل القسم الأخير  
منه بحقل القول الحسن وذلك لتحديد وقت السؤال .

٤ / وقال الله سبحانه : { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَسَّأَن بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا } (الاسراء / ١٠١) .

٥ / ومثل هذا السؤال الذي هدفه رفع الشك ، (بالمقارنة بين المعلومات التي يملكها والتي يحصل عليها من السؤال)، لابد ان يكون من اهل الخبرة . فاذا كان السؤال حول بني اسرائيل وما نزل عليهم من الآيات سنلوا ، واذا كان حول عموم الكتب الالهية فانه يسئل عنها اهلها . قال ربنا سبحانه : { فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } (يونس/٩٤) .

٦ / وهكذا اذا عرفنا حقيقة الرسالة ، يمكننا ان نقارنها بما نزلت من الرسالات الالهية في محتواها واصولها العامة ، فما نزلت رسالة إلا بالتوحيد ، (والدعوة الى عبادة الله وحده) . قال ربنا تعالى : { وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ } (الزخرف / ٤٥) .

٧ / وقد يكون السؤال عن مفردة من حقائق الرسالة، (مثل جزاء من ارتكب ذنباً ( كقصة اصحاب السبت التي يرويها القرآن بعد ان يأمرنا بالسؤال عنها . فيقول الله عز وجل : { وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاصِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } (الاعراف/١٦٣) .

٨ / وفيما اذا كانت القضية غامضة من وجوها المتعددة ، فهناك يكون التساؤل الجمعي . فكل يسأل صاحبه ، وربما تجمعت من خلال الاجابة معلومات متناثرة ، وكانت مجموعها آيات كافية . قال الله تعالى : { وَكَذَلِكَ بَعَثْنَا لَهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ } (الكهف/١٩) .

^^^ من نسأل :

لابد ان يتصف من نسأله بشرطين ؛ الخبرة ، والثقة .

الف : فسئل به خبيرا .

١ / والشرط الاول لمن نسأله ان يكون خبيرا ، فلا يسأل الجاهل مثله . قال ربنا سبحانه : { الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلْ بِهِ خَبِيرًا } ( الفرقان / ٥٩ ) .

٢ / والخبير هو الذي له معرفة وخبرة بالشئ ، مثل العادين فيما يتصل بما نحصي من السنين . قال ربنا سبحانه : { قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ \* قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَأَلِ الْعَادِينَ } (المؤمنون / ١١٢ - ١١٣) .

٣ / ومثل السؤال من ركب السفر كما جرى في البلاد النائية ، او عن القرية ( واهلها ) فيما يرتبط بالحوادث التي جرت فيها . قال ربنا سبحانه : { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } (يوسف / ٨٢) .  
ولعل التعبير بالقرية والعيير للدلالة على كل فرد فرد منها ، بخلاف التعبير بأهل القرية او أصحاب العير ، لان ذلك يحتمل فرداً دون آخر .

باء : فاسألوا اهل الذكر .

١ / والصفة الثانية لمن تسأله ان يكون اهلا للذكر ، فيكون قد اهتدى الى الحقيقة التي نبحت عنها ويدعي انه عارف بها . فلا يكون علم مجرد لكلمات يتقوه بها ، بل حقائق يعرفها حق المعرفة . قال الله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \* بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } ( النحل / ٤٣ - ٤٤ ) .

وهناك اكثر من نقطة نستفيد منها في الآية ، نستعرضها فيما يلي :

الف : ان من تسأله ينبغي ان يكون من اهل الذكر ، الذي يقول عنهم ربنا سبحانه :

{ رَجَالٌ لَا تُلْهِبُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ } (النور / ٣٧) .  
والذكر هو القرآن الذي قال عنه ربنا : { وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ  
مُنْكَرُونَ } ( الانبياء / ٥٠ ) .

واهل الذكر هم اولوا الالباب . قال الله سبحانه : { وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ  
ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } ( آل عمران / ٧ ) .  
باء : ان من تسأله ، ينبغي ان يكون عارفاً بالبينات والزيبر . فهو قد تذكر بالآيات  
البينات، وبالكتب . فهو عارف بالدين عن يقين ، لان ادلته آيات بينات لا ريب فيها

جيم : ان من يسأل ، ينبغي ان يتفكر . فلا يكفي ان يسأل عالماً ، بل عليه بعد  
الاستماع اليه ان يفكر فيما قاله .

٢ / وقال ربنا سبحانه : { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ  
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } ( الانبياء / ٧ ) .

^^متى نسأل :

لا بد ان نسأل - حين نسأل - في الوقت المناسب ، حين ينزل القرآن ويحين ميعاد  
بيان الحق . فليس كل فرد في كل وقت اهلاً لتلقي الحق ، فقد يكون كارها له  
فينكره فيهلك . بينما اذا انتظر وقته المناسب ، الذي يتمثل في التهيئة النفسية التي  
تساهم في انشاءها الحوادث والعبر وتراكم الخبرات .

١ / وهكذا نهى القرآن عن السؤال عن اشياء ، لما يبلغوا درجة النضج لمعرفة  
اجوبتها . فقال ربنا سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ  
لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْءَانُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ  
عَفُورٌ حَلِيمٌ } ( المائدة/١٠١ ) .

٢ / ولعلنا نجد تفسير هذه الآية في قصة النبي موسى مع العالم الذي طلب منه ان  
يعلمه مما علم الله ، فاشتراط عليه ألا يسأله عن شيء حتى يحدثه . (فقد يكون في

الحوادث الآتية شواهد على موضوع السؤال) . قال الله تعالى (وهو يقص علينا قصة موسى مع العالم ، لعلمنا نعرف كيف نصبر عن السؤال حتى يحين وقت التعليم ، وبالتالي نتعلم فن نتعلم) : { فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا \* قَالَ لَهُ مُوسَى هَلِ اتَّبَعْتَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا \* قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا \* وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا \* قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا \* قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا } ( الكهف / ٦٥ - ٧٠ ) .

وهكذا نستضيء بهذه الآيات في منهجية المعرفة :

الف : ان لكل انسان درجة معينة من الايمان والمعرفة ، فلا يحاول ان يقفز من عليها فيسقط ويهلك .

باء : على السائل ان يستعين بالله على التعلم ، وعلى استيعاب الحقائق التي قد لا يتحملها .

جيم : ان يطبع المتعلم من يستفيد منه ، وان يتبعه .

دال : ألا يعترض عليه ، ولا يسأله حتى يبادر المعلم لتوضيح الامر له .  
(والسؤال هنا قد يكون بمعنى الاعتراض) .

## ^^^ بصائر الآيات

١/ (السؤال من ابواب المعرفة) ، وفي قصص الماضين آيات للسائلين ، كما في خلق الله (آيات) سواء للسائلين .

٢/ وأمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله ، ان يسأل بني اسرائيل (سؤال اعتراض) عن الآيات التي أتاهم الله . (مما نفهم ان من السؤال ما هو سؤال انكار ، او سؤالاً يهدف اعتراف الطرف الآخر) . وقد يكون سؤال استفهام ، كما امر الله بان يسأل بنوا اسرائيل عن الآيات البينات التسع .

- ٣/ وكذلك امر الوحي بالسؤال ممن كان يقرأ الكتاب من قبل ، لرفع الشك .  
ولعل هدف مثل هذا السؤال ، بيان وحدة اصول الرسالات الالهية ؛ وابرزها اصل التوحيد ، ونفي الآلهة .
- ٤/ والسؤال يكون من الخبير (الذي له معرفة وفهم بالشيء . مثلاً ؛ السؤال من العاديين حول احصاء السنين ، وسؤال أهل القرية عما جرى فيها، كما جاء في قصة النبي يوسف).
- ٥/ وفيما يتصل بالرسالة ، لا بد من سؤال أهل الذكر الذين يعلمون البيئات والزبر ، (وهم اوصياء الرسول) .  
وأهل الذكر هم أهل القرآن ، الذين رسخوا في العلم ولا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .
- ٦/ ولكل سؤال ميعاده ، فلا يجوز ان نسأل عن اشياء ان تبتد تسوعنا . ولعل تفسير ذلك نعرفه بالتدبر في قصة النبي موسى عليه السلام مع العالم ، حيث سأل في غير الوقت المناسب للسؤال .

## فقہ الآيات

- ١/ (يونس / ٩٤) ؛ لكي يبدد الانسان وساوس الشيطان التي تثير الشك والارتياب في عقائده ، عليه ان يسأل اهل المعرفة . ونستفيد من هذه البصيرة الحقائق التالية :
- ألف : اساساً تبديد الريب من القلب ، فريضة واجبة على كل انسان . فلا يجوز ان يهمل قضايا دينه فيبقى في شك منها ، بل إن عليه ان يجاهد ويكافح حتى يبدد الشكوك والريب بتوفيق الله ، لكي يكون على بصيرة من دينه .
- باء : ومن أجل تبديد الشك يجوز لك ان تسأل الخبير حتى ولو لم تثق بدينه ، كما أمرنا بأن نسأل اهل الكتاب ، سواءً للاحتجاج عليهم او لمعرفة جانب من الحقيقة .

وليس هذا من نمط رجوع الجاهل الى العالم (وتقليده) ، بل من باب ان الحكمة ضالة المؤمن يأخذها انى وجدها .

٢/ (النحل / ٤٣-٤٤) ؛ الجاهل بالبينات والزبر يرجع الى العالم بهما ، شريطة

ان يكون

العالم ممن انتفع بعلمه فصار من أهل الذكر . والحقائق التالية ، نستفيدها من هذه البصيرة الهامة :

ألف : ان العلم يؤخذ من الرجال ، وليس من الصحف والكتب . وقد بعث الله رجلاً يوحى اليهم ، ولم ينزل قرطيس بلا بشر .

باء : ان البحث عن علماء ربانيين من أهم مسؤوليات المؤمن ، ولا يجوز اهمال هذا الحقل العام ، والاسترسال في اتباع من تيسر من العلماء .

جيم : لعل في الآية دلالة على ضرورة حياة من نرجع اليه ، مما يعني عدم جواز تقليد الميت ابتداءً ، والله العالم .

## ^^^ في رحاب الأحاديث

١/ قال أبو جعفر عليه السلام : " إن القرآن شاهد الحق ، ومحمد صلى الله عليه وآله لذلك مستقر . فمن اتخذ سبباً إلى سبب الله لم يقطع به الاسباب ، ومن اتخذ غير ذلك سبباً مع كل كذاب . فاتقوا الله فإن الله قد اوضح لكم اعلام دينكم . ومنار هداكم . فلا تأخذوا أمركم بالوهن ، ولا أديانكم هزواً فتدحض اعمالكم ، وتخطوا سبيلكم . ولا تكونوا في حزب الشيطان ، فتضلوا . يهلك من هلك ، ويحيى من حيّ ، وعلى الله البيان . بين لكم فاهتدوا ، ويقول العلماء فانتعفوا ، والسبيل في ذلك الى الله . فمن يهدي الله فهو المهتدي ، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً " . (١)

---

(١) بحار الأنوار / ج ٢ / ص ٩٨ / ح ٥١ .

٢/ قال النبي صلى الله عليه وآله : "خذوا العلم من أفواه الرجال" . (١)

٣/ وقال عليه السلام : "الحكمة ضالة المؤمن ، يأخذها حيث وجدها" . (٢)

٤/ قال أبو عبد الله عليه السلام : " من دان الله بغير سماع من عالم صادق ألزمه الله

التيه الى الفناء ، ومن ادعى سماعاً من غير الباب الذي فتحه الله لخلقه فهو مشرك ، وذلك الباب هو الأمين المأمون على سرّ الله المكنون " . (٣)

٥/ عن جعفر ، عن أبيه عليهما السلام ؛ ان علياً عليه السلام قال : " إياكم والجهال من المتعبدین ، والفجار من العلماء ، فانهم فتنة كل مفتون " . (٤)

٦/ قال أبو عبد الله عليه السلام : " إن من العلماء من يحب أن يخزن علمه ولا يؤخذ عنه ، فذاك في الدرك الأول من النار . ومن العلماء من إذا وعظ أنف وإذا وعظ عنف ، فذاك في الدرك الثاني من النار . ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند نوي الثروة والشرف ولا يرى له في المساكين وضعاً ، فذاك في الدرك الثالث من النار . ومن العلماء من يذهب في علمه مذهب الجبابة والسلطين ، فإن ردّ عليه شيء من قوله أو قصر في شيء من أمره غضب ، فذاك في الدرك الرابع من النار . ومن العلماء من يطلب احاديث اليهود والنصارى ليغزر به علمه ويكثر به حديثه ، فذاك في الدرك الخامس من النار . ومن العلماء من يضع نفسه للفتيا ويقول : سلوني ، ولعله لا يصيب حرفاً واحداً ، والله لا يحب المتكلفين ، فذاك في الدرك السادس من النار . ومن العلماء من يتخذ علمه مروة وعقلاً ، فذاك في الدرك السابع من النار . (٥)

(١) المصدر / ص ١٠٥ / ح ٦٤ .

(٢) المصدر / ص ١٠٥ / ح ٦٦ .

(٣) بحار الأنوار / ج ٢ / ص ١٠٥ / ح ٦٨ .

(٤) المصدر / ص ١٠٦ / ح ١ .

(٥) المصدر / ص ١٠٨ / ح ١١ .

٧/ عن أبي البخري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : " إن العلماء ورثة الأنبياء ، وذلك ان الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ، وإنما ورثوا احاديث من احاديثهم . فمن أخذ شيئاً منها ، فقد أخذ حظاً وافراً . فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه ، فإنّ فينا أهل البيت في كلّ خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتهاك المبطلين ، وتأويل الجاهلين " . (١)

٨/ عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام ، أنه قال : " من دان الله بغير سماع عن صادق ،

ألزمه الله التّيه الى يوم القيامة " . (٢)

٩/ عن البرزطي ، عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله عز وجل : { ومن اضلّ ممن اتبع هواه بغير هدى من الله } قال : " يعني من اتخذ دينه رأيه ، بغير هدى إمام من أئمة الهدى " . (٣)

---

(١) المصدر / ص ٩٢ / ح ٢١ .

(٢) بحار الأنوار / ج ٢ / ص ٩٣ / ح ٢٤ .

(٣) المصدر / ص ٣٠٢ / ح ٣٧ .

## ^^ العمل الصالح

^^^ ما هو العمل الصالح :

عندما تلونا معا آيات الصلاح والاصلاح ، استهدينا بها الى معنى الصلاح ،  
وانه فطرة الله وسنته ، وانه ضد الفساد الذي هو انحراف عن الفطرة والسنة .  
والعمل الصالح ، هو السعي في إتجاه الفطرة الالهية ، وقد ضرب القرآن امثلة له .  
وعندما نتلو آيات عن حقائق العمل الصالح ، نزداد وعياً بأفاق هذه الكلمة القرآنية .  
ولكننا هنا نستضيء بثلاث آيات قرآنية ، ونكتفي بهما - عاجلاً - في استيضاح  
العمل الصالح .

١ / اذا سعى المؤمن الى الجهاد ، فكلما يصيبه في الطريق من عطش او تعب او  
جوع ، وكلما يصدر منه من حركة ، وكلما يصيب العدو ؛ كل اولئك يكتب له به  
عمل صالح ، قال الله تعالى : { مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ  
يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ  
وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْأُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ  
عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ \* وَلَا يُنْفِقُونَ  
نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ } ( التوبة / ١٢٠ - ١٢١ )

وهكذا نعرف محدودات العمل الصالح ، وهي التالية :

الف : ان يكون في سبيل الله (وفي الاتجاه الصحيح ؛ مثل الجهاد الذي هو سعي

مركز

يهدف اصلاح ما افسده الكفار) .

باء : ان يستدعي حركة من الانسان ، (كاصابته بنصب أو ظماً وجوع) .  
جيم : او ان يقتضي اثرا في الواقع ، (كخطوة تغيظ الكفار) .  
وامثلة هذه المحدودات الواقعية معروفة من الاية ، وهي اربعة انواع :  
أولاً : نوع فيه اصابة ونيل من العامل نفسه ، كالجوع والعطش .  
ثانياً : نوع فيه حركة وسعي ، كالخطوات التي تغيظ الكفار .  
ثالثاً : نوع فيه نيل من الكفار ، ( كالمثل السابق ) .  
رابعاً : ونوع فيه العطاء ، كالانفاق .

٢ / والعمل الصالح هو الذي يرضاه الرب . (فالمعيار في معرفة العمل الصالح ،  
هو فعل يرضاه الله) . قال الله تعالى عن لسان النبي سليمان عليه السلام : { فَتَبَسَّمْ  
ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى  
وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ } ( النمل  
١٩ /

٣ / وقال الله سبحانه : { قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ  
وَعَلَى وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي  
مِنَ الْمُسْلِمِينَ } ( الاحقاف / ١٥ )

### ^^^بواعث العمل الصالح :

الايمان هو اصل كل فضيلة ، وكل عمل صالح . والعمل الذي لا يصدر عن  
ايمان ، لا يتقبل ؛ بل ليس بعمل صالح ، لان النية (والهدف المبتغى من الفعل)  
جزء لا يتجزأ من العمل ؛ انها صبغته وروحه ومحتواه . كما ان العمل الصالح  
يفيض من الايمان ، كما الماء من النبع ، والضوء من المصباح . وهكذا نستدل  
على الايمان بالعمل الصالح ، وعلى العمل الصالح بالايمان . ولعله لذلك نجدهما  
يذكران معا في آيات الذكر الحكيم . ولعل هذا يهدينا الى مدى انبعاث المؤمن الى  
العمل الصالح بدافع ايمانه .

١ / والمؤمن يرى الدنيا مزرعة الآخرة ، ويعرف ان ما فيها ينفد ، بينما يبقى ما عند الله

من ثواب العمل الصالح مذخوراً . قال الله تعالى : { مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ( النحل / ٩٦ )

٢ / ويرى ان حاجته الى كل مثقال ذرة من العمل الصالح ، حاجة شديدة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .. ذلك يوم التغابن . اولم يقل ربنا سبحانه : { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ } ( الزلزلة / ٧ )

٣ / وقال ربنا سبحانه : { فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (المؤمنون/١٠٢)

وهكذا يسعى المؤمن في سبيل زيادة ميزان حسناته ، ولو بمقدار مثقال ذرة ، لانه ينفعه في يوم القيامة ، يوم الفصل . ويزداد المؤمن شوقاً الى الحسنات ، كلما تليت عليه آيات الذكر التي فيها ثواب العمل الصالح ، وعقبى العاملين صالحاً ، وندم الذين فرطوا في جنب الله فلم يعملوا صالحاً ، وذلك موضوع الآيات التالية .

#### ^^^عقبى العمل الصالح :

العمل الصالح يرفع الى الله ويبقى عنده (في عليين) ، وان الله يخرج صاحبه من الظلمات الى النور ، ويحييه حياة طيبة ، ويستلخف صاحبه في الارض ، وانه لمن خير البرية الذين يجعل الله لهم ودأ . كل ذلك في الدنيا ، اما في الآخرة فإن الله سبحانه يغفر لمن يعمل صالحاً ، ويبدل سيئاته حسنات ، ويدخله في رحمته ، وانه لا يظلمه سبحانه ، كما وان الله يجزيه الجزاء الاوفى ، وجزاء الضعف جزاءً غير ممنون يتمثل في الدرجات العلى ، جنات تجري من تحتها الأنهار .

تعالوا نتدبر في آيات القرآن ، لكي نزداد شوقاً الى العمل الصالح ، ورغبة في ثواب الله العظيم .

#### ٨٨٨٨ ألف / العمل الصالح يرفعه

١ / الى الله يصعد الكلم الطيب ، وهو يرفع العمل الصالح . (فهو يتقبله اذا كان خالصاً

لوجهه ) . قال الله سبحانه : { اِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } (فاطر/ ١٠)

٢ / والله سبحانه يحفظ هذا العمل الصالح في مقام عالي ، وهو القائل : { كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْاِبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ \* وَمَا اَدْرَاكَ مَا عَلِيُونَ \* كِتَابٌ مَرْقُومٌ \* يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ } ( المطففين / ١٨ - ٢١ )

٣ / وكلما سعى الانسان رأى سعيه امامه ، وجزاه الله عليه الجزاء الاوفى . قال الله سبحانه : { وَان لَّيْسَ لِلانْسَانِ اِلَّا مَا سَعَى \* وَانَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يَرَى \* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْاَوْفَى } (النجم / ٣٩ - ٤١)

#### ٨٨٨٨ باء / حياة طيبة

١ / عاجلاً في الدنيا يرى المؤمن عمله الصالح ، عندما يرزقه الله حياة طيبة ، حيث يجزيه الله اجره بأحسن ما كان يعمل . قال الله سبحانه : { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ اَجْرَهُمْ بِاَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (النحل / ٩٧)

٢ / واول حقائق الحياة الطيبة ؛ النور الذي يرزقه الله ، فيخرجه من ظلمات الضلالة الى نور الهدى . قال الله سبحانه : { رَسُوْلًا يَتْلُوْا عَلَيْكُمْ اٰيَاتِ اللّٰهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّوْرِ وَمَنْ يُّؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا اَبَدًا قَدْ اَحْسَنَ اللّٰهُ لَهُ رِزْقًا } (الطلاق/ ١١)

٣ / والله يجعل لهم وداً ، (تطيب نفوسهم وتطهر من الاحقاد ، ويحب بعضهم بعضاً ، ويزدادون تعاوناً) . قال الله سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا } (مريم/٩٦)

٤ / ثم يستخلفهم في الارض (ويمكنهم فيها ، فإذا هم ظاهرون غالبون ) . قال الله تعالى : { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } (النور / ٥٥)

٥ / وهكذا كان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، هم خير البرية . (فهم جند الله ، وحزب الله ، وعباد الرحمن) . قال الله سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ } (البينة / ٧)

#### ^^^جيم / مغفرة ورحمة

١ / يتطلع المؤمن الذي هداه الرب بعد ضلالة ، ووقفه للعمل الصالح بعد اقتراف السيئات ؛ يتطلع الى مغفرة الله ورضوانه ، وقد وعده الرب الرحيم ان يبدل سيئاته حسنات . قال تعالى : { إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (الفرقان / ٧٠)

٢ / وهكذا كان هذا الوعد الالهي ، يرغب الناس في المبادرة الى الايمان بالرسول محمد صلى الله عليه وآله ، والوحي الحق الذي نزل عليه . قال الله سبحانه : { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَعَٰمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ } (محمد / ٢)

٣ / وقال الله سبحانه : { وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ } (التغابن / ٩)

٤ / وقد تكون ذنوب المرء كبيرة ، إلا ان رحمة الله اعظم ، وقد وعد سبحانه بالغفران (الكبير والمكرر) . قال الله تعالى : { وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَعَٰمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى } (طه / ٨٢)

ولعل الاهتداء اشارة الى معرفة سبيل الله الصحيح ، المتمثل في ولاية النبي والائمة من اهل بيته عليه وعليهم صلوات الله أجمعين .

٥ / وهذا هو وعد الله الذي لا يخلف وعده ، حيث قال الله سبحانه : { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ } (المائدة / ٩)

٦ / والذين صبروا وعملوا الصالحات هم المؤمنون حقاً ، الذين لا يقنطون من روح الله اذا نزع الله منهم رحمة ، ولا يفرحون اذا اذاقهم نعماء من بعد ضراء . قال الله سبحانه (بعد بيان صفة الانسان الكفور الفخور) : { إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } (هود/ ١١)

٧ / واذا عرف الانسان شدة عذاب الله ، يعرف عظمة مغفرته ، ( ومدى حاجة المذنب اليها ، وقد استحق عذاباً شديداً ) ، فيزداد نشاطاً وعملاً صالحاً . قال ربنا سبحانه : { الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } (فاطر / ٧)

٨ / ومن تجليات مغفرة الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، انه سبحانه لا يعذبهم بذنوبهم في الدنيا ، ولا يمنع عنهم بركات الارض بها . ذلك لان سنة الله في القرى الظالمة ، انه يمهلهم لعلمهم يؤمنون ، ويعملون الصالحات فيغفر لهم ويرزقهم . اما اذا تمادوا في غيهم ، فانه يأخذهم أخذاً شديداً . قال الله سبحانه : { وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتَهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ \* قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ \* فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } (الحج / ٤٨ - ٥٠)

٩ / والعمل الصالح كما الايمان قيمة الهية ، يوزن كل شخص بميزانها . فحتى اصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين نعتهم القرآن بافضل نعت ، يشترط فيهم الايمان والعمل الصالح ، ولا تغني عنهم صحبتهم للرسول من الله شيئاً . قال ربنا سبحانه ( بعد بيان وصف الذين مع الرسول ) : { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } (الفتح / ٢٩)

وهكذا جاء حرف (منهم) بمثابة استثناء لمن لم يؤمن ايماناً صادقاً ، او لم يعمل عملاً صالحاً خالصاً لوجه الله .

### ٨٨٨٨ دال / ثواب الله خير

١ / بين ثواب الله في الدارين ، وبين متاع الحياة الدنيا ، بعد المشركين . فثواب الله يوفر السعادة بكل ابعادها ، بينما متاع الدنيا قد يترف الانسان في بعد واحد ولفترة محدودة ، ثم يتلاشى بعد ان يحدث فساداً عريضاً . فهذا قارون اوتي تلك الثروة العظيمة ، وانما كانت عاقبته انهيار ارضي شامل له ولماله . قال الله تعالى :  
{ وَقَالَ الَّذِينَ اٰتُوا الْعِلْمَ وَيَلْكُم تَوَابُ اللّٰهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا اِلَّا الصّٰبِرُونَ } (القصص / ٨٠)

وهكذا كان اختيار العلماء ثواب الله على متاع الدنيا ، وثواب الله جعله لمن آمن وعمل صالحاً .

٢ / وقد تمثلت عدالة ذي القرنين في انه جعل لمن آمن وعمل صالحاً الحسنى ، وسهل له أموره . قال ربنا سبحانه (حكاية عنه) : { وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا } (الكهف / ٨٨)  
ولعل معنى الآية ؛ ان الجزاء الحسن هو لمن آمن وعمل عملاً صالحاً عند الله ، واما عند الملك العادل فالتيسير .

٣ / وجزاء الله لمن آمن وعمل صالحاً لا يختص بهذه الامة المرحومة ، بل يشمل كل المؤمنين بالرسالات الالهية ، من اليهود والنصارى والصابئين . (فهذا هو المعيار الاول والاخير لجزاء الله سبحانه) . قال ربنا سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصّٰبِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة / ٦٢)

٤ / وقال الله سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } ( المائدة/٦٩ )

٥ / وعند الحديث عن النصارى يبين القرآن قيمة الايمان والعمل الصالح ، ربما في مقابلة قيمة الانتماء الى النبي عيسى من دون العمل) . قال الله سبحانه : { وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } (آل عمران / ٥٧)

ولعل في كلمة { وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } اشارة الى ان من يظلم الناس ، او يظلم نفسه ثم يحتمي بكهف الانتماء الى النبي عيسى بن مريم ، ليشفع له او يفديه بنفسه ؛ انه لا يفلح، لان الله لا يحبه .

٦ / وفي ذات السياق تقريباً نقرأ في سورة النساء ما يهدينا الى ان الغلو في حب عيسى

عليه السلام من دون العمل الصالح ، لا ينفع شيئاً . قال الله سبحانه : { فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } (النساء / ١٧٣)

٧ / ويبين القرآن مثلا من الايمان والعمل الصالح بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، (وضده أخذ الربا) . قال الله سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } ( البقرة / ٢٧٧)

٨ / والقيمة المثلى ليست الثروة او الكثرة ، وانما الايمان والعمل الصالح الذي يجزيه الرب جزاءً مضاعفاً ، يتمثل في الجنة والأمن . قال الله ربنا سبحانه : { وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ ءَامِنُونَ } ( سبأ / ٣٧)

٩ / واذا نظرنا الى تاريخ القرى الغابرة، رأينا كيف دمرت بسبب الكفر والظلم ،  
بينما بقيت مدن بسبب الايمان والعمل الصالح. ان ذلك يهدينا الى سنة الله في الجزاء  
في الاخرة ايضاً . وهكذا بيّن ربنا سبحانه هذه البصيرة بعد التذكرة بمصير  
الغابرين ( الروم / ٤٢ ) ، وقال سبحانه : { مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا  
فَلَا نَفْسِهِمْ يَمْهُدُونَ \* لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا  
يُحِبُّ الْكَافِرِينَ } ( الروم / ٤٤ - ٤٥ )

وفي كلمة { مِنْ فَضْلِهِ } دلالة على عظيم جزاء الله ، لانه من فضله سبحانه،  
وفضله كبير . كما ان فيه دلالة على ان الجزاء سنة الهية تتصل برحمته ، ولا حق  
لنا عليه تعالى إلا بما كتب على نفسه .

١٠ / كل اجر يستمر حتى يعادل مقدار العمل ، ثم ينتهي ولكن اجر الله رافد لا  
ينقطع ، (لانه من فضل الله) ، ولان المؤمن ينوي الاستقامة على الطريقة أنى طال  
به الزمن . قال الله سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ  
مَمْنُونٍ } (فصلت/ ٨)

١١ / وقال الله تعالى : { إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ  
مَمْنُونٍ } (الانشقاق / ٢٥)

١٢ / وقال الله سبحانه : { وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ  
أَجْرًا

حَسَنًا \* مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا } ( الكهف / ٢ - ٣ )

وهكذا فأجرهم غير منقطع ، حيث انهم يمكنون فيه أبدا .

١٣ / والله سبحانه لا يضيع اجر من احسن عملا ، من ذكر او انثى . فلا يخاف

ظلماً ولا هضمًا ، مادام حسابه مع الله ارحم الراحمين . قال الله تعالى : {

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ

بَعْضٍ } ( آل عمران / ١٩٥ )

١٤ / وقال تعالى : { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا } (النساء / ١٢٤)

١٥ / وقال عز من قائل : { وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ } (غافر / ٤٠)

١٦ / وقال الله سبحانه : { فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ } (الانبياء / ٩٤)

والتأكيد القرآني على عدم الخوف على اولئك العاملين من المؤمنين ، وانه لا كفران لسعيهم ، يعالج ازمة في نفس البشر ، منشؤها عدم لمس الجزاء بعد العمل مباشرة او عدم ربط الجزاء بالعمل .

١٧ / واذا كانت رحمة الله تسع كل الناس ، فكيف بالمؤمنين الذين استجابوا لربهم ؟ انهم يحظون بفضل من الله ورحمة خاصة . يقول ربنا سبحانه : { وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ } (الشورى / ٢٦)

١٨ / وقد خاب الذين اعتمدوا على الشركاء الموهومين ، بينما الذين تابوا وامنوا وعملوا الصالحات كان يرجى لهم الفلاح . قال الله سبحانه : { فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ } ( القصص / ٦٧ ) وربما كان استخدام كلمة { عَسَى } للدلالة على اهمية الفلاح وكثرة شروطه ، ومن شروطه ثقل ميزان الحسنات .

١٩ / والقسط سنة الله التي يجريها في الخلق ، كما يجري سائر السنن العليا . وتتجلى هذه السنة التي وعد ربنا بها يوم القيامة . وهكذا نرى السياق في فاتحة سورة يونس ، يذكرنا بهذه السنة بعد بيان خلقة السموات والارض (يونس / ٣) ، وانه سبحانه يدبر الأمر من فوق عرش قدرته . ثم قال جل وعلا : { إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُو الْخُلُقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا  
يَكْفُرُونَ { (يونس / ٤ )

وكأن هذه السنة الالهية ، هي هدف سائر السنن الالهية . هذا ما نستوحيه من  
حرف لام (العاقبة) بعد بيان ان الخلق بيد الله بدؤه واعادته .  
٢٠ / فإذا كان خلق الله السموات والارض بالحق ، فإن من مفردات الحق  
القسط ، (وان يجزي كل بما عمل) . واذا لم يتحقق القسط في الدنيا ، فإنه لا بد ان  
يتحقق في حياة اخرى .

وهكذا بيّن السياق القرآني (الجاثية / ٢٩) ان كتاب الله ينطق بالحق ، ثم يقول  
ربنا سبحانه : { فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ  
ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ } (الجاثية / ٣٠)  
فجزاء المؤمنين تطبيق لسنة الحق ، وهو فوز واضح لهم .

^^^ فأولئك يدخلون الجنة :

ما اعظم جزاء العاملين صالحاً ، أليست الجنة؟ وقد رغب ربنا عباده في العمل  
الصالح أشد الترويب ، اذ وصف لهم جناته التي جعلها لمن آمن وعمل صالحاً . وقد  
افاضت آيات الذكر في نعوت الجنة ، ونحن اذ ننلها معا نشوق انفسنا اليها ، لتسهل  
علينا الاعمال الصالحة .

١ / انها بشرى سارة يزفها القرآن الحكيم الى المؤمنين ، حين يصف لهم ما اعد  
لهم من دار ضيافة ، فيها الاشجار والانهار والوان الرزق . قال الله تعالى : {  
وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا  
وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (البقرة / ٢٥)

ان هذه الجنات تحقق كل طموحات الانسان من روعة البناء ، وجمال المنظر، ثم  
الرزق

المتشابه (الذي لا ينقصه شيء ، ولا ينغصه شيء) .. الى الأزواج المطهرة ، وفي النهاية الخلود . ذلك لان الحياة اذا كانت طيبة ، تمنى الانسان ان يبقى فيها دائماً . وهذه نعمة وفرها الرب للمؤمنين ، الذين يعملون الصالحات .

٢ / وفي سياق التذكرة بان محور الجزاء في القيامة ، العمل الصالح والايمن ، ونفي ما قالته اليهود من ان النار لا تمسهم إلا أياماً معدودة (البقرة/٨٠) . بيّن ربنا جزاء المؤمنين ، فقال الله سبحانه : { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } ( البقرة / ٨٢ )

٣ / وهكذا قال ربنا ، انه لم يخلق السموات والارض باطلاً (ص/٢٧) ، ثم ذكرنا بسنة الجزاء كأنها من مفردات تلك البصيرة الواضحة ، (انه لم يخلق شيئاً باطلاً) . قال الله سبحانه : { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } ( ص / ٢٨ )

٤ / وقال الله سبحانه : { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا } (النساء/٥٧)

لقد اضافت هذه الآية الظل الظليل الى صورة الجنة ، ربما لان سياق الآيات كان حول جهنم التي يدخلها الكفار (النساء / ٥٦) . وان من نعم الله الكبرى على المؤمنين ، انه سبحانه يقيهم النار .

٥ / وانه وعد من الله حقاً ؛ ان يدخل المؤمنين الذين عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ، وانهم خالدون فيها لا يموتون ولا يخرجون منها . وان معرفة الله تجعل المؤمن يثق بهذه الحقيقة ، فمن اصدق من الله قيبلاً . قال ربنا سبحانه : { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا } ( النساء / ١٢٢ )

٦ / وان الله الذي خلق السموات والارض بالحق ، لم يجعل الحياة تجري بأماني هذا وذاك ، بل بالحق المتمثل في الايمان والعمل الصالح . قال الله سبحانه : {

لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا { (النساء / ١٢٣ / ١٢٤)

وهكذا - وبكل صراحة - لم تكن الأمانى محور الحياة ، بل الحق . فمن يعمل سوءاً يجز به ، ومن يعمل من الصالحات يجز بها ، دون ان يظلم بقدر نقطة صغيرة في نهاية نواة التمر (النقير) . انها سنة الله التي لن تجد لها تبديلاً .

٧ / والجنة ثواب الله الذي يعطيه بفضلله ، لمن آمن وعمل صالحاً . ولذلك فهو لا يقاس بقدر العمل ، بل بوسع العامل ، حيث لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها .

ونعيم الجنة لا ينحصر في اللذات المادية ، بل يشمل الجوانب الروحية ، حيث ان الله ينزع ما في صدور اهل الجنة من غل (حقد او حسد او كبر). وهكذا فهم في بهجة روحية، ولذلك تتفجر نفوسهم فرحاً ورضاً . فإذا بالحمد لربهم يجري على ألسنتهم على ما هداهم ، ويبادلهم الملاً الاعلى التحية ، ويقال لهم : ان الجنة التي هم فيها هي ميراث افعالهم ، فيزيدهم فرحاً وروحاً . قال الله سبحانه : { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَفْضَلِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ } .

٨ / وهكذا يدخل المؤمنون الجنة بانذن ربهم (وبفضلله ، وليس فقط بصالح اعمالهم)، وهم يبادلون بعضهم البعض التحية بالسلام . (فلا حرب ولا صراعات ولا خلاف ولا غل)، مما يجعل عيشهم طيباً هنيئاً . قال الله تعالى : { وَأَدْخِلْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ } (ابراهيم / ٢٣)

٩ / ولا يسمعون لغواً ، وانما سلام (وتحية) . ولا يعانون جوعاً ، بل يأتيهم الرزق صباح مساء . قال الله سبحانه : { جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ

بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا \* لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لُعْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا  
بُكَرَةً وَعَشِيًّا \* تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا { (مريم / ٦١ -  
٦٣)

١٠ / في نهاية الآيات السابقة ذكر السياق شرط التقوى ، وهي الصورة العملية  
لحقيقة الايمان . وهنا يؤكد السياق على عبادة الله وحده (الكهف/ ١٠٣ - ١٠٦) .  
واضاف السياق الى وصف الجنة بانها (تحقق كل طموحات البشر ، الى حد انهم)  
لا يريدون التحول عنها الى غيرها ، (لأنهم لا يتصورون أعلى وأطيب منها مقاماً)  
قال الله سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ  
الْأَعْدُسِ نُزُلًا \* خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا } (الكهف/ ١٠٧ - ١٠٨)

١١ / ولعل ذلك معنى جنات المأوى ، في قوله سبحانه : { أَمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (السجدة / ١٩)  
١٢ / والجنة خلق الله يجعلها لمن يشاء من عباده ، لانه فعّال لما يريد . (فلا احد  
يسأله في عباده ، لماذا اعطاهم هذه النعم العريضة الواسعة) . قال الله سبحانه : {  
إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ  
اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ } (الحج / ١٤)

١٣ / ومن نعمه في الجنة ؛ الثياب الحرير ، والزينة بالذهب ، واللؤلؤ . قال ربنا  
سبحانه : { إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ } (الحج /  
٢٣)

١٤ / وتصف آية كريمة انهار الجنة ؛ فنهر الماء غير آسن ، ونهر اللبن لا يتغير  
طعمه ، ونهر الخمر لذة ، ونهر العسل مصفى . (ففيها كل النعم الموجودة في  
الدنيا ، بفارق ان نعم الدنيا مكدره عادة ، وهي في الاخرة بلا كدورة) . قال الله  
سبحانه : { مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ

مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٍ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ } (محمد / ١٥)

ان نعم الجنة لا تتحصر في اشباع شهوات الجسد ، بل هي فوق ذلك ارضاء لتطلعات

الروح ، فإذا بالمغفرة الواسعة من ربهم .

١٥ / ولعل ذلك معنى جنات النعيم ؛ اذ جاءت الكلمة مطلقة ، مما تدل بأن هناك توجد كل نعمة (يطمح فيها الانسان او حتى يتصورها) . قال ربنا سبحانه : { الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ } (الحج / ٥٦)

١٦ / وقال الله سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ } (لقمان / ٨)

١٧ / والعامل يسعى ليحصل على مثل عمله او مثليه او اضعافاً معلومة ، بينما العامل للجنة يسعى حتى يحصل على جزاء كبير لا يتصوره عظمة وعطاء لا ينقطع . فنعم الجزاء ذلك الجزاء للعاملين . قال ربنا تعالى : { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ } (العنكبوت / ٥٨)

ونعرف من الآية ؛ ان في الجنة غرفاً عالية ، وان الانهار تجري من تحتها . فهي بالتالي بناء (من لؤلؤ او من ذهب وفضة) .

١٨ / واهل الجنة هم في روضة يحبرون فيها . (فتراهم يستقبلون بالسلام ، وبأن افعالهم هي التي اورثتهم هذه الجنة) . قال الله عز وجل : { فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ } (الروم / ١٥)

١٩ / الجنة دار كرامة للمؤمن ، فلا يشاء أمراً إلا ويرزقه الله سبحانه، وانه حقاً فضل الهي كبير . قال ربنا تعالى : { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي

رُوضَاتِ الْجَنَاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ { (الشورى / ٢٢)

^^^ العمل الصالح حسرة أهل النار :

١ / واهل النار يتحسرون على ما فاتهم من فرصة العمل الصالح في الدنيا ، ويتمنون على ربهم ان يرجعهم الى الدنيا لعلهم يعملون صالحاً ، ولكن هيهات . وانهم يعبرون عن هذه الامنية بصوت عال ، وبكل انفعال نفسي . يقول ربنا سبحانه : { وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبِّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ

وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ { (فاطر / ٣٧)

والدنيا دار فتنه وابتلاء ، وان الله يعمر كل امرء ما يكفيه للتذكرة ، ويوفر له وسائل الهداية (كالنذير) . فإذا فاتته هذه الفرصة ، فانها لن تعود مرة اخرى ، بل يظل في النار يذوق حرها الى الابد .

٢ / وان منظر المجرمين يثير الاشمئزاز ، عندما تراهم منكسي الرؤوس ، يعترفون باخطائهم ويرجون العودة لتصحيحها ، ولكن هيهات . قال ربنا سبحانه : { وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ { (السجدة / ١٢)

٣ / وتبدأ الحسرة منذ الساعات الاولى لانتقالهم الى الاخرة ، حيث يتمنون الرجوع لكي يعملوا صالحاً ، (لانهم يعرفون اننذمدى اهمية العمل الصالح) . ولكنهم ينهرون ، ويقال لهم ان هذه كلمة لا تنفع . قال ربنا سبحانه : { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ { (المؤمنون / ٩٩ - ١٠٠)

٤ / وهكذا يترك وراءه الاموال والفرص التي تتحول عليه حسرة ، ثم لا يعود اليها ابدا . ألم يكن الأفضل ان يستثمرها ليوم فاقته ، ليوم لا يصحبه في رحلته الا عمله الصالح ؟ اما الاموال والاولاد والجاه والسمعة ، فانه يتركها وراءه .  
بلى ؛ في ذلك اليوم يتمنى المرء ان تعود اليه لحظات من ساعات الدنيا ، او انه لو كان يعيشها حتى ينفق فيها ويعمل صالحاً ، ولكن هيهات . قال ربنا سبحانه : {  
وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ \* وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (المنافقون / ١٠ - ١١)

واذا كان الاجل يهجم عليك وعليّ في اية لحظة ، وربما دون سابق انذار ؛ أليس الامثل ان نبادر الى اي عمل صالح في كل ساعة، حتى لا نتحسر على هذه الساعات التي نتمنى غداً عودة واحدة منها لننفق ونعمل صالحاً ؟  
^^^ بصائر الآيات

١/ العمل الصالح ، هو سعي الانسان في المسيرة الفطرية التي يرضى بها الرب سبحانه . ففي الجهاد يكتب للانسان بكل سعي منه عمل صالح . ومحددات العمل الصالح - حسب آية كريمة - ؛ ان يكون في سبيل الله، وان يبذل فيه جهد، وان يحدث اثراً .

٢/ ومعيار العمل الصالح ، ان يرضاه الرب تعالى .

٣/ والايمان يبعث صاحبه الى العمل الصالح ، لانه باق عند الله ، ولان من يعمل (منه) مثقال ذرة سوف يراه .

٤/ والعمل الصالح يرفعه الله ويحفظه ، وان الانسان يرى سعيه ويجزاه بالأوفى . ففي الدنيا جزاؤه حياة طيبة ، ومن حقائقها ان الله يخرج من الظلمات الى النور، ويصبح خير البرية .

٥/ والتائب الذي يعمل صالحاً ، يبذل الله سيئاته حسنات ، ويكفر الله سيئات الذين آمنوا (بالله والرسول) وعملوا الصالحات ، والله غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى . وهذا وعد الله سبحانه .

٦/ ويعطي الرب فرصة للقرى حتى يتوبوا ويؤمنوا ويعملوا صالحاً .  
٧/ وانما وعد الله اصحاب النبي مغفرة واجراً عظيماً ، شريطة الايمان والعمل الصالح .

٨/ وثواب الله خير للذين آمنوا وعملوا الصالحات . وحتى أهل الكتاب يجزون بعملهم الصالح ، ان هم آمنوا بالله واليوم الآخر .

٩/ والايمان والعمل الصالح هما المعيار للجزاء ، وليس ادعاء الانتماء الى الانبياء عليهم السلام ، والغلو في شأنهم . كما ان المال والولد في الدنيا ليس بمعيار ، لانهما لا يقربان العبد الى ربه . بينما المؤمن الذي يعمل الصالحات ، له جزاء الضعف وهو من الأمنين .

١٠/ ومن حقائق العمل الصالح ؛ اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة .  
١١/ واجر الله الذي كتبه من فضله للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، انه اجر غير ممنون (ولا مجزود ولا منقطع) ، وهم يمكنون فيه أبداً .

١٢/ ولا يضيع عند الله اجر عمل عامل من المؤمنين ، سواء كان ذكراً أو أنثى . فأولئك يوفيهم اجرهم من فضله ، حيث يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب . أوليس الله قد خلق السموات والأرض بالحق ، وان وعده الحق (وهو قائم بالقسط) ؟ فهو يجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط .

١٣/ وتشتاق النفوس الطيبة للجنة التي وعد الله المتقين من عباده ، فينبعثون الى العمل الصالح (الذي وعد الله اصحابه المؤمنين بالجنة) .

١٤/ وقد كانت ضلالة اليهود بعيدة ، إذ زعموا أنهم لا يعذبون إلا أياماً معدودة ، (لأنهم حسب زعمهم ابناء الله واحباءه . وأكد القرآن ان المعيار ، انما هو الايمان

والعمل الصالح ، لان الله لم يخلق السموات والأرض باطلاً . وحاشا لله ان يجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ، والمتقين كالفجار .  
١٥ / وإن الله وعد المؤمنين الذين عملوا الصالحات ان يدخلهم الجنات ، ومن اصدق من الله قيلاً . (فليست الأمانى او الادعاء او النسب او الانتماء او ما أشبه من العناوين الباطلة ، معيار الجزاء) . أليس الله خلق السموات والأرض بالحق ، (فكيف تكون المعايير الباطلة مقبولة عنده سبحانه) ؟

١٦ / وعقبي المؤمنين الذين عملوا الصالحات ، جنات الفردوس التي لا يبغون عنها حولاً ، والله يفعل ما يريد . وفي الجنان يحلى المؤمنين بأساور من ذهب ولؤلؤاً ، ولباسهم فيها حرير . وفي الجنة انهار من ماء غير آسن ، وانهار من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من خمر لذة للشاربين ، وانهار من عسل مصفى . كما فيها من كل الثمرات .. ولا تقتصر نعم الجنة بنعم الجسد ، بل الله يرزق أهلها مغفرة من لدنه . وهي بكلمة ؛ جنات النعيم ، وهي دار كرامة ، لان الله قد جعل لهم فيها ما يشاؤون .

١٧ / والله جعل العمل الصالح ثمناً للجنة بفضله . وهكذا كان العمل الصالح حسرة على أهل النار ، فهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحاً . وكذلك ترى المجرمين (كما الظالمين) يتمنون العودة الى الحياة ليعملوا صالحاً ، وهذه الأمنية ربما كانت ترافق كل من ينتقل من الدنيا وتتكشف له الحقائق ، إلا أنها عند المجرمين والظالمين تتحول الى ندامة طاغية .

### فقہ الآيات

١ / (التوبة / ١٢٠ - ١٢١) ؛ نستفيد من الآية الاحكام التالية :  
ألف / لايجوز التخلف عن رسول الله ، (ولا عن اوصيائه من الأئمة) . فإذا جاهد بنفسه ، جاهدوا بأنفسهم . وإذا جاهد بماله ، انفقوا أموالهم . وليست القيادة الالهية بديلة عن حركة الأمة كما زعمت طائفة من بني اسرائيل ، حين قالوا للنبي

موسى بن عمران عليه السلام : { فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ }  
(المائدة / ٢٤) .

وليست حركة الأمة بديلة عن حركة القائد، بل هو السابق وهم اللاحقون، وهو  
اسوتهم في كل خير .

باء / ينبغي للمؤمن ألا يجعل الصعاب عقبة في سبيل الاقدام ، لأن لكل صعوبة  
أجراً . فلا يصيب المؤمن الماضي على خطى الرسول بشيء ، إلا وفيه أجر .  
ولعلنا نستفيد من هذه الآية ؛ حسن استقبال الأعمال الشاقة ، كما ورد في حديث  
مأثور عن النبي صلى الله عليه وآله : " افضل الأعمال أحمرها " . (١)

٢/ (النمل / ١٩) ، (الاحقاف / ١٥) ؛ على الانسان ان يدعو الله بان يوفقه للعمل  
الصالح الذي يرضاه الرب . وقد أكدت بعض الأدعية على طلب الهداية لأرضى  
الأعمال عنده سبحانه .

٣/ (الزلزلة / ٧) ، (المؤمنون / ١٠٢) ؛ على المؤمن ان يكون مسارعاً الى  
الخيرات، شديد الاندفاع الى العمل الصالح، ولا يتهاون في اغتنام الفرص فيه حتى  
يتقل ميزانه يوم القيامة .

٤/ (النجم / ٣٩ - ٤١) ، (المطفون / ١٨ - ٢١) ؛ لا ينبغي ان ينتظر المؤمن  
جزاء أعماله ، او انعكاس افعاله في الواقع حتى يتابع مسيرته الصالحة ؛ بل ليعلم  
أن اعماله مخزونة عند ربه في كتاب ، لا يضل عنه ولا ينسى .

٥/ (النحل / ٩٧) ، (الطلاق / ١١) ، (مريم / ٩٦) ، (النور / ٥٥) ، (البينة /  
٧) ؛ لكي يكون سبيل المؤمن الى الاهداف السامية سالكاً ، ولكي يكون مدخله  
صدقاً ومخرجه صدقاً ، ولكي يبلغ أمانته المشروعة بسهولة ويسر ، فانما عليه ان  
يجعل العمل الصالح وسيلة الى ذلك . يجعله وسيلة الحياة الطيبة ، والخروج من  
الظلمات الى النور ، ويكون له في النفوس ودأ ، ثم يتمكن في الأرض ، ويكون له  
فيها القدرة والملك .

---

(١) بحار الأنوار / ج ١٠٧ / هامش ص ١٠٨ .

٦/ (التغابن / ٩) ، (طه / ٨٢) ، (المائدة / ٩) ؛ نستفيد من الآيات ؛ ان أحد وسائل التوبة بعد الذنب ، العمل الصالح . وهكذا ينبغي للمؤمن اذا أصابه طائف من الشيطان ، ان يستغفر الله ، وان يعمل عملاً صالحاً ، ليكفر الله عنه سيئاته .

٧/ (الفتح / ٢٩) ؛ ينبغي للمؤمن ألا يغتر بما لديه من نسب أو حسب فيترك العمل الصالح، لان سائر المكرمات تزين العمل الصالح . فالتقوى نعمة اللباس لمن عمل صالحاً، وصحبة الرسول نعمة الحسب لمن عمل الصالحات ، وهكذا ..

٨/ (القصص/٨٠) ، (الكهف/٨٨) ؛ العمل الصالح قيمة اجتماعية ، وميزة التجمع الرسالي او المجتمع المؤمن او النظام الاسلامي ان الأكثر عملاً صالحاً هو الأكثر احتراماً فيه . وهذا يعني الحقائق التالية :

الف / في التجمع الايماني يكون السابق المتقدم ، هو السابق الى العمل الصالح والمتقدم فيه ، لان العمل الصالح يكون عادة دليل التقوى ، ودليل الاستقامة والصبر .

باء / في المجتمع المؤمن تكون القيادة والشهادة للأكثر عملاً صالحاً، والأشد التزاماً به، حتى يكون هو محور التنافس ، لا زينة الحياة الدنيا .

جيم / في النظام الاسلامي توضع قوانين خاصة بالسابقين في العمل الصالح . فالمجتهد في الدراسة ، والمتقن في الصناعة ، والمتفوق في الزراعة ، والمتقدم في التجارة النافعة للبلاد .. هم الذين يجب ان يتم تشجيعهم ، لانهم الأكثر عملاً صالحاً .

٩/ (المنافقون/١٠ - ١١) ؛ اغتنام فرصة الحياة ، من تجليات الايمان بالله واليوم الآخر . وهذا يدعو البشر الى افتراض كل لحظة ، آخر لحظات حياته ، وانه إذا فقدها فقد لا يوفق لغيرها . ومن هنا ينبغي ان يبادر المؤمن الى كل عمل صالح ، ومن دون أي تأخير ، والله المستعان .

^^^ في رحاب الأحاديث

#### الصراف الى الجنة :

١/ قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : وأما قوله : { اهدنا الصراط المستقيم } فذلك الطريق الواضح . من عمل في الدنيا عملاً صالحاً فإنه يسلك على الصراط الى الجنة . (١)

#### تزودوا من العمل الصالح :

٢/ قال أمير المؤمنين عليه السلام : " رحم الله امرءاً سمع حكماً فوعى ، ودعي الى الرشاد فدنى ، وأخذ بحجزة هاد فنجا . راقب ربه وخاف ذنبه ، قدم خالصاً وعمل صالحاً ، اكتسب مذخوراً واجتنب محذوراً ، رمى غرضاً وأحرز عوضاً . كابر هواه وكذب مناه ، جعل الصبر مطية نجاته ، والتقوى عدة وفاته . ركب الطريقة الغراء ولزم المحجة البيضاء . اغتنم المهل ، وبادر الأجل ، وتزود من العمل " . (٢)

#### العمل الصالح في ميزان الغير :

٣/ في معنى قول الله عز وجل : { كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم } روي عن المعصوم عليه السلام انه قال : " الرجل يكسب مالاً فيحرم أن يعمل خيراً فيموت ، فيرثه غيره ، فيعمل عملاً صالحاً ، فيرى الرجل ما كسب حسرات في ميزان غيره " . (٣)

#### العمل الصالح عن الميت :

(١) بحار الأنوار / ج ١٠ / ص ٦١ / ح ٤ .

(٢) المصدر / ج ٦٦ / ص ٣١٠ / ح ٣١ .

(٣) المصدر / ج ٧٠ / ص ١٤٣ / ح ٢٥ .

٤/ روي عن الامام الصادق عليه السلام : " من عمل من المسلمين عن ميت عملاً صالحاً أضعف الله له أجره ونفع الله به الميت " . (١)

~~~~~  
استغفار الرسول لأمته :

٥/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " حياتي خير لكم ، وموتي خير لكم . اما حياتي فتحدثوني واحديثكم ، واما موتي فتعرض عليّ أعمالكم عشية الاثنين والخميس ، فما كان من عمل صالح حمدت الله عليه ، وما كان من عمل سيء استغفرت الله لكم " . (٢)

~~~~~  
العمل الصالح عند زوال الشمس :

٦/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " إذا زالت الشمس فتحت ابواب السماء ، وابواب الجنان ، واستجيب الدعاء . فطوبى لمن رفع له عند ذلك عمل صالح " . (٣)

~~~~~  
البرّ بالاخوان :

٧/ قال الامام ابو عبد الله عليه السلام : " خياركم سمحاؤكم وشراركم بخلأؤكم ، ومن صالح الأعمال البرّ بالاخوان والسعي في حوائجهم ، وذلك مرغمة للشيطان وتزحزح عن النيران ودخول الجنان " . (٤)

~~~~~  
جزاء العمل الصالح :

- 
- (١) بحار الأنوار / ج ٧٩ / ص ٦٢ .
  - (٢) المصدر / ج ١٧ / ص ١٤٩ / ح ٤٥ .
  - (٣) المصدر / ج ٨٠ / ص ٢٦ / ح ١ .
  - (٤) المصدر / ج ٦٨ / ص ٤٥٠ / ح ٣ .

٨/ قال الامام علي عليه السلام : " وأعمال العباد في عاجلهم نصب أعينهم في آجلهم " . (١)

٩/ قال الامام علي عليه السلام : " من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه " . (٢)

١٠/ قال الامام علي عليه السلام : " أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه " . (٣)

#### ~~~~~ العمل الصالح يمهد لصاحبه :

١١/ روي عن داود بن فرقد قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : " ان العمل الصالح يذهب الى الجنة فيمهد لصاحبه كما يبعث الرجل غلامه فيفرش له . ثم قرأ : { وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلأنفسهم يمهدون } " . (٤)

#### ~~~~~ القرين الناصح :

١٢/ قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : " القرين الناصح هو العمل الصالح " . (٥)

#### ~~~~~ احب الذخائر :

١٣/ قال الامام علي عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام : " انما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده ، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح " . (٦)

---

(١) نهج البلاغة / حكم رقم ٧ .

(٢) نهج البلاغة / حكم رقم ٢٣ .

(٣) المصدر / حكم رقم ٢٤٩ .

(٤) بحار الأنوار / ج ٦٨ / ص ١٨٥ / ح ٤٦ .

(٥) ميزان الحكمة / ج ٧ / ص ١٤ عن غرر الحكم .

(٦) بحار الأنوار / ج ٦٨ / ص ٣٧٢ / ح ٦ .



## ^^ المسارعة في الخيرات

الخير هدف سام وغاية مطلوبة ، والتسابق فيه والمسارعة اليه قيمة ايمانية . فما هي الخيرات ، وما المسارعة فيها ، وما هي حقائق المسارعة وآثارها في الحياة الاجتماعية ؟

^^^ ماهي الخيرات والمسارعة فيها :

ليست الخيرات زيادة المال والبنين ، وانما هي الخشية من الله ، والايمان بآيات الله ، وتوحيد الله ، والانفاق في سبيل الله وجلأ من لقائه . قال الله سبحانه : {  
أَيْحْسِبُونَ أَنَّ مَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ \* نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ \* وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ \* أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ } ( المؤمنون / ٥٥ - ٦١ )

ونستفيد من هذه الآيات ؛ ان الذي يحب الحياة الدنيا ويرى كل الخير في المال والبنين، فانه لايسارع في اعمال الخير . اوليست اعمال الخير عطاءً لله ، او انفاقاً من النفس على الناس ؛ فكيف يسابق فيها ؟

انما الذي يرى الآخرة خيراً له من الحياة الدنيا ، وقلبه يعمر بخشية الله ، وهو يؤمن بآيات الله فيعرف مدى ثواب الاحسان الى الآخرين ، وهو الى ذلك لايشرك بربه احداً . فلا يعيش امانى المشركين في شفاعة الالهة المزيفة، بل يعرف ان من يعمل مثقال ذرة خيراً يره .. فيسارع في الخيرات طمعاً في ثواب ربه الواحد الذي لا شريك له . ويزيده وجله من لقاء ربه وخشيته من مفاجأة الموت له، من تسابقه

الى الخيرات الا تقوته .. وهكذا تبصرنا هذه الآيات البيّنات بلامح المؤمن الذي يسارع في الخيرات ويسبقها فعلاً .

### ^^^ حقائق المسارعة :

١/ والانبيا عليهم السلام هم الاسوة المثلى للمسابقة بالخيرات ، وكانت ذريتهم مثلاً في المسارعة فيها . فهذا نبي الله زكريا يدعو ربه ليهب له من لدنه ولياً ، فيستجيب ربه له ويهب له يحيى . فاذا بزكريا وزوجه الصالحة وابنهما هبة الله الكريم ، يشكلون اسرة الخير ، فيسارعون في الخيرات . يقول ربنا سبحانه : { وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } (الانبيا / ٨٩-٩٠) .

فاذا كان لكل اسرة هدف ، فاي غاية سامية ؛ المسارعة في الخيرات ، واعظم بها هدفاً .

٢/ وكانت في ذرية النبيين سلالة سابقة بالخيرات ، هم ورثة الكتاب حقاً . قال الله سبحانه : { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ لِلَّهِ نَحْوَهُ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } ( فاطر / ٣٢ ) .

٣/ بل كانت المسابقة في الخيرات جزءاً اساسياً للرسالات الالهية ، حيث كان الانبياء عليهم السلام هم المسارعون في الخيرات . هكذا أمرهم الله سبحانه ، حيث قال تعالى : { وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } (الانبيا / ٧٣) .

٤/ وكان في المؤمنین بالرسالات الالهية من تحلى بهذه الصفة الالهية ، فسارعوا في الخيرات . وهم الذين كانوا يتلون آيات الله اناء الليل ، وهم يسجدون . قال الله عز وجل في صفتهم : { لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ

عَايَاتِ اللَّهِ عَائَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ \* يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ } ( آل عمران / ١١٣-١١٤ ) .

ونستوحي من الآيات ؛ ان المسارعة في الخيرات علامة صدق المؤمن . فاذا كانت تلاوته لايات الكتاب بالليل تلاوة صادقة ، فلا بد ان تتجلى تلك التلاوة في اطراف النهار بصورة المسارعة الى الخيرات . فانما المؤمن من يفيض خيره على الناس ، ويؤثر الآخرين على نفسه ولو كانت بها خصاصة . اما الذي يقرأ القرآن ليطعمه الناس ، او لكي يتأمر عليهم ، هو ليس قدوة في الخير .

٥/ فالمسارعة في الخيرات والتسابق فيها ، الحل الأمثل للاختلاف القائم بين البشر . (فبدلاً من ان نتلهى بالجدليات الفارغة حتى نحل في زعنا الاختلافات ، وبدلاً من ان نتمنى ذلك ونصطم دوماً بانها لا تحل ، وبدلاً من ان نجعل الاختلاف عقبة كأداء في طريق الاجتهاد والكدح .. تعالوا نتسابق في الخيرات ، ونجعل رب العزة المهيم علينا والذي اليه مرجعنا ، نجعله شاهداً وحاكماً . هو الذي ينبيء بما كنا نختلف فيه) . قال الله سبحانه : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } ( المائدة / ٤٨ ) .

وهذا لايعني ان الحق يختلف . فالكتاب الذي انزله الله سبحانه بالحق ، هو كتاب واحد . ولكن الله جعل لكل امة شرعة ومنهاجاً ، ليبلو بعضنا ببعض (١) . انما المفروض علينا عدم الانشغال بهذه الخلافات عن فعل الخيرات . انما علينا

---

(١) قال العلامة الطبرسي : الخطاب ( في قوله : لكل جعلنا منكم ) للامم الثلاث ؛ امة موسى ، وامة عيسى ، وامة محمد صلى الله عليه وآله ، واستدل بسباق الآيات السابقة ، ثم قال " ولكن ليبلوكم " اي ولكن جعلكم على شرائع مختلفة ليمتحنكم . (مجمع البيان / ج ٣ / ص ٢٠٣) .

الاستباق اليها والتنافس فيها وارجاء الاختلافات الى يوم لقاء الله سبحانه ، فهو  
يخبرنا بالحق فيها .

٦/ واذا كانت القبلة عند المسلمين المسجد الحرام ، فان لأهل الكتاب قبلتهم التي  
جعلها الله لهم (بيت المقدس) . وعلى الأمم الثلاث ان يتسابقوا في الخيرات (بدل ان  
يتلها بالخلافات) . فان الله نعم الحكم بينهم ، وهو القائل عز من قائل : { وَلِكُلِّ  
وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيٰهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ اِنَّ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللهُ جَمِيعاً اِنَّ اللهَ عَلٰى  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ } ( البقرة / ١٤٨ ) .

ونستفيد من الآية بصيرة هامة في معالجة الاختلاف ليس بحلها ، وانما  
بتجاوزها بالتسابق الى الخيرات .

### ^^^ بصائر الآيات

١/ الخيرات جنان الرب ورضوانه . والايمان بايات الله ، والانفاق وجلاً من  
لقائه ، والمسارعة في الخيرات قيمة ايمانية .

٢/ ومن ابرز صفات الذرية الطيبة ، المسارعة في الخيرات . ومن سلالة  
الانبياء من يستبق الى الخيرات ، (وهم ورثة الكتاب حقاً) .

٣/ وقد أمر الله الانبياء عليهم السلام ان يسارعوا في الخيرات .

٤/ وكانت من علامات التابعين حقاً للانبياء عليهم السلام من أهل الكتاب ،  
المسارعة في الخيرات .

٥/ واذا كان الاختلاف عاصياً عن الحل ، فالامثل بالمؤمن ان يسارع الى  
الخيرات ، ولا يتلهى بالجدل ، ولا ينتظر حل الخلاف في هذه الحياة .

### ^^^ فقه الآيات

١/ ( المؤمنون / ٥٥ - ٦١ ) ؛ المجتمع الايماني حزب واحد ، لانهم امة واحدة تعبد رباً واحداً وتتبع منهاج التقوى . ولكن ليس هذا المجتمع الأمثل قائماً في كل زمان ، وانما يختلف الناس حتى يصبح كل حزب فرحاً بما لديه . فهناك ينبغي البحث عن علامة للمؤمنين حقاً ؛ فما هي تلك العلامة ؟

اذا كان هدف هذا الحزب او ذلك التوسع على حساب الآخرين ، والحصول على المزيد من الأموال والانتصار ، فانه حزب مادي . وحتى اذا نال ما استهدفه ، فليس ذلك دليلاً على كرامة عند الله ورضوان .

اما اذا رأيت تجمعاً يشفقون من خشية الله ، فيتورعون عن محارمه ، ويؤمنون بآيات الله فلا يكفرون بأي حق نازل من عنده ، ويوحدون الله فلا يشركون به طاغوتاً او ندأً او ولياً من دون الله ، وانهم ينفقون ابتغاء مرضاة ربهم ( بعكس اولئك الذين يجمعون حطام الدنيا ) ، واخيراً اذا رأيتهم يسارعون في الخيرات ، فاعلم بانهم هم حزب الله .

وهكذا نستفيد من الآية الاحكام التالية :

ألف : على المؤمن ان يبحث عن التجمع الايماني الخالص لينتمي اليه ، ولا يسترسل في اتباع أي حزب او تجمع يلقاه امامه .

باء : من ابرز علامات التجمع الايماني ، تجنب الذاتيات والتوجه الى خير الناس

جيم : على القيادة الدينية ان تقرب هؤلاء الذين همهم الدين والخير .. لا أهل المال والقوة ..

٢/ ( آل عمران / ١١٤ ) ؛ حين يدافع القرآن ، الكتاب الالهي المهيم على ما قبله من الكتب المنزلة ، حيث يدافع عن طائفة من اهل الكتاب ممن اخلص ايمانه لله ، فان ذلك يعني : ان القرآن كتاب الله الحق ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه او من خلفه . فلا يخالط آياته ذرة من العصيية والحمية .. وهذا يعني ايضاً ان على

تابعي كتاب الله ، ان يزنوا الناس بالقسطاس المستقيم ، القائم على اساس الحق والعدل .

فاذا كان انسان يتصف بهذه الصفات المثلى ، فعلينا احترامه ، لان هذه الصفات هي القيم التي نبحت عنها . اما من اظهر الايمان ثم كفر بكل القيم المثلى ، فكيف نستطيع احترامه ؟

٣/ ( الانبياء / ٨٩ - ٩٠ ) ؛ كل فرد طاقة ، ولكن اذا اجتمع مع غيره فان طاقته تتضاعف . واذا كانت هنالك اسرة ذات صبغة ربانية ، فانها تملك طاقات هائلة . فأين تصرف ، ومن اجل أي هدف ؟

ان المسارعة في الخيرات ، هدف سام للاسرة المثلى . ونستوحي من ذلك ؛ انه ينبغي لكل اسرة فاضلة ان تبحت عن عمل خير تتبناه ، (مثل دار للايتام ، او بناء مسجد ، او ادارة مشروع لبلاغ الرسالة ، او ما اشبه ..) او تكون متطوعة لكل عمل خير تتوفر لها فرصته .

٤/ ( المائدة / ٤٨ ) و ( البقرة / ١٤٨ ) ؛ الاختلاف ظاهرة فطرية ، ولايزال البشر مختلفين إلا من رحم ربك . وبالرغم من ضرورة بذل كل الجهد الممكن في مسيرة التوحيد ، إلا ان علينا ان نبحت عن افضل البرامج المفيدة لحالات الخلاف . أوليست هذه الحالة هي السائدة عادة في الحياة ، فما هو البرنامج الأمثل ؟ نستفيد من القرآن الحكيم ؛ ان ذلك يتلخص في أمرين :

أولاً / ارجاء طائفة من نقاط الخلاف الى الاخرة ، ليحكم الله فيها وينبئ البشر بما هو حق ، دون الانتهاء بالجدليات الفارغة .

ثانياً / الاجتهاد في فعل الخير والتسابق فيه ، لكي تكون طاقة الخلاف باعثة نحو المزيد من العمل الايجابي والبناء .

والحقائق التالية نتبصرها من خلال هذه الوصية الالهية :

ألف : على الناس ألا يمنع بعضهم بعضاً من العمل البناء . فلا يجوز لاحد ان يمنع مسجداً يعبد الله فيه ، بحجة ان اهله يخالفونه في المذهب . وقد قال الله

سبحانه : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (البقرة / ١١٤) .

ولا يجوز لاحد ان يمنع احداً من الصلاة ، لان المصلي لا يتبع مذهبه في طريقته . وقد قال سبحانه : { أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى \* عَبْدًا إِذَا صَلَّى } (العلق / ٩ - ١٠) .

ولا لاحد ان يمنع احداً من اداء فريضة الحج ، لعدم اتباع الآخرين لمذهبه الفقهي او نهجه السياسي .. وقد قال سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } ( المائدة / ٢ ) .

وهكذا سائر الشعائر الالهية ، لا يحق لاحد ان يفرض رأيه في طريقة اقامتها وأداءها . بل لايد من إتاحة الفرصة لأهل سائر المذاهب ان يمارسوا شعائرهم بالطريقة التي يؤمنون بها ، ليتم التسابق الى الخيرات في اطارها .

باء : وكذلك القوى السياسية في المجتمع ، لهم الحرية في ممارسة الاعمال الايجابية ، والتسابق الى الخيرات دون اية مزاحمة من مخالفهم . ولا يجوز محاسبتهم على نياتهم ، او معاقبتهم على معتقداتهم ، بل الميزان العمل . فمادام عملهم ايجابياً بناءً ، فانهم أحرار في القيام به .

جيم : على المجتمع والقوى المهيمنة فيه ، والنظام السياسي المطبق فيه، ان يوفر الفرص المتكافئة لجميع ابناءه بكل مذاهبهم الدينية وتياراتهم السياسية لممارسة اقصى جهدهم في البناء ، والتنافس في عمل الخير . فان هذه الحرية كفيلة بتنمية المجتمع ، وتطوره .

دال : لان التسابق الى الخيرات قيمة ، فلا بد ان توضع انظمة مناسبة لتشجيع السابقين ، الذين يؤدون خيراً أكثر ، وعملاً اصلح ، ونتائج أبعد . فليس سواءً من استبق فسيق ، ومن تكاسل وتخلف .

## ^^^ في رحاب الأحاديث

١/ جاء في وصية الامام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام بن الحكم في حديث طويل قال : يا هشام .... ان أسرع الخير ثواباً لير ، وأسرع الشر عقوبةً البغي .  
(١)

٢/ روي عن الامام علي بن الحسين عليه السلام في مناجاته انه كان يقول :  
الهي اجعلني من المصطفين الأخيار ، وألحقني بالصالحين الأبرار السابقين الى المكرمات ، المسارعين الى الخيرات ، العاملين للباقيات الصالحات ، الساعين الى رفيع الدرجات ، انك على كل شيء قدير وبالاجابة جدير ، برحمتك يا أرحم الراحمين . (٢)

٣/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : " افعلوا الخير ولا تحقرّوا منه شيئاً ، فان صغيره كبير ، وقليله كثير " . (٣)

٤/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : "قولوا الخير تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله" . (٤)

٥/ قال الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : " عليكم بأعمال الخير فتبادروها ، ولا يكن غيركم أحق بها منكم" . (٥)

---

(١) بحار الأنوار / ج ١ / ص ١٥٠ .

(٢) بحار الأنوار / ج ٩١ / ص ١٤٧ .

(٣) ميزان الحكمة / ج ٣ / ص ٢١٧ - عن بحار الأنوار .

(٤) تحف العقول / ص ١٥٠ .

(٥) ميزان الحكمة / ج ٣ / ص ٢٠١ - عن غرر الحكم .

٦/ قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : "بادروا بعمل الخير قبل  
ان تشتغلوا عنه بغيره". (١)  
٧/ قال الامام الباقر عليه السلام : "من هم بشيء من الخير فليعجله ، فان كل  
شيء فيه تأخير فان للشيطان فيه نظرة". (٢)

---

(١) المصدر / ص ٢١١ - عن بحار الأنوار .  
(٢) ميزان الحكمة / ج ٣ / ص ٢١٢ - عن بحار الأنوار .

## ^^ الصلح والاصلاح

### ^^^ الف / الصلح

^^^ ما هو الصلح :

١/ النشوز والاعراض ، حالتان شاذتان في العلاقة بين الزوجين ، وضدهما الصلح ، (الأ يكون نشوز او اعراض، بل التعامل بالمعروف والتواصل) . قال الله سبحانه : { وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ } (النساء / ١٢٨)

ونستفيد من الآية الحقائق التالية :

أولاً : ان الصلح يتم بالتنازل عن بعض الحق ، للحصول على منفعة افضل ؛  
(مثلاً استمرار العلاقة الحسنة بين الزوجين) .

ثانياً : الصلح خير . (فالعلاقة الحسنة بين الناس ، أفضل من احقاق الحق في الامور الجانبيه ، لان العلاقة الحسنة بذاتها حق وقيمة سامية الى جانب سائر قيم الحق) .

ثالثاً : العامل النفسي ضد الصلح ، هو الشح وتمسك كل طرف بكل ما يحسبه حقاً له . (وهكذا يكون التشاح هو القيمة المضادة للصلح) .

٢/ اذا خشي الفرد ( الوارث او الوصي او غيرهما ) من الموصي ان يجانب الحق جزئياً

أوحتى كلياً ، فأصلح (بالحوار معه ليعطيه بعض حق الوارث في مقابل ترك المطالبة بكل حقه) ، فلا إثم عليه . قال الله سبحانه : { فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ } (البقرة / ١٨٢)

وهنا ايضاً جاء الصلح بمعنى التنازل عن بعض الحق ، لضمان الحصول على بقية سلمياً وبلا تنازع . وهو أمر مشروع ، (لان الصراع غير مرغوب فيه) .  
 ٣/ والصلح هو الذي يعمل ما يكون فيه الصلاح . وانما يعرف الصالح بمن يخالفه ، (وهو الظالم لنفسه) . قال الله تعالى : { وَقَطَّعَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمْمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } (الاعراف / ١٦٨)

ونستلهم من سياق هذه الآية ؛ ان الصالح هو الذي لا يخالطه ذنب او اثم ، لان ربنا سبحانه يقول بعد هذه الآية : { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (الاعراف / ١٦٩)  
 فهذا الجيل أسوء حالاً، حتى من غير الصالحين ، الذي يصفه السياق بـ : { دُونَ ذَلِكَ } .

٤/ وايضاً هناك غير الصالحين من الجن ، حيث يقول الله سبحانه : { وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا } (الجن / ١١)  
 وهكذا الصالح هو الانسان التام سلوكيا ، بينما غير الصالح هو الذي فيه نقص في عقيدته او عمله . ولعل المقارنة بينهما ، هي كالمقارنة بين الصحيح وغير الصحيح بدنياً . فغير الصحيح ، هو الذي يعاني من نقص او مرض .

#### الانبياء أسوة الصلاح :

١/ وهكذا كان مثال الصالح ، هم الانبياء العظام الذين عصمهم الله . فقال الله سبحانه عن النبي يحيى عليه السلام : { فَنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين } (آل عمران/ ٣٩)

٢ / وقال الله سبحانه عن النبي عيسى عليه السلام : { وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ  
وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ } (آل عمران / ٤٦)

٣ / وقال الله سبحانه عن بعض أهل الكتاب ( ولعل فيهم انبياء ) : { وَيُسَارِعُونَ  
فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ } (آل عمران / ١١٤)

٤ / وقال الله تعالى عن جملة انبيائه عليهم السلام : { وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى  
وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ } (الانعام / ٨٥)

٥ / وقال الله سبحانه عن النبي لوط عليه السلام : { وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ  
الصَّالِحِينَ } ( الانبياء / ٧٥)

٦ / وقال عز وجل عن جملة انبيائه عليهم السلام : { وَأَدْخَلْنَاَهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ  
مِنَ الصَّالِحِينَ } (الانبياء / ٨٦)

والصفات التي وصف بها الانبياء عليهم السلام، من خوف الله ، والمسارة في  
الخيرات، وغيرها .. هي الصفات المثلى للصالحين . كما ان جزاء الانبياء ، من  
النصر والرحمة والسلام ، هي جزاء الصالحين .

#### ~~~~~الإنتماء الى الصالحين :

١ / بل ان الانبياء العظام كانوا يتطلعون الى مقام الصالحين عند الله . فهذا النبي  
الكريم يوسف الصديق يدعو الله سبحانه ان يلحقه بالصالحين ، فيقول الله سبحانه  
حاكياً عنه : { فَأَطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً  
وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } (يوسف / ١٠١)

٢ / وهذا النبي إبراهيم الخليل عليه السلام يدعو ربه ان يلحقه بالصالحين ،  
فيقول : { رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } (الشعراء / ٨٣)

٣ / وقد رفع الله مقام انبيائه عليهم السلام، حين اخبرنا انهم في الآخرة من  
الصالحين . فقال الله سبحانه عن النبي ابراهيم عليه السلام ، بعد ان اخبر انه كان

شاكراً لأنعمه : { وَعَائِيَتَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ }  
(النحل / ١٢٢)

٤ / وقال الله سبحانه عنه ايضاً ، في بيان اسلامه لرب العالمين : { وَمَنْ يَرْغَبْ  
عَنْ مِلَّةِ اِبْرَاهِيمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ  
الصَّالِحِينَ } (البقرة / ١٣٠)

٥ / وقال الله سبحانه عنه ايضاً ، (عند بيان تحديه للأوثان وتوقيه للنيران) :  
{ وَعَائِيَتَاهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } (العنكبوت / ٢٧)

٦ / وهكذا يتطلع المؤمن ان يكون صالحاً في الدنيا ، وان يكون اولاده صالحين  
كأسمى تطلع له وأعظم أمل . قال الله سبحانه : { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا  
حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ  
وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ  
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ  
} (الاحقاف / ١٥)

وفي هذا السياق يذكر القرآن الكريم بقيم الشكر والتسليم ، (كأنهما اهم ركائز  
الصالح)؛ وان يكون الصلاح هدف الانسان في حياته، وهدفه في ذريته، وان  
يلحق بالصالحين من آبائه .

~~~~~  
أولاداً صالحين :

١ / قال الله سبحانه عن النبي ابراهيم عليه السلام ، وأنه كيف تطلع الى ذرية  
صالحة : { رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ } (الصافات / ١٠٠)

٢ / وقد استجاب الله دعاءه ، حين قال : { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا  
جَعَلْنَا صَالِحِينَ } (الانبياء / ٧٢)

٤ / وقال تعالى عن النبي اسحاق عليه السلام : { وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ  
الصَّالِحِينَ } (الصافات / ١١٢)

٥ / وفي بعض الآيات طلب بعض صفات الذرية الصالحة ، وهي ان تكون الذرية ممن يقيمون الصلاة . فقال ربنا على لسان ابراهيم الخليل عليه السلام : { رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي } (ابراهيم / ٤٠)   
٦ / وان تكون الذرية بحيث تقر بها عينا الوالدين (من الصلاح والسلامة) . قال الله سبحانه : { وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } (الفرقان / ٧٤)

## عقبى الصلاح

وعقبى الصلاح وراثه الارض ، حيث يقول ربنا سبحانه : { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } (الانبياء / ١٠٥)

## بأء / الاصلاح

معنى الاصلاح :

١ / الاصلاح اعاده الصلاح ، والصلاح هي فطرة الخلق الاولى ، بينما الافساد الانحراف عن تلك الفطرة . وهكذا يبيّن الله سبحانه تديبره للخلق ، وكيف قدره وأحسن تديبره (الاعراف/٥٤) ، ثم يقول : { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } (الاعراف/٥٦)

٢ / والفطرة تقتضي ان تكون العلاقة بين الزوجين علاقة ايجابية . ( السكن ، والمعروف، والاحسان ، والتشاور ، هي سمات هذه العلاقة) . فإذا كانت علاقة شفاق ، فالأمر بحاجة الى اصلاح ، لكي تعود الى سابق صفاءها . قال الله سبحانه

: { وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا } (النساء / ٣٥)

ولعل التوفيق ( وتأليف القلبين ) هو معنى الاصلاح هنا ، لان الله سبحانه قد جعل الزوجين بعضهما سكناً للآخر ، وجعل بينهما مودة ورحمة .

٣ / والتعارف والتعاون والالفة ، هي سمات المجتمع الاسلامي . فاذا شجر الصراع والقتال

بين طائفتين منهم ، فعليهم ان يبادروا بالاصلاح لاعادة الحالة الاولى . قال ربنا سبحانه : { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ \* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (الحجرات / ٩ - ١٠)

٤ / والاصلاح يناقض الافساد ، والنية مهمة فيه ، والله هو الذي يعلم المفسد من المصلح . ( فلا يغني مجرد ادعاء الاصلاح الذي يطلقه المنافقون دوماً ) . قال الله تعالى : { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ } (البقرة / ٢٢٠)

ونستوحي من الآية ؛ ان مخالطة اليتامى بقصد اصلاح امرهم مطلوبة ، وفي مثل هذا الأمر تعتبر الرقابة الذاتية مهمة جداً .

٥ / وهكذا رد القرآن الكريم ادعاء المنافقين بانهم مصلحون ، ونعتهم بالافساد . قال الله سبحانه : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ \* أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ } (البقرة / ١١ - ١٢)

فالاصلاح ليس بالتمني ، وانما باتباع حدود الله وقيم الحق .

٦ / ولعل احد ابرز تجليات الاصلاح، وجود معايير ثابتة عند المصلح، بينما المفسد يتبع هواه . وقد خشي المستضعف من بني اسرائيل ان يقتله موسى ، فزعم انه ليس مصلحاً . فقال الله سبحانه عن قصتهما : { فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي

هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ { (القصص / ١٩)

~~~~~  
حقائق عن الاصلاح :

١ / وقد أمر النبي موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام ، حينما استخلفه في غيابه لمناجاة ربه بالاصلاح ، (وكانه من اهم شروط القيادة . وهو يتناسب مع صفة سعة الصدر التي هي آلة الرئاسة ، حسبما جاء في الاحاديث) . فقال الله سبحانه عن لسانه : { وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْني فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } (الاعراف / ١٤٢)

وكان تجنب سبيل المفسدين ، هو من ابرز أدلة الرشد الى الاصلاح .

٢ / والاصلاح من سمات التقوى . قال الله تعالى : { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ } (الانفال / ١)

واصلاح ذات البين - حسبما يبدو - هو اصلاح العلاقة التي تسود بين الافراد . والآية تدل على ان السعي في سبيل تصفية العلاقات الاجتماعية من الشوائب العالقة ضرورية ، ومن مصاديقها منع الغيبة والنميمة وسوء الظن وما اشبه مما يسيء بالعلاقات .

٣ / ولا خير في نجوى (لا معروف فيه) إلا من أمر بصدقة (انفاق) ، او معروف (وعمل صالح) ، او اصلاح . قال الله تعالى : { لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } (النساء / ١١٤)

ولعل ذكر هذه الافعال الثلاث لبيان محتوى النجوى ، لانها هي محور الحاجة للنجوى مع القيادة . فإما وساطة لأحد المحتاجين واستعطاء له (وهو امر بالصدقة) ، او اقتراح عمل خير للأمة (وهو امر بمرعوف) ، او الطلب الى القيادة للتدخل بين طائفتين من الناس مختلفتين للاصلاح بينهما .

٤ / والاصلاح قد يصبح أمراً مستصعباً ، اذا تراكمت السلبيات وتعمقت الخلافات . وهناك ينبغي على المؤمن ألا يتراجع عن مسؤوليته ، بل يسعى جاهداً للاصلاح أنى استطاع اليه سبيلاً ، وبأى مستوى أمكنه . قال الله سبحانه (وهو يقص حالة النبي شعيب عليه السلام) : { إِنَّ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } (هود / ٨٨)

ونهتدي بالآية الى ان المؤمن بحاجة الى التوكل على الله لمواجهة ضعف ارادته في الاصلاح ، او ضغوط مجتمعه ضد الاصلاح . وليعلم ان توفيقه فيه ، انما هو بالله سبحانه .

٥ / اذا كان في قرية ظالمة اولو بقية ينهون عن الفساد ويريدون الاصلاح (ويسمع كلامهم بقدر او باخر) ، فان الله لا يهلك اولئك القوم جزاء على ظلمهم ( وهلاكاً منشؤه الظلم ) . هكذا نستفيد من آيتين في سورة هود . قال الله سبحانه : { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ } (هود / ١١٧)

وقال الله سبحانه في آية أخرى : { فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ } (هود / ١١٦)

فوجود هؤلاء البقية ، هم ضمان سلامة القرية . ربما لان الظلم لا يشمل - عندئذ - كل ابعاد حياة القرية ، فلا ينزل العذاب . والله العالم .

٦ / ويتحقق اصلاح الذات بالتوبة ، وترميم النقص الحادث بالافساد . فمن سرق فعليه ان يتوب ، فلا يعود الى السرقة مرة اخرى ، كما ان عليه ان يعيد اموال السرقة الى اهلها . قال الله سبحانه : { فَمَنْ تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ } (المائدة / ٣٩)

ولعل في قوله سبحانه { مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ } اشارة الى اصلاح الظلم باعادة حق من ظلم .

٧ / وكذلك اللذان يقذفان المحصنات ، ويشهدان على الفاحشة (دون ان يقام عليها اربعة شهداء) ، فان تابا واصلحا (ما افسداه من سمعة المحصنة التي شهدا عليها) ، فان الله يتوب عليهما . قال الله سبحانه : { وَالَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَأُذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً } (النساء / ١٦)

٨ / وهكذا من ترك الفسق واستجاب لدعوة الانبياء بالتوبة ، فان الله يتوب عليه . قال الله سبحانه : { وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (الانعام / ٤٨)

فالايمن ضد الكفر ، والاصلاح ضد الفسق ( الذي نقرأ عنه في السياق ) .  
٩ / ومن ذلك قوله سبحانه ( بعد الحديث عن حرمة القذف في الآية السابقة ) : {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (النور / ٥)

١٠ / والسلام (والأمن) ، هو عقبى الاصلاح . والاصلاح بعد السوء ، هو تصحيح ما افسده السوء . قال الله سبحانه : { وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (الانعام / ٥٤)

١١ / والاصلاح بعد التقوى ، هو التوبة التامة . فلا تتم التوبة إلا بعد اصلاح الفساد الذي احدثه الذنب . قال ربنا سبحانه : { يَا بَنِي ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (الاعراف / ٣٥)

وهكذا اوجز السياق (بالتدبر في الاعراف / ٣٣) . فعبر عن الايمان بالتقوى ، اذ لا تقوى من دون ايمان . وعن التوبة بالاصلاح ، فكأن الآية قالت ؛ فمن آمن بهم واتقى وتاب عما كان يرتكبه من الفواحش والبغي .

١٢ / وكلما كان الخطأ فاحشاً والانحراف بعيداً ، كلما كانت شروط العودة صعبة . قال الله تعالى : { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً }

\* **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** { (النساء / ١٤٥ - ١٤٦ )

فالمنافق لا يحشر بسهولة في زمرة المؤمنين ، بل عليه ان يتوب ، وان يصلح ما افسده بنفاقه . ثم اعتصم بالله ، (وبالرسول وعاد الى الصف) ، واخلص حتى لا تبقى في نفسه آثار الازدواجية والنفاق . فهناك يكون مع المؤمنين .

١٣ / وكذلك الذين كفروا بعد ايمانهم بالرسول ، (ولعل كفرهم كان بالتمرد على الرسول) . فانهم لو تابوا واصلحوا ، فان الله يتوب عليهم . (فاصلاحهم هو طاعتهم للرسول) . قال الله تعالى : **{ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }** { آل عمران / ٨٩ )

١٤ / والاصلاح يختلف - باختلاف الذنب - . فإذا كان الذنب كتمان الحق ، (والذي يستوجب اللعنة حسب البقرة/١٥٩) ، فإن الاصلاح يعني التبيان بعد الكتمان . قال الله تعالى : **{ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }** { البقرة / ١٦٠ )

١٥ / ولعل من ذلك قوله سبحانه : **{ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ }** { (النحل / ١١٩ )

حيث ان السياق يحدثنا عن الافتراء على الله (النحل/١١٦) . فالسوء هنا ؛ الافتراء على الله . والاصلاح هو نفي الحكم الذي افتراه ، وتصحيح خطأ الناس فيه .

١٦ / وإذا تعرض المؤمن للبغي ، و عفى عن ظالمه واصلح ، فان أجره عند الله . قال ربنا سبحانه : **{ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ }** { (الشورى / ٤٠ )

ولعل الاصلاح هنا ، يتمثل في تصحيح خطأ البغي الذي تعرض له . اما السكوت عن الظلم بحيث يشجعه على الاستمرار في ظلمه ، فإنه غير حميد ، لانه لا صلاح فيه للمجتمع . والله العالم .

## بصائر الآيات

١/ الفطرة التي خلقها الله هي محور الصلاح، فاذا نقصت او انحرفت عن مسارها فقد فسد. والاصلاح اتمام النقص او تصحيح المسار. فالنشوز عن الرجل، (وعدم الوفاء بحقوق الزوجية)، والاعراض هو ضد الصلاح. والاصلاح هو تصحيح النشوز، وانهاء الاعراض .

٢ / والصالح من الناس من يعمل الصلاح، (وما يجب عليه) كمن يصلي ويطبق الكتاب.

٣ / ومثل الصلاح نراه في انبياء الله (زكريا ويحيى وعيسى والياس ولوط وغيرهم) . وكان يتطلع الانبياء ليكونوا من الصالحين ، هكذا دعا ابراهيم الخليل ويوسف الصديق ، وهكذا يتطلع المؤمنون ليكونوا من الصالحين . والاولاد الصالحون هدف يتطلع اليه الانبياء عليهم السلام ، كما يتطلع اليهم المؤمنون .

٤ / وعقبى الصلاح وراثه الارض .

٥ / واذا كان الصلاح هي الفطرة الاولى للخلق، فإن الاصلاح اعاده الشيء الى الحالة السوية. فالعلاقة البناءة بين الزوجين صلاح، واعادتها بعد فسادها إصلاح. والتعاون بين ابناء الامة صلاح، واعادته بعد فقده إصلاح. والعدالة التي تعني اعطاء كل ذي حق حقه، هي الاصلاح .

٦ / والله سبحانه رقيب على الاصلاح ، وليس الاصلاح بالتمني والادعاء ، ولذلك فان المنافقين الذين ادعوا الاصلاح كانوا كاذبين .

٧ / والمصلح يتبع معياراً (الحدود الشرعية والعقلية للاشياء) ، بينما المفسد يتبع هواه .

٨ / ولعل من ابرز شروط القيادة الاصلاح ، وعدم اتباع سبيل المفسدين .  
والاصلاح كذلك من ابرز سمات التقوى ، ولا خير في كثير من النجوى الا عند  
الامر بالاصلاح .

٩ / وليس الاصلاح في الامة سهل المنال ، وقد لا يكون ممكناً بالكامل . فعليه ان  
يتحرك الانسان للاصلاح ، متوكلاً على الله وبالقدر المستطاع .

١٠ / واصلاح اهل القرى ضمان ارتفاع العذاب عنهم ، ولعل اصلاحهم يكون  
في اولي بقية يnehون عن الفساد في الارض .

١١ / وشرط قبول التوبة اصلاح ما افسده الذنب ، ولذلك أمر الرب في آيات  
كثيرة بالاصلاح بعد ذكره التوبة .

١٢ / والسلام عقبى الاصلاح ، ولعل الاصلاح مع التقوى يعني العمل الصالح  
مع التقوى . ولا تقبل توبة المنافقين إلا بالاصلاح ، والاعتصام بالله واخلاص الدين  
. ومن كتم الحق (ولم يشهد لله) ، فعليه ان يصلح أمره ببيانه (والشهادة عليه) .  
وعلى من افتري على الله كذباً ، ان يعلن البراءة من فريته .

## فقہ آیات

١ / (النساء / ١٢٨) ، (النساء/٣٥) ؛ في العلاقات الاجتماعية تختلط الحقوق  
المتبادلة بين الناس اختلاطاً كثيراً ، مما يصعب حتى على القضاة ان يحددوا حق  
هذا او ذاك . كما ان الشح الذي يحيط بالنفس البشرية يحجب رؤية الحق ؛ وهكذا  
يبغي بعض الخطاء على بعضهم ، كما قال سبحانه : { قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ  
نَعَجَتِكَ اِلی نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِیراً مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَی بَعْضٍ اِلَّا الَّذِیْنَ  
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِیْلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ اَنَّهٗ فُتِنَہٗ فَاَسْتَغْفَرَ رَبَّہٗ وَخَرَّ  
رَاكِعًا وَاَنَابَ } (ص / ٢٤)

وهنا يأتي دور العفو والاحسان ، كما يأتي دور الصلح الذي يفتح الباب واسعاً امام أي حل للخلاف يراه العرف ويتراضى به الخصمان .  
وقد لخصت الآية القرآنية قيمة الصلح بكلمة { وَالصُّلْحُ خَيْرٌ } ، والتي نستفيد منها احكام الصلح في حقوق الناس بعضهم على بعض .

الف : الصلح عقد يهدف تحسين العلاقة القائمة بين الافراد ، بالتراضي والتسالم في الحقوق المتبادلة . ومن حقائقه ؛ الصلح بين الزوجين ، وبين ذوي القربى اذا خيف عليهم التخاصم في الارث ، وبين الطائفتين المتنازعتين في الامة (بعد التقاتل) . وتشترك هذه الموارد في ضرورة تنازل طرف للاخر ببعض ما يراه حقاً له ، من اجل اصلاح ذات البين ، ووقف النزاع الذي يكون أشد ضرراً من ضرر فقدان الحق المتنازل عنه .

وقد اعتبر الفقهاء الصلح عقداً خاصاً بنفسه ، فقال الشهيد الاول عن الصلح :  
وهو اصل في نفسه . (١)

وعلق عليه الشهيد الثاني بالقول : على اصح القولين واشهرهما ، لا فرع البيع والهبة والاجارة والعارية والابراء ، كما ذهب اليه الشيخ فجعله فرع البيع اذا افاد نقل العين بعوض معلوم ، وفرع الاجارة اذا وقع على منفعة معلومة بعوض معلوم ، وفرع العارية اذا تضمن اباحة منفعة بغير عوض ، وفرع الهبة إذا تضمن ملك العين بغير عوض ، وفرع الابراء اذا تضمن اسقاط دين استناداً الى افادته فائدتها .  
(٢)

وقال آية الله السيد الخوئي (ره) : الصلح عقد مستقل ، ولا يرجع الى سائر العقود ، وان افاد فائدتها . (٣)

---

(١) اللعة الدمشقية (الطبعة الثانية) ج ٤ / ص ١٧٥ / كتاب الصلح .

(٢) المصدر .

(٣) منهاج الصالحين / ج ٢ / ص ١٩٢ .

وهذه النظرية تبدو صحيحة بالنظر الى ان كل عقد مشروع يفيد فائدة معينة ،  
والآ لم

يكن عقداً مستقلاً . ولكن السؤال : كيف يفيد الصلح فائدة اكثر من عقد واحد ، فإذا  
افاد عقد ما فائدة البيع ، فكيف يسمى بالصلح ، ولماذا لا يسمى حينئذ بالبيع ؟ فهل  
الفرق الفارق بين الصلح والبيع اللفظ ، فإذا قلنا بعثت كان العقد بيعاً ، وإذا قلنا  
صالحنا صار صلحاً ؟

انني شخصياً لا اعتقد ان الفرق بين العقود الكلمات ، بل حقائقها . فإذا كانت  
الحقيقة حقيقة البيع كان بيعاً ، وان سمي صلحاً . وان لم تكن كذلك ، لم يكن بيعاً  
حتى ولو استخدمنا كلماته .

فما هو الفرق بين الصلح وغيره من العقود ؟

الجواب ؛ ان الصلح يهدف رأب الصدع بين طرفين ، سواء مع ظهور النزاع  
بينهما أم من دونه . ومن هنا فان هدفه ليس كهدف البيع نقل شيء بعوض ، بل  
التراضي على امر فيه قدر من التنازل عن الحق يقدمه هذا الطرف او ذاك .  
بلى ؛ ذلك المورد الذي يتنازل عنه الطرفان عن حقهما فيه ، قد يكون مورد بيع  
او اجارة او غيرهما من العقود .

ومن هذه الزاوية اعتقد ضرورة وجود حالة تستدعي الصلح ، كما وجدنا ذلك في  
موارد الصلح التي ذكرت في القرآن المجيد ؛ مثل خشية النشوز والاعراض من  
قبل الزوج ، او خشية الجنف والاثم من قبل الموصي ، او التقاتل بين طائفتين من  
المسلمين . اما اذا لم تكن هذه الحالة موجودة ، وكان مجرد بيع بصيغة صلح ، او  
اجارة بصيغة صلح ، فإن العقد حقيقة هو عقد البيع او الاجارة .

باء : وهكذا يكون واقع الصلح التعامل على اساس التراضي والتسالم، وتنازل كل  
طرف عن بعض حقوقه للمحافظة على العلاقة الايجابية . ولذلك فان القواعد  
الحقوقية التي وضعت في مختلف العقود، والتي تستهدف الحفاظ على حقوق

الاطراف بدقة عادلة؛ تلك القواعد لا تراعى في الصلح ، انما تراعى قاعدة الاحسان ، والتي تهدف تطبيع العلاقات .

جيم : يقع الصلح على نقل عين او منفعة، او ابراء دين، او تنازل عن حق، او الانتفاع بنوع معين كالصلح على حفر نهر في ملك او احداث طريق في ارضه، او التنازل عن دعوى قضائية او عن حق عرفي او شرعي ؛ مثلاً اذا دخل اثنان سوماً على ارض او في صفقة ، ثم تصالحا فيما بينهما على ان يتنازل احدهما لمصلحة الاخر لقاء منفعة معينة . وهكذا ..

دال : لان الهدف الاساسي من الصلح تحسين العلاقات ، ومنع او انهاء الخلافات . فان الانضباط القانوني المرعي في سائر العقود ، لا نجده فيه ؛ فمثلاً يجوز اجراءه باية صيغة . بلى ؛ يجب ان تتوفر فيه شروط الاهلية عند الطرفين من البلوغ والرشد والحرية وعدم الحجر ، كما يشترط شروط العقد من التنجيز ووحدة الموضوع وما اشبهه .

٢ / (الحجرات / ٩ - ١٠) ؛ الوحدة الاجتماعية منبت كل خير ، ومنطلق كل نشاط . وكل ابناء الامة يستفيدون منها ، فعليهم جميعاً ان يسعوا نحو بناءها وترسيخها . ومن هذه الحقيقة نستوحي الاحكام التالية :

الف : واجب على المسلمين جميعاً الاصلاح اذا نشب القتال بين المسلمين .  
باء : الهدف من الاصلاح اشاعة الأمن ومواجهة البغي ، حيث ان الطائفة التي تبغي هي التي يجب محاربتها .

جيم : ولكن الأمن من دون العدل ليس امناً مستقراً ، ولا أمناً نافعاً . فلذلك يجب ان تكون الغاية الاسمي اقامة القسط ، حتى يعطى كل طائفة ، بل كل فرد حقه .

دال : مقياس الأمن والعدل ؛ امر الله . فبه نعرف من الذي يبغي ، وبه نعرف ما هو حق هذا الشخص او ذاك ، وكيف نقسط باعطاء كل حقه .

هاء : ونستفيد من الآية ؛ ان الاصلاح بين ابناء الامة ، هدف يسعى اليه المؤمن دائماً . فلا ينتظر تفاقم الخلاف الى درجة الصراع المسلح ، حتى يبادر بالاصلاح

. أليس المؤمنون اخوة ، وهل يصلح ان يشجر بين الاخوان خلاف ؟ كلا ؛ بل ينبغي ان يسود علاقاتهم ببعضهم الحب والاحترام .

وكلمة اخيرة ؛ بالتأمل في سياق هذه الآية الكريمة نستفيد ؛ ان استتباب الامن هدف مقدس ، ولكن لا يجوز ان يكون ذلك على حساب اقامة القسط .

٣ / (الانعام/٨٥) ، (يوسف/١٠١) ، (الصافات/١٠٠) ؛ الصلاح قيمة ايمانية هامة ، وعلى الانسان ان يحققها في حياته على مستويات مختلفة ، منها ما يلي :

الف : التعرف على حياة الصالحين ، ليتخذ منها اسوة مثلى لحياته ، والانبياء عليهم السلام هم أمثل قدوات الصلاح .

باء : ان يسعى ليكون منتمياً الى الصالحين ، حتى يلحقه الرب سبحانه بهم . كما يسعى المؤمن ليكون من حزب الله ، ومن جنده ، ومن اوليائه .

جيم : ان يسعى جاهداً ، لتكون ذريته من الصالحين .

٤ / (الاعراف/٥٦) ؛ لان الاصلاح قيمة ايمانية ، فان على كل واحد المحافظة عليه ، وألا يفسده . وهذه بصيرة هامة تهدينا الى الاحكام التالية :

الف : اذا كان النظام الحاكم في بلد نظاماً مستقراً ، فلا يجوز لي ان ابادر الى الاخلال به، لمجرد هوى في نفسي (مثل الحسد والكبر والعصبية) . ومن ذلك مخالفة ائمة الهدى عليهم السلام ، الذين اصلح الله بهم الارض .

باء : الدعاء الى الله سبحانه ينبغي ان يكون تضرعاً وخفية ، ومن دون ان يتخذ الانسان هذه الدعوة وسيلة الاعتداء على الاخرين . فالصلاة التي تكون وسيلة الاستعلاء في الارض غير مقبولة ، حيث يقول سبحانه : { وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } (الانفال / ٣٥) . والصدقة التي تكون وسيلة المن والاذى غير مقبولة ، كذلك الدعاء الذي يكون سبيلاً الى الاعتداء .

جيم : لان الافساد هو كل انحراف عن فطرة الله التي فطر الخليقة عليها ، فلا يجوز تغيير الطبيعة بما يفسدها . فالتلوث الذي يسبب فساداً في الطبيعة ، والذي

يؤدي الى افساد الهواء والماء والارض .. بما يلحق ضرراً بالغاً بالناس ، انه عمل قبيح ، يجب على الدول وضع قوانين صارمة لمنعها .

دال : وكذلك الخلل في الطبيعة بما يفسدها ، مثل القضاء على الغابات او ممارسة الصيد بلا حدود ، مما يقضي على نوع او انواع من الاحياء ، ويسبب خللاً في نظام تنوع الخلقه، انه كذلك افساد في الارض وقد نهينا عنه .

هاء : ومن الافساد في الارض اشاعة المخدرات ، مما يسبب في تعود المزيد من البشر على هذه المادة الخطيرة .

واو : ومن الافساد في الارض اشاعة الفواحش ، مثل نشر الافلام الجنسية والمجلات الخليعة وما اشبهه ، وكذلك مثل انشاء دور الفحشاء والمعاهر .

زاء : ومن الافساد ، بث الدخان من السكائر - التي يتعاطاها المدخنون - في الفضاء المغلق ، مما يؤثر على سائر الناس المتواجدين عنده .

حاء : واذا كانت سيارة شخص او ماكينة فاسدة .. مما تبث دخاناً كثيفاً ومضراً بالمحيط ، فانه من الافساد .

طاء : ومنه ايجاد الضوضاء المضر بصحة الناس ، ذلك لان بعض البحوث الجديدة اثبتت ان تأثير الضوضاء قد يفوق تأثير التلوث على المحيط .

ياء : ومن الافساد تخريب نظام العملة بما يتسبب في اضرار الناس ، كما يقوم المرابون والمتاجرون بالاسهم والعملات في بعض الاحيان .

كاف : وكذلك يعتبر من الافساد تخريب شبكات الري واسلاك الكهرباء والتليفون وشبكات الكمبيوتر وما اليها ، مما يتحقق به صلاح البشر .

لام : وزرع الالغام التي تهدد سلامة الناس ، يعتبر من الافساد .

ميم : وضع اسلحة الدمارات الشامل ، وبالذات الاسلحة الكيماوية والبايولوجية ، يعتبر من أشد وأفتك انواع الافساد في الارض .

نون : وتهديد الأمن باي نوع منه ، يعتبر افساداً في الارض . فالذين يحاربون الله ورسوله ويقطعون الطريق ويشيعون الفوضى ، هم من المفسدين في الارض .

سين : وفساد الرأي العام باشاعة البلبلة يعتبر افساداً في الارض ، وكذلك افساد الرأي العام باشاعة ثقافة الفحشاء . ولكن علينا ان نميز بين محاسبة الافساد في الرأي ، وبين خنق الحريات بهذا الاسم .

٥ / (البقرة/٢٢٠) ؛ (البقرة/١١-١٢) ، (القصص/١٩) ، (الاعراف/١٤٢) ، (النساء/١١٤) ، (هود/٨٨) ؛ الاصلاح قيمة اجتماعية ، والكثير من الناس يتمنون الاصلاح دون ان تكون لهم نية صادقة ، او رؤية واضحة . ولذلك علينا ان نبحث عن معايير لنعرف ما هي حقيقة الاصلاح ، وذلك بما يلي :

الف : لا يصبح الافساد اصلاحاً لمجرد الادعاء . فالمناقفون كانوا يدعون ان ممارسة النفاق نوع من الاصلاح ، (لانهم لم يخالفوا الرسالة ظاهراً ، ولم يعارضوا الكفار علناً) .

كلا ؛ ان مدهانة الكفار افساد بذاتها ، لان الكفر هو الافساد بعينه ، كما ان التخلف عن الايمان بالرسالة نوع من الافساد ، لان جوهر الرسالة هو الاصلاح .

فاذا ؛ علينا ان نميز بين الاصلاح والافساد بالموازين العقلية ، وليس كل مدهانة ومناورة اصلاح . بلى ؛ اذا دارى احد غيره بهدف تحقيق الاهداف السامية ، كان ذلك اصلاحاً . مثلاً اذا كذب أحد من اجل اكتساب شعبية او الحصول على ثروة ، فانه نفاق وفساد . اما اذا كذب من اجل اصلاح ذات البين ، او من اجل اقامة العدل ، فانه ليس بكذب . وقد جاء في الحديث المأثور : " الكذب في الاصلاح صدق عند الله " . وفي قصة النبي ابراهيم عليه السلام ، وقوله لقومه : اني سقيم . جاء في الحديث ، انه لم يكن سقيماً ، وما كذب ، لانه كان يريد الاصلاح . وكذلك الذي يتقي لا يعتبر كاذباً .

وهكذا المعيار هو محتوى العمل وهدفه ، وليس مجرد مظهره .

باء : التجبر في الارض ليس دليلاً على الاصلاح ، انما بالتواضع وتقديم مصالح الامة على الاهواء الشخصية يتبين اصلاح الفرد . وقد قال الله سبحانه لرسوله : {

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ {  
(ق/٤٥)

وهكذا ينبغي ان يكون المصلح في منتهى التواضع ، وقد جاء في الحديث الشريف : " تواضعوا لمن تعلمونه العلم ، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم " . (١)

جيم : ومن معايير الاصلاح ، معرفة سبيل المفسدين وتجنبه . والمفسدون هم الذين يفرقون بين الناس ، وعلى القيادات ألا تتبعهم ، ولا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر باصلاح او صدقة او معروف .

دال : لكي نعرف المصلح من المفسد ، علينا ان ندرس عمله . فمن دعا الى معروف وسبق الناس اليه ، ونهى عن المنكر وتجنب عنه قبل الاخرين .. كان عمله دليل صدقه . ولكن من دعا الى التواضع ثم تكبر ، او الى الوحدة ثم تعصب ، او الى الزهد ثم رغب في الدنيا .. فان علينا ان نشك في صدقه . وهكذا نجد النبي هود عليه السلام يذكر قومه ، انه لا يريد ان يخالف قومه فيما يدعوه اليه ، قائلاً : { قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } (هود / ٨٨).

وقد جاء في حديث عن النبي صلى الله عليه وآله ، قال : " لا تجلسوا عند كل داع مدع يدعوكم من اليقين الى الشك، ومن الاخلاص الى الرياء ، ومن التواضع الى الكبر ، ومن النصيحة الى العداوة ، ومن الزهد الى الرغبة . وتقربوا الى عالم يدعوكم من الكبر الى التواضع ، ومن الرياء الى الاخلاص ، ومن الشك الى اليقين ، ومن الرغبة الى الزهد ، ومن العداوة الى النصيحة . ولا يصلح لموعظة الخلق

(١) بحار الانوار / ج ٢ / ص ٤١ / ح ٢ .

إلا من خاف هذه الآفات بصدقه ، وأشرف على عيوب الكلام ، وعرف الصحيح من السقيم ، وعلل الخواطر وفتن النفس والهوى " . (١)

٦ / (المائدة/٣٩) ، (النساء/١٦) ، (الانعام/٤٨) ، (الانعام / ٥٤) ، (النساء/١٤٥-١٤٦) ، (البقرة/١٦٠) ؛ الذنب يفسد القلب ، ويفسد الحياة . ومن تاب من الذنب بالندم طهر الله قلبه من اثار الذنب ، وكان عليه ان يصلح حتى يطهر الحياة من اثاره . وهكذا كان الاصلاح بعد الذنب واجباً ، ويختلف الاصلاح حسب اختلاف الذنوب . وفيما يلي بعض التفصيل :

الف : من ظلم الناس وأكل اموالهم بالباطل ثم تاب ، فعليه ان يعيد اليهم اموالهم حتى تقبل توبته ، او يسترضيهم بما استطاع .

باء : من احتمل بهتاناً ضد أحد ، او افسد سمعته بالغيبة ، او جار عليه بأنفة او كبر او حمية ، فعليه ان يصلح ما افسده . ومن هنا جاء في الدعاء المأثور : " فأيما عبد من عبيدك أو أمة من إمائك كانت له قبلي مظلمة ظلمتها إياه في نفسه أو في عرضه أو في ماله أو في أهله وولده ، أو غيبة اغتبتة بها ، أو تحاملٌ عليه بميل أو هوى أو أنفةٍ أو حميةٍ أو رياءٍ أو عصبيةٍ ، غائباً كان أو شاهداً ، وحيّاً كان أو ميتاً ، فقصرت يدي ، وضاق وسعي عن ردها إليهِ ، والتحلل منه . فأسنلك يا من يملك الحاجات وهي مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة الى ارادته ، ان تصلي على محمد وآل محمد ، وأن ترضيه عني بما شئت ، وتهب لي من عندك رحمة ... " . (٢) .

ومن مصاديق ذلك من قذف المحصنات ، فعليه ان يصلح ما افسده من سمعتهن ، ربما بتكذيب نفسه او التحلل منهن وما اشبه .

جيم : والذين يستجيبون لدعوة الرسل ، يجب ان يصلحوا ما افسدوه في جاهليتهم بالتوبة والطاعة والاعتصام بالرسل والولاية لهم ولمن يستخلفونه . وكذلك المنافق الذي

(١) بحار الأنوار / ج ٢ / ص ٥٢ / ح ٢٠ .

(٢) من ادعية الايام / مفاتيح الجنان / ص ٢٤ .

يعصي الرسول عليه اذا اراد التوبة ان يعتصم به، ويخلص في الولاية له حتى يصلح ما افسده بمعصيته .

دال : ومن كتم الحق ، ولم يشهد به ثم تاب ، فعليه ان يبين ذلك الحق ، ويكون عليه شهيداً .

هاء : ومن افتري على الله كذباً ثم تاب ، فان عليه ان يعلن للناس كذبه ويصلح افتراءه.

## ^^^ في رحاب الاحاديث

١ / روي عن الامام علي عليه السلام ، أنه قال : " اللهم انك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسةً في سلطان ، ولا التماس شيء من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونظهر الاصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطلة من حدودك " . (١)

٢ / قال الامام الحسن عليه السلام ، لمعاوية : " تركت قتالك وهو لي حلال ، لصلاح الامة وألفتهم" ... (٢)

٣ / وعن الامام الحسين عليه السلام قال : " ... وإني لم أخرج أشراً ، ولا بطراً ، ولا مفسداً ، ولا ظالماً . وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي ، أريد ان أمر بالمعروف ، وأنهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب" .. (٣)

٤ / عن أبي عبد الله عليه السلام ، أنه قال : " صدقة يحبها الله ، إصلاح بين الناس اذا تقاسدوا ، وتقارب بينهم اذا تباعدوا " . (٤)

(١) الحياة / ج ١ / ص ١٦١ / ح ١ .

(٢) المصدر / ح ٢ .

(٣) المصدر / ج ١ / ص ١٦٣ / ح ٥ .

(٤) الاصول الكافي / ج ٢ / ص ٢٠٩ / ح ١ .

٥ / عن ابي حنيفة سابق الحاج قال : مرَّ بنا المفضل وانا وختني (١) نتشاجر في ميراث . فوقف علينا ساعة ، ثم قال لنا : تعالوا الى المنزل . فأثنياه ، فأصلح بيننا بأربعمائة درهم. فدفعها الينا من عنده، حتى اذا استوثق كل واحد منا من صاحبه، قال: اما انها ليست من مالي ، ولكن ابو عبد الله عليه السلام أمرني اذا تنازع رجلان من اصحابنا في شيء ان اصلح بينهما واقتديها من ماله . فهذا من مال ابي عبد الله عليه السلام . (٢)

٦/ قال الامام الصادق عليه السلام : " المصلح ليس بكاذب " . (٣)

٧/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟، إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة " . (٤)

٨/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " يا أبا أيوب ! ألا أخبرك وادلك على صدقة يحبها الله ورسوله ؟ تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتباعدوا " . (٥)

٩/ عن مفضل قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : " إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي " . (٦)

١٠/ قال الامام علي عليه السلام : " ثابروا على صلاح المؤمنين والمنقين " . (٧)

١١/ قال الامام علي عليه السلام : "من كمال السعادة السعي في صلاح الجمهور" . (٨)

١٢/ قال الامام علي عليه السلام : " من استصلح الاضداد بلغ المراد " . (٩)

---

(١) الختن : زوج بنت الرجل وزوج اخته او كل من كان قبل المرأة .

(٢) الاصول الكافي / ج ٢ / ص ٢٠٩ / ح ٤ .

(٣) المصدر / ص ٢١٠ / ح ٥ .

(٤) ميزان الحكمة / ج ٥ / ص ٣٦٢ .

(٥) ميزان الحكمة / ج ٥ / ص ٣٦٣ .

(٦) المصدر .

(٧) ميزان الحكمة / ج ٥ / ص ٣٦٣ .

(٨) المصدر .

(٩) المصدر .

## ^^ درء السيئة بالحسنة

١/ حينما يزداد المؤمن يقيناً، ويزداد على ربه توكلاً، وبنصره ثقة وطمأنينة ، لذلك تراه يتحلى بالصبر خالصاً لوجه ربه ، ويقوم الصلاة وينفق مما رزقه ربه، ويدفع السيئة بالحسنة. (فهو - بذلك - قد وقى شح نفسه ، وتحرر من زنانة الذات

، واتسع صدره لعباد الله، وتمتع بالنظرة الايجابية ، وبالعطاء والاحسان الى الآخرين). قال الله سبحانه : { وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ } (الرعد/ ٢٢)

ونستفيد من الآية؛ ان درء السيئة بالحسنة من أسمى صفات المؤمنين، الى جنب الصبر الخالص لوجه الله ، حيث يجوز للمؤمن ان يواجه السيئة بالسيئة ، إذ قال ربنا سبحانه : { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا } (الشورى/ ٤٠)، وقال: { فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ } (البقرة / ١٩٤). ولكن المؤمن يتجاوز عن حقه ، ويجازي السيئة بالحسنة . فاذا الذي اساء إليه يتحول الى ولي حميم، بفعل الخلق السامي .

٢/ وقد انبأنا الرب سبحانه، بأن لمثل هؤلاء المؤمنين عقبى الدار . فهل عنى بذلك الجزاء الأوفى في الآخرة فقط، أم الجزاء العاجل في الدنيا ايضاً؟ نستوحي من آيات أخرى؛ ان الله يمنح هؤلاء جزاءهم مرتين؛ (في الدنيا، والآخرة). ولعل من جزائهم في الدنيا هو حب الناس لهم، حيث قال سبحانه : { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } (فصلت / ٣٤)، وقال سبحانه : { أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } (القصص / ٥٤)

وهذه الآية كالتى سبقت، نزلت في أهل الكتاب الذين علموا انما انزل من ربهم الحق . ( انظر الآية ١٩ من سورة الرعد، والآية ٥٢ من سورة القصص). ونستوحي من ذلك؛ ان هذه الدرجة الرفيعة من الخلق الحسن، لا يبلغها إلا من اوتي العلم والايمان حقاً .

^^^ بصائر الآيات

١/ دفع السيئة بالحسنة ، من تجليات العلم والايان . (كما الصبر ابتغاء وجه الله ، واقامة الصلاة والانفاق ) .

٢/ والله يؤتي اجر هؤلاء مرتين (في الدنيا والآخرة، حيث يرزقهم جنات عدن )

## فقهاء الآيات

إذا أمكن دفع السيئة بالحسنة، كان ذلك من أسمى درجات الايمان ، وابلغ مراتب النهي عن المنكر . ولقد كان النبي صلى الله عليه وآله قدوة الحكماء في هذه الفضيلة، كما في سائر درجات الخلق الكريم. واتباعاً لهذا الخلق، علينا ان نقوم بما يلي :

ألف : تحسين تربية الابناء، لكي ندرء سوء أفعالهم . فالوقاية من السيئات خير من علاجها . وبدلاً من صرف المزيد من الأموال في بناء السجون، وتقوية أجهزة الشرطة ، واقامة المحاكم الجنائية.. دعنا نبني المزيد من المدارس ، ونستوعب المزيد من الأطفال ، ونهتم بمستقبل أبنائنا .

باء : الفقر والجهل، والفراغ والخواء العقائدي، والانحراف الثقافي، وغيرها من عوامل الجرائم في المجتمع .. يمكن القضاء عليها إذا تحمل المجتمع مسؤوليته مبكراً لمقاومتها،

وإلا فعليه ان يتحمل نتائج تقصيره باضعاف مضاعفة من الجهد والخسارة .

جيم : ان بناء نظام صحي متكامل في المجتمع ، كفيل بتقليل نسبة الأمراض، ولا سيما المعدية منها ، وبالتالي تقليل الخسائر البشرية والمادية . فالدرهم من الوقاية، أفضل من قنطار في العلاج . والمجتمع الحكيم هو الذي يصرف الأموال في تطعيم الاطفال مصلات المناعة من الأمراض ، وفي عزل المبتلين بالأمراض المسرية ، وفي مراقبة الأطعمة، وفي امداد الناس بالغذاء الكافي ، وبالتالي في كل

ما يمنع انتشار الأمراض. ولا يهمل الأمر حتى يستشري الخطر، وينفق المزيد من الثروات في العلاج، وربما من دون فائدة .

دال : وعموماً الوقاية من اسباب الخطر؛ مثل التوقي من اخطار السيول والزلازل والحروب، ومنع حوادث السير، وحوادث الحريق وما إليها.. كل ذلك من سمات المجتمع الرشيد . وقد رَغِبَ الوحي بالتوقي من كل الأخطار، وان كثيراً من تعاليم الدين تهدف بلوغ مرحلة الوقاية ، قبل السقوط في هاوية الأخطار .  
هاء : ومن درء السيئة بالحسنة صنائع المعروف ، فانها تدرء مصارع السوء .  
ومنها ان تتبع السيئة بالحسنة حتى تمحوها وتطهر نفسك وواقعك من اثارها .  
ومنها الكتمان فإنه يدرء شر الاذاعة .

## ^^^ في رحاب الأحاديث

١/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : "صل من قطعك ، وأحسن الى من أساء اليك" . (١)

٢/ وفي معنى قول الله تعالى: "ويدروُن بالحسنة السيئة" روي عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: " أي يدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان، ويتبعون الحسنة السيئة فتمحوها" . (٢)

٣/ روى علي بن ابراهيم عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: يا علي؛ ما من دار فيها فرحة إلا تتبعها مرحة، وما من هم إلا وله فرج إلا هم أهل النار. إذا عملت سيئة فأتبعها بحسنة تمحها سريعاً، وعليك بصنائع الخير فانها تدفع مصارع السوء" . (٣)

---

(١) بحار الأنوار / ج ٧٤ / ص ١٧١ .

(٢) المصدر / ج ٦٦ / ص ٣٥٧ .

(٣) بحار الأنوار / ج ٦٦ / ص ٣٥٧ .

- ٤/ وفي معنى قول الله تعالى: "ويدرؤن بالحسنة السيئة" قال الامام ابو عبد الله عليه السلام: "الحسنة التقية، والسيئة الاذاعة". (١)
- ٥/ قال الامام الباقر عليه السلام: "ما أحسن الحسنات بعد السيئات، وما أقبح السيئات بعد الحسنات". (٢)
- ٦/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "اتق الله حيث كنت، وخالق الناس بخلق حسن، وإذا عملت سيئة فاعمل حسنة تمحوها". (٣)
- ٧/ قال الامام الباقر عليه السلام: "اني لم أر شيئاً قط أشد طلباً ، ولا أسرع دركاً من حسنة محدثة لذنب قديم". (٤)
- ٨/ قال الامام الصادق عليه السلام: "من خلا بعمل فلينظر فيه، فان كان حسناً جميلاً فليمض عليه، وان كان شيئاً قبيحاً فليجتنبه، فان الله عز وجل أولى بالوفاء والزيادة. ومن عمل سيئة في السر فليعمل حسنة في السر، ومن عمل سيئة في العلانية فليعمل حسنة في العلانية". (٥)
- ٩/ قال الامام الصادق عليه السلام: " ان الخطيئة لا تكفر الخطيئة، ولكن الحسنة تكفر الخطيئة". (٦)

(١) المصدر / ج ٧٢ / ص ٤٢٢ / ح ٨١ .

(٢) المصدر / ج ٦٨ / ص ٢٤٢ / ح ١ .

(٣) المصدر / ص ٣٨٩ / ح ٤٦ .

(٤) المصدر / ص ٢٤٢ / ح ٥ .

(٥) المصدر / ص ٢٤٣ / ح ٧ .

(٦) مستدرک الوسائل / ج ١٢ / ص ١٥٨ .

## ^^ النجوى

^^^ المعنى :

١/ النجوى اجتماع محدود العدد ، للبحث عن موضوع يسرونه . قال الله تعالى :  
{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يُكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (المجادلة / ٧)  
٢/ وقال الله سبحانه : { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا \* وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا } (مريم / ٥١-٥٢)  
وهكذا قد تكون النجوى بين ثلاثة . وقد تكون بين اثنين . وفي النجوى حديث يدور ، وفي معناها لوحظ القرب ، ولذلك قال ربنا : { قَرَّبْنَاهُ } .

^^^ حكم النجوى :

١/ ويبدو ان النجوى بذاتها غير مطلوبة ، خصوصاً اذا كان المتناجيان بين جمع من اخوتهم ، وانما تسوغ اذا كانت مبررات لذلك . قال ربنا سبحانه : { لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } (النساء / ١١٤)  
فاذاً لو كانت النجوى ذات محتوى يرضاه الرب ، من نوع الأمر بالمعروف ( كصلة الرحم ، او اشارة بخير ) او أمر بالانفاق والصدقة او دعوة الى الاصلاح .. فانها ذات خير ، وإلا فلا خير فيها .  
والله سبحانه دعا الى النجوى بالمعروف ، ووعده من فعله أجراً عظيماً . لماذا ؟  
لان الشيطان يوسوس في افئدة المتناجين ، ويدعوهما الى اثاره الحمية ، والأمر

باتباع الهوى . فمن كانت نجواه موافقة لعلنه ، وكانت فيها دعوة الى الخير ، كان ذا ايمان صادق .

ومن هنا جاء في الحديث المروي عن الامام علي عليه السلام : " لا خير في المناجاة إلا لرجلين ؛ عالم ناطق ، او مستمع واع " .(١)

٢/ وهناك ألوان من النجوى المنهية عنها ، وهي التي تضل الناس عن الحق ، كالنجوى التي كان المشركون يتناجون بينهم ، ويثيرون الشبهات حول الرسالة . وقد قال ربنا سبحانه : { لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ } ( الانبياء / ٣ )

ولقد كانت محتويات التناجي بين المشركين تختصر في شبهتين ؛ الأولى : ان الرسول بشر ( وكيف يتبعون بشراً مثلهم ) . والثانية : ان رسالته سحر .

ولكن لماذا اسروا هذه الشبهات ، ولم يجهروا بها ؟ يبدو لسببين ؛ الأول : لان الجهر بها كان يدعو المؤمنين الى ردّها رداً مدعماً بالبراهين الواضحة . الثاني : لانهم كانوا بنجواهم يثيرون الحميات ، وذلك بهدف دعم الافكار الباطلة . ولقد ردهم الله في آية تالية ، بأن الله يعلم سرهم - وبالتالي - عليهم ان يراقبوه ، وألا يقولوا في نجواهم إلا الحق (الانبياء/٤).

٣/ وقال الله سبحانه ( في قصة النبي موسى وفرعون ) : { فَتَنَّا رَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى \* قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتَى } ( طه / ٦٢ - ٦٣ )

وهكذا كانت الفكرة التي تبادلوها بالنجوى ، هي الاخرى من نوع الشبهات الباطلة حول الرسول . (كانوا مختلفين هم بانفسهم فيها) ؛ مثل ان موسى ساحر ، او انه يريد الاستعلاء في الارض ، وان طريقة فرعون هي المتلى وان موسى يريد القضاء عليها .. وكانت تلك الشبهات وساوس لا برهان لهم بها ، وانما هي من نوع الاشاعات التي يبثها الخناسون في المجتمع ضد الدعاة الى الله .

(١) ميزان الحكمة / ج ١١ / ص ١٤-١٥ عن غرر الحكم .

٤/ ومن النجوى التي نهى عنها الرب بصراحة ، تلك التي كانت بين المنافقين ، حيث كانوا يحيكون المؤامرات حول الرسول . فكان المستكبرون منهم يأمرون المستضعفين بالآثم والعدوان ( اغتصاب حقوق الآخرين ) ، وكانوا يأمرون بمعصية الرسول (حيث يثيرون حوله الشبهات ، وانه من مكة وليس من المدينة ، او انه ليس إلا بشر مثلهم) . قال الله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ } (المجادلة/ ٨)

٥/ وقد أمر الله المؤمنين بأداب واحكام النجوى ، حيث امر ان يتناجوا - اذا تناجوا - بالأمر بالمعروف كطاعة الرسول وفعل البر والتزام التقوى ، وألا يتناجوا بالآثم والعدوان ومعصية الرسول (سواء كانت بصورة مباشرة او غير مباشرة ، مثل اثاره الحميات الجاهلية في الأمة) . قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } (المجادلة/ ٩)

٦/ وفي مواجهة الحركات السرية التي انشأها المنافقون ضد الرسالة وقيادة الرسول ، ينبغي ان يتوكل المؤمنون على الله ، وليعلموا ان هدف المنافقين الاساسي القاء الحزن في نفوس الرساليين ، ويتلاشى ذلك بالتوكل على الله . قال الله سبحانه : { إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } (المجادلة/ ١٠)

ومن هنا فقد نهى الدين الحنيف المناجاة بين اثنين في محضر ثالث ، لكي لا يحزن . فقد قال الامام الصادق عليه السلام : " إذا كان القوم ثلاثة ، فلا يتناجى منهم اثنان دون

صاحبهما ، فان ذلك ما يحزنه ويؤذيه " . (١)

(١) عن اصول الكافي / ج ٢ / ص ٦٦ .

٧/ وهناك آداب تتصل بمناجاة الرسول ، (حيث كان البعض يزاحم الرسول بنجواه بين الحين والآخر، لعله بهدف التعالي على الآخرين، وإيهام المجتمع بأنه قريب الى الرسول). فأمر الله بالأناجوا الرسول ، إلا بعد ان يعطوا صدقة قبل النجوى . فقال الله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } ( المجادلة / ١٢ )

وقد جاء في كتب التفسير : ان الاغنياء اكثروا مناجاة النبي صلى الله عليه وآله، وغلبوا الفقراء على المجالس عنده حتى كره رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك، واستطالة جلوسهم وكثرة مناجاتهم . فأنزل الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر } فأمر بالصدقة أمام المناجاة .

وأما أهل العسرة فلم يجدوا ، وأما الاغنياء فبخلوا . وخف ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخف ذلك الزحام ، وغلبوا على حبه والرغبة في مناجاته حب الحطام ! واشتد على اصحابه ، فنزلت الآية التي بعدها راشقة لهم بسهام الملام ناسخة بحكمها ، حيث أحجم من كان دأبه الاقدام . وقال علي عليه السلام : " ان في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ، ولا يعمل أحد بها بعدي، وهي آية المناجاة . فانها لما نزلت كان لي دينار فبعته بدراهم، وكنت إذا ناجيت الرسول تصدقت حتى فنييت ، فنسخت بقوله : {ءأشفتكم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات} . (١)

٨/ وفور ما أمر الله بذلك ، انفض المتناجون مع الرسول ( غير الامام علي عليه السلام ، الذي قدم صدقات وناجاه) حتى قال ابن عمر : ثلاث كن لعلي ، لو

---

(١) بحار الأنوار / ج ٣٥ / ص ٣٧٦ .

ان لي واحدة منهن كانت احب إلي من حمر النعم ؛ تزويجه بفاطمة، واعطائه  
الراية يوم خيبر، وآية النجوى .(١)

ثم خفف الله عنهم ونسخ هذا الحكم ، وقال ربنا سبحانه : { **عَاشَفْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا  
بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا  
الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** } (المجادلة / ١٣)  
وهكذا كان التمسك بشرائع الدين بصورة جيدة ( الصلاة والزكاة والطاعة ) ،  
بديلاً عن الصدقة التي كانت حكماً مؤقتاً ليعرف من هو المقرب فعلاً من الرسول  
عن غيره . والله العالم .

## بصائر الآيات

- ١/ النجوى اجتماع محدود العدد ، للتحدث عما يكتُمونه عن الآخرين .
- ٢/ ولعلها من دون مبرر ذات غضاضة ، فان الله انبأ أنه لا خير في كثير من  
نجواهم إلا لثلاث ؛ من أمر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس .
- ٣/ وقد كان المشركون يتتاجون فيما بينهم باثارة الشبهات ، حول الرسالة وانها  
سحر ، وحول الرسول وانه بشر منهم فكيف يتبع وانه ساحر . وقد تتاجى آل  
فرعون ضد موسى وهارون .
- ٤/ اما المنافقون ، فانهم كانوا يتتاجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول . وقد  
نهى الله المؤمنين من هذا النوع من النجوى ، وأمرهم ان يتتاجوا إذا تتاجوا بالبر  
والتقوى .
- ٥/ وأمر الله سبحانه المؤمنين بالتوكل عليه في مواجهة نجوى الكفار ، الذين  
يهدفون لقاء الحزن في قلوب المؤمنين .

---

(١) المصدر / ص ٣٧٧ .

٦/ وأمر الله - في ظرف خاص - بتقديم الصدقة بين يدي نجواهم للرسول . وقد عمل الامام أمير المؤمنين عليه السلام وحده بهذا الأمر ، فبان فضله . بينما اشفق الآخرون من ذلك ، فتاب الله عليهم ، وأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة واطاعة الله ورسوله .

## فقہ الآيات

١/ (النساء / ١١٤) ، (المجادلة / ٩) ؛ لان بين الناس يدور - عادة - احاديث خاصة تسمى بالنجوى ، فقد شرّع الدين احكاماً خاصة بذلك ، نذكر بعضها فيما يلي :

ألف : تخف عند التناجي الرقابة الاجتماعية على الفرد ، فتكون النجوى مظنة الاسترسال في الحديث بما فيه الغيبة والنميمة واثارة الحميات الجاهلية والتأمر على الآخرين . ومن هنا فقد حذر الدين من كثير من النجوى ، مما يستوحى منه الحذر من الاسترسال مع النجوى إلا عند الحاجة ، او مع التقيد بأداب الحديث عند النجوى .

باء : التناجي مع القيادات الالهية قد يكون بهدف منع القائد من عمل الخير تجاه الآخرين ، او نهيه عن معروف ، او اثارته ضد شخص او طائفة .. وهكذا بيّن القرآن ان النجوى التي فيها خير ، انما هي لمن أمر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس .

ويبدو ان هذه المفردات هي مظنة التناجي اكثر من غيرها ، حيث ان كتمان الصدقة يحفظ ماء وجه المحتاج . واما كتمان المعروف ففيه ضمان تحققه ، لانه قد يفسد الأمر عند الاعلان عنه قبل قوامه واستواءه . بينما الاصلاح بين الناس يحتاج عادة الى الكتمان حتى يكتمل ، اذ قد يحتاج المصلح الى التورية مع هذا الجانب او ذاك . ومن هنا جاء في الحديث المأثور عن الامام علي عليه السلام ، انه قال : " الكتمان ملاك النجوى " . (١)

جيم : وقد نهى الشرع من التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول . وهذه هي المفردات الثلاث المخالفة تماماً للمفردات السابقة ( المحبوبة ) ، حيث ان الإثم

---

(١) ميزان الحكمة / ج ١٠ / ص ١٤ - ١٥ .

يخالف المعروف ، والعدوان يقابل الصدقة ، ومعصية الرسول هي الافساد  
وضدها الاصلاح المتمثل في طاعة الرسول .

وإذا كانت النفوس مريضة ، فانها تستغل انفرادها ببعضها في التناجي بهذه  
المفردات ، حيث تحس بانحسار رقابة المجتمع والقانون عن محيط التناجي ؛  
فتتأمر على القانون

بالإثم ، والناس بالعدوان ، والقيادة بالمعصية ..

دال : أما اذا تناجى اثنان بالبر والتقوى ، فان لكلامهم فائدة عظيمة ، لانه ينبعث  
من الضمير الحر والبعيد عن الرياء والسمعة ..

٢/ (الانبياء / ٣) ، (طه / ٦٢ - ٦٣) ؛ ماهو الموقف من تناجي الكفار الذين  
يتلاقون فيما بينهم ، ويتدارسون الشبهات التي يبثونها حول الرسالة والرسول ؟  
فيما يلي نستعرض ما نستلهمه في ذلك :

الف : إذا رأينا الكفار يجمعون على دعاية معينة ضد الرسالة ( ويقولون مثلاً  
انها سحر) ، او ضد الرسول (ويقولون - حاشا لله - انه مجنون) .. فلنعلم انهم  
يدبرون أمورهم بالليل ، وان الشياطين ليوحون الى بعضهم زخرف القول غروراً  
في جلساتهم السرية . ولذلك فان اجماعهم لا قيمة له ، لانه مجرد مؤامرة تحاك  
ضد الحق وأهله . ولا بد من فضح هذه المؤامرة للناس، حتى لاتنتظلي عليهم حيلهم  
.. ومثل ذلك ما نجده اليوم من اجتماع وكالات الانبياء على نشر اكذوبة ضد أهل  
الحق، والصاق تهمة الارهاب او الرجعية او ما أشبه بهم ككل او ببعضهم  
بالخصوص. ان فضح المؤامرة ، كفيل باضعاف دورها في خداع الناس .

باء : على المؤمنين مراقبة دعايات الكفار ، ثم مواجهتها بالبراهين التي نزل  
الوحي بها . فالشبهة كما ظلام الليل تهيمن على الساحة ، مالم ينبجج فجر الحقيقة .  
فاذا انبلج الفجر ، تلاشى الظلام .

٣/ (المجادلة / ٨) ، (المجادلة / ١٠) ؛ وللمناققين دور خبيث في بث الافكار  
الضالة ، وعلى المؤمنين ان يواجهوه بما يلي :

ألف : منع التناجي بين المنافقين ، وإيجاد العقبات دون اجتماعاتهم السرية . فان كانت لديهم نية حسنة ، فلماذا يسرون جلساتهم ؟

باء : فضح مؤامراتهم للناس ، وبيان محاور تناجيتهم التي هي مفضوحة عادة للقيادات الرسالية ، مثل معصية الرسول والإثم والعدوان . (وبتعبير آخر ؛ المؤامرة على القيادة ، ونشر الفساد ، والاعتداء على حقوق الآخرين) .

جيم : على المؤمنين ان يتوكلوا على الله ، ولا يحزنوا بسبب مؤامرات المنافقين ، وليعلموا ان الله مهيمن عليهم ، وانهم لن يضرروا المؤمنين شيئاً إلا باذن الله . ومن هنا فان استعانتهم بالله ، وطاعتهم للرسول ، وجهادهم في سبيل الله يرد كيد المنافقين الى نحرهم انشاء الله تعالى .

## ٨٨ ردّ التحية بالاحسن

يبدو ان الشفاعة الحسنة، هي الكلمة الطيبة التي يجب ان يردها الانسان باحسن منها؛ بقبولها وترتيب الآثار عليها، او لااقل يردها بمثلها، كلمة طيبة بكلمة طيبة. وجاءت الوصية عامة بهذه المناسبة، وتدل على رد التحية الكلامية (السلام، الرسالة، الهاتف)، او الفعلية مثل بعث الهدية ، او اسداء أية خدمة اذا كانت من نوع التحية عرفاً. قال الله سبحانه : { وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا } (النساء / ٨٦) .

## ٨٨٨ فقه الآيات

ان الله يأمر بالعدل والاحسان ، والعدل هو الوفاء بالحق، بينما الاحسان التفضل بزيادة . واذا كان الاحسان من صفات الكرام وليس بواجب، فان اداء الحق بالعدل فريضة وخلافه ظلم . والتحية بذاتها احسان، ومن حق من حياك ان تحيه بمثل ما حياك، وذلك العدل . ومن التفضل والاحسان ان ترد تحيته بأحسن منها . لذلك كان جواب السلام واجباً . وحتى لو كنت في صلاة فريضة، وجب عليك ان ترد تحية أخيك . بينما لايجوز ان تبده بالسلام وأنت تصلي ، لان البدء بالسلام ليس بواجب .

## ٨٨٨ في رحاب الأحاديث

١/ عن سلمان الفارسي قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله فقال: السلام عليكم يا رسول الله. فقال: وعليك السلام ورحمة الله . ثم أتى آخر فقال: السلام عليكم يا رسول الله ورحمة الله. فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. ثم جاء آخر فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقال له: وعليك. فقال له الرجل:

يا نبي الله بأبي أنت وأمي أتاك فلان وفلان فسلمنا عليك فرددت عليهما أكثر مما  
رددت علي؟!!

فقال: إنك لم تدع لنا شيئاً، قال الله: " وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو  
ردوها" فرددناها عليك". (١)

٢/ قال الامام علي عليه السلام: "إذا حييت بتحية فحيي بأحسن منها ، وإذا  
أسديت إليك يد فكافئها بما يربي عليها، والفضل مع ذلك للبادئ". (٢)

---

(١) ميزان الحكمة / ج ٤ / ص ٥٣٨ - عن تفسير الدر المنثور / ج ٢ / ص ١٨٨ .  
(٢) نهج البلاغة / حكمة ٦٢ .

## ^^ الطهارة

الطهر من الايمان . اوليس الايمان طهارة القلب من الشرك ، وطهارة السلوك من الإثم ظاهره وباطنه ؟ كذلك الايمان يأمرنا بطهارة الجسد والثياب ، وبالوضوء والغسل والتيمم ، ويأمر بتطهير بيوت الله للعابدين . فما هي الطهارة ؟ وما هي حقائقتها وأبعادها ؟

### ^^^ معنى الطهارة :

١ / الماء أداة تطهير . وحينما ينزل الماء من السماء ، فإنه لا يصيب شيئاً إلاً ويغسله من ادرانه ، ويطهره . ( وهذه الطهارة التي تتم بأجلى صورها عند الناس ، لمثل واضح لتطهير الله الاشياء بوسائل شتى ) . قال الله سبحانه : { وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ } ( الانفال / ١١ )

هنا كل شيء قد بين بوضوح بالغ . فالسما مصدر الماء ، والله ينزله على الناس ، والغاية تطهيرهم به . فهو وسيلة تطهير .

٢ / والدم الذي يصيب المرأة في دورتها الشهرية اذى ( وقذر ) ، فإذا انقطع فقد طهرت ، وإذا اغتسلت فقد تطهرت . وهكذا لا يجوز معاشرتها جنسياً إلاً بعد انقطاع الدم ، حيث تطهر من الحيض . والافضل ان تكون المعاشرة بعد التطهر . قال الله سبحانه : { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أذى فَاَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } ( البقرة / ٢٢٢ )

فالمرأة في حالة اذى عند المحيض ، وارتفاع الاذى طهر ، بينما الاغتسال طهارة تامة .

٣ / والتطهر عموماً هو فعل شيء للحصول على الطهارة ، او قل : السعي وراء الطهارة . لذلك نعت الكفار المؤمنين ، بأنهم يتطهرون . قال الله سبحانه : { وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ } ( الاعراف / ٨٢ )

وهكذا سمي سلوك المؤمنين الوقائي ، واجتنابهم للإختلاط مع الكفار ، او اتقاءهم بعض الاعمال الفذرة بالتطهر . فالتطهر هو ابتغاء الطهارة ، واجتناب القذارة .  
٤ / واذا قررت القذارة حول شيء ، فاخرجه عن المحيط تطهير له . وهكذا طهر الله نبيه الكريم عيسى بن مريم سلام الله عليه من الكفار ، عندما توفاه ورفع له إليه . وقال الله سبحانه : { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافَ الَّذِي مَتَّعْتَهُ بِذُنُوبِهِ وَأَنْتَ مُتَّقٍ عَلَيْهِ } ( آل عمران / ٥٥ )

#### ^^^الطهارة قيمة ايمانية :

١ / والتطهر قيمة ايمانية ، أوليس الله يحب المتطهرين ؟ (وحب الله دليل قيمة العمل). قال الله سبحانه : { لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ } ( التوبة / ١٠٨ )  
وحب التطهر يشمل اجتنابهم عن قذارات مادية او قذارات معنوية .

٢ / والله سبحانه يثيب المؤمنين بازواج مطهرة في الجنة ، (جزاء طهارتهم في الدنيا) . قال الله سبحانه : { وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } ( البقرة / ٢٥ )

٣ / وقال الله سبحانه : { خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ } ( آل عمران / ١٥ )

٤ / وقال الله تعالى : { لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدَّخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا } ( النساء / ٥٧ )

وجملة القول ؛ ان الجنة هي المثل الاعلى لكل خير وجمال ، والطهارة واحدة من ابرز تجليات الجمال .

^^^حقائق الطهارة :

والطهارة تتحقق بغسل البدن ، وتنظيف الثوب ، وتطهير بيوت العبادة ، وانتخاب الشريك الطاهر ، ووسيلة الطهارة الظاهرية الماء غالباً .

١ / اما تطهير البدن فيتم بالوضوء والغسل والتيمم ، حيث يجب غسل الوجه واليدين ثم المسح على الرأس والرجلين عند القيام الى الصلاة . هذا إذا لم يكن الفرد مجنبا ، اما عندئذ فعليه التطهر ( بتعميم بدنه كله بالغسل ) . أما عند فقدان الماء ( كما في السفر ) ، او الحرج من استخدامه ( كما في المرض ) فإن التراب يقوم مقامه ، حيث يمسح الفرد وجهه ويديه به قبل ان يقوم للصلاة . فإذا وجد الماء ، وجب عليه الوضوء او الغسل . قال ربنا سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } ( المائدة / ٦ )

وهكذا تنوالى احكام الطهارة الواجبة في هذه الاية، (كما آية اخرى في سورة النساء اتية)، وهي التالية :

أولاً : غسلتان ومسحتان في الوضوء استعدادا للصلاة .

ثانياً : الطهارة التامة قبل الصلاة لمن اجنب ( عاشر زوجته ) .

ثالثاً : عند الحرج في استخدام الماء او فقدانه ( لمرض او سفر او شحة الماء ) ، يجب التيمم بديلاً عن الوضوء ( كما اذا جاء احد من الغائط ، سواء أخرج منه البول او البراز او الريح ) ، وبديلاً عن الغسل ( كما اذا لامس النساء ) .

رابعاً : موجبات الوضوء ؛ النوم { إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ } ، وخروج الخبائث من البطن { أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ } .

اما الغسل فإنه يوجبه ملامسة النساء .

٢ / وتزيدنا الآية التالية وضوحاً ، حيث يقول ربنا سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

عَامَنُوا لَا

تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا } ( النساء / ٤٣ )

ولعل في قوله سبحانه : { وَأَنْتُمْ سُكَارَى } دلالة على ان النوم مبطل للوضوء ، اذا فسرنا السكر هنا ببقايا النوم في الحواس .

٣ / وكما يجب تطهير البدن من آثار النوم والغائط والجنابة ، فكذلك يجب تطهير الثوب مما يعتبر قذراً (كالدّم والبول والغائط والميتة مما يستقذره الانسان ، وبيّن الشرع نجاسته ) . قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ \* قُمْ فَأَنْذِرْ \* وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ \* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ \* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ } ( المدثر / ١ - ٥ )

ونستفيد من الآية ؛ ضرورة الطهارة عند الصلاة ، حيث يكبر الله ربه .

٤ / ويجب تطهير بيوت العبادة ، حيث يلامس المصلي الارض ، حسبما أمر الله النبي ابراهيم وابنه سلام الله عليهما ، فقال سبحانه وتعالى : { وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } ( البقرة / ١٢٥ ) ونستوحي من الآية ؛ ان هذه الافعال العبادية تقتضي الطهارة ( الطواف والصلاة ) .

٥ / وقال الله سبحانه : { وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } ( الحج / ٢٦ )

وهكذا العبادة تتمثل في الطواف والصلاة ، وهما تقتضيان الطهارة . فإذا كانت الارض قذرة ، اصابت العبادة غضاضة .  
وهكذا عرفنا ان الطهارة مما يحبها الله ، فعند العبادة يجب ان يكون المتعبد متطهراً في جسمه وثيابه ومقامه .

### ^^^ طهارة القلب :

وكما الجسد ، كذلك الروح بحاجة الى طهارة ؛ وطهارتها بالتوبة ، واجتناب الرذائل ، والصدقة ، والتقوى عن مزالق الهوى ، والاصطفاء والعصمة والرحمة الالهية الخاصة .

١ / التوبة من الذنب ، طهارة للقلب . والله يحب التوابين ، كما يحب المتطهرين .

قال الله سبحانه : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } ( البقرة / ٢٢٢ )

٢ / وطهارة القلب متصلة بالايمان والعمل الصالح . اما الذين يسارعون في

الكفر باعمالهم ، ويقولون بأفواههم انهم مؤمنون ثم يتجسسون للكفار ، فان الله لا

يطهر قلوبهم . قال الله سبحانه : { وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

عَذَابٌ عَظِيمٌ } ( المائدة / ٤١ )

٣ / وإنما يطهر الله قلب الانسان اذا اجتنب الرذائل ، واختار السبيل السوي الى

تحقيق اهدافه واشباع حاجاته . وقد قال لوط عليه السلام لقومه مشيراً الى بناته (

بنات قومه ) وانهن اطهر لهم من الفاحشة . قال الله سبحانه : { قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ

بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ } ( هود / ٧٨ )

ولا ريب ان العلاقة الشاذة تشيع القذارة المادية والمعنوية للطرفين ، بينما العلاقة

السوية أطهر .

٤ / والله امر بالحجاب ، لأنه يطهر المجتمع من الفاحشة ، ويطهر قلب الجنسين

من الميول الجنسية الشاذة الى الطرف الاخر . قال الله سبحانه : { وَإِذَا

سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ } ( الاحزاب / ٥٣ )

وهكذا الحجاب يمنع تلوث القلب بحب الفاحشة .

٥ / وعند الطلاق وتام العدة ، لا يجوز لأهل المرأة ان يمنعوها من العودة الى زوجها اذا رضيت به . ( فقد تكون بينهما بقية هوى ) ، ومنعها قد يسبب في تلوث البيئة وامتلاء قلب المرأة بالعقد النفسية ، بل قد تنشأ بينهما علاقات شاذة . قال الله سبحانه : { وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغُنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } ( البقرة / ٢٣٢ )

٦ / والصدقة تصفي القلب من قذارة الشح والانانية . وهكذا أمر الله بان يقدم المسلمون قبل التناجي مع الرسول صدقات . قال الله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَاجَيْتُمْ

الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ } ( المجادلة / ١٢ )

٧ / وامر الله رسوله بان يأخذ من اموال المؤمنين صدقة ، لكي يطهرهم . ( فاذا بقلوبهم تطهر من درن الشح ، واذا بأموالهم تطهر من الحرام بسبب اختلاط اموال الناس بأموالهم وحقوقهم في ممتلكاتهم) . قال الله سبحانه : { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } ( التوبة / ١٠٣ )

٨ / والطهارة قد تكون بالاجتناب ، حيث اصطفى الله مريم بنت عمران من بين النساء لحكمة بالغة . فقد اختارها وفضلها منذ كانت في بطن امها ، وانبتها نباتاً حسناً، ثم قال ربنا سبحانه : { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ } ( آل عمران / ٤٢ )

٩ / وكما اصطفى مريم، اصطفى اهل بيت الرسول . وكما طهرها، طهرهم . قال الله سبحانه : { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } ( الاحزاب / ٣٣ )

١٠ / وفي يوم القيامة ، وبعد ان يستقر المؤمنون في الجنة ويسقون من كأس كان مزاجها زنجبيلا ، يتم الله عليهم النعمة حين يسقيهم شراباً طهوراً . (وتلك هي النعمة الكبرى ، حيث تطهر قلوبهم من كل شرك وشك ووسوسة ، وربما جهل وجهالة) . قال الله سبحانه : { وَخُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً } (الانسان / ٢١)

### طهارة الفكر :

١ / وعلى الانسان ان يطهر ثقافته من الباطل ، ويتبع الكتب المطهرة التي لا جهالة فيها . (فلا دعوة الى الانانية ، ولا تزيين للفاحشة والاثم والمنكر، ولا اثاره للحميات الجاهلية) . وقد قال ربنا سبحانه : { رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً } (البينة / ٢)

ويبدو من سياق السورة ؛ ان معيار طهارة الصحف نظافتها من اسباب الشقاق ، واثارات الشرك ، ودعوتها الى خلوص العبادة لله والعمل الصالح .

٢ / وهكذا نزل القرآن بطهارة القلب من حب المال ، واحترام الاغنياء على حساب الفقراء . قال الله سبحانه : { كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ \* فَمَنْ شَاءَ نَكَرَهُ \* فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ \* مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ } (عبس / ١١ - ١٤)

٣ / ومن طهارة هذه الصحف ، انه لن يصل الى علمها ونورها الا القلب الطاهر (من الشح والهوى والحمية وسائر عوامل الشرك) . قال الله سبحانه : { فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ \* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ } (الواقعة / ٧٨ - ٧٩)

### بصائر الآيات

١ / الطهارة غسل القدر ، كما الماء حين ينزل من السماء يذهب بالوسخ ، وكما اذى دم الحيض اذا انقطع عن المرأة في دورتها الشهرية طهرت .

٢/ والتطهر السعي نحو الطهارة ، وسمي اجتناب المؤمنين للجاهلية وادرائها تطهيراً ، وظهر الله نبيه عيسى عليه السلام حين رفعه اليه واخرجه عن المحيط الكافر .

٣/ والتطهر قيمة ايمانية ، لان الله يحب المتطهرين . والله يجزي المؤمنين في الجنة بازواج مطهرة .

٤/ وتتحقق الطهارة بغسل البدن ، وتنظيف الثوب ، وتطهير بيوت العبادة ، واقتناء الشريك الطاهر .

٥/ والوضوء والغسل والتيمم مصاديق التطهر الواجب عند الصلاة والطواف الواجب . فاذا اجنب المسلم غسل بدنه كله ، وعند الحرج من الغسل يذهب الى ارض طاهرة فيمسح بها وجهه ويديه ، فاذا ارتفع الحرج اغتسل او توضأ .

٦/ والوضوء غسلتان ؛ الوجه كله واليدين من المرافق ، ومسحتان بالرأس والرجلين حتى الكعبين . وعند الحرج من استخدام الماء او فقدانه يتيمم بمسح الوجه واليدين بالتراب . وينقض الوضوء النوم ، وخروج الخبائث من البطن . اما الغسل فيوجب الجنازة والحيض .

٧/ ويطهر المؤمن ثوبه من القذر عند اقامة الصلاة ، كما يطهر بيوت الله (المساجد) . وهكذا المؤمن يتطهر عند العبادة ، بغسل بدنه وثيابه وموقع عبادته .

٨/ ويجب تطهير القلب بالتوبة ، واجتناب الرذائل ، والصدقة ، وبالتقوى عن مزلق الهوى .

٩/ ولا يطهر الله قلوب الذين يسارعون في الكفر ( فلا يتوب عليهم ) .

١٠/ وسبيل الزواج اظهر من سبيل الفاحشة ، والحجاب طهارة للقلب ، وقبول عودة الزوجة الى زوجها اذكى لأهلها وأطهر .

١١/ والصدقة تنقي الفؤاد من الشح ، وقد أمر الله المسلمين بأن يقدموا بين يدي نجواهم مع الرسول صدقة ، لأنها خير وأطهر . وأمر الرسول بأن يأخذ من أموالهم صدقة ، ليظهرهم ويزكيهم بها .

١٢ / والله اصطفى مريم وطهرها ، واذهب الرجس من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وطهرهم تطهيراً ، ويسقي الله المؤمنين شراباً طهوراً .  
١٣ / والكتب المطهرة هي التي يتلوها رسل الله . (ولعل المراد انها مطهرة عن اسباب الشقاق والعنصرية) .  
١٤ / ومن طهارة الكتب، انه لن يمسه إلا المطهرون . (فمن طهر قلبه بلغ علم الكتاب) .

## فقہ الآيات

١ / (الانفال / ١١) ، (الفرقان / ٤٨) ؛ الماء الذي ينزله الرب برحمته من السماء ، يطهر الجو من التلوث والجراثيم ، والأرض من القذر ، وظاهر البدن والثياب من الرجز ، وقلب الانسان من الكآبة واليأس . ونستفيد من الآية ما يلي :  
ألف : إن اصابة المطر لشيء قذر يطهره، لا فرق بين ارض وماء وجسد وثوب وغيرها .

باء : ان الماء وسيلة تطهير .

جيم : ان المراد من الأمر الإلهي في آية أخرى { فَاطَّهَّرُوا } استعمال الماء بهدف الطهارة .

٢ / (البقرة / ٢٢٢) ، (آل عمران / ٥٥) ، (المدثر / ١ - ٥) ؛ ان مجرد انفصال النجس عن الشيء ، او انفصاله عن النجس كفيل بطهارته . فاذا انقطع الدم طهرت المرأة الحائض . وقد طهر الله نبيه عيسى بن مريم سلام الله عليه بتوفيه (ورفعه اليه)، حيث انفصل عن محيطه القذر . ونستفيد من ذلك ؛ ان القذارات الأخرى اذا ازيلت عن الشيء ، كان سبباً لطهارته . وقد أمر الله سبحانه بأن يهجر الرجز ، فاذا هُجر وانفصل فقد تحقق العمل بهذا الأمر ..

بلى ؛ قد لا نتأكد من انفصال القذر من دون تطهيره بالماء او الشمس او التراب او ما أشبهه .

٣/ (البقرة / ١٢٥) ، (الحج / ٢٦) ؛ ان الطهارة مقدمة للعبادات ، وقد أمر الله سبحانه تطهير بيوت الله للعابدين . ونستفيد من ذلك أمرين :

ألف : وجوب تطهير بيوت الرحمن (من كل نجس ظاهري كالقذر او غيره كالشرك والمشركين) .

باء : اشتراط الطهارة للطواف والصلاة .

٤/ (البقرة / ٢٢٢) :

ألف : نستفيد من هذه الآية ؛ محبوبة التطهر بأقسامه (الوضوء والغسل والتيمم) . وان التطهر من الغايات الشرعية بذاته ، كما انه من المقدمات التي يشترط وجودها للعبادة . ومن هنا فالغسل مستحب ، ولو لم يكن لغاية معينة ، ولم يرد فيه نص خاص .

باء : ونستفيد من الآية ؛ ان التطهر مستحب للمعاشرة الجنسية . فاذا طهرت المرأة من عاداتها ، فالأفضل ان تتطهر بالغسل قبل ان يباشرها زوجها .

٥/ (الاعراف / ٨٢) ، (آل عمران / ٥٥) ، (التوبة / ٢٨) ؛ نستوحي من آيات الذكر الحكيم؛ ان اجتناب الكفار تطهر ، والمشرك نجس ، والله قد طهر النبي عيسى عليه السلام من الذين كفروا ، والمؤمنون كانوا يتطهرون مما اثار الكفار وامروا باخراجهم من القرية .

٦/ (النساء / ٤٣) ، (المائدة / ٦) ؛ استفاد الفقه الاسلامي طائفة من الاحكام الفقهية من هذه الآيات ، نذكر منها ما يلي :

ألف : ان الطهارة شرط من شروط الصلاة ، وانه لا صلاة إلا بطهور .

باء : ان الطهارة من الصلاة ، وكما ان الصلاة عبادة فالطهارة عبادة ، ولا يجوز ان يشرك الانسان في عبادة ربه أحداً . وقد وردت نصوص متأثرة بأن الوضوء من الصلاة .

جيم : ان ما ينفض الطهارة ؛ النوم والسكر ، (وربما غياب العقل عموماً) ، وكذلك الخبائث (البول والغائط والريح) ، وهكذا ملامسة النساء .

دال : ان الوضوء غسلتان ومسحتان . فانك تغسل عند الوضوء وجهك (وهو ما تواجه به الناس من منابت شعر الرأس حتى الذقن طويلاً ، وما تدور عليه اصابعك عرضاً) ، وتغسل يديك ابتداءً من المرافق وانتهاً باصابعك ، ثم تمسح بعض رأسك وظهر رجلك حتى الكعبين (وهما قبتا الرجل) .

هاء : الجنب يطهر فيغسل كل بدنه ، والحائض اذا طهرت تطهرت بالاغتسال . وقد استفاد بعض الفقهاء عن الأمر بالغسل في اطار الصلاة ، انه عبادة ، وانه مشروط بالاخلاص .

واو : المريض والمسافر (الذي لا يجد الماء) اذا احتاج الى التطهر او الى التوضئ ، كما لو لامس النساء او جاء من الغائط ، فعليه ان يتطهر بالتراب . ومعيار المرض الذي يسوغ التراب ، الحرج . فمن كان بحيث اذا استخدم الماء أصابه ضرر يخرجه . وكذلك معيار وجدان الماء ألا يكون سبباً للحرج ، والحرج هو الضيق الذي يصعب على البشر احتمالاه ، ويختلف حسب الظروف والاشخاص .

زاء : وعلى الانسان عند التطهر بالتراب ان يبحث عن صعيد من الأرض (مرتفع) ، طيب (لا يكون نجساً) . ولا بأس بمطلق الأرض ، تراباً كان او حجراً او ما أشبهه ، شريطة ان يسمى أرضاً . فاذا وجدها وضع عليها يديه ، ثم مسح بهما وجهه (الجبهة والجبين) ، ثم مسح ظاهر كفيه اليمين باليسار ، واليسار باليمين . (ولو ضرب يديه على الأرض مرتين ، ثم مسح بهما وجهه ويديه ، ثم ضرب مرة أخرى ليديه كان أفضل) .

حاء : وكما الماء يورث طهارة للانسان ، كذلك الصعيد ؛ سواء كان بدلاً عن الوضوء او الغسل ، حيث يقول ربنا سبحانه : { وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ } (المائدة / ٦) .

طاء : كلما كان حرجاً استعمال الماء او الحصول عليه ، سقط وتحول الى التيميم .  
وإذا كان الصعيد حرجاً ايضاً اكتفى بالمسح على الطين أو الثلج ، وإن لم يمكنه  
صلى بغير طهور ، فانه يجزيه انشاء الله .

٧/ (المدثر / ١-٥) ؛ نستفيد من الآية ؛ ضرورة تطهير الثياب عن القذر ،  
(مقدمة للصلاة وتكبير الله سبحانه) . وقد جاء في الأحاديث المأثورة حول هذه  
الآية انها تأمر بتقصير الثياب .

٨/ (الاحزاب / ٥٣) ، (هود / ٧٨) ، (البقرة / ٢٣٢) ؛ المجتمع المسلم يطهر  
أجواءه من الفاحشة ، وما قد يؤدي اليها . ونستفيد من ذلك البصائر التالية :  
ألف : الحجاب طهارة للقلب من الوسوس . أليس النظر سهم من سهام ابليس ،  
وقد أمر الله الرجال والنساء بغض البصر وبيّن انه ازكى؟ وقد نستفيد من ذلك، الحاق  
ما يثير الشهوات المحرمة بالنظر ؛ مثل الافلام الخليعة، والقصص المثيرة،  
والصور الجنسية. والله العالم .

باء : وللشهووات الجنسية سبيلها الفطري ، الذي لو سلكه البشر لم يصبه قذر ولا  
أذى . بينما الشذوذ الجنسي يورث القذر وساء سبيلاً .

ومن ذلك نستفيد ؛ ان على المجتمع تخفيف قيود الزواج ، وتسهيل العلاقة  
الشرعية بين الذكر والأنثى حتى لا يقع المجتمع فريسة الشذوذ ، سواءً بالواط او  
اتيان البهائم او التوجه الى العادة السرية ( الاستمناء ) او الى اثاره الشهوات بأية  
وسيلة غير شرعية .

جيم : واذا طلق الرجل زوجته واكملت العدة، فهي حرة؛ حيث لا يستطيع زوجها  
السابق ان يسترجعها إلا برضاها . اما اذا رضيت فليس لأهلها منعها ، لان ذلك قد  
يسبب مفسدة.

دال : وهكذا كانت الطهارة الجنسية قيمة ايمانية ، لا بد ان نسعى لتحقيقها من  
ثلاثة طرق :

أولاً : تنقية الاجواء مما يثير الشهوات المحرمة .

ثانياً : تسهيل الزواج .

ثالثاً : عدم ايجاد العقبات في طريق النساء من الزواج بمن يرضين بهم اذا ادى ذلك الى الفساد .

٩/ (التوبة / ١٠٣) ، (المجادلة / ١٢) ؛ الصدقة وقاية من شح النفس ، وطهارة لها من حب الدنيا . وهكذا ينبغي تطهير نفوس المسلمين بأخذ الصدقات منهم . ونستفيد من هذه البصيرة ما يلي :

ألف : ان المجتمع الأناني المستأثر ليس بمجتمع نظيف ، وعلى القيادة الرسالية تركيته بأخذ الصدقات . وكلما توغل المجتمع في الشهوات ، واتباع ما أنزف فيه ، كان اولى بالتركية والتطهير عبر أخذ الصدقات منه .

باء : ينبغي للانسان ان يتجنب الأنانية، والارتباط بالرسول ومن استخلفه ارتباطاً دنيوياً، هدفه الاستعلاء على الآخرين . ولذلك فاذا كانت في نفسه حاجة لمناجاة الرسول ، فالأفضل ان يقدم بين يدي نجواه صدقة ، حتى يطهر سلفاً قلبه من الكبر وحب العلو في الأرض . وتكون صدقته بمثابة التطهر الذي يسبغه المؤمن قبل صلاته . وقد انبأنا الله سبحانه إنه ؛ لا خير في كثير من نجوى الناس مع الرسول ، إلا من أمر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس .

١٠/ (الواقعة / ٧٨ - ٧٩) ، (عبس / ١١ - ١٤) ؛ القرآن كتاب طاهر ، لا يمسه إلا المطهرون ؛ ولذلك كان على المؤمن ان يتطهر قبل قراءته له ، وذلك بما يلي : ألف : ان يتوضأ او يغتسل او يتيمم قبل قراءة الكتاب الطاهر . فالوضوء نور، والقرآن نور.

باء : ان يستعيز بالله من الشيطان الرجيم ، حتى لا يوسوس في صدره ، ولا يزيغ قلبه عن حقائق الوحي ، ولا يسوقه الى التأويل الباطل .

جيم : ان يطهر قلبه من الأمراض التي تمنعه من الانتفاع بالوحي ؛ كالغفلة والحمية والكبر والمعاجزة والكفر بآيات الله .

## ^^^ في رحاب الأحاديث

- ١/ قال أمير المؤمنين عليه السلام : " فرض الله الايمان تطهيراً من الشرك .. " .  
(١) .
- ٢/ قال الامام علي عليه السلام : " ان كنتم لا محالة متطهرين ، فتطهروا من دنس العيوب " . (٢)
- ٣/ قال الامام علي عليه السلام : " طهروا قلوبكم من الحسد فانه مكنم مضمن " . (٣)
- ٤/ قال الامام الصادق عليه السلام : " ان الله جعل التراب طهوراً كما جعل الماء طهوراً " . (٤)
- ٥/ قال الامام الباقر عليه السلام : " ما اشرفت عليه الشمس فقد طهر " . (٥)
- ٦/ قال الامام الصادق عليه السلام : " كل ماء طاهر إلا ما علمت أنه قذر " .  
(٦)
- ٧/ قال الامام الصادق عليه السلام : " الماء يطهر ولا يطهر " . (٧)
- ٨/ قال الامام علي عليه السلام : " خلق الله الماء طهوراً لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه او طعمه او ريحه " . (٨)
- ٩/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " الطهور شرط الايمان " . (٩)

---

(١) نهج البلاغة / حكم ٢٥٢ .

(٢) ميزان الحكمة / ج ٥ / ص ٥٦١ .

(٣) ميزان الحكمة / ج ٥ / ص ٥٦١ - عن غرر الحكم .

(٤) المصدر ص ٥٥٩ عن وسائل الشيعة / ج ١ / ص ٩٩ .

(٥) المصدر عن وسائل الشيعة / ج ٢ / ص ١٠٤٣ .

(٦) المصدر عن وسائل الشيعة / ج ١ / ص ٩٩ .

(٧) ميزان الحكمة / ج ٥ / ص ٥٥٩ عن وسائل الشيعة / ج ١ / ص ٩٩ .

(٨) المصدر عن وسائل الشيعة / ج ١ / ص ١٠١ .

(٩) المصدر ص ٥٥٨ عن كنز العمال / خ ٢٥٩٩٨

- ١٠ / قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " اول ما يحاسب به العبد طهوره " .  
 (١)
- ١١ / قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " لا تقبل صلاة بغير طهور " . (٢)
- ١٢ / قال الامام علي عليه السلام : " الطهر نصف الايمان " . (٣)
- ١٣ / قال الامام علي عليه السلام : " من أحسن الطهور ثم مشى الى المسجد فهو في صلاة مالم يحدث " . (٤)
- ١٤ / قال الامام علي عليه السلام : " من لم يطهره البحر فلا طهر له " . (٥)
- ١٥ / قال امير المؤمنين عليه السلام : " الوضوء بعد الطهور عشر حسنات فتطهروا " . (٦)
- ١٦ / قال الامام الصادق عليه السلام : " من تطهر ثم أوى الى فراشه بات وفراشه كمسجده ، فان ذكر انه ليس على وضوء فقيم من دناره كائناً ما كان ، لم يزل في صلاة ما ذكر الله عز وجل " . (٧)
- ١٧ / قال الامام الصادق عليه السلام : " مكتوب في التوراة ان بيوتي في الارض المساجد ، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي " . (٨)

- 
- (١) المصدر عن كنز العمال / خ ٢٦٠١٠ .  
 (٢) المصدر عن كنز العمال / خ ٢٦٠٠٦ .  
 (٣) بحار الأنوار / ج ٧٧ / ص ٢٣٧ .  
 (٤) المصدر السابق .  
 (٥) بحار الأنوار / ج ٧٧ / ص ٩ .  
 (٦) المصدر / ص ٣٠٣ .  
 (٧) المصدر / ص ٣٠٨ .  
 (٨) المصدر .

## ^^ الزينة

^^^ المعنى :

ما يضيف على الشيء الجمال - ليستهوى قلب البشر - يعتبر زينة .  
١/ ولقد جعل الله ما على الأرض ( من اعشاب واشجار وجبال و .. و .. ) زينة لها.  
فقال سبحانه : { إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا }  
(الكهف / ٧)

ولان هذه الزينة تجتذب الانسان، فقد ابتلى الله سبحانه بها البشر ، ليعلم اينما  
أحسن عملاً. ( وهناك تناسب بين الحسن والزينة ) .

٢/ وقوم موسى عليه السلام حملوا زينة آل فرعون، فصاغوا من تلك الزينة  
(الذهب والفضة و .. ) العجل الذي اغراهم السامري بعبادته. قال ربنا سبحانه : {  
قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمُلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ  
ألقى السامري \* فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى  
فَنَسِيَ } (طه/٨٧-٨٨)

^^^ حقائق الزينة :

١/ ومن مصاديق الزينة الظاهرة، الشهوات التي زينت للانسان، (بحيث تجتذب اليها نفس البشر). قال الله سبحانه: { زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعٌ

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ } (آل عمران / ١٤)

٢/ والمال والبنون، زينة الحياة الدنيا. قال الله تعالى: { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمْلاً } (الكهف / ٤٦)  
٣/ كما ان في الخيل والبغال والحمير زينة، بالاضافة الى فائدتها كوسيلة نقل. قال ربنا سبحانه: { وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (النحل/٨)

٤/ وقال تعالى: { وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ } (النحل /

(٦

^^^ الزينة نعمة الهية :

١/ وكما جعل الله ما على الأرض زينة لها ، وكما زين الشهوات للانسان ، كذلك زين السماء الدنيا بمصابيح . (فكانت الزينة نعمة اسبغها الله على البشر، سواء في الأرض او في السماء). قال الله تعالى: { فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } (فصلت/١٢)

٢/ وقال تعالى: { وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ } (الملك / ٥)

تري ان هذه المصابيح ليست مجرد زينة ، بل هي ايضاً حفظ، حيث انها رجوم للشياطين .

٣/ وقال عز وجل : { وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ }  
(الحجر/١٦)

٤/ وقال سبحانه : { أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا  
لَهَا مِنْ فُرُوجٍ } (ق / ٦)

إن تذكرة القرآن للبشر بكون النجوم مصابيح وزينة ، تفتح قلب الانسان على  
مناحي الجمال فيها .

### ^^^كيف نتعامل مع الزينة ؟

١/ والمؤمن يشكر الله على نعمة الزينة ، ويرتوي منها بعقله وقلبه . أوليس  
الرب قد  
اخرج هذه الزينة لعباده ، كما اسبغ عليهم نعمة الرزق الطيب، فلماذا يجرمها الناس  
( افتراء على الله ) ؟

بلى؛ الزينة كما الطيبات من الرزق، هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا. (إلا أن  
الدنيا ليست دار الخلود، وزينتها ليست خالصة)، والدار الآخرة هي الحيوان ،  
ولذلك فإن زينتها خالصة للذين آمنوا. قال الله سبحانه : { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ  
الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (الاعراف / ٣٢)

٢/ ولكن الزينة - كما سائر نعم الله - قد يفتن البشر بها ، فيتبعها بلا حكمة حتى  
يسقط في الهاوية . ولذلك قرأنا في آية سبقت؛ ان الباقيات الصالحات خير من المال  
والبنون ثواباً عند الله وخير أملاً. وقرأنا في آية أخرى؛ ان الحكمة من زينة ما على  
الأرض ، ابتلاء البشر ليعلم ايهم احسن عملاً .

وفي الآية التالية؛ نقرأ أمر ربنا سبحانه للرسول ان يصبر مع الذين يدعون  
ربهم ، ولا يصرف عينه عنهم طلباً لزينة الحياة الدنيا. (ذلك ان الاهتمام بالمؤمنين  
ينبغي ان يكون اكثر من الاهتمام بالدنيا). قال الله تعالى : { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ

الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا {  
(الكهف / ٢٨)

٣/ ولكي يتوازن الانسان ولا يتوغل في طلب الدنيا وزينتها وينسى اخرته ،  
يذكره القرآن بأن ما عند الله خير وأبقى ، ويثير عقله لمعرفة اهمية الآخرة على  
الدنيا. قال الله سبحانه : { وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا  
عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (القصص / ٦٠)

٤/ ويذكره ايضاً بأن من أراد الدنيا فقط، فلا نصيب له في الآخرة إلا النار ، قال  
عز وجل : { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ  
فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا  
وَيَاطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (هود / ١٥ - ١٦)

٥/ ويضرب مثلاً من قارون الذي آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنتوء  
بالعصبة اولي قوة، ولكنه لم يستجب لنصيحة من أمره بأن يبتغي بما آتاه الله الدار  
الآخرة ، فخرج في زينته فخسف الله به وبداره الأرض. قال الله تعالى : { فَخَرَجَ  
عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ  
إِنَّهُ لَدُوٌّ حَظٌّ عَظِيمٌ \* وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ  
صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ \* فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ  
يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ } (القصص / ٧٩ - ٨١)

٦/ وقد يخير الانسان بين زينة الحياة الدنيا والآخرة ، فعليه ألا يختار على الله  
ورسوله والدار الآخرة شيئاً ، وإلا كان من الخاسرين . وهكذا اصبحت زوجات  
الرسول في وقت معين مخيرات بين الأمرين ، حيث قال سبحانه : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ  
قُلْ لَأَرْوَاكِ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرَحَنَّ سَرَّاحًا  
جَمِيلًا \* وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ  
أَجْرًا عَظِيمًا } (الاحزاب/ ٢٨ - ٢٩)

٧/ وقد بيّن ربنا ببلاغة نافذة؛ من ان في الحياة الدنيا الزينة، ولكنه حذر من انها لا تدوم، وان المعيار الآخرة. فقال سبحانه : { اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُمْصِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } (الحديد / ٢٠)

### ^^^ الزينة متى ولمن ؟

١/ والزينة النافعة، هي التي تكون في خط الحكمة . فاذا انتفع البشر بالزينة لبلوغ حكمة الحياة فاز، وإلا كان خاسراً . مثلاً المرأة تتزين لزوجها فيكون سبباً لمزيد من الألفة والسكينة ، اما إذا تزينت للاجنبي كانت سبباً للفتنة والفساد. من أجل ذلك بيّن الوحي حدود زينة المرأة، فقال سبحانه : { وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (النور / ٣١)

٢/ والقواعد من النساء يجوز لهن وضع الثياب، لانهن لايرجى نكاحهن. ولكن لايجوز لهن التبرج بزينة، (لانه قد يسبب الفتنة). قال سبحانه : { وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (النور / ٦٠)

٣/ وإذا تزين الرجل عند كل مسجد (فدخله بعد ان يلبس ثياباً نظيفة ، ويبدين طاهر عليه طيب ومعه رياحين)، فان ذلك يدعو الى جاذبية المساجد، ويزيد

التألف بين المؤمنين، ويحبب العبادة الى القلوب. قال الله سبحانه : { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }  
(الاعراف / ٣١)

## ^^^ بصائر من الآيات

- ١/ الزينة؛ جمال الشيء الذي يستهوي البشر، وما على الارض زينة لها ، وكان العجل من زينة آل فرعون ( الذهب والفضة وما اشبهه ) .
- ٢/ ومن حقائق الزينة؛ الشهوات من النساء والبنين والذهب والفضة والخيل والبغال والحمير ، كما ان للناس فيها جمال حين يريحون وحين يسرحون .
- ٣/ والزينة نعمة، حيث زين الله السماء الدنيا بمصابيح ، وقد اخرج الله الزينة لعباده المؤمنين والطيبات من الرزق ولم يحرمها .
- ٤/ والزينة (كسائر النعم) فتنة ، ولا يجوز ان يقدمها الانسان على المؤمنين، لان ما عند الله خير وأبقى . ومن اراد الدنيا وزينتها دون الآخرة، كان نصيبه فيها النار. ( بل حتى في الدنيا لا يتمتع بها )؛ مثل قارون الذي خرج على قومه في زينته، ولم يبتغ بها الدار الآخرة، فحسف به وبداره الارض .
- ٥/ واذا خير البشر بين الآخرة وزينة الدنيا، كما خيرت زوجات الرسول ، فعليه ان يختار الدار الآخرة .
- ٦/ والزينة تنفع إذا كانت في السبيل القويم ، كما المرأة تتزين لزوجها وليس للاجنبي ، وكما الانسان لدخول المسجد .

## ^^^ فقه الآيات

١/ الكهف / ٧) ؛ اذا كانت زينة الخليقة ما على الأرض ، فان صلاحها في المحافظة على هذه الزينة، وفسادها في تخريبها . وهكذا نستطيع ان نستوحي من هذه الآية، وآية اخرى في سورة الاعراف؛ انه لا ينبغي تغيير معالم الطبيعة الجميلة لغير هدف، حيث يقول ربنا سبحانه : { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ } (الاعراف/٨٥)

٢/ (آل عمران / ١٤) ؛ نستفيد من هذه الآية الكريمة ؛ مشروعية حب الشهوات من النساء والبنين وغيرها، شريطة ان تكون في اطار الحدود التي ترسمها الشريعة الغراء ..

٣/ (النحل / ٦) ، (النحل / ٨) ، (فصلت / ١٢) ؛ نستلهم من هذه الآيات؛ انه ينبغي ان نتوجه الى جمال خلق الله، وان نشير مشاعرنا بتلك الزينة التي اخفاها الرب على خلقه ، والتي هي آية من آيات جماله وبهاءه سبحانه .

٤/ (الاعراف/ ٣١ - ٣٢) ، (القصص/٦٠) ؛ ينبغي ان يتحلى المؤمن بزيبته عند كل مسجد، ولا يجوز تحريم الزينة التي اخرج لعباده. ونستفيد من هذه البصيرة الاحكام التالية:

الف : لان الجمال ذوق وشعور، فان لكل قوم زينة ، ويستحب ان يتحلوا بها عند كل مسجد. فالطيب والثياب النظيفة والجميلة والورد والتدهين وما أشبهه، مستحبة للداخل في المسجد .

باء : كل زينة لم يرد نص بحرمتها حلال . فلا يجوز تحريم أية زينة لمجرد أنها لم يرد فيها نص خاص؛ فمثلاً : تسريح الشعر بأية طريقة بديعة جائزة ، وكذلك طريقة تحسين اللحية والشارب بما يراه العرف زينة ..

والثياب المختلفة التي يتزين بها الناس في كل عصر ، لا تصبح محرمة لمجرد انها حديثة ولم تكن مألوفة سابقاً . وهكذا لا حرمة في الموضات المختلفة التي

تتجدد للنساء، كما ان تزين النساء بمختلف الاصباغ ( والمكياج ) ليست محرمة بذاتها .

وهندسة البيوت بما يراه العرف زينة، حتى ولو لم تكن معروفة في السابق . وهندسة الحدائق والشوارع والمساجد وسائر المرافق العامة.. انها أمور غير محرمة، لأنها زينة ، والله لم يحرم الزينة بذاتها .

والصوت الحسن ، والزخرفة الجميلة ، والديكورات الرائعة ، والخط الجميل ، والسيارات الجذابة ، وسائر الأدوات والأمتعة ذات الروعة الجمالية ليست محرمة ، بل قد تكون مستحبة إذا لم تتجاوز حداً من حدود الشريعة .

٥/ (الكهف/ ٢٨) ، (الكهف/ ٤٦) ، (يونس/ ٨٨) ، (القصص/ ٧٩) ، (الاحزاب/ ٢٨) ؛ للزينة بعد سلبي يجب التنبه له ، وإلا يقع الانسان في الاسراف فيها ، واختلال التوازن بين الدنيا والآخرة ، بل بين ابعاد الحياة الدنيا المختلفة . وقد ذكرنا ربنا سبحانه بحقائق في هذا الحقل، نستعرض منها ما يلي :

الف : معيار الالفة والصلة والصدقة والولاية؛ إن هذا المعيار يختلف من شخص لآخر، حسب قيمه المثلى . والمؤمن يتمسك بقيمة التوحيد، فلذلك تراه يجعل هذه القيمة معياراً . ولكن زينة الحياة قد تجتذبه ليجعل المال والثروة والجاه وما اشبه من الماديات، معياراً لعلاقاته الاجتماعية .

ومن هنا على المؤمن ان يجعل أولاً اولوية الايمان في علاقاته، ولا يصرف عينه عن المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ليتبع أهل الدنيا. ذلك لان الله قد اغفل قلب اهل الدنيا فاتبعوا اهواءهم ، ومن يتبع هواه تراه يتحرك كل يوم في اتجاه ، ولذلك فهم

لايتحلون بصفة الوفاء ، بعكس المؤمنين .

باء : وتجتذب الزينة الانسان، حتى تنسيه الآخرة . وقد ذكر الرب سبحانه عباده بأن الباقيات الصالحات خير عنده ثواباً وخير أملاً . فعلى الانسان ان يجعل جزءاً من أمواله وقوته للعمل الصالح الذي يبقى ذخراً له عند الله . فقد تكون فقيراً او غنياً

، لا فرق؛ من مصلحتك ان تبعث ببعض ما تملك الى الآخرة ، لان الدنيا تفنى ولا يبقى لك منها إلا ما بعثته منها لاخرتك .

جيم : وقد تدعو الزينة البشر الى الضلال، كما حدث لفرعون وملاءه . وهكذا على البشر ان يراقب نفسه دائماً ، لكي لا يدعو حبه للدنيا وزينتها الى تغيير معاييرهم وقيمه ، حتى لا يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً فيضل عن سبيل الله سبحانه .

دال : وإنك ترى بعض المترفين، يتخذون من زينة الدنيا التي يملكونها وسيلة للاستعلاء واضلال البشر . وعلى المؤمن ان يتذكر دائماً ؛ ان تظاهره بالزينة قد يستهوي المحرومين، فيضلهم عن الحق . ولذلك يجب عليه ان يستفيد من متاع الدنيا بالحكمة، حتى لا يؤثر على غيره سلبياً .

هاء : وقد يخير البشر بين زينة الحياة الدنيا ، وبين السمو المعنوي في الدنيا وفوز الحياة الآخرة . وهنا ينبغي ان يستعد البشر للتضحية بالزينة العاجلة من أجل الفلاح ، والسعادة الأبدية . وهذا الاستعداد قد لا يحصل عليه في لحظة الاختيار الحرجة . فعليه ان ينمي في نفسه الاستعداد يوماً بيوم، ولحظة بلحظة . وللانسان ان يقرأ التاريخ بدقة، ويعتبر بما فيه .

وبكلمة واحدة ؛ الزينة نعمة الهية ، ولكنها قد تصبح نقمة إذا لم يعرف الانسان كيف يتصرف معها . تصبح نقمة إذا انفصل الانسان بسببها عن ولاية المؤمنين واتبع المترفين، وإذا لم يتزود من الزينة في الدنيا للباقيات الصالحات ، وإذا جعلها معياراً لمعرفة الحقائق فأضلته عن السبيل ، وإذا استعلى بها على الناس وأراد اضلالهم عن السبيل ، وإذا اختارها على الله ورسوله والدار الآخرة . نسأل الله ان يعيدنا من الزينة التي تضل .

٦ / (النور / ٣١) ، (النور / ٦٠) ؛ للزينة محلها، فإذا تجاوزته كانت مضره.

ومن ذلك نعرف الاحكام التالية :

الف : النظر الى حديقة غناء ، او مروج خضراء ، او الى الشمس عند شروقها وعند الغروب ، او الى البحر هادئاً او عاصفاً ، او النجوم وهي تتلألأ في ليلة ساحرة.. كل ذلك حلال وممتع، وقد يكون مستحباً . ولكن النظر الى امرأة جميلة لا تحل لك ، إنه سهم مسموم من سهام ابليس . وكذلك نظر المرأة الى فتى وسيم، لا يحل لها .

باء : ولا يحل للمرأة ان تبدي زينتها للرجل الأجنبي، إلا تلك الزينة الظاهرة؛ مثل الكحل . اما ان تبدي مفاتن صدرها او رجلها ، فانه قد يثير الفتنة .

جيم : وقد استثنى الشرع من ذلك الزوج، والآباء وآباء الأزواج، والأبناء وأبناء الأزواج، والإخوان وأبناءهم وأبناء الأخوات، او النساء .

وكذلك استثنى التابعين غير أولي الإربة (ممن لا شهوة له ؛ كالابله والشيخ الهرم والخصي والمحبوب)، وكذلك الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، وهم غير المراهقين الذين قد يستمتعون بالنظر .

دال : وهكذا يكون حكمة ستر الزينة، منع اثاره الشهوات. وقد أمر الشرع بالأبى تضرب المرأة برجلها الأرض، بحيث يعلم الرجال ما تخفي من الزينة (كالحجل) فتثير بذلك شهوته ..

هاء : واستثنى الشرع القواعد من النساء من حكم الحجاب، لانهن لا يرجون نكاحاً . مما يدلنا على ان حكمة الحجاب المحافظة على الجو العام ، وعدم اثاره شهوات الرجال .. فاذا تبرجت القاعدة من النساء بزينة، فانها تصبح مظنة اثاره الشهوات ايضاً ، ولذلك فقد نهيت عن ذلك ايضاً .

زاء : وهكذا يستوحى حكم كل مثير للشهوة؛ مثل النظر الى صورة المرأة لمن يعرفها ، او تطيب المرأة بعطر فواح يجتذب اهتمام الرجل ، او الخضوع بالقول مما يثير الشهوة ، او كتابة رسائل غرامية ، او انشاء قصائد حب ، او استخدام أية وسيلة مثيرة .

حاء : كما حرّم الفقهاء كل ما يريب الرجل؛ فالنظر بريية لايجوز عندهم حتى الى الوجه والكفين ، والاستماع الى كلام المرأة جائز إلا إذا كان بريية، وهكذا ..

## في رحاب الأحاديث

١/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : "ان الله يحب إذا خرج عبده المؤمن الى أخيه أن يتهيأ له وأن يتجمل". (١)

٢/ قال الامام علي عليه السلام : "ليتزبن أحدكم لأخيه المسلم إذا أتاه كما يتزين للغريب الذي يحب أن يراه في أحسن الهيئة". (٢)

٣/ كان جلوس الرضا عليه السلام في الصيف على حصير وفي الشتاء على مسح ، ولبسه الغليظ من الثياب حتى إذا برز للناس تزبن لهم. (٣)

٤/ قال الامام الصادق (عليه السلام) : "لاينبغي للمرأة أن تعطل نفسها ولو أن تعلق في عنقها قلادة". (٤)

٥/ عن خالد الكناني قال : استقبلني أبو الحسن موسى عليه السلام وقد عقلت سمكة بيدي : اقدفها إنى لأكره للرجل السريّ ان يحمل الشيء الدني بنفسه ثم قال : إنكم قوم اعداؤكم كثير، عاداكم الخلق يا معشر الشيعة، فتزينوا لهم ما قدرتم عليه. (٥)

٦/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : "الذهب والحريير حل لاناث امتي وحرام على ذكورها". (٦)

(١) ميزان الحكمة / ج ٤ / ص ٣١٦ .

(٢) المصدر / ص ٣١٧ .

(٣) المصدر .

(٤) المصدر .

(٥) المصدر .

(٦) ميزان الحكمة / ج ٤ / ص ٣١٨ .

٧/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : "الذهب حلية المشركين ، والفضة حلية المسلمين". (١)

---

(١) المصدر .

## ^^المصادر

- ١- القرآن الكريم
- ٢- نهج البلاغة
- ٣- موسوعة بحار الأنوار
- ٤- وسائل الشيعة
- ٥- مستدرك الوسائل
- ٦- الاصول من الكافي
- ٧- الفروع من الكافي
- ٨- تحف العقول
- ٩- ميزان الحكمة
- ١٠- الحياة
- ١١- تفسير مجمع البيان
- ١٢- تفسير نور الثقلين
- ١٣- تفسير القمي
- ١٤- البصائر
- ١٥- الميزان في تفسير القرآن

- ١٦- شرائع الاسلام
- ١٧- جواهر الكلام
- ١٨- موسوعة الفقه
- ١٩- الينابيع الفقهية
- ٢٠- الفقه الاسلامي - قسم المعاملات : الاصول العامة -
- ٢١- مهذب الاحكام
- ٢٢- اللعة الدمشقية
- ٢٣- منهاج الصالحين
- ٢٤- مفاتيح الجنان
- ٢٥- الوسيط في شرح القانون المدني
- ٢٦- القانون التجاري
- ٢٧- الموسوعة الجنائية
- ٢٨- المدخل الى فلسفة القانون
- ٢٩- الادارة العسكرية في حروب الرسول محمد (ص)
- ٣٠- التشريع الاسلامي - مناهجه ومقاصده

### ^^^ مصادر باللغة الفارسية

- ١- حقوق تعهدات - دكتور عبد المجيد اميري قائم مقامي
- ٢- حقوق مدني - حسن امامي
- ٣- توسل به زور در روابط بين الملل - حميد حيدري
- ٤- حقوق مخاصمات مسلحانه - بروفيسور شارل رسو
- ٥- حقوق جنك - محمد رضا ضيائي بيكدلي



مسؤولية العهد

١٤

نقض العهد

١٥ ...

عوامل ليل النقض

١٧

طرف العهد

١٧ ..

الله لن يخالف

١٨

بصائر الآيات

١٩

فقاه الآيات

٢٠ ...

ألف : العهد د الف ردي

٢١

بـاء : العقاء : د (الاتزام المشـترك)

٢٤

جـيم : الميثاق

٢٤

دال : المعاهدات

٢٥

أولاً / العهد ود السياسة

٢٥

الشعبة الأولى : البيعة

٢٦

الشعبة الثانية : الاختيار

٢٦

الشعبة الثالثة : الميثاق السياسي

٢٨

ثانياً / المعاهدات والأحلاف الدولية

٢٩

القسم الأول : الهدنة

٢٩

القسم الثاني : الاتفاقيات

٣٠

القسم الثالث : الأحلاف

٣١

فـي رحـاب الأحاديث

٣٢

الفصل الثاني : الوفاء بالكيل والميزان

٣٤

ما هو الوفاء

٣٤ ...

الوفاء من القسط

٣٥

عاقبة المقسط طين بالوفاء

٣٦

عقبى التطفيل

٣٧

بصائر الآيات

٣٧

فقه الآيات

٣٨ ...

فـي رحـاب الأحاديث

٤٠

الفصل الثالث : رد الأمانة

٤١

بصائر الآيات

٤٣

فقهاء الآيات

٤٣ ...

في رحاب الأحاديث

٤٥

الفصل الرابع : الاخلاص

٤٧

ما هو الاخلاص

٤٧

الاخلاص جوهر الدين

٤٨

حقائق الاخلاص

٥٠

عقب الخلوص والاخلاص

٥١

بصائر الآيات

٥٣

فقاه الآيات

٥٤

في رحاب الأحاديث

٥٧

### الباب الثاني / العطاء

الفصل الأول : الاحسان

٦٣

معنى الاحسان

٦٣

حقائق الاحسان

٦٣

لم اذا الاحسان

٦٧

عقبى الاحسان ؛ حبيب الله

٦٧

عقبى الاحسان ؛ تفصيل الجـزاء

٧١

بصائر الأبيات

٧٤

فقه الأبيات

٧٥ ..

ففي رحاب الأحاديث

٨٣

الفصل الثاني : الضيافة من حقائق الاحسان

٨٧

اكرام الضيف

٨٧

حرم الضيف

٨٩

قبح رد الضيف

٨٩

آداب الضيافة

٩٠

بصائر الأبيات

٩٣

فقاه الأبيات

٩٣ ...

### الباب الثالث / الجهاد

الفصل الأول : وعي المسيء وولاية

٩٧

المسيء وولاية الجماعي

٩٨

المسيء وولاية الفردي

١٠٠

لا لتنازع المسيء وولاية

١٠١

لا واقعي من الله

١٠٢

لا يغني عنه ما كسبه

١٠٢

حقة \_\_\_\_\_ أائق المس \_\_\_\_\_ ؤولية

١٠٣

ألف : مس \_\_\_\_\_ ؤولية الانس \_\_\_\_\_ ان ع \_\_\_\_\_ ن أفك \_\_\_\_\_ اره

١٠٣

باء : المس \_\_\_\_\_ ؤولية ع \_\_\_\_\_ ن اله \_\_\_\_\_ واجس

١٠٤

جيم : مس \_\_\_\_\_ ؤولية الانس \_\_\_\_\_ ان ع \_\_\_\_\_ ن س \_\_\_\_\_ عيه

١٠٥

أولاً : ش \_\_\_\_\_ فاعة الآله \_\_\_\_\_ ة

١٠٥

ثانياً : الاولي \_\_\_\_\_ باء لا يغن \_\_\_\_\_ ون ش \_\_\_\_\_ يننا

١٠٦

ثالثاً : لا تغن \_\_\_\_\_ ي المكاس \_\_\_\_\_ ب المادي \_\_\_\_\_ ة

١٠٧

رابعاً : وم \_\_\_\_\_ ا أن \_\_\_\_\_ ا ع \_\_\_\_\_ يكم بوكي \_\_\_\_\_ ل

١٠٧

خامساً : الرس \_\_\_\_\_ ول لا يش \_\_\_\_\_ فع إل \_\_\_\_\_ بانن ر \_\_\_\_\_ به

١٠٨

ك \_\_\_\_\_ ل انس \_\_\_\_\_ ان يح \_\_\_\_\_ مل وزره

١٠٨

اخ \_\_\_\_\_ تلاق المع \_\_\_\_\_ اذير

١٠٩







ثم وواب المه اجرين عن د ربه م

١٦٩

احكام الهج ام الهج رة

١٧٠

بصائر الأيات

١٧١

فقاه الأيات

١٧٢

الفقه المقارن

١٧٦

اخلاقيات المهات

١٧٩

فني رحاب الأحاديث

١٨٠

الفصل الرابعع : الاعداد الشامل

١٨٢

فقاه الأيات

١٨٣

الفصل الخ امس : الاس تقامة العماية

١٨٥

بصائر الأيات

١٨٨

فقاه الأيات

١٨٨

فاس تقم كما أمرت وممن تن تاب

١٨٨

قوالوا ربنا الله ثم اسم تقاموا

١٩٤

الاس تقامة في تطيب ق الش رائ

١٩٦

في رحاب الأحاديث

١٩٧

الفصل السادس : الجهاد ذرة التصدي

١٩٨

معنى الجهاد

١٩٨

بين الجهاد والايمنان

٢٠٠

آف / اق الجھ

٢٠٢

عقب / اق الجھ

٢٠٣

عاقبة / اق المتقاعد

٢٠٧

بص / اق الأي

٢٠٨

فق / اق الأي

٢١٠

١ / آف / اق الجھ

٢١٠

أل / ف : جھ / اق الوالدين

٢١٠

بب / اء : جھ / اق الأبناء

٢١٢

جج / يم : جھ / اق الأخوان

٢١٢

دال : جھ / اق الزوج والزوج

٢١٣

هـ : جـ هـ \_\_\_\_\_ اء العءء \_\_\_\_\_ ة

٢١٣

واو : جـ هـ \_\_\_\_\_ اء الق \_\_\_\_\_ وم

٢١٤

٢/ بواء \_\_\_\_\_ ءء الجء \_\_\_\_\_ اء

٢١٤

٣/ ح \_\_\_\_\_ ق الجء \_\_\_\_\_ اء

٢١٨

٤/ ح \_\_\_\_\_ زب الله \_\_\_\_\_

٢٢٠

ألف : الف : الاءم \_\_\_\_\_ اء الأوء

٢٢٠

باء : الهء \_\_\_\_\_ رة والنص \_\_\_\_\_ رة

٢٢١

جيم : الب \_\_\_\_\_ راءة م \_\_\_\_\_ ن الاء \_\_\_\_\_ اء

٢٢٣

ءال : الاءفص \_\_\_\_\_ ال \_\_\_\_\_ ن المءءلف \_\_\_\_\_ ين

٢٢٤

هـ : الاءم \_\_\_\_\_ اء \_\_\_\_\_ ن القاء \_\_\_\_\_ ين

٢٢٥

واو : الص \_\_\_\_\_ ف الجء \_\_\_\_\_ اء

٢٢٧

فـ في رحاب الأحاديث

٢٢٨

الفصل السابع : القتل

٢٣١

أولاً : بين القتل والايمة

٢٣١

تمهيد

٢٣١

الركن الأول : بواعث القتل

٢٣٢

ألف : شراء الجننة بالأنفس والأموال

٢٣٣

باء : الشراء احياء عن ربه

٢٣٤

جيم : المجامع الاجتماعية

٢٣٥

دال : النجاسة من النار

٢٣٦

الركن الثاني : أهـ داف القتل

٢٣٩

ألف : حتى لا تكفون فتنة

٢٣٩

مضمون الصراع في الأمة الإسلامية

٢٤٢

باء : دفاعاً عن الحرمات

٢٤٥

جيم : دفاعاً عن القيم

٢٤٨

دال : من أجل الدين

٢٥٠

هاء : من أجل الدعوة

٢٥٢

أولاً : أدلة الجهاد الأبيدائي

٢٥٣

ثانياً : الأدلة المخالفة للجهاد الأبيدائي

٢٥٦

الركن الثالث : حكم الجهاد

٢٥٩

الركن الرابع : الثبوت في القتال

٢٦١

الركن الخامس : المتخلفون عن القتال

٢٦٤

ثانياً : فقه القتال

١٧٢

تمهيد

..... ٢٧٢

الركن الأول : تحقيق حكم الأية الاب تلاء

..... ٢٧٣

الركن الثاني : المتخلفون عن القتال

..... ٢٧٤

الركن الثالث : اسباب مشروعية القتال

..... ٢٧٧

ألف : فني مواجهة الظالمين

..... ٢٨٠

١/ عن د مواجهة الخطر المباشر

..... ٢٨١

٢/ دفاع الظلامنة

..... ٢٨١

٣/ للتمسك بالاسلام والمذهب المختار

..... ٢٨٢

٤/ مواجهة الفتن

..... ٢٨٢

٥/ مواجهة أعداء الأمة

..... ٢٨٢

٦/ دفاعاً عن المظلوم

..... ٢٨٣



١/ اءل ان ال رب

٣٠١

٢/ تنظ لم ص فوف المق اءلن

٣٠٤

٣/ القل اءة المءانل ءة

٣٠٤

٤/ القءل فال فءل العصل ور الراهن ءة

٣٠٥

الف : الولال ءة فءل الال ابءءال

٣٠٦

الامام الصاءق علله السلام بللن اءام الال

٣٠٧

الءوءة ءاصءة برءال

٣٠٨

ممن هءم الءوءة

٣٠٨

شروط الءوءة والمءاهءلن

٣٠٩

المؤمنون هءم ورءءة الأرض

٣١٠

الظلم لءاهءءل ولا لءاهءءل

٣١١

ءواز القءل للملءمنلن الصاءقلن

٣١١

لايجوز للظالم الجهاد

٣١٢

حكم الله في الأولين والآخرين واحدا

٣١٢

الاحتكام إلى القرآن قبل الجهاد

٣١٢

تزكية النفس قبل جهاد العدو

٣١٣

ببغاء جهاد الدفاع

٣١٤

بين الدفاع والجهاد

٣١٧

الركن السادس : القتال في الأشهر الحرم ، وفي الحرم

٣١٩

ألف : القتال في الأشهر الحرم

٣١٩

ببغاء : القتال في البلاد الحرام

٣٢٢

الركن السابع : أسرار القتال

٣٢٤

الركن الثامن : الهجوم والانسحاب في المعركة

٣٢٨

الركن التاسع : المواثيق والعهد

٣٣٣

القسم الأول : حرمة العهد في القتال

٣٣٣

القسم الثاني : حقائق العهد

٣٣٦

أولاً : المهادنة

٣٣٦

ألف : جواز المهادنة عند قلعة المسلمين

٣٣٦

باء : هل تجوز الهدنة مع القوة

٣٣٧

جيم : عدم إعادة النساء المهجرات

٣٤٠

دال : إعادة الرجالة المهجرات

٣٤١

هاء : ممن احكام الهدنة

٣٤٣

واو : احكام الهدنة والظروف المتغيرة

٣٤٤

زاء : حكم الموائيق الدولية الراهنة

٣٤٦

ثانياً : احكام الاجارة والذمام

٣٤٨

الف : شروط العاقدة

٣٤٨

بباء : حكم من دخل بشبهه الأمان

٣٤٩

ججيم : عبارات الأمان

٣٥٠

دال : صلاحية الفرد في اعطاء الأمان

٣٥١

ههاء : وقت اعطاء الأمان

٣٥٢

ثالثاً : احكام الاقامة في دار الاسلام

٣٥٣

ألف : مسوغات الاقامة

٣٥٤

بباء : احترام المقدم للقبوانين

٣٥٤

ججيم : حرمة المقدمات

٣٥٤

دال : تأشيرة الدخول أم

٣٥٦

ههاء : حرمة العقود مع الحربي

٣٥٦

رابعاً : اتفاقية التحكيم

٣٥٧

الف : شروط الحكم

٣٥٧



الركن الثاني عشر : قتال أهل البغية

.....  
٣٧٥

الركن الثالث عشر : غنائم الحرب

.....  
٣٧٨

ألف : مهاهي الغنيمية الحربية

.....  
٣٧٩

باء : متى يجوز الاعتزام

.....  
٣٨٢

جيم : كيف تؤخذ الغنيمية

.....  
٣٨٤

دال : القضاء في الغنائم الحربية

.....  
٣٨٤

هاء : لمن الغنائم الحربية

.....  
٣٨٥

## الباب الرابع / اتباع الاحسن

الفصل الأول : الكلمة الطيبة

.....  
٣٩١

بصائر الآيات

.....  
٣٩٤

فقه الآيات

.....  
٣٩٥

ففي رحاب الأحاديث

٣٩٦

الفصل الثاني : القول الحسن

٣٩٨

بصائر الآيات

٣٩٩

فقوله الآيات

٣٩٩

ففي رحاب الأحاديث

٤٠٠

الفصل الثالث : الجهل بالقول السيء

٤٠١

بصائر الآيات

٤٠٢

فقوله الآيات

٤٠٢

ففي رحاب الأحاديث

٤٠٣

الفصل الرابع عشر : السـؤال

٤٠٥ .....

آيات للسائلين

٤٠٥

من نسأل

٤٠٧ ...

ألـف : فسئل به خبيراً

٤٠٧ .....

بـاء : فاسألوا أهل العلم

٤٠٧ .....

مـتى نسأل

٤٠٨ ..

بصائر الآيات

٤٠٩

فقه الآيات

٤١٠

فـي رحاب الأحاديث

٤١١ .....

الفصل الخامس : العمل الصالح

..... ٤١٤

ما هو العمل الصالح

..... ٤١٤

بواعث العمل الصالح

..... ٤١٥

عقبى العمل الصالح

..... ٤١٦

ألف / العمل الصالح يرفعه

..... ٤١٦

باء / حياة طيبة

..... ٤١٧

جيم / مغفرة ورحمة

..... ٤١٨

دال / ثواب الله خير

..... ٤١٩

فأولئك يكفون الجنحة

..... ٤٢٣

العمل الصالح حسرة أهل النار

..... ٤٢٧

بصائر الآيات

.....

٤٢٩

فقّه الأيّـه الأيات

٤٣١

فـي رحـاب الأحاديث

٤٣٣

الفصل السادس : المسارعة في الخيرات

٤٣٦

ماهي الخيرات والمسارعة فيها

٤٣٦

حقائق المسارعة

٤٣٧

بصائر الأيات

٤٣٩

فقّه الأيّـه الأيات

٤٣٩

فـي رحـاب الأحاديث

٤٤٢

الفصل السابع : الصلح والاصلاح

٤٤٤

ألف / الف / لاج

.....  
٤٤٤

مها هو الص لاج

.....  
٤٤٤

الانبياء اسم الوة الص لاج

.....  
٤٤٥

الانتماء الي الص الحين

.....  
٤٤٦

أولاداً ص الحين

.....  
٤٤٧

عقب ي الص لاج

.....  
٤٤٨

باء / الا ص لاج

.....  
٤٤٨

معنا ي الا ص لاج

.....  
٤٤٨

حق ع ن الا ص لاج

.....  
٤٤٩

بصائر الأبيات

٤٥٣

فقاه الأبيات

٤٥٤

ففي رحاب الأحاديث

٤٦٢

الفصل الثامن : درء السبئية بالحسنة

٤٦٥

بصائر الأبيات

٤٦٦

فقاه الأبيات

٤٦٦

ففي رحاب الأحاديث

٤٦٧

الفصل التاسع : النجوى

٤٦٩

المعنى

٤٦٩



الطه ارة قيم اة ايمان اة

٤٨٠

حقه انا الطه ارة

٤٨١

طه ارة القا ب

٤٨٢

طه ارة الفكا ر

٤٨٤

بص انا الأيات

٤٨٥

فقه الأيات

٤٨٦

فقه رحا انا الأحاديث

٤٩٠

الفصل الثاني عشر : الزينة

٤٩٣

المعنى

..... ٤٩٣

حقائق الزينة

..... ٤٩٣

الزينة نعمة الهدي

..... ٤٩٤

كيف نتعامل مع الزينة

..... ٤٩٤

الزينة متعة وليمة

..... ٤٩٦

بصائر الأبيات

..... ٤٩٧

فقه الأبيات

..... ٤٩٨

في رحاب الأحاديث

..... ٥٠٢